وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
كلية التربية /ابن رشد للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

آل البيت العلوي في المغرب ودورهم في الحياة العامة حتى القرن (7هـ/13م)

اطروحة دكتوراه تقدمت بها الطالبة

آسيا ثامر هادي العبيدي

إلى مجلس كلية التربية / ابن رشد للعلوم الانسانية

كجزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي

بإشراف

الاستاذ الدكتورة

سعاد هادي الطائي

1440ه 2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا}

صدق الله العظيم

سورة الاحزاب اية (33)

المحتويات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة وعرض المصادر

الحمد لله الذي رفع شأن وقدر آل بيت حبيبه (ρ) مكاناً علياً، فكانوا خيرَ الخلق ظاهرين بالحق ظهوراً جلياً، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا، الداعي إلى اتباع نهجه واثره وآل بيته الاطهار القائل: «النُّجُومُ أَمَانٌ لِأَهْلِ السَّمَاءِ، إِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ ذَهَبَ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَأَهْلُ بَيْتِي أَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ، فَإِذَا ذَهَبَ أَهْلُ بَيْتِي ذَهَبَ أَهْلُ الْأَرْضِ»[1] .

أما بعد :

فأستفتح بالذي هو خير، قال تعالى: **{وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}** [آل عمران:122]، إن تاريخنا الإسلامي حافل بالإبداع التي يجب دراستها والبحث بها، ولاسيما سيرة وتاريخ آل البيت النبوي (%)، الذين شرف نسلهم مشارق الارض ومغاربها حاملين الرسالة المحمدية يجاهدون في سبيل ترسيخها في العقول والقلوب وضحين في سبيلها بكل غالٍ ونفيس ولم يدخروا في سبيلها شيء، ولكن بعد ان ضاقت الارض بهم بما رحبت، وملئت الارض بقبورهم هاجر من بقي منهم الى اطراف البلاد، فكانت بلاد المغرب احدى تلك البقاع التي شرفوها هذه البلاد التي انتشر بها الإسلام منذ القرن الاول للهجرة على أيدي عدد من الصحابة والتابعين، ثم بدأ مع اوائل القرن الثاني نشأت عدد من الدول المستقلة التي جاء بعضها من المشرق ومنهم دولة الاشراف الادارسة الذين هربوا بأنفسهم من بطش خلفاء الخلافة العباسية (123-656هـ/749-1258م) ورجال دولتهم، فوجدوا بها من الترحيب والتهليل ما يشرح النفوس لا سيما بعد الاضطهاد الذي لاقوه في المشرق، فكان نزولهم بين البربر فعملوا جاهدين على تثبيت قواعدهم الاساسية بنشر الاسلام بين لم يسلم، في جل البلاد المغربية ولا سيما ربوع الصحراء التي اسلم على ايديهم الشريفة اهلها، وعمقوا دين من كان مسلماً منهم، فحين يريد شخص ما أَنْ يتحدث عن انتشار الإسلام وحضارته وثقافته في بلاد المغرب، سوف يجد عدد من الاسباب لهذا الانتشار الواسع لعل منها الدور الفعال والواضح الذي قام به (الاشراف)، الذين تزايد اعدادهم وفصائلهم بتقادم الايام والسنين فدخلها جموع اخرى من آل البيت العلوي غير

(1) ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، (ت:241هـ/855م)، فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، (بيروت، 1983م)، ج2، ص671، رقم (1145) .

الاشراف الادارسة، مخلفين في كل بلد دخلوها او ارض شرفوها مآثر وآثار لا تزال قائمة خالدة تشهد لهم حسن الاثر، كما تهيئ منهم رجالٌ افذاذ التزموا العلم والدين ساعين الى حمل رسالة جدهم المصطفى (ρ) فقاموا بحفظها وتدوينها ونشرها وشرحها وحمايتها من البدع جيلاً بعد جيل على مر الزمان وتعاقب الشهور والأعوام، فكان لتلك الصفوة التي تفقهت بالدين أثراً كبيرا ومتميزا في جميع جوانب الحياة اذ كانوا معلمين عاملين على أحياء الدين لا يخافون في الحق أحداً، ولا يهابون من دون الله سلطاناً او غيره، وقد تمخضت عنهم نتائج ايجابية انعكس أثرها على بلاد المغرب عموماً، وبرز منهم عدد كبير من الفقهاء كان لهم دور متميز خلال الحقب التاريخية الطويلة التي مرت بها بلاد المغرب والدول المتعددة التي حكمتها اذ كان أثرهم متميز وواضح في جميع مجالات الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية، فهم رجال أفذاذ قائمين بواجبهم الديني والدنيوي على أكمل وجه، متمسكين بالدين عاملين على ترسيخه في العقول والقلوب وإعداد مجتمع صالح، هذا فضلا على أثارهم السياسية والإدارية والعسكرية المتميزة، أما عن دورهم في الحياة الثقافية فقد كان أشهر من ان يذكر وأسمى من أن يعرف .

ولمكانة آل البيت العلوي في بلاد المغرب، وما تركوه من اثر بارز في البلاد، جاءت الاطروحة موسومة بـ ((آل البيت العلوي في المغرب ودورهم في الحياة العامة حتى القرن 7هـ/14م))، لبيان دورهم واثارهم السياسي ومنهجهم العلمي والاجتماعي في جميع مناحي الحياة، فجمعت شتاتها من بطون الكتب .

ومن المعلوم ان دراسة الحياة العامة من خلال تراجم الرجال امرٍ ليس بالهين، ومن الصعوبة جمع مفاصلها في بحث اكاديمي واحد محدد بفترة زمنية معينة، ومع ذلك سعيت الى خوض غمار البحث فيه مع ان زادي فيه قليل، ولكني استعنت بالله تعالى محتسبة ذلك لوجهه الكريم، بعد ان استشرت اهل الاختصاص من اساتذتي الافاضل، وشمرت عن ساعد الجد فكتبت هذه الاطروحة .

اما الاسباب التي دعت الى **اختيار الموضوع** فيمكننا ان نلخصها على النحو التالي :

1. لم يسبق دراسته وان كان ضمني فقد بحثت كثيراً فلم اجد من يتطرق اليه، ولا يوجد حولهم كتاب او بحث مستقل، على الرغم من انهم كانوا علماء دين وصلحاء واصحاب طرق علمية ودينية عديدة، الا ما كتب عن الشريف ابو عبد الحسن علي الشاذلي الحسني باعتباره مؤسس الطريقة الشاذلية في المغرب والمشرق، ومع ذلك فان الدراسات حوله تركزت على الطريقة الصوفية فقط .

2. بيان للنسب العلوي في المغرب غير الاشراف الادراسة، اذ وجدنا من خلال البحث ان هناك فصائل علوية حسنية وحسينية تعاقبت الى دخول المغرب بمعدل خمسة قرون، وتفرعت الى افخاذ وعشائر عدة فكونوا بيوتات لا يمكن حصرها بعدد تصل الى الاف زخرت بالأولياء والصالحين واهل العلم والسياسة على مر الزمان فكانوا صفوة اهل المغرب، منهم الاشراف (السليمانيون الحسنيون) الذين تزامن دخولهم بعد الادارسة بمدة قصيرة من الزمن واقاموا حكم مستقل لهم في تلمسان عرفت بآمارة (آل سليمان)، ثم تبعهم في القرن (3هـ/9م) الاشراف (السملاليون الحسنيون) الذين استوطنوا سملالة فكانوا اهل علم وولاية، ليعقبهم بعد ذلك بمدة من الزمن عن طريق الحجاز الاشراف (المحمديون الحسنيون) فكانوا قواماً صلباً مدعوماً بحب المغاربة حتى تعاقب الزمان عليهم فأصبحوا دولة مستقلة عرفت بـ (الدولة العلوية المحمدية)، في حين نجد البعض منهم قد سلك طريقاً طويلا متنقلا بين البلدان من العراق الى صقلية ثم الاندلس ليستقر بهم الحال في ارض المغرب وهم الاشراف (العريضيون، والكاظميون الحسينيون)، ثم وصل فريق اخر من الاشراف الى المغرب بعد غزو المغول للعراق وهم الاشراف (العراقيون الحسينين)، هذا فضلا عن الهجرات الفردية التي جاءت سعياً من اجل العلم سواء كان لطلبه او لنشره فأصبحوا فصائل عدة حسنية وحسينية وعنهم تفرعت اغصان شجرة مباركة باقي سلفها ابد الدهر، بها المئات من العلماء والاولياء الصالحين .

3. احياءً لتراث علماء اجلاء وابراز سيرهم بعد ان غاب ذكرهم في بطون الكتب فلم يعرف امرهم، لاسيما بما ابدعوا به من علوم وتأليف نفائس في شتى المجالات الشرعية والانسانية والطبيعية، فكان نصيبها النسيان على رفوف مكاتب المخطوطات في شتى البلدان .

4. برز منهم شخصيات مؤثرة في العالم الاسلامي اجمع، وكانوا النور الذي اضاء المشرق والمغرب بعلم كبير، الا انهم عرفوا بألقابهم فلم اجد من بحث في اصولهم العلوية وابرزها بصورة يستحقها كل من ينتمي لهذه الدوحة الشريفة .

5. اثرهم المميز في الحياة السياسية والاجتماعية اذ كانوا مرشدين وجنوداً مقاتلين، وقادة افذاذ، وقضاة عدل، ووزراء، وكتاب، واهل سير حميدة، سعى الناس اليهم فنصفوا المظلوم واخذوا الحق من الظالم، وعملوا على بناء مجتمع متكامل قائم على اسس صحيحة .

6. رغبتنا الشديدة وحبنا لآل البيت النبي (%)، وسعياً لقربى الحبيب المصطفى (ρ)، فأن البحث حولهم وقراءة تاريخهم والذب عن حياضهم تعد من الدراسات السامية التي ترفع

وتضفي على دارسها وباحثها الرفعة، كيف لا وبهم يرفع الله الامة، فهم مددها ومقتدى نبيها (ρ) فهم احباب رسول الله (ρ) ومن احبهم فقد احب رسول الله (ρ) ومصداق ذلك ما تواتر عنه قوله: « مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَ فِيهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ »[2]، فأن حبهم فرضاً يسعى كل ذو عقل ان يناله وفي ذلك يقول الشاعر :

حب ال البيت فرضاً عندنا   وبهذا الحب لا نخشى المحن

وحباً للعلم والعلماء لذلك اردنا الكتابة عن تلك الشخصيات الفريدة لعلنا نبرز ما نجده في قلوبنا من حب عميق لآل بيت رسول الله (ρ)، فهم الذرية الطاهرة ودرر الزمان النفيسة، فلهذه الاسباب والدوافع جاء اختيارنا للموضوع .

ومن اهم **المعوقات والمصاعب** التي واجهتني في كتابة الاطروحة هي :

1. لم يكن الامر بالهين لاسيما وان دراستنا قائمة على رجال آل البيت العلوي (%) بشكل اساسي خلال مدة زمنية تعد فترة اضمحلال للأشراف في المغرب، فمن المعلوم ان امراء دولة الاشراف الادارسة قد مروا بفترات سياسية صعبة منذ تولي جدهم الاكبر المولى ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب (%) للحكم واستمر الحال على ذلك في نزاعات وحروب طويلة الى نهاية دولتهم، لذا فأن الحياة العلمية والسياسية والاجتماعية في عهدهم كان قائماً بما توجبه ضروريات الحياة، ثم جاءت المحنة التي قضت على دولتهم واثرهم في جميع بلاد المغرب مما اضطرهم الى هجر مواطنهم في مختلف ربوع البلدان ومن بقي منهم عمد الى التخفي عن اعين السلطات، ومع ذلك لاقوا من المحن العديد فهجروا بلادهم، ولم يظهر لهم اثراً في المغرب منذ القرن (4هـ/10م)، ولم يعودوا الى البلاد الا مع بداية القرن (7هـ/13هـ)، فكان ذلك من الصعوبات التي واجهتها في الوصول الى اعلامهم بعد ان هجروا البلاد وتخفى من بقي منهم .

---

(2) ينظر: الطبراني، سليمان بن احمد بن ايوب،(ت:360هـ/971م)، المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور الحاج، المكتب الإسلامي، (بيروت، 1405هـ)، ج2، ص84، رقم (852)؛ الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله بن محمد، (ت:405هـ/1015م)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1990م)، ج2، ص373، رقم (3312) .

2. صعوبة الحصول على المصادر كون موضوع بحثنا في بلد غير بلدنا، ولا يوجد عنهم في المكتبات العراقية الا القليل والنادر جداً فلم اجد مصادر تعينني في تفرعات انسابهم في المغرب، وما حصلت عليه هو فيما يخص نسب الامام علي وابنائه الاطهار (%)، وما يتعلق بالإشراف الادارسة وقيام دولتهم وهذا خارج موضوع بحثنا كوننا نبحث عن الحياة العامة لا تأسيس دول، لذلك اعتمدت بالدرجة الاساس على الشبكة العنكبوتية الانترنت، فكنت اسحب الكتاب الإلكتروني واحوله الى كتاب ورقي لكي يسهل علي قراءته، وبالتأكيد ذلك لم يكن كافياً لا سيما وانا ابحث في النسب النبوي، فاستطعت بفضل الله ان اصل الى بعض الاشراف المغاربة عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي، وتم تزويدي بالعديد من المؤلفات التي تخص النسب العلوي، ولكن مع ذلك لم استطيع جمع المادة بصورة تامة، فلجاءت الى مكاتب المخطوطات فكانت امامي ذات المعوقات في مكاتبنا العراقية اذ لم احصل منها الا على القليل جداً، فكان توفيق الله لي بأن اصل الى احد النقباء الاشراف في المغرب بعد معاناة في الوصول الى رقم هاتفه، وقد زودني ببعض المخطوطات النسبية المهمة، فضلا عن بعض المعلومات الشفوية من جانبه الكريم فكانت طريق ارشاد قويم لوصلي الى مصادر مهمة .

3. ومن الصعوبات الشديدة هي خلط الانساب في المغرب اذ كانت البيوتات العلوية بفعل مصاهرتهم مع البرابرة اتخذوا بعد المحن التي اصابتهم على يد السلطات، القاباً واسماءً عديدة بربرية وعامة لذا كان هناك تشابه كبير بين القابهم والقاب غير العلويين وهذه المشكلة اوقعتني بحيرة كبيرة من اجل معرفة من هو علوي صريح النسب ومن هو تشابه لقب، هذا بالإضافة الى المدعين للنسب العلوي، واغلب كتب التراجم لا تذكر المعلومات كاملة حول المترجم له، حتى نجد البعض منهم يؤكد بانه علوي شريف حسني او حسني الا انهم يكتفون بذكر اسمه مع القب والكنية، لكن بحمد الله تمكنت من حصد (133) رجلا من بيت النبوة في المغرب ما بين حسني وحسيني من الذين بقوا في البلاد او من دخلها بعد انتهاء محنتهم على يد السلطات، وهناك من دخلها في فترات متأخرة لأسباب عدة، فتتبعت انسابهم في كتب الانساب الخاصة ببيوتاتهم، ومقارنتها مع مشجرات النسب الخاصة بهم، ومن لم اصل الى مشجر، تقصيت عنهم عن طريق بعض اهل الاختصاص من النسابة المغاربة .

4. واجهتني صعوبات عدة للوصول الى سنوات وفياتهم، فأن ما لاحظته في كتب المغاربة لا يذكرون السنين اثناء سردهم للأنساب الا القليل النادر منهم، لذا كنت اسعى

الى ان ابحث في كل ما يذكر للوصول الى اشارة تدلني على الفترة الزمنية التي كان يعيش بها هذا الشريف، كأن يذكر اسم لعالم، او لوالي، او لسلطان، او اثناء عصر دولة ما .

5. ومن الصعوبات الاخرى هو ان اغلب من كتب عنهم كان من اهل القرون التاسع والعاشر الهجريين وما بعدهما، واما ما سبقها فلم يكن هناك مؤلفات عن انسابهم الا القليل جدا، ولا تذكر المصادر التي ترجمت لهم الا بعض المعلومات المقتطفة وتكاد تكون متشابهة، وذلك للأسباب سياسية منعت النسابة من البحث والكتابة حول اصول العلويين .

6. قلة المعلومات عن مشاركاتهم السياسية اذا لم اجد الا البعض منهم من تولى مناصب ادارية سياسية، او قادة معركة، ويبدوا ان السبب وراء ذلك هو ابتعادهم عن السلطة وزهدهم بها على اثر اما حل بهم من محن على يد الحكومات، لذا كان اغلبهم قد هجر البلاد، ومن بقي منهم اكتفى بالعلم والنصح والارشاد .

وبحمد الله تعالى اولاً وارشاد اهل الاختصاص وفضل من لهم علي الفضل، ذللت هذه الصعوبات ووصلت الى جذور اخذت تنمو على مرور الزمن الى ان تكونت لدي الصورة بشكل يمكنني ان اسير بها بخطى واضحة واستطعت اتمام هذه الاطروحة بفصولها ومباحثها ومطالبها ولله الحمد والمنة .

اما عن **اهمية الموضوع** فيمكن بيانها بعدة نقاط وهي :

1. اظهار هذا النسب الشريف وفروعه العديدة في المغرب .

2. التعرف على التراث الزاخر الذي تركه علماء الاشراف في بلاد المغرب، اذ يرعوا بجل العلوم الدينية، والانسانية، والطبيعة، فخلفوا اثاراً علمية اغنت المكتبة الاسلامية بتراث لا يمكن لأي طالب علم في هذه المباحث الاستغناء عنها .

3. تكمن اهميته في الوصول الى معلومات جديدة حول تاريخ البيوتات العلوية هناك لم يسبق الاشارة اليها فيما بين يدي من مصادر التاريخ المشرقية والمغربية، مثل هجرة بعض الاشراف الحسينين قرابة منتصف القرن (3هـ/9م)، الى صقلية فكسبوا بانتسابهم للنبي (ρ)، ومكانتهم العلمية حب الناس فتزعموهم لفترة طويلة من الزمن حتى اوعز ولاة الفاطميون على صقلية بالنيابة عنهم في تولي امر البلاد التي يسكونها، ودام ذلك الامر ما يزيد على نصف قرن من الزمان .

4. الفائدة من دراسة الاشراف في المغرب، هو الوصول الى معلومات حول بعض البيوتات العلوية مثل الاشراف الحسنين الحموديون، وتاريخهم السياسي في المغرب

وجهادهم ضد النورمان في صقلية، لم يسبق لها الذكر في الدراسات العربية، وقد توصلت اليها من خلال اشارة في احد المصادر الاجنبية وسعيت للبحث عنها فوجدتها مذكورة عند اغلب المؤرخين الاجانب الا ان مؤرخينا لم يذكروا شيئاً عنها .

5. ان دراسة تاريخ واحوال آل البيت النبوي (%)، في جميع مفاصل الحياة القائمة على كتاب الله (Y) وسنة نبيه (ρ)، تقدم للإنسان كل ما يجب معرفته في حق الله وشريعته، ما يجوز وما يستحل ولا سيما في حياتهم الاجتماعية، وبه يبلغ كمال المحبة في تطبيق الدين بشكل قويم، وعندئذ يسعى لكمال الخلاص في عبادته لله تعالى .

اما خطتي التي سرت عليها فقد اقتضت طبيعة الاطروحة أن يكون مقسم على مقدمة ذكرت فيها اسباب اختيار الموضوع واهميته واهم المعوقات والمصاعب والمنهج المتبع وخمسة فصول وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع وملخص باللغة الانكليزية .

فتناولتُ في **الفصل الاول** التعريف بالبيوتات العلوية في المغرب، مقسم الى ثلاثة مباحث الأول اختص بالتعريف بآل البيت العلوي مقسم الى محورين .

وجاء المبحث الثاني فقد خصصت الحديث به عن النسب الشريف في المغرب مقسم الى اشجار نسب حسنية وحسينية مقتصرة فيه على التعريف الاساسي لكل فصيلة مبرزة اهم فروعها، قائمة على اساس اصول الاعلام الذين قامت عليهم الدراسة، ما تبقى من فروع فلم اشر اليها لكونها تتعدى المئات وهذا خارج نطاق بحثنا .

في حين جاء المبحث الثالث فقد جاء حول هجرة ال البيت العلوي الى المغرب مقسم الى ثلاث محاور تضمن الاول التعريف بالهجرة، وتناولت بالثاني اسباب الهجرة، اما الثالث فتضمن موقف المغاربة من هجرتهم .

أما **الفصل الثاني** فقد عرجت الحديث به عن دور آل البيت العلوي في الحياة السياسية والادارية والعسكرية، مقسم الى ثلاث مباحث، جاء في المبحث الاول منه: عن دورهم في الجانب السياسي، فتناولت بداية مكانتهم عند السلطة وما أثرته تلك المكانة على الوضع العام، والوضع الخاص بالاشراف حيث نجد ان العديد منهم قد تعرض الى القتل والتعذيب والتهجير بسبب الظروف السياسية التي مرت بالبلاد، وقد برز أثرهم على المجتمع بمختلف المجالات السياسية فقد عملوا على حفظ الأمن الداخلي وجهدوا أنفسهم لاستتباب الأوضاع الداخلية .

أما المبحث الثاني فكان حول أثرهم في الجانب الإداري، فقد كانوا ولاة، وقضاة، ووزراء، وكتاب، ونقباء، ومفتين، وائمة متبعين، لهم مكانتهم المتميزة في المجتمع .

والمبحث الثالث كان عن أثرهم في الجانب العسكري، فقد برز أثرهم كعلماء دين حثوا على الجهاد وبينوا أهميته وضرورة الالتحاق للدفاع عن بلدهم، وبيان أهمية ذلك عند الله تعالى مما حفز الناس في الخروج للدفاع عن بلدهم خفافاً وثقالاً، ولم يقتصر أمرهم على ذلك فقد كانوا هم أنفسهم قدوة حسنة فخرجوا جنودا ومتطوعين، وقادة مجاهدين رافعين راية الإسلام ناشرين دعوة الحق بين ربوع البلاد، ولم يكونوا ممن يخلد الى الراحة الدنيا والتمتع بمحاسنها، فقد كانوا قادة مجاهدين حماة مؤتمنين، فلم يسكنوا الى الراحة حتى اوقات السلم، بل سكنوا الرباط وحرسوا الثغور ودافعوا عن بلادهم وضربوا خير مثال عن خير قادة، وكان الحكام على معرفة تامة بما يملكه الاشراف من مكانة عند الناس لذا نجدهم يسعون الى التقرب إليهم بالقدر الذي كان يبتعد به الفقهاء عنهم .

أما **الفصل الثالث:** فكان حول أثر الاشراف في الحياة الثقافية من خلال الرحلات العلمية والمجالس الثقافية مقسم الى مبحثين: الاول عن الرحلات فقد كان لهم رحلات علمية الى مختلف البلدان الداخلية والخارجية انتفعوا بها ونفعوا وعادوا الى بلدانهم بعلم جم وثقافة عالية فجلسوا للإقراء والدرس فانتفع بهم خلق كثير، ولم يكونوا يفوتوا على أنفسهم فرصة دون اقتناص بذرة مثمرة من بذور العلم، حيث نجد رحلاتهم الدينية ايضاً كانت فرصة للتزود بالعلم، أما نتاجهم العلمي فلم يتركوا علماً الا وكانوا أهلاً له فتكون عندهم نتاجاً علمياً باهراً انتفع المجتمع منه الى يومنا هذا.

والثاني المجالس العلمية الخاصة والعامة، وكذلك المناظرات والمذاكرات فقد كانت لهم قدرة عالية في الحفظ فيعقد لهم مجالس خاصة لمذاكرتهم التي كانت حافزاً جيداً في سير الحركة الثقافية قدماً .

أما **الفصل الرابع** فقد فكان حول أثر الاشراف في الحياة العلمية والمؤسسات التعليمية متضمن ثلاثة مباحث جاء الأول عن أثرهم في مجال العلوم الدينية من علوم القران، وحديث، وعقائد، وفقه، واصول الفقه، وتصوف .

اما المبحث الثاني فكان عن اثرهم في مجال العلوم الانساني والطبيعية متفرع الى محورين الاول عن العلوم الانسانية، والثاني عن العلوم الطبيعية .

اما المبحث الثالث فجاء عن اثرهم من خلال المؤسسات التعليمية المتمثلة بالمساجد والمدارس والربط، فسوف يتضح من خلال هذا الفصل أهمية الدور الذي لعبه الاشراف في سبيل تطور الحركة الفكرية ونشر العلم في ربوع البلدان، فلم يقتصر دورهم على العلوم الدينية فحسب بل نجدهم فقهاء وأطباء وكيميائيين، ورياضيين ومؤرخين

وشعراء، وأدباء وغيرها من العلوم النافعة، حتى أصبحت القيروان عاصمة من أهم عواصم العلم في العالم الإسلامي، ومما لا شك فيه نتيجة لهذا الأثر الريادي ان يكون لهم مراكز خاصة لنشر علمهم ومن أهم تلك المراكز.

أما **الفصل الخامس:** فقد تناولت فيه دور الاشراف واثرهم في الحياة الاجتماعية مقسم الى ثلاثة مباحث مبتدئة بذكر مكانتهم في المجتمع، ومن ثم تطرقت الى أثرهم في الدفاع عن حقوق الناس وما وقع عليهم من ظلم سواء كان ذلك من السلطان أم أحد أفراد حاشيته، فشاركوا في حل نزاعاتهم، فبرز أثرهم في نشر القيم الاخلاقية بين الناس فكانوا يحثونهم على الصلاة والتعبد، فجعلوا أنفسهم قدوة حسنة أمري بالمعروف وناهي عن المنكر، حاربوا البدع بالوعظ والارشاد، وحث الناس على الصواب والاقتناع بأمر الله والابتعاد عن ما يغضبه، فكونوا بذلك مجتمعاً دينياً متماسكاً، بقيم الإسلام، فلم يفردوا أنفسهم عن العامة بل كانوا جزءاً منه شاركوهم أفراحهم ووقفوا الى جانبهم بأحزانهم عملوا على مساعدتهم، اخذوا بيد غنيهم وأعانوا فقيرهم .

ولا يفوتنا أن نذكر آدابهم في اللباس والطعام فهم قدوة المجتمع، فلابد من ذكر ما تميزت به هذه الشريحة في لباسها، وطعامها .

أما أثرهم في المجتمع من خلال مكانتهم الاقتصادية، فقد تمثلت بما كانوا يعملون من الحرف المختلفة فبعضهم من كان مزارعاً وبعضهم تاجراً، وآخر صانعاً، وغيرهم من تخصص بالبيع والشراء، وذاك من عمل بالخياطة، واخر في تسفير الكتب، وغير ذلك من الأعمال الأخرى، وفي كل ذلك كان لهم أثر هام على المجتمع، فوقفوا الى جانب الفقراء وبذلوا الصدقات من كسبهم المال من تلك الاعمال التي اسست لهم مكانة خاصة عند الناس .

معتمدة في ذلك على جملة من المصادر والمراجع التي تسنى لي الوصول إليها، في كتابة الاطروحة منها :

أهم المصادر والمراجع :

مما لاشك فيه ان لكل بحث علمي نمط خاص به مبني على طبيعة معينة، تفرضها عليه وجهته الدراسية وميدان العمل المتخصص به، وبالتالي فإن لكل موضوع مصادر ومراجع محددة تمليها عليه طبيعة ذلك الموضوع، وطبيعة موضوعنا قائمة على النسب والتراجم بنفس المرتبة وهذا ما يملي علينا ان تكون من اهم مصادر دراستنا، فضلاً على كتب التاريخ والحديث والفقه والعقائد والجغرافية .

اولاً: كتب النسب .

أهم مصادر التراجم والطبقات التي اعتمدت عليها في ثنايا الاطروحة هي:

1. كتاب (جمهرة انساب العرب) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت:456هـ/1063م)، وهو من اشهر كتب الانساب الف في انساب العرب، وقد تطرق مؤلفه الى الانساب العلوية في المغرب وقد افادني كثيراً في التعرف على العديد من علماء هذه البيوتات الشريفة، كما كان من الكتب الاساسية الذي استخدمته في وضع المشجر النسبي .

2. كتاب (الشجرة المباركة في انساب الطالبية) للامام فخر الرازي (ت:606هـ/1209م)، لقد تطرق المؤلف الى ذكر كل من ينتسب للامام علي (υ) شرقاً وغرباً، فبدأ بذكر الامام وابنائه الاطهار (%)، ومن ثم يذكر كل منهم وعقبه على التوالي، فافدنا كثيراً في موضوع النسب في الفصل الاول .

2. كتاب (غاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار) للشريف تاج الدين ابن محمد بن حمزة الحسيني (ت:753هـ/1352م)، يختص هذا الكتاب بذكر الانساب الحسينين على وجه الخصوص، واعقابهم وافخاذهم وتفرعات ابنائهم في المدن والاقطار، فكان من الكتب المفيدة اثناء دراسة النسب الحسيني .

3. كتاب (بيوتات فاس الكبرى) لاسماعيل بن الاحمر (ت:807هـ/1405م)، وهو كتاب شامل لانساب جل البيوتات المشهورة بفاس، التي كانت مقراً للاشراف الحسنين والحسينين، فتطرق الى ذكر بعض هذه البيوتات الشريفة ومن ضمنها بيت الاشراف الصقليين .

4. كتاب (السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في انساب اهل البيت المطهر اهله بنص الكتاب) للامام احمد بن محمد العشماوي (ت:1142هـ/ 1730م) وهو كتاب نسب يتناول فيه المؤلف العديد من فروع النسب العلوي المهمة في المغرب، ويزيد في ذكر البعض منها على غيره من المصادر الاخرى لاسيما في ذكره لبعض الاعلام الكبار، وهذا زاد من الفائدة العلمية للكتاب وقد افادنا كثيراً في جل ثنايا اطروحتنا

4. كتاب (الدر النثير فيمن اشتهر وصح نسبه من شرفاء الوداغير) للنسابة محمد بن محمد بن الحسن الودغيري (ت:1264هـ/1847م)، يعد هذا المصدر من المصادر الهامة في تصنيف شجرة انساب الاشراف الودغيريون، فضلا عن ترجمة لعدد كبير من علمائهم، فقد اعتمد المؤلف اسلوباً مرناً في سرد النسب مضيفاً اليه مناطق سكناهم

وتاريخ وصولهم لكل بلد واثرهم العلمي والاجتماعي في البلاد التي يحلون بها، مع بيان العلوم التي برع بها عدداً من علمائهم، وقد ساعدنا هذا المصدر كثيرا في الفصل الاول ببيان انسابهم، فضلا عن الافادة منه في الفصل الثالث والرابع من خلال ترجمة علمائهم، فساعدنا كثيراً في جل فصول الاطروحة الاخرى لما ذكره من معلومات قيمة عن الاشراف

5. كتاب (الاشراف على بعض من بفاس من مشاهير الاشراف) لأبو عبد الله الفاسي محمد الطالب بن الحاج السلمي (ت:1273هـ/1822م)، كان لهذا الكتاب أثراً بارزاً في جل الاطروحة لإيراده نسب الاشراف العلوين بأدق التفاصيل ذاكرٍ الانسب النبوي مبتدأ بذكر النبي (ρ) والامام علي وزوجه الزهراء وابنائهم الاطاهر (%)، من ثم عمد الى تقسيم الاشراف الى فصائل وفروع، شارحٍ كل فرع باسلوب تاريخي بحثي جميل، مع ذكره لاشهر اعلامهم ومراحل تنقلهم بين المدن ومواطن استقرارهم، وكيف ابتدء كل عالماً فيهم علمه وترحاله، وجلوسه لنشر هذا العلم بين الناس، ولم ينسى ان يبين علاقتهم بالسلطات المحلية، والمحن التي نروا بها، فكان بحق كتاب متكامل، وقد ساعدنا كثيراً في مختلف فصول الرسالة وموضوعاتها .

6. كتاب (تحفة الحادي المطرب في نسب شرفاء المغرب) لأبو القاسم الزياني (ت:1249هـ/1833م)، جاء هذا الكتاب لضبط مسألة الانساب العلوية او معرفة بـ (الشرافة) في المغرب، لاسيما وان هناك العديد من ادعى النسب العلوي، فقام المؤلف بعمل مضني حاول قصارا جهده ان يضبط الانساب بشكل صحيح، بعد ان خلط الصحيح بالمدعي وقد لاقت هذه القضية لهمية كبيرة من قبل نظام الدولة المغربية العلوية الشريفة، وتصدى الملوك بكل حزم لها واسندوا امر ضبطها وتوثيقها لعماء الانساب الموثوقين وكبار مؤرخي الدولة، فكان احد الكتب المهمة التي ساعدتنا في توثيق مختلف المعلومات المطروحة بثنايا البحث .

7. كتاب (الفهرس في عمود نسب الادارسة) للمريني العياشي (ت:1051هـ/1642م)، وهو كتاب خاص في عمود انساب الشجرة الحسنية الإدريسية بمختلف فصائلها وشعبها العديدة، مع ذكر لبعض الفروع الاساسية لشجرة الأشراف الحسينين، مشيرا الى ابرز اعلام الشجرتين المباركتين، فكان عونن لنا في الوقوف على العديد من النقاط الاساسية في البحث .

ثانياً: كتب التراجم والطبقات

1. كتاب (التشوف الى رجال التصوف واخبار ابي العباس السبتي) لابن الزيات، يوسف بن يحيى التادلي (ت:617هـ/1220م)، يعد هذا الكتاب احد الكتب المهمة المتخصصة بذكر علماء التصوف في المغرب، فتضمن ذكر لعديد من علماء آل البيت المغاربة الكبار وتتبع اخبارهم ورحلاتهم في كل بلاد دخلوها، فكان عوناً لنا في الوصول الى معلومات وفيرة عنهم ولا سيما فيما يخص الفصل الثالث والرابع .

2. كتاب (اعلام مالقة) لابن عسكر محمد بن علي (ت:636هـ/1239م) وأبو بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس (كان حياً سنة 638هـ/1241م)، وهو من كتاب نفيس ومهم تراجم مدينة مالقة ومن ورد اليها من العلماء ويقدم لنا معلومات تفصيلية أدبية وعلمية وتاريخية كثيرة عنهم، ويصوّر لنا جوانب شتى من الحياة الأدبية مثل المجالس الأدبية والمعارضات الشعرية والعلاقات التي تربط بين الأدباء، ويمتاز هذا الكتاب بكثير من التراجم مما لا نعثر عليه في مصدر آخر سواه، كما أنه انفرد بمعلومات كثيرة من الأعلام التي لها تراجم في مصادر أخرى، وقد افادنا كثيراً في الوصول الى بعض الاعلام الاشراف، الذيم برز دورهم في جل مجالات الحياة العامة .

3. كتاب (الحلة السيراء) لابن الابار محمد بن عبد الله بن ابي بكر (ت:658هـ/ 1260م)، وهو احد كتب التراجم المهمة التي تصدى فيها المؤلف لترجم فيه كل من عرف بقرض الشعر من رجالات المغرب والأندلس، ورتبه على القرون ليسهل على قارئه الوصول لغايته بسهولة، مبتدئاً بالقرن الأول الهجري، وحتى منتصف القرن السابع، فضم عدد من علماء الاشراف الادباء والشعراء .

4. كتاب (الروض العطر الانفاس بإخبار الصالحين من اهل فاس) لمحمد ابن عيشون الشراط (ت:1109هـ/1697م)، خص المؤلف في هذا الكتاب ذكر كل من ينتمي لفاس من الصالحين والفقهاء والزهاد واعباد والمتصوفة، الذين رحلو الى المشرق فعادوا بعلم وافر واصبحوا يشكلون بما يحملوه روافد الحركة العلمية والصوفية في الغرب الاسلامي فافدني ذلك كثيراً في الفصلين الثالث والرابع .

5. كتاب (سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس) للشريف ابو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني (ت:1274هـ/1345م)، يعد هذا المصدر من أَهم المصادر التي ساعدتني كثيرا في إتمام الاطروحة، فقد كان له الدور الريادي على جميع المصادر الأخرى، لاحتوائه على اعداد كبيرة من الاشراف العلوين في المغرب، فقد عمد المؤلف الى ذكر كل عالم وان لم يكن له دوراً بارزاً مما امكننا في

رصد اكبر عدد من رجال ال البيت، فضلاً عن اهتمامة بشكل في ذكر الاشراف كونه احد الاشراف الكتانيون الحسنيون، كما انه يعمد الى ذكر معلومات غزيرة من حياة الفقهاء والعباد والصالحين والمشهورين من آل البيت (%)، في مدينة فاس خاصة، وباقي المدن التي يتنقلون اليها وهذا ما هو في صدد دراستنا، سواء كانت تلك المعلومات سياسية أم ثقافية أم اجتماعية أم فقهية، وغيرها، هذا فضلا على ما يحويه من مادة تاريخية قيمة غاية في الأهمية، وتتضح مدى الإفادة التي أفادنا بها هذا الكتاب القيم من مجرد النظر في ثنايا الرسالة فلم يكن هناك موضوع في كل الفصول إلا وكان لسلوة الانفاس أثراً متميز .

ثالثاً: كتب التاريخ العام .

لقد بلغت كتب التاريخ العام من الاهمية ما لا يقل عن سابقتها من المصادر السالفة وان لم تكن بأهمية كتب التراجم منها:

1. كتاب (الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس) لعلي ابن ابي زرع الفاسي (ت:726هـ/1326م)، وهو كتاب يتحدث عن تاريخ المغرب عامة، وتاريخ مدينة فاس بشكل خاص، يبدأ من تاريخ الدولة الادريسية وينتهي سنة (726هـ/1326م)، وقد استخدم به المؤلف اسلوب الحوليات حيث يبدأ بذكر الدول ونسبها وتشعب قبائلها ومراحل تأسيسها، ثم يذكر سلاطينها بالتسلسل وما قاموا به من اعمال، ثم يذكر في نهاية الكلام على كل دولة ماحدث في ايامها من احداث اجتماعية واقتصادية وضواهر طبيعية، ووفيات اعيانها، فكان هذا الكتاب مصدراً ذو فائدة عظيمة في جميع فصول الاطروحة، وهذا موضح من خلال الاطلاع على ثنايا الرسالة .

2. كتاب (البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب) لابن عذاري المراكشي، (ت نحو:695هـ/1295م) ويعد هذا الكتاب من اهم الكتب التاريخية التي اعتمدنا عليه في كتابة الاطروحة فقد رافقنا منذ البداية، فهو كتاب غزير بالمادة التاريخية وتكمن أهمية هذا الكتاب في دقة المعلومات التي يحويها وفي ذكره بعض الأحداث السياسية والصراعات والثورات التي تتعلق بالأشراف وغيرها من الاخبار الهامة التي افادتنا كثيراً في مضمار بحثنا، ولاسيما في الفصل الثاني من خلال تتبعه للإحداث السياسية والغزوات في عصر المرابطين والموحدين والمرينين، التي كانت للاشراف مشاركات فعالة بها .

2. كتاب (المعجب في تلخيص اخبار المغرب من لدن فتح الاندلس الى اخر عصر الموحدين) لعبد الواحد المراكشي (ت:647هـ/ 1249م)، يعد هذا الكتاب من نوادر تواريخ الأندلس والمغرب، أراد به المؤلف التعريف بدولة الموحدين، لخص فيها تاريخ الأندلس والمغرب وتحدث فيه عن نبذة تراجم لطائفة من شعراء الأندلس والمغرب، وتأتي

قيمة الكتاب من أنه بقلم رجل عاشر ملوك الموحدين، وصادق الكثير من أعيان دولتهم، وقد افادنا كثيراً في الفصل الاول والثاني .

3. كتاب (الكامل في التاريخ) لابن الاثير علي بن ابي الكرم (ت:630هـ /1232م)، يعد هذا الكتاب سجلاً حافلاً بمجمل احداث تاريخ الاسلام، وقد افادنا في ذكره أهم الأحداث التي شهدتها بلاد المغرب والأندلس التي تطرق بها إلى ذكر العديد من الحوادث المهمة في تاريخ المغرب كما تطرق إلى ذكر العلاقات السياسية التي افادتنا كثيراً في مضمار البحث اذ يعد من أشهر كتب التاريخ الإسلامي، وأحسنها ترتيباً وتنسيقاً فقد رتبه على السنين .

4. كتاب (جنى زهرة الاس في بناء مدينة فاس) للمؤرخ ابو الحسن علي الجزنائي (ت:766هـ/1365م)، وهو كتب تاريخ شامل لمدينة فاس منذ بداية الفتح الاسلامي الى القرن (8هـ/14م)، تطرق فيه المؤرخ الى جل الاحداث التي مرت على البلاد المغربية ثم تطرق الى دخول الاشراف الادارسة وبنائهم المدينة وتتابعهم على حكمها جيلاً بعد جيل، وما وقعوا به من محن على يد سلطاتها فيما بعد، فكان مصدراً مهماً لموضوعات الفصل الاول والثاني في الاطروحة .

5. كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر) لعبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت:808هـ/1405م) يعد هذا الكتاب من المصادر الهامة في دراسة تاريخ بلاد المغرب لما يحويه من معلومات قيمة واحداث سياسية مهمة عن مختلف دول المغرب التي تخص موضوع بحثنا، وقد رافقنا هذا الكتاب في جميع فصول الاطروحة .

ثالثاً : كتب الحديث.

كما اعتمت على مجموعة من كتب الحديث وغيرها من الدراسات الشرعية الهامة التي كان لها اثر كبير في دراستنا منها:

1– كتاب (مسند الأمام احمد بن حنبل) لأبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل (ت:241هـ/855م) كتاب نفيس من كتب السنة النبوية رتبه مؤلفه على مسانيد الصحابة؛ فيذكر الصحابي ثم يسوق تحته ما عنده من أحاديثه غير مرتبه وهذه الطريقة تعرف عند أهل الحديث بالتصنيف على طريقة المسانيد، والكتاب في جملته من المصادر الهامة من مصادر السنة حيث أنه يحتوي على كثير من الأحاديث الصحيحة.

2– كتاب (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت:256هـ/ 869م)، وهو كتاب مسند مختصر مشتملا على الصحيح المسند من حديث رسول الله (ρ) ويتضمن ستمائة ألف حديث وقد رتب هذه المادة في كتب تندرج تحتها أبواب، وتحت

كل باب عدد من النصوص يقل أو يكثر حسب ترتيب المؤلف في إيراد ذلك، وقد اعتمت على هذا الكتاب كثيراً في تخريج الاحاديث النبوية الشريفة في كتابة الاطروحة .

3- ولم يقتصر كتاب صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ρ) لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت:261هـ/874م) اهمية عن صحيح البخاري في تخريج قيم يحوي على العديد من الاحاديث الصحيحة عن الرسول (ρ) وقد افادنا كثيراً كما هو مثبت في ثنايا الاطروحة .

رابعاً : كتب اللغة

اما عن كتب اللغة فيأتي في مقدمتها.

1- كتاب (لسان العرب) لمحمد بن مكرم ابن منظور (ت:711هـ/1311م) فهو معجم لغويّ يُعَدُّ من أكبر واشهر معاجم اللغة العربية وأشملها، وقد رتب ابن منظور معجمه على نظام الأبواب والفصول، حيث يعالج كل باب حرفًا من حروف الهجاء، ثم يورد في كل باب فصلاً لكل حرف وفقًا لأوائل الكلمات، وقد افادنا هذا المعجم كثيراً في معرفة المعاني اللغوي لكثير من الكلمات المستخدمة في الاطروحة .

2- كتاب (تاج العروس) لمحمد بن محمد الزبيدي (ت:1205هـ/1790م)الذي يعد من معاجم اللغة العربية الهامة التي لا تقل اهمية عن كتاب لسان العرب فهو تنطبق عليه ذات الاهمية، فهو معجم موسوعي يتسم بغزارة المادة واهميتها، وقد اعتمت عليه في معرفة الكثير من المعاني اللغوية.

ولم يقتصر الامر على هذين المصدرين فقد تناولت العديد من المصادر والمراجع اللغوية الهامة التي اثبتها في قائمة المصادر والمراجع .

خامساً : كتب الرحلات والجغرافية .

أما عن كتب الرحلات والجغرافية فلم تكن بعيدة عن دراستنا فيها اكتملت السلسلة العلمية المكونة لطبيعة بحثنا، وقد استفدنا من مجموعة وفيرة من المصادر مثبتة في ثنايا الرسالة، ومنها:

1. كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الافاق) للشرف الادريسي (ت:560هـ/ 1165م)، يعد هذا الكتاب من اهم المصادر المستخدمة في الاطروحة لاسيما وان مؤلفه احد الاشراف الحسنين الادارسة في المغرب فضلا عن كونه من اهل البلاد لذا كان اكثر تعمقاً وتعريفاً للمناطق من غيره، فضلا عن المادة التاريخية المهمة التي افادة بها الاطروحة .

3. كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي ابو عبد الله الرومي (ت:626هـ /1263م) فهو من الكتب الهامة سرد فيه مؤلفه مجموعة من أسماء البلدان والجبال والأودية والقرى والأوطان والبحار والأنهار ورتبه على حروف المعجم، ومن ثم ذكر اشتقاقه إن كان

عربيا، ومعناه، كما يذكر مع اسماء بعض البلدان من الذي بناها، وأي بلد من المشهورات يجاورها، وكم المسافة بينها وبين ما يقاربها من البلدان الاخرى، كما يذكر بعض من دفن فيها من الأعيان والصالحين والصحابة والتابعين، وقد استفدت منها في التعريفات الجغرافية كثيراً، هذا فضلاً عن المعلومات الواسعة التي تحملها طيات هذا الكتاب الهام.

3. كتاب (أثر البلاد واخبار العباد) لزكريا بن محمد القزويني (ت:682هـ/ 1283م) الذي لا يقل اهمية عن كتاب معجم البلدان .

سادساً : المراجع والدراسات الحديثة .

هذا فضلا عن مجموعة من المراجع الحديثة التي اعتمدنا عليها في كثير من الموضوعات التي تطرقنا لها، فكانت عوناً لنا في كثير من المواضيع، واهم هذه المراجع.

1- كتاب (مصابيح البشرية في ابناء خير البرية) لأحمد الشباني الادريسي، وهو كتاب نفيس في ايراد نسب الاشراف العلوين في المغرب بجميع فصائلهم منتهجاً في ذلك طريقة البحث والاستقصاء عن طريق البحث بالمصادر الاصيلة للانسب العلوي في المغرب، فضلاً عن اتصاله بعمداء الاسر في مختلف البلدان والتحري منهم عن عمود نسبهم وانتمائات هذه الدوحة النبوية الشريفة، وقد افادني كثيراً في جل فصول الاطروحة ولاسيما في الفصل الاول فقد كان احد المصادر المهمة المعتمد عليها في كتابة الانساب العلوية الشريفة .

2- كتاب (سلسلة الاصول في شجرة ابناء الرسول) للقاضي عبد الله بن محمد الشارف بن علي حشلاف، وهو من كتب النسب المهمة التي تطرق فيه مؤلفه الى مختلف الانساب العلوية الحسنية والحسينية، معتمداً على مجموعة كبيرة من مصادر النسب القيمة، مقسماً الاشراف الى خمسة فصائل رئيسية، ومن ثم شارح تحت كل فصيلة اهم تفرعاتها مبيناً مناطق سكناهم، مع ذاكر لسيرة علمائهم الذاتية مع التعريف بأهم الاحداث التي واكبت حياتهم ولم يغفل عن ذكر مصنفاتهم العلمية مبيناً، وقد افادنا ذلك كثيرا في الفصل الاول بوجه الخصوص اذ اعتكت على تقسيماته للفصول الاساسية، فضلا عن جرد لعدد من العلماء الاشراف .

3- 5. كتاب (حصن السلام بين يدي اولاد مولاي عبد السلام) لطاهر بن عبد السلام اللهيوي العلمي الحسني، تتضح اهمية هذا الكتاب بمجرد قراءة عنوانه فهو كتاب مخصص لدراسة النسب العلمي الحسني الشريف، وقد اجاد المؤلف فيه على كل

الاصعدة من ناحية النسب والتاريخ والتراجم والسياسة والحياة العلمية والاجتماعية، لا سيما وهو احد افراد هذا البيت الشريف، فكان هذا الكتاب عونن لما كل مايخص هذه الاسرة الكريمة .

7. كتاب (المنتقى في اعقاب الحسن المجتبى) للنسابة ايهاب بن يعقوب الحسني، وقد تضمن هذا الكتاب القيم التفصيل لانساب الامام الحسن المجتبى واعقابهم في جل البلدان المشرقية والمغربية، فكان لاشراف المغرب النصيب الاوفر فيه، اذ اورد المؤلف معلومات واحداث واعلام كانت غاية في الاهمية، لمختلف مجالات الدراسة السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية .

وأخيراً فأني اضع هذا الجهد المتواضع بين ايدي اساتذتي الاجلاء رئيس واعضاء لجنة المناقشة، شاكرة لهم سلفاً جهودهم العلمية في تدقيق الاطروحة وتصويب ما يرونه فيها من نواقص وهفوات وحسبي اني اجتهدت فما اصبت فبفضل الله ومنته، وان اخطأت فمني، اسأله سبحانه غفران الزلل، وان يجعل عملي خالصاً نافعاً، وسأكون ممتنة لمن سدد خطاي ويرشدني الى الصواب، وصلى الله وبارك على سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد(ρ) .

الباحثة

المبحث الاول

التعريف بآل البيت العلوي

اولاً: آل البيت في اللغة والاصطلاح

1 . لغةً

إن اللغة العربية بحر زاخر بمختلف المعاني، ومفرداتها تحمل العديد من الاشتقاقات حتى نجد ان اغلب علماء اللغة وقع بينهم الاختلاف فيها، وكلمة (الآل) واحدة هذه الكلمات التي وقع فيها الاختلاف على قولين:

الاول: بأن أصلها (أول)، حيث ذهب الفراهيدي[1] إلى أن كلمة (آل) مشتقة من (الأول)، قال: " آل يَؤُولُ إليه، إذا رجع إليه " .

وهو ما ذهب اليه ابن فارس[2] اذ قال: " آلَ يَؤُول أَي رجع ... يقال أَوَّلَ الحُكْمَ إلى أَهْلِه، أي أرجَعه ورَدّه إليهم " .

وجاء القيسي[3] ايضاً بهذا المعنى اذ قال: " آل يؤول، فأصله أأول، ثم قلبت الهمزة واواً، وأدغمت فهو على أفعل " .

اما **الثاني:** فقد ذهب إلى أن أصل كلمة (آل)، هو (أهل) .

وهذا ما قال به الراغب الاصفهاني[4] بأن: " الآل: مقلوب من الأهل، ... يقال: آل فلان، ... يضاف إلى الأشرف الأفضل، يقال: آل الله وآل السلطان " .

([1]) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، (ت:170هـ/786م)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي (واخرون)، دار ومكتبة الهلال، (بيروت، د.ت)، مادة (أول)، ج8، ص359.

([2]) أحمد بن فارس بن زكريا، (ت:395هـ/1004م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (بيروت،1979م)، مادة (أول)، ج1، ص159.

([3]) الحسن بن عبد الله، (ت: ق6هـ/12م)، إيضاح شواهد الإيضاح، تحقيق: محمد بن حمود عجاني، دار الغرب الإسلامي،(بيروت، 1987م)، ج1، ص525.

([4]) الحسين بن محمد المعروف، (ت:502هـ/1109م)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، (بيروت،1412هـ)، مادة (ال)، ص98.

ويتفق معه ابن منظور[1] بذلك اذ يقول: " آل الرجل: أهله ... أصلها أهل ثم أبدلت الهاء همزة فصارت في التقدير أأل، فلما توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفا كما قالوا آدم وآخر، وفي الفعل آمن وآزر " .

وبمثل هذا قال الزبيدي[2] : " أصله أهل، أبدلت الهاء همزة، فصارت: أأل، توالت همزتان، فأبدلت الثانية ألفا فصار: آل "، وقال في موضع اخر: " الآل: أهل الرجل وعياله "[3] .

أما تعريف **البيت لغة**، فقد جاء علماء اللغة بعدة معاني لذلك، فقيل هو عيال الرجل كزوجه، والشرف، والتزويج، والقبر، وفرش البيت، كما جاء عند الفارابي[4] بقوله: " البيت ... عيال الرجل "، وقال الزبيدي[5] في ذلك: " وبيت الرجل: امرأته، ويكنى عن المرأة بالبيت "، وذكر في موضع اخر: " البيت: القبر "[6]، وقال: " البيت أيضا: الشريف، وفلان بيت قومه: أي شريفهم ... من المجاز: البيت: (التزويج)، يقال: بات فلان، أي: تزوج "[7]، وقيل هو المأوى والسكن اذ يقول الراغب الاصفهاني[8]: " أصل البيت: مأوى الإنسان بالليل ".

([1]) محمد بن مكرم بن على، (ت:711هـ/1311م)، لسان العرب، دار صادر، ط3، (بيروت، 1414هـ)، فصل الالف، مادة (الاهل)، ج11، ص30.

([2]) محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، (ت:1205هـ/1790م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (بيروت، د.ت)، مادة (أول)، ج28، ص37.

([3]) الزبيدي، تاج العروس، مادة (أول)، ج28، ص35.

([4]) إسماعيل بن حماد، (ت:393هـ/1003م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، (بيروت،1987م)، مادة (بيت)، ج1، ص244؛ وينظر: الرازي، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت: 666هـ/ 1267م)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الدار النموذجية، ط5، (صيدا، 1999م)، مادة (ب ي ت)، ص42.

([5]) تاج العروس، مادة (بيت)، ج4، ص459.

([6]) الزبيدي، تاج العروس، مادة (بيت)، ج4، ص459.

([7]) الزبيدي، تاج العروس، مادة (بيت)، ج4، ص458.

([8]) المفردات في غريب القران، مادة (بيت)، ص151.

ويقول ابن فارس[1]: " الباء والياء والتاء أصل واحد، وهو المأوى والمآب ومجمع الشمل ... والبيت: عيال الرجل والذين يبيت عندهم ".

أما إطلاق آل البيت مركبة تركيباً إضافياً، فقد صارت عرفاً على آل النبي (ρ)، وقد اشار الى ذلك الراغب الاصفهاني[2] بقوله: " وصار أهل البيت متعارفا في آل النبي عليه الصلاة والسلام " .

2. اصطلاحاً

لم يتفق العلماء حول تعريف واحد للآل في الاصطلاح فقد جاء البعض منهم: أن آل الرجل هم أهل بيته وقرابته، لأنه إليه مآلهم وإليهم مآله، وهذا معنى القول بال فلان[3]، ونجد هناك من اضاف اليهم اتباعه، فقيل آل الرجل: هم أهله وعياله، وأتباعه[4].

بينما نجد فريقاً اخر اقتصر على الاتباع فقط، فعرف الآل: بأنهم أتباع الرجل على دينه وإن لم يكونوا من أقاربه فيضاف آل الشخص إليهم ويكون داخلا فيهم، كقوله تعالى : [**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**][5] [**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ**][6] [**وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**][7]، وبذلك يكون آله هم أتباعه على دينه[8] .

([1]) معجم مقاييس اللغة، مادة (بيت)، ج1، ص325.

([2]) مفردات غريب القران، مادة (بيت)، ص151.

([3]) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (أول)، ص160.

([4]) الفارابي، الصحاح تاج اللغة، مادة (أول)، ج4، ص1627.

([5]) سورة غافر، اية: (46).

([6]) سورة البقرة، اية: (49) .

([7]) سورة البقرة، اية: (50) .

([8]) ينظر: ابو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني، (ت:1094هـ/1683م)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش (واخرون)، نشر: مؤسسة الرسالة، (بيروت، د.ت)، مادة، (الال)، ص171-172.

في حين هناك من وفق بين الاهل والاتباع مثل ابن الجوزي[1] بقوله: " الآل: اسم لكل من رجع إلى معتمد عليه فيما رجع فيه إليه، فتارة يكون بالنسب، وتارة يكون بالسبب "، فقوله: بـ (النسب) إشارة إلى الأهل والقرابة، وقوله: بـ (السبب) إشارة إلى الأتباع .

3. الفرق بين الآل والاهل

لقد اتفق اهل اللغة كما بينا اعلاه ان (الآل) في الاصل هي (اهل) ثم أبدلت الهاء همزة فصارت في التقدير (أأل)، فلما توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً[2]، ويتفقان في ذات المعنى وهو ما يجمعهم نسب وقرابة[3]، الا ان كلمة (الاهل) مدلولها اوسع من (الآل)، كما جاء عند ابن مهران[4] بقوله: " أن الاهل يكون من جهة النسب والاختصاص فمن جهة النسب قولك أهل الرجل لقرابته الادنين، ومن جهة الاختصاص قولك أهل البصرة وأهل العلم، والآل خاصة الرجل من جهة القرابة أو الصحبة تقول آل الرجل لأهله وأصحابه ولا تقول آل البصرة وآل العلم ".

كما ان الاهل تضاف الى المعظم وغير المعظم والى الجماد وغير الناطقين، كأن يقال اهل الاسكافي، اهل الزمان، او اهل الدار، او اهل الملك[5] .

([1]) جمال الدين عبد الرحمن بن علي, (ت:597هـ/1201م), نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، نشر: مؤسسة الرسالة، (بيروت، 1984م)، ص121 .

([2]) ابن منظور، لسان العرب، فصل الالف مادة (اهل)، ج11، ص30.

([3]) ينظر: الفراهيدي، العين، مادة (اهل)، ج4، ص89؛ القزويني، معجم مقاييس اللغة، مادة (اهل)، ج1، ص150؛ الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، (ت:538هـ/1134م)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، (بيروت ،1998م)، مادة (أ هـ ل)، ج1، ص38.

([4]) الحسن بن عبد الله بن سهل، (ت: نحو395هـ/1004م)، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم، 1412هـ)، ص84.

([5]) ينظر: الرازي، مختار الصحاح، مادة (أ هـ، ل)، ص25؛ ابن منظور، لسان العرب، فصل الالف مادة (اهل)، ج11، ص28- 30، أبو البقاء، الكليات، فصل الالف والهاء، مادة (اهل)، ص210.

اما الآل فأن من خصوصياتها انها لا تضاف الا الى معظم من شأنه ان يؤول غيره، او يسوسه فيكون مآله اليه، يقول ابن منظور[1]: " يختص بالآل الأشرف الأخص دون الشائع الأعم حتى لا يقال إلا في نحو قولهم: القراء آل الله، وقولهم: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ... اختصت بأشرف الأسماء وأشهرها، وهو اسم الله، فلذلك لم يقل ... آل الإسكاف ولا آل الخياط " .

وانها لا تضاف الا الى الرجال الناطقين فلا يقال آل الرجل، ولا آل الزمان، يقول القاضي نكري[2] في ذلك: " الآل يستعمل في الأشراف والأهل فيه وفي الأرذال أيضا فيقال أهل الحجام لا آله وآل النبي عليه الصلاة والسلام لأهله، وأيضا يضاف الأهل إلى المكان والزمان دون الآل فيقال أهل المصر وأهل الزمان لا آل المصر وآل الزمان " .

يتبين لنا مما سبق ان (الآل ، والاهل)، اذا اطلقت على اهل البيت فدلالتها واحدة وهم كل من ينتسب للنبي (ρ) من الاهل والزوجة والابناء، كما سبق ان بينا ما نصه الراغب الاصفهاني[3] بقوله: " وصار أهل البيت متعارفا في آل النبي عليه الصلاة والسلام "، الا انها تختلف في الخصوصية حول كل من ينطبق عليه الآل، او الاهل، فأن الاهل لا تنحصر بفئة معينة بصفات محددة، هذا فضلاً عن انها في حال أضافتها الى شخص معين يحتمل ان يدخل فيهم او يخرج، كقولنا اهل زيد فلا يشترط دخول زيد معهم اما الشخص الذي تضاف اليه الآل يشترط دخوله فيهم كقوله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)[4]، اذاً الاهل عموم، والآل خصوص .

([1]) لسان العرب، فصل الالف مادة (اهل)، ج11، ص30.

([2]) عبد النبي بن عبد الرسول، (ت: ق 12هـ/18م)، دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ترجمة: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2000م)، ج1، ص12.

([3]) مفردات غريب القران، مادة (بيت)، ص151.

([4]) سورة ال عمران، اية (33).

ثانياً: المراد بآل البيت

قال تعالى: [**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**)[1]، ذكر علماء اللغة ان الرجس: هو كل مستنكر مستقذر من مأكل أو عمل أو فاحشة[2]، وقيل هو الشيطان[3]، وقد يأتي الرجس أيضا بمعنى النتن والقذر والعذاب[4].

وقال المفسرون في تفسير هذه الآية الكريمة بأن الرجس هو: الفحشاء والمنكر والدنس الذي يكون في أهل المعاصي فأذهب الله (I) جميع ذلك عن اهل البيت (%)، وطهرهم تطهيراً وقد خصهم برحمة منه[5]، الا انهم اختلفوا فيمن هم ال النبي (ρ)، المقصودين في هذه الآية الكريمة على قولين:

القول الاول: ان المراد بال البيت (%) هم اصحاب الكساء[6] الخمسة، وهم رسول الله (ρ)، والامام علي بن ابي طالب (υ)، والسيدة فاطمة الزهراء (∃)،

([1]) سورة الاحزاب، اية: (33).

([2]) ينظر: أبو عُبيد، القاسم بن سلاّم بن عبد الله، (ت:224هـ/839م)، غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، نشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد، 1964م)، مادة (رجس)، ج2، ص191؛ أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، (ت:328هـ/940م)، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، (بيروت، 1992م)، مادة (رجس)، ج2، ص202.

([3]) ابن منظور، لسان العرب، فصل الراء، مادة (رجس)، ج6، ص95.

([4]) الفارابي، الصحاح تاج اللغة، مادة (رجس)، ج3، ص933، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (رجس)، ج1، ص421.

([5]) ينظر: ابن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، (ت:200هـ/815م)، التفسير، تحقيق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2004م)، ج2، ص717؛ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، (ت:310هـ/922م)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (بيروت،2000م)، ج20، ص263.

([6]) ينظر: ألدولابي، أبي بشير محمد بن أحمد، (ت:310هـ/922م)، الذرية الطاهرة، تحقيق: سعد المبارك الحسن، الدار السلفية، (السعودية، 1407هـ)، ص107؛ الهيثمي، موارد الضمان إلى زوائد ابن حبان، تحقيق: حسين سليم أسد، دار الثقافة العربية، (دمشق،1990م)، ج7، ص203؛ البحراني، عبد الله بن نور الدين، عوالم المعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، مؤسسة الأمام المهدي، ط3،(قم، 1416هـ)، ج11، ص930-934 .

والامامين الحسن والحسين (%)[1].

وقد استدلوا اصحاب هذا القول بحديث الكساء، فيما روي عن أم سلمة قالت: " جاءت فاطمة إلى رسول الله (ρ) ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحلها على طبق، فوضعته بين يديه، فقال: أين ابن عمك وابناك؟ فقالت: في البيت، فقال: ادعيهم، فجاءت إلى علي فقالت: أجب النبي (ρ) أنت وابناك، قالت أم سلمة: فلما رآهم مقبلين مد يده إلى كساء كان على المنامة فمده وبسطه وأجلسهم عليه، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رؤوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه، فقال: هؤلاء أهل البيت، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا"[2].

وما روي عن السيدة عائشة (I): " خرج النبي (ρ) غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معهما، ثم جاء علي فأدخله معهم ثم قال: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا "[3] .

وعن أنس بن مالك[4] قال: " أن النبي (ρ) كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر، كلما خرج إلى الصلاة فيقول: " الصلاة أهل البيت (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**)[1] "[2].

([1]) الطبري، جامع البيان، ج20، ص263؛ ابو اسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم، (ت: 427هـ/1035م)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، (بيروت،2002م)، ج8، ص42، سلسلة المعارف الإسلامية ، مودة أهل البيت (%) وفضائلهم في الكتاب ، نشر مركز الرسالة ، (قم، 1419هـ)، ص12 .

([2]) ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، (ت:241هـ/855م)، فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، (بيروت، 1983م)، ج2، ص685، رقم (1170)؛ ابن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط2، (بيروت، 1999م)، ج44، ص173، رقم (26550).

([3]) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله بن محمد، (ت:405هـ/1015م)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1990م)، ج3، ص109، رقم (4707).

([4]) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث، أبو عبد الله: إمام دار الهجرة، ولد سنة (93هـ/712م)، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة؛ ينظر: ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع، (ت:230هـ/845م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، 1968م)، ج1، ص433؛ البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، (ت:256هـ/870م)، التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد، د.ت)، ج7، ص310.

واستدلوا كذلك بآية المباهلة وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ (3)، فقالوا: دعا النبي (ρ) أقرب الناس إليه وهم آله فكانوا عليا وفاطمة والحسن والحسين (**%**)(4).

وذكر الحسكاني(5) بسنده عن أبي الحمراء(6) قال: " كان رسول الله (ρ)، يجيء عند كل صلاة فجر فيأخذ بعضادة هذا الباب، ثم يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فيردون عليه من البيت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فيقول: الصلاة رَحِمُكُمْ،﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾(7)، قال: فقلت يا أبا الحمراء من كان في البيت ؟ قال: علي، وفاطمة، والحسن، والحسين " .

القول الثاني: هم زوجاته (ρ) وذريته خاصة

---

(1) سورة الاحزاب، اية: (33).

(2) ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم، (ت:235هـ/850م)، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، نشر: مكتبة الرشد، (الرياض، 1409م)، ج6، ص388، رقم (32272)؛ ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك، (ت:287هـ/900م)، الآحاد والمثاني، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، (الرياض، 1991م)، ج5، ص360، رقم (2953).

(3) سورة ال عمران، اية: (61) .

(4) ينظر: الخازن، علاء الدين علي بن محمد، (ت:741هـ/ 1340م)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، نشر: دار الكتب العلمية، (بيروت، 1415هـ)، ص 254 .

(5) عبيد الله بن عبد الله بن أحمد، (ت490هـ/ 1097م)، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، تحقيق: محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ط3، (قم ، 1427هـ)، ج2، ص74 .

(6) هلال بن الحارث أبو الحمراء خادم النبي (ρ)، سكن حمص؛ ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد عبد المنعم، دار الكتب العلمية، (بيروت ، د.ت)، ج5، ص381 .

(7) سورة الأحزاب، الآية: (33) .

لقد استدل اصحاب هذا القول بأية التطهير ايضاً، قال تعالى: ﴿ **يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (32) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (33) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا**﴾[1]، حيث ذهبوا الى انها نزلت بنساء النبي (ρ)، على وجه الخصوص، يقول ابن ابي حاتم[2]: " نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ".

الا اننا بالعودة الى المعنى الحقيقي لحديث الكساء نجد ان النبي (ρ) قد فسر قولاً وعملاً أن لفظ أهل البيت مخصوص بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ودليلنا في ذلك ما ذكره القرطبي[3] قائلاً: " وقراءة النبي (ρ) هذه الآية: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[4]، دليل على أن أهل البيت المعنيين في الآية هم المغطون بذلك المرط في ذلك الوقت " .

وقال ابن تيمية[5]: " أفضل أهل بيته هم علي وفاطمة وحسن وحسين الذين أدار عليهم الكساء وخصهم بالدعاء " .

([1]) سورة الاحزاب، اية: (23، 33، 34) .

([2]) عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، (ت:327هـ/939م)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط3، (السعودية، 1419هـ)، ج9، ص3132؛ وينظر: السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار، (ت:489هـ/1096م)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، نشر: دار الوطن، (الرياض، 1997م)، ج4، ص288.

([3]) الحافظ أحمد بن عمر بن إبراهيم،(ت:656هـ/1258م)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين ديب وآخرون، دار ابن كثير، (بيروت، 1417هـ)، ج6 ، ص302، كتاب النبوات ، باب فضائل أهل البيت .

([4]) سورة الأحزاب : الآية 33 .

([5]) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، (ت728هـ/1328م)، الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1408هـ)، ج5 ، ص336 .

هذا فضلا انه قد ثبت ان في ما روي عن ام سلمة قالت: " فدعا فاطمة و حسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجللهم بكساء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أم سلمة[1] وأنا معهم يا نبي الله ؟ قال أنت على مكانك وأنت على خير"[2] .

فلو كانت الآية مختصة كما ذهب اصحاب هذا القول بزوجات النبي (ρ)، لكانت أم سلمة هي أولى وأقرب إلى ذلك لأنها نزلت في بيتها وقد سألت النبي(ρ)، أليست هي من أهل البيت فقال لها (ρ) انت في مكانك اي من زوجاته وهذا يؤكد أن رسول الله (ρ)، قد خصص مفهوم أهل البيت (**%**) في هذه الآية بالأمام علي وفاطمة والحسن والحسين(**%**)، دون غيرهم .

القول الثالث: هم الذين حرمت عليهم الصدقة

وقد استدل اصحاب هذا القول بما جاء عن ابو هريرة عن النبي (ρ)، قوله: " كان رسول الله (ρ) يؤتى بالنخل عند صرامه[3], فيجيء هذا بتمرة وهذا بتمرة حتى يصير عنده كوم من تمر, فجعل الحسن والحسين يلعبان بذلك التمر, فأخذ أحدهما تمرة فجعلها في فيه, فنظر إليه رسول الله (ρ) فأخرجها من فيه, فقال: أما علمت أن

([1]) هند بنت سهيل المعروف بأبي أمية، ويقال اسمه حذيفة، ويعرف بزاد الراكب، ابن المغيرة، القرشية المخزومية، من زوجات النبي (ρ) تزوجها في السنة الرابعة للهجرة وكانت من أكمل النساء عقلا وخلقا؛ ينظر: ابن خياط، خليفة بن خياط بن خليفة، (ت: 240هـ/ 854م)، طبقات، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت، 1993م)، ص52؛ ابن حنبل، الاسامي والكنى، تحقيق: عبد الله بن يوسف الجديع، نشر: مكتبة دار الأقصى، (الكويت، 1985م)؛ ص27.

([2]) الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، (ت: 279هـ/ 893م)، الجامع الكبير سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، نشر: دار الغرب الإسلامي، (بيروت، 1998م)، ج5، ص204، رقم (3205).

([3]) الصرام: قطع الثمرة واجتناؤها من النخلة، يقال: هذا وقت الصرام والجذاذ، ويقال حين يصرم النخل، بكسر الراء، وهو من قولك أصرم النخل إذا جاء وقت صرامه. قال: وقد يطلق الصرام على النخل نفسه لأنه يصرم؛ ينظر: الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري، (ت:370هـ/ 980م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، 2001م)، باب (الصاد والراء)، مادة (صرم)، ج12، ص130؛ ابن منظور، لسان العرب، فصل (الصاد المهملة)، مادة (صرم)، ج12، ص336.

آل محمد لا يأكلون الصدقة "[1]، وفي رواية اخرى قال (ρ): " إنا لا تحل لنا الصدقة "[2]، وفي اخرى قوله (ρ): " إن الصدقة لا تحل لآل محمد "[3].

كما روي عن السيدة عائشة (I)، أن السيدة فاطمة (∃)، أرسلت إلى أبي بكر (τ) تسأله ميراثها من النبي (ρ) مما أفاء الله فقال أبو بكر (τ): " إن رسول الله (ρ) قال: لا نورث, ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال يعني مال الله ليس لهم أن يزيدوا على المأكل "[4] .

القول الرابع: آل النبي (ρ) أمته وأتباعه إلى يوم القيامة

لقد قال اصحاب هذا الرأي ان المراد من ال البيت التي جاءت في اية التطهير هم امة النبي (ρ)، ومن يتبعه مستدلين بقوله تعالى: ﴿**أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[5] والمراد جميع أتباعه، ومن قوله تعالي: ﴿**إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ**﴾[6]، فالمراد به أتباعه المؤمنون به من أقاربه وغيره، وذلك إن آل هم أتباعه على دينه وأن اشتقاق هذه اللفظة تدل عليه فإن من آل يؤول إذا رجع[7]، ومرجع الاتباع إلى متبعوهم لأنه إمامهم وموئلهم .

([1]) البخاري، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، (بيروت، 1987م)، ج2، ص126، رقم (1485).

([2]) ابن أبي شيبة، المصنف ،ج2، ص428، رقم (10703).

([3]) اليماني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، (ت:211هـ/826م)، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: المكتب الإسلامي، ط2، (بيروت، 1403هـ)، ج4، ص50، رقم (6940)؛ أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثُنى، (ت:307هـ/920م)، المسند، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، (دمشق، 1984م)، ج12، ص132، رقم (6762).

([4]) ينظر: البخاري، الجامع المسند، ج5، ص20، رقم (3712)؛ أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، (ت:275هـ/888م)، السنن، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: المكتبة العصرية، (بيروت، د.ت)، ج4، ص142، رقم (2969).

([5]) سورة غافر، اية: (46).

([6]) سورة القمر، اية: (34).

([7]) ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (أول)، ج1، ص159.

كما جاء في حديث أن واثلة بن الأسقع[1] (ت:58هـ/677م) روى: " أن النبي (ρ) دعا حسناً وحسيناً، فأجلس كل واحد منهما علي فخذه، وأدنى فاطمة رضي الله عنها من حجره وزجها، ثم لف عليهم ثوبه، ثم قال: اللهم هؤلاء أهلي، قال واثلة: فقلت: يا رسول الله، وأنا من أهلك؟ فقال: وأنت من أهلي "[2] .

هذه أقوال أهل العلم في تحديد من المراد بآل البيت في الآية الكريمة، ويتبين لنا مما سبق ان آله (ρ) لهم خواص تميزوا بها عن غيرهم وهي تحريم الصدقة عليهم، واستحقاق خمس الخمس، وعدم توريثهم، فضلا عن اختصاصهم بالصلاة دون غيرهم[3]، وقد ثبت أن جميعها مختصة بال النبي (ρ)، لا بالجميع واله هم (اصحاب الكساء)، وهذا ما نلاحظه من أية التطهير وتفسيرها وكذلك من أحاديث النبي(ρ)، وتكرار فعل النبي ووقوفه على باب علي وفاطمة (%) لستة أشهر وكثرة وصايا وأحاديث النبي(ρ) في التمسك بأهل بيته قائلاً: « وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ

---

(1) وهو واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب بن عنزة بن سعد بن ليث بن بكر، من بني كنانة، ويكنى (أبا قرصافة)، كان ينزل ناحية المدينة، ثم وقع الإسلام في قلبه، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى تبوك، فأسلم، وخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، وكان من أهل الصفة، توفي وهو ابن 98 سنة؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج7، ص407؛ البغدادي، عبد الباقي بن قانع بن مرزوق، (ت:351هـ/ 962م)، معجم الصحابة، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، نشر: مكتبة الغرباء الأثرية، (المدينة المنورة، 1418هـ)، ج3، ص183.

(2) الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة، (ت:321هـ/933م)، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، (بيروت، 1494م)، ج2، ص245، رقم (773)؛ الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، (ت:360هـ/971م)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، نشر: مكتبة ابن تيمية، (القاهرة، د.ت)، ج3، ص55، رقم (2670).

(3) روي ان رجلاً جاء النبي (ρ) فقال له: كيف نصلي عليك يا نبي الله فقال (ρ) قولوا: «اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»؛ ينظر:النسائي، أحمد بن شعيب بن علي، (ت: 303هـ/ 915م)، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، (بيروت، 2001م)، ج2، ص75، رقم (1215)؛ الطبراني، المعجم الكبير، ج17، ص251، رقم (698) .

اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي »[1]، وقوله (ρ):« مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَ فِيهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ، وَمَنْ قَاتَلَنَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ كَانَ كَمَنْ قَاتَلَ مَعَ الدَّجَّالِ »[2] .

المبحث الثاني
النسب العلوي الشريف في المغرب

(1) ابن حنبل، المسند، ج32، ص11، رقم (19265)؛ مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج (ت:261هـ/ 875م)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ρ = الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي،(بيروت، د.ت)، ج4، ص1873، باب (من فضائل علي بن ابي طالب τ)، رقم (36) .

(2) ينظر: الطبراني، المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور الحاج، المكتب الإسلامي، (بيروت، 1405هـ)، ج2، ص84، رقم (852)؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك، ج2، ص373، رقم (3312) .

نظراً لكثرة المنتمين الى النسب العلوي في بلاد المغرب, وكثرة تفرعات هذهِ الشجرة الزكية المباركة في انحاء البلاد واختلاف اسمائهم والقابهم التي اشتهروا بها, وجدنا من الضروري ان يتضمن هذا المبحث نبذة تعريفية عن جميع الاصول والفروع الموجودين في فيه منذُ أَول دخول لهم مقتصرة على ذكر الاصول والفروع التي سوف اتطرق الى الحديث عن اعلامهم من علماء وادباء وسياسيين ومن له دور في الحياة العامة, اما باقي التفرعات الاخرى لم أتطرق الى ذكرها لكونها خارج دراستنا هذا فضلاً عن سعة تشعبهم وكثرتهم في المغرب اذ قد تصل فروع الشجرة الواحدة منهم الى المئات(1) .

وقد رتبتهم على حسب الاسبقية في وصولهم الى البلاد، اذ قدمت شجرة على اخرى بناءٍ على ذلك, وحرصت قدر الامكان على ان اذكر المعلومات الاساسية لكل اصل وفرع من هذهِ الشجرة المباركة, مبتدئة بذكر نسل الامام الحسن (υ) (ت:52هـ/672م), ومن ثم نسل الامام الحسين (υ) (ت:61هـ/681م), واعقابهم في المغرب .

(1) ينظر: فخر الرازي, محمد بن عمر بن الحسين, (ت:606هـ/1209م), الشجرة المباركة في أنساب الطالبية, تحقيق: السيد مهدي الزجاني والسيد محمود المرعشي, نشر: مكتبة آية العظمى المرعشي النجفي, (قم, 1419هـ)؛ الغرناطي, محمد بن محمد بن احمد، (ت:758هـ/1383م), الانوار في نسب آل النبي المختار، تحقيق: مهدي الرجائي, نشر: مكتبة سماحة آية الله العظمى المرعشي, (قم, 2010م)؛ العياشي, محمد بن احمد بن محمد بن الحسن, (ت:1051هـ/1642م)، الفهرس في عمود نسب الادارسة, د. مط, (طنجة, 1986م)؛ العشماوي, احمد بن محمد, (ت:1142هـ/1730م), السلسة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر اهله بنص الكتاب ضمن كتاب مجموعة النسب والحسب والفضائل والتاريخ والادب, للمؤلف بلهاشمي بن بكارة, مطبعة: ابن خلدون, (تلمسان, 1961م)؛ الزياني, محمد بلقاسم بن احمد بن علي, (ت:1249هـ/1833م), تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب, تحقيق: رشيد الزاوية, مطبعة الامنية, (الرباط, 2008م)؛ ابو عبد الله الفاسي, محمد الطالب بن الحاج, (ت:1273هـ/1856م), الاشراف على بعض من بفاس من مشاهير الاشراف, تحقيق: جعفر بن الحاج السلمي, نشر: المكتبة الحيدرية, (قم, 1426هـ) .

ان معرفة النسب امراً جليل القدر والمعرفة اذ بهِ يكون التعارف بين الناس, وقد جعل الله (I) تعلمه فضلاً لا يسع احد جهله ومن جهله يكون ناقص الدرجة في الفضل قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[1], فقد جعل الله (I) تعارف الناس بأنسابهم غرضاً واجباً له في خلقه ايانا شعوباً وقبائل[2]، وحث النبي (ρ) على ضرورة معرفة النسب اذ قال: « تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي أَهْلِهِ، مَثْرَاةٌ فِي مَالِه، مَنْسَأَةٌ فِي أَثَرِهِ»[3]، ومنهُ قولهِ (Y): « اعْرِفُوا أَنْسَابَكُمْ تَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّهُ لَا قُرْبَ بِالرَّحِمِ إِذَا قُطِعَتْ وَإِنْ كَانَتْ قَرِيبَةً، وَلَا بُعْدَ بِهَا إِذَا وُصِلَتْ وَإِنْ كَانَتْ بَعِيدَةً» [4] .

وقوله (Y): « إِنَّ كُلَّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ نَسَبِي وَسَبَبِي »[5], اذاً فإن معرفة نسب آل بيت النبي (ρ) له أهمية كبرى لوجوب اجلالهم واعظامهم فهم خيرة الله التي اختارها وفضلهم على الناس[6] .

([1]) سورة الحجرات, آية (12).

([2]) ابي نصر البخاري, سهل بن عبد الله بن داود, (ت:342هـ/957م), سر السلسلة العلوية, تحقيق: محمد بحر العلوم, المكتبة الحيدرية, (النجف, 1962م), ص12.

([3]) ينظر: ابن حنبل، المسند، ج14، ص456، رقم (8868)؛ المروزي، الحسين بن الحسن بن حرب، (ت:246هـ/957م)، البر والصلة، تحقيق: محمد سعيد بخاري، دار الوطن، (الرياض، 1419هـ)، ص102، رقم (196)؛ الترمذي، السنن، ج3، ص419، رقم (1979) .

([4]) أبو داود، سليمان بن داود بن الجارود، (ت:204هـ/819م)، المسند، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، (مصر، 1999م)، ج4، ص473، رقم (2880)؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج1، ص165، رقم (301) .

([5]) السراج، محمد بن إسحاق بن إبراهيم، (ت:313هـ/925م)، حديث السراج، تحقيق: حسين بن عكاشة بن رمضان، نشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، (د.م، 2004م)، ج3، ص232، رقم (2603)؛ الاجري، محمد بن الحسين بن عبد الله، (ت:360هـ/971م)، الشريعة، تحقيق: عبد الله بن عمر بن سليمان ، دار الوطن، (الرياض،1999م)، ج5، ص2231، رقم (1713).

([6]) البخاري, سهل بن عبد الله بن داود، (341هـ/952م)، سر السلسلة العلوية, تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، منشورات المطبعة الحيدرية، (النجف، 1962م)، ص12

وقد انتشرت فروع هذهِ السلالة الشريفة والدوحة العريقة في مشارق الارض ومغاربها عن سيدنا الامام علي بن ابي طالب (υ) (ت:40هـ/661م), وسيدتنا فاطمة الزهراء بنت محمد (∃) (ت:11هـ/632م)، فقد كان لولديهما الامامان الحسن والحسين (3) عقب في كل البلاد، وما يهمنا هنا هو عقبهم في بلاد المغرب اذ برز من نسلهم العديد من الأولياء والصالحون, والعباد والزهاد والعلماء العاملون والادباء, والقادة, والحكام حتى أنهم أسسوا دول هناك فكان لهم شأن عظيم, وسوف ابدأ الحديث عن نسل الامام الحسن (υ) اولاً باعتبارهم اول من دخل بلاد المغرب .

القسم الاول: الشجرة الحسنية وفروعها في المغرب

يرجع عمود هذهِ الشجرة المباركة الى الامام الحسن بن علي بن ابي طالب (υ), شبيه جدهُ رسول الله (ρ) خلقاً وأخلاقاً[1], وقد خلف اثني عشر ولداً على اختلاف الروايات[2] حيث ذكر ابن الزبير[3] ان لهُ ثمانية ذكور وهم: (الحسن المثنى, وزيد, وطلحة, والحسين الأثرم, وعبد الرحمن, وعمر, والقاسم, وابو بكر), وزاد

([1]) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص226، ابن الزبير، مصعب بن عبد الله بن مصعب، (ت:236ه/851م)، نسب قريش، تحقيق: ليفي بروفنسال، نشر: دار المعارف، (القاهرة،د.ت)، ص23؛ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، (ت:279ه/893م)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، (بيروت،1996م)، ج3، ص5.

([2]) ينظر: البصري، علي بن عبد الله بن جعفر، (ت:234ه/748م)، تسمية من روي عنه من أولاد العشرة، تحقيق: علي محمد جماز، دار القلم، (الكويت، 1982م)، ص78؛ الدولابي، محمد بن أحمد بن حماد، (ت:310ه/922م)، الذرية الطاهرة النبوية، تحقيق: سعد المبارك الحسن، الدار السلفية، (الكويت، 1407ه)، ص72؛ العصامي المكي، عبد الملك بن حسين، (ت:1111ه/1700م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1419 ه)ج4، ص133.

([3]) نسب قريش، ص46-50.

ابن حزم[1] عليهم اربعة وهم: (عبد الله, ومحمد, وجعفر, وحمزة), ولم يعقب منهم الا الحسن المثنى (ت:90هـ/708م)، وزيد (ت:120هـ/738م)[2].

وفي اعقابهم كانت الخلافة في سائر اقطار الارض[3], اذ اعقب زيد ولداً واحداً وهو الحسن (ت:168هـ/784م), وكان عاملاً على المدينة المنورة ايام أبو جعفر المنصور (136-158هـ/753-775م)[4], وقد اعقب ثمانية[5] ابناء جميعهم في المشرق فلم يكن له عقب في المغرب .

اما فرع الحسن المثنى الذي خلف سبعة ابناء وهم (عبد الله الكامل, والحسن المثلث, وابراهيم الغمر, ومحمد, وداود, وجعفر)[6], من اعقب منهم في المغرب اثنان وهم المولى عبد الله الكامل (ت:144هـ/761م)، والحسن المثلث (ت:145هـ/763م) ومن سلالتهم المباركة تفرع شرفاء المغرب الحسنين، وسوف اتطرق للحديث عنهم على النحو التالي :

اولا: الاشراف من عقب المولى عبد الله الكامل

---

(1) ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، (ت:456هـ/1064م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1983م)، ص38 .

(2) الزياني, جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك واشياخ السلطان الموالى سليمان، تحقيق: عبد المجيد خيالي, دار الكتب العلمية, (بيروت, 2003م), ص70.

(3) ابن الزبير, أنساب قريش, ص51- 56؛ ابن حزم, جمهرة انساب العرب, ص38- 39 .

(4) ابن الزبير, أنساب قريش، ص56؛ وكيع، محمد بن خلف بن حيان، (ت:306هـ/ 918م)، اخبار القضاة، تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي، نشر: المكتبة التجارية الكبرى، (القاهرة، 1947م)، ج1، ص224؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص39.

(5) وهم: القاسم وعلي واسماعيل واسحاق وزيد, وعبد الله وابراهيم والحسن؛ ينظر: ابن حزم, جمهرة أنساب العرب, ص39.

(6) ينظر: ابن الزبير، نسب قريش، ص51؛ ابن حزم، جمهرة انساب العرب،ص41؛ الحسني, ايهاب بن يعقوب، المنتقى في أعقاب الحسن المجتبى, منشورات الخزانة الكتبية الحسنية الخاصة، (المدينة المنورة، 1419هـ)، ص131- 132.

اعقب المولى عبد الله الكامل سبعة ابناء وهم: (محمد النفس الزكية, ابراهيم, وموسى الجون, وادريس, وعيسى, وسليمان, ويحيى)(1)، حيث يرجع نسب كل الشجرة الحسنية من ذريته في المغرب الى اربعة منهم وهم: الادريسيون بنو ادريس, والسليمانيون بنو سليمان, والمحمديون بنو محمد النفس الزكية, والموسويون بنو موسى الجون(2) .

وهذا الفرع الاخير (الموسويون) لم اتطرق لدراسته لكونه خارج مدة بحثنا وسوف اقدم الكلام حول فصيلة الادارسة على بقية الفصائل الأخرى لأن جدهم الامام ادريس بن عبد الله الكامل (ت:177هـ/793م) هو أول قادم الى المغرب, كما انه قدم بنفسه, على خلاف اجداد باقي الفصائل فالقادم كان من اعقابهم, كما سيأتي بيانه في موضعه .

الفصيلة الأولى: سلالة الاشراف الادريسيون

وهم بنوا ادريس بن ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب (%), وفاطمة الزهراء بنت رسول الله (∃) (ت:213هـ/828م) (3), وقد عرفوا بالأدارسة نسبة اليه, حيث يعد هذا الاسم جامع لكافة ذرية المولى ادريس, وقد اعقب اثنى عشر ولداً على اشهر الاقوال, وهم: (محمد, والقاسم,

---

(1) ابن الزبير, نسب قريش, ص35– 54؛ ابن حزم, جمهرة أنساب العرب, ص45؛ الفضلي, ادريس بن احمد بن ابي بكر، (ت:1316هـ/1898م)، الدرر البهية والجواهر النبوية، تحقيق: احمد بن المهدي العلوي ومصطفى بن احمد العلوي، نشر: وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، (السعودية، 1999م), ج1, ص75–77.

(2) ابن عنبة, جمال الدين احمد بن علي, (ت:828هـ/1425م), عمدة الطالب الصغرى في نسب آل ابي طالب, تحقيق: مهدي الرجائي, نشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى, (قم, 2009م), ص92– 93؛ الفضلي, الدرر البهية, ج1, ص77؛ الادريسي, احمد الادريسي, مصابيح البشرية في ابناء خير البرية, د. مط, (الدار البيضاء, 1987م), ص59 .

(3) ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، (ت:764هـ/1363م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، (بيروت، 200م)، ج8، ص205؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، (ت:808هـ/1405م)، العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، (بيروت، 1988م)، ج4، ص145؛ الناصري، شهاب الدين أحمد بن خالد بن محمد، (ت:1315هـ/1897م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، (الدار البيضاء، د.ت)، ج1، ص217.

وابراهيم, وعبد الله, وعمر, وعمران, وداود, وحمزة, واحمد, ويحيى, وكثير, وعلي)[1], وعن هؤلاء تفرع الشرفاء الادارسة الى فروع كثيرة وشعوب عدة في اقطار متباينة, وسوف اذكر هنا هذهِ الفروع فيما يخص دراستي فقط .

1. **الشرفاء الكتانيون**

وهم من ذرية الشريف المولى محمد بن ادريس الحسني (ت:221هـ/836م), من الاشراف ذوي النسبة الصحيحة والبيوت العلمية العريقة، درجوا على التقوى والزهد وتوارثوا ذلك خلفاً عن سلف, والمغاربة عموماً يقدرون فيهم النسبة الطاهرة, والموهبة العلمية هذا فضلاً عن توليهم لمراكز مهمة في الدولة, لذا نجد تاريخهم حافل بالعلماء والعظماء[2]، حتى عدهم علماء النسب من اشراف الطبقة الاولى حيث يقول عنهم القادري[3]: " هم من شعب الادارسة الذين اثارهم واضحة غير دارسة, نسبهم اوصل نسب, وسببهم اوثق سبب " .

ويعرفون بشرفاء عقبة بن صوال[4] ويسكنون بحاضرة فاس[5] الى ان تغلب موسى

([1]) ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص49؛ ابن عذاري، محمد بن محمد، (ت: نحو 695هـ/1296م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ط3، (بيروت، 1983م)، ج1، ص210؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص19؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص277.

([2]) العياشي, الفهرس, ص54؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص108؛ الحسيني, احمد بن محمد صالح, الدرر السنية في الانساب الحسنية والحسينية, د.مط, ط3, (الكويت, 1396هـ), ص35 .

([3]) محمد بن عبد السلام بن الطيب، (ت:1058هـ/1110م)، الدر السني في بعض من بفاس من ذوي النسب الحسني، طبعة حجرية، (فاس،1313هـ)، ص38 .

([4]) القادري، الدر السني، ص38؛ فضالة، صالح حسن، الجوهر العفيف في معرفة النسب النبوي الشريف، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1971م)، ص1033 .

([5]) وهي من مدن المغرب الاقصى الكبيرة تقع على بر المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر وأجل مدنه بناها الشريف ادريس بن هبد الله الكامل الحسني سنة (171هـ/787م)، وقيل (172هـ/788م)؛ ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، (ت:626هـ /1229م)، دار صادر، (بيروت،1995م)، ج4، ص230؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، (ت:682هـ/1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت، د.ت)، ص102.

بن ابي العافية المكناسي[1] (ت:341هـ/952م)، عليها وقتل من الاشراف الادارسة اربع مائة بوادي الشرفاء من عدوة فاس القرويين[2], ففر من نجى منهم من القتل سبع مائة رجل[3], فكان من جملتهم جد هؤلاء الاشراف, وهو ابو زكريا يحيى بن عمران بن عبد الجليل بن يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس الحسني (ت: 393هـ/1003م), واستقر بزاواوة[4] فكان اول من بنى لجيشه خيام من الكتان في

([1]) وهو موسى بن أبي العافية بن أبي بسال ابن أبي الضحاك ابن القاضي، مؤسس الإمارة (ابن القاضية) بمراكش، وتسمى مارة (آل أبي العافية)، ضم إليه مدينة فاس سنة (313هـ/925م) وقاتل الأدارسة وأجلاهم عن بلادهم وملكها سنة (317هـ/929م) من أحواز تيهرت إلى السوس الأقصى، وملك تلمسان سنة (319هـ/931م) وانتظم في ملكه المغربان الأقصى والأوسط وأقام في العدوة الغربية؛ ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص176–179؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، (ت:1396هـ/1973م)، الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط15، (بيروت، 2002م)، ج7، ص323.

([2]) ابو عبد الله الفاسي، الاشراف, ج1, ص210؛ الودغيري, محمد بن محمد بن الحسن, (ت:1264هـ/1848م), الدر النثير فيمن اشتهر وصح نسبة من شرفاء الوداغير, تحقيق: المهندس العربي الهلالي, مطبعة فضالة, (المغرب, 2003م), ص45

([3]) ينظر: ابن عذاري, البيان المغرب, ج1, ص213– 214؛ ابن ابي زرع الفاسي, علي بن محمد بن احمد, (ت:726هـ/1326م), الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس, دار المنصور للطباعة والنشر, (الرباط, 1972), ص82– 83؛ ابن خلدون, العبر, ج4, ص22؛ القادري، الدر السني، ص38؛ الناصري, الاستقصا لأخبار المغرب الاقصى, ج1, ص241.

([4]) وهي احدى القبائل البربرية بظاهر بجاية من أعمال أفريقية، تتكون من بطون وأفخاذ عدة؛ ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر، (ت:749هـ/1349م)، التاريخ، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1996م)، ج2، ص154؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص200؛ وتقع بين إفريقية والمغرب؛ ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت:626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، ط2،(بيروت، 1995م)، ج3، ص155؛ صفي الدين، عبد المؤمن بن عبد الحق، (ت:739هـ/1338م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، (بيروت، 1412هـ)، ج2، ص673.

عصره, اذ كانت قبل ذلك من الشعر او الصوف فدعي بالكتاني وجرى ذلك على من بعدهِ من بنيه واعقابهم[1], ومن زواوة انتقل ابنائه بعده الى مدينة شالة ومنها الى مكناس[2] التي دخلوها سنة (606هـ/1209م)[3]، ومما قيل في حقهم من الشعر[4]:

ومـــن بنـــي محمـــد الادريســـي	وعقـــد ذاك الجـــوهر النفـــيس
لكتـــــانيون بـــــذاك عرفـــــوا	ودارهـــم فـــي أرض فـــاس تعـــرف
نســبهم مـــن أوصـــل الأنســـاب	ســـببهم مـــن اوثـــق الاســـباب
وقـــدرهم فـــي النـــاس لـــيس تجهـــل	قـــد عـــذب الـــورد وطـــاب المنهـــل

2. الشرفاء اولاد ابن الطائع

وهم من ذرية الامام احمد بن محمد بن ادريس الحسني المتوفى في منتصف القرن (3هـ/9م)[5], مقرهم مدينة فاس انتقلوا منها الى مدينة الدار البيضاء[6] وهذا الفرع قليلون جداً وقد برز منهم عدد من العلماء ورجال الدين والصلحاء[7] .

---

(1) ينظر: ابو عبد الله الفاسي, نظم الدرر واللال في شرف عقب بن صوال الكتانيين, تحقيق: علي بن المنتصر الكتاني, منشورات جمعية الشرفاء الكتانيين, ط2, (الدار البيضاء, 2000م), ص65- 66؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف على بعض من بفاس, ج1, ص 210؛ فضالة، الجوهر العفيف ص1033 .

(2) وهي مدينة بالمغرب فى بلاد البربر على البر الأعظم، بينها وبين مراكش أربع عشرة مرحلة نحو المشرق، وهى مدينتان صغيرتان على ثنية بيضاء، بينهما حصن جواد إحداهما قديمة، والأخرى حديثة؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص181؛ صفيّ الدين، مراصد الاطلاع، ج3، ص1302؛ ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد، (ت:776هـ/1374م)، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، الثقافة الدينية، (القاهرة ، 1423هـ)، ص165 .

(3) الادريسي، مصابيح البشرية، ص108 .

(4) الدلائي, محمد بن محمد بن عبد الرحمن, (ت:1141هـ/1729م), درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان ارجوزة في انساب الاشراف, مخطوط محفوظ في مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، ورقة 21؛ وينظر: ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص211 .

(5) الكتاني، سلوة الانفس، ج2، ص3؛ الفضلي، الدرر البهية، ج2، ص122؛ منصور، اعلام المغرب، ج2، ص224 .

(6) وهي كورة من كور المغرب ومدينة مشهورة بفارس، وكان اسمها في أيام الفرس (در دراإسفيد)؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص529 ؛ صفي الدين، مراصد الاطلاع، ج1، ص242.

(7) الادريسي, مصابيح البشرية, ص149- 152.

3. الشرفاء الودغيريون

وهم من ذوي الرفعة والجاه والنسبة التي لا يتطرق اليها الشك, ابناء عمومة الشرفاء ابن الطائع اذ يرجع نسبهم الى ذرية الامام احمد بن محمد بن ادريس[1]، عرفوا بـ (الودغيريون) بعد ان اتجه جدهم عبد الرحمن بن علي الملقب بـ (يعلي) بن اسحاق بن احمد بن محمد بن ادريس الحسني (ت: ق4هـ/10م)، الى فجيج[2] سنة (317هـ/929م) هرباً من بطش بن ابي العافية[3] فنزل هناك عند قبيلة الورطدغيري، واقاموا عندهم مدة من الزمن فنسب اليهم، وتخفيفاً للنطق تحولت الى الوتدغيري، ثم تحول هذا الأسم بمرور الزمن الى الودغيري[4] .

قد تفرع هؤلاء الاشراف الى عدة فروع، ينتسون جمعيهم الى الشريف عبد الرحمن الودغيري، الذي اعقب علة اختلاف الرويات اربعة عشر ولداً[5]، وعنهم تفرعت هذه الاسر الكريمة بفجيج، وفاس، ومراكش[6]،

([1]) ينظر: الكتاني, محمد بن جعفر بن ادريس, (ت:1345هـ/1927م), سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس, تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني, دار الثقافة, (الدار البيضاء,2004م), ج2، ص3؛ الادريسي، مصابيح البشرية, ص143؛ منصور، اعلام المغرب، ج2، ص224 .

([2]) وهى بلاد خصبة تقع بالقرب من افريقية وفيها نخل كثير وتسكنها أمم شتى؛ ينظر: المراكشي، مجهول، (ت: ق6هـ/12م)، الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، دار الشؤون الثقافية، (بغداد، 1986م)، ص179.

([3]) العياشي, الفهرس, ص55؛ حشلاف, سلسلة الأصول، ص62–63؛ الادريسي، مصابيح البشرية, ص143.

([4]) الودغيري, الدر النثير، ص48؛ الهلالي, المهندس العربي، شرفاء فجيج لتحقيق التواصل وكعامل لنشر المعرفة عبر التاريخ, مطبعة فضالة, (المغرب, 2003م), ص131؛ الهلالي، فجيج عبر التاريخ، منشورات جمعية النهضة، (فجيج، 1997م)، ص75 .

([5]) حشلاف, سلسلة الاصول, ص64 .

([6]) وهي احدى مدن المغرب تقع في سهل فسيح بعيدة عن الأطلس بنحو أربعة عشر ميلاً، بناها الامير يوسف بن تاشفين سنة (459هـ/1067م)، ومراكش كلمة بربرية الاصل معناها أمشي مسرعاً، روي أنها كانت موضعها سابقاً للصوص لذا كان الشخص أو القافلة عندما تمر بهذه المنطقة يقال له مراكش اي أمشي سريعاً وقيل غير ذلك، وهى مدينة حسنة التربة عذبة المياه كثيرة الزرع وحولها البساتين الكثيرة؛ ينظر: مجهول، الاستبصار، ص208؛ القزويني، اثار البلاد، ص111؛ ليون الأفريقي، الحسن بن محمد الوزان؛ (ت: بعد 957هـ/1550م)، وصف أفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، (بيروت،1983م)، ج1، ص126– 127 .

وسجلماسة[1]، ومكناس[2]، وقد برز منهم علماء ورجال دين تولوا مناصب هامة في البلدان التي كانوا استقروا بها[3] منهم :

1. الشرفاء الحموميون ويقنطون بمدينة فاس.
2. الشرفاء الخليفيون وهم بفاس والدار البيضاء والشمال المغربي، وهم ثلاثة فرق (آل عمرو، والعثمانيون، واولاد خليفة) .
3. الشرفاء بنو عداج, يقنطون بفاس والدار البيضاء .
4. الشرفاء الميمونيون وهم بفجيج وانتقلوا منها فاس .
5. الشرفاء العزوزيون ويقطنون مكناس.
6. الشرفاء العيساويون البرزوزيون وهم من اهل بمكناس .
7. الشرفاء الوجاريون وهم من فجيج وانتقل بعضهم الى تادلة[4] .
8. الشرفاء الجماليون وهم بفجيج وسجلماسة وفاس[5] .

([1]) وهي مدينة تقع في جنوبي المغرب من طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس مسافة عشرة أيام، قائمة على نهر يدعى (زيز) قريبة من البحر، اهلها أخلاط من الناس واغلبهم من البربر، يوجد فيها معدن الذهب؛ ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص198؛ مجهول، (ت: بعد 372هـ/982م)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ترجمة: السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، (القاهرة 1423هـ)، ص181؛ ناصر خسرو، أبو معين الدين الحكيم، (ت:481هـ/1088م)، سفر نامه، تحقيق: يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، (بيروت، 1983م)، ص85 .

([2]) الودغيري, الدر النثير، ص48 وما بعدها؛ حشلاف, سلسلة الاصول, ص62؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص143 .

([3]) ينظر: العياشي, الفهرس في عمود نسب الادارسة, ص54-55؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص148-151.

([4]) وهي مدينة من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس، منها العديد من العلماء منهم أبو عبد الله محمد بن محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي التادلي، كان شاعرا أديبا، له مدح في أبي القاسم الزمخشري؛ ينظر، الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله، (ت:560هـ/1165م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر: عالم الكتب، (بيروت، 1409هـ)، ج1، ص243.

([5]) العياشي، الفهرس، ص54-55؛ الودغيري, الدر النثير، ص55 وما بعدها؛ حشلاف, سلسلة الاصول, ص62 وما بعدها؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص143-172؛ الهلالي، شرفاء فجيج، ص131 وما بعدها .

4. الاشراف العلميين

وهم من ذرية الشريف احمد المزوار بن علي حيدرة بن محمد بن ادريس الحسني (ت:350هـ/865م)[1], فهو اول من خرج من بني محمد بن ادريس من فاس وزهد في الولاية والملك ونعيم الدنيا, واليه تنتسب جميع اسر الاشراف العلميين الذين تفرعوا عن حفيده ابي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام بن المزوار علي حيدرة الحسني، من علماء القرن (4هـ/10م)[2].

وعرفوا بالعلمين نسبة الى جبل العلم بالقرب من تطوان[3]، الذي سكنوه بعد اخراجهم من فاس من قبل ابن ابي العافية[4]، كما تحصن به عدد كبير من العلماء والصالحين من هؤلاء الاشراف للعبادة والعلم امثال الشريف ابو بكر بن علي الحسني وابنائه واحفاده من بعده كالشريف عبد السلام بن مشيش العلمي

(1) العياشي، الفهرس، ص33؛ الكتاني, سلوة الانفاس، ج1, ص95- 96.

(2) العياشي, الفهرس, ص33؛ الزياني, تحفة الحادي، ص60- 61؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص112.

(3) لقد وردت التعريف بها بعدة اسماء مختلفة كتطاون، وتيطاون، وتطاوين، وغيرها وهي مديمة قديمة من بلدان المغرب اسست قبل ظهور الاسلام، واسمها غير عربي بل هي كلمة بربرية الاصل معناه العين الجارية او غير الجارية، وقد تأتي بمعنى البصر، وصلت اللغة العربية اليهم من نواحي الشمال الافريقي، تقع في الشمال الغربي لبلاد المغرب، في الشمال الغربي من قارة افريقيا، وقد اصبحت هذه البلاد منذ ان دخلها الاسلام مدينة عربية بثقافتها ولغتها مغربية الجنسية تابعة للحكومة المغربية الاسلامية؛ ينظر: البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد، (ت:487هـ/1094م)، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، 1992م)، ج2، ص784؛ الحميري، الروض المعطار، ص145؛ الناصري، الاستقصا، ج3، ص96؛ داود، محمد، تاريخ تطوان، مج1، ص37-44 .

(4) الغرناطي, الانوار, ص72- 73؛ العياشي, الفهرس، ص33؛ ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص219 .

(ت:563هـ/1167م)، وابنائه واخوته واعمامه[1]، وقد تفرع الاشراف العلمين الى اسر عديدة عرفوا بالعلم والمعرفة والصلاح[2] .

ومما قيل من الشعر في نسب الشريف عبد السلام بن مشيش واجداده واعمامه[3] :

وابن مشيش قطب سر الله	وارث نسبة رسول الله
وجده المولى ابو بكر السمي	هو جماع كل شعب علمي
منه ومن اعمامه واخواته	منه ومن اعمامه واخواته
اولاده علال عبد الصمد	اولاده علال عبد الصمد
واخواه موسى ثم يملح	وسره في الامور قدرا تلمح
اعمامه ميمون يونس علي	وغيرهم والكل ذو نسل علي

وقد ذكر المؤرخون, ان هناك من المدعين الى النسب العلمي الشريف مما اضطر الاشراف العلميون القيام بحصر افراد اسرهم المباركة بواسطة اشهاد عدلي يوجد لدى نقبائهم أو بيد شرفاء جبل العلم[4], ومن هذه الأسر العلمية الشريفة:

أ. الشرفاء اليونسيون

وهم من البيوتات العلمية العريقة التي عرفت بالعلم والصلاح يرجع نسبهم الى جدهم الشريف يونس بن ابي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام بن علي حيدرة الحسني (ت: ق5هـ/11م)، وعرفوا باليونسين نسبة اليه[5] وقد تفرع عن هذا

---

(1) العياشي, الفهرس, ص33 .

(2) الغرناطي, الانوار, ص72- 73؛ العياشي, الفهرس, ص33؛ ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص219 .

(3) القادري، الدر السني، ص42؛ ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص220 .

(4) ينظر: الزياني, تحفة الحادي المطرب, ص60- 62؛ ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, 219- 224؛ الادريسي، مصابيح البشرية, ص112 .

(5) العياشي، الفهرس، ص45؛ اللهيوي، الطاهر بن عبد السلام الحسني, حصن السلام بين يدي اولاد مولاي عبد السلام، تحقيق: عبد الله كنون, دار الثقافة, (الدار البيضاء, 1978م), ص373؛ العمراني، عبد السلام الخالدي, الجواهر الباهرة في النسب الشريف وما تفرع من ادم الى ازمنتنا الحاضرة, دار الكتب العلمية, (بيروت،1971م)، ص165 .

البيت الشريف العديد من البيوتات العلمية العريقة منها: الشرفاء اولاد ابن ريسون، واولاد زروق، واولاد المصرف، واولاد عبد الواحد، واولاد معلى، واولاد القرقري، واولاد سيدي عبد الرحمن، اولاد مهدي، اولاد مرسو، اولاد السيد الموهاب، اولاد برحمون، اولاد المودن اليونسين، اولاد زروق، اولاد اللهاني، اولاد الشلوشي، اولاد المزواري، اولاد ابن يونس، واولاد العربي(1) .

ب. الشرفاء اليملاحيون

وهم من البيوتات المشيشية العلمية نسبة الى جدهم (سليمان مشيش)، من ذرية الشريف يملاح بن سليمان مشيش ابي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام بن احمد بن علي بن محمد العلمي (ت:ق4هـ/10م)، وبرز منهم العديد من العلماء ورجال الدين والصالحين(2)، وانقسموا الى عدة افرع منها:

- **الاشراف الوزانيون**

وهم من اعرق البيوتات العلمية معروفين بالعلم والصلاح والولاية، من نسل المولى محمد بن يملاح الحسني (ت: 424هـ/1033م)، وعرفوا بـ (الوزانيون) لسكناهم بمدينة وزان التي تفرقوا منها الى مختلف المدن المغربية، ومن بني عمهم بيوتات الشرفاء: اولاد السيد، واولاد عيسى اليملحي، واولاد المودن، واولاد حمدان، واولاد الصغير، واولاد ابن موسى اليملحي، واولادابن عمرو، واولاد افيداح، والربيعيون، واولاد اللحياني، وغيرهم(3) .

ج. الشرفاء الموسويون

وهم احد فروع البيوتات المشيشية العلمية من ذرية موسى بن سليمان مشيش بن ابي بكر الحسني (ت:612هـ/1215م)، عرفوا بـ (الموسويون) نسبة الى جدهم

---

(1) ينظر: العياشي، الفهرس، ص45؛ الزياني, تحفة الحادي, ص60- 62؛ ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, 219- 224؛ اللهيوي، حصن السلام، ص377؛ الادريسي، مصابيح البشرية, ص112 .

(2) الزياني, تحفة الحادي المطرب, 632؛ اللهيوي، حصن السلام، ص367 .

(3) العياشي، الفهرس، ص43؛ الزياني, تحفة الحادي المطرب, ص63؛ اللهيوي، حصن السلام، ص367-370؛ الادريسي، مصابيح البشرية, ص117 .

(موسى)[1]، وقد تفرع عنهم العديد من البيوتات العلمية العريقة في مختلف المدن المغربية، ومن اشهرهم كانوا الاشراف الذين انتقلوا الى فاس واستقروا بمدينة شفشاون[2] وعرفوا نسبة اليها بـ (الشفشاونيون)[3]، وغيرهم كثير مثل الشرفاء اولادالشقور، والشرفاء الولانتيون، واولاد الوات الحمدانيون، حيث تصل هذه البيوتات الى العشرات[4] .

6. الشرفاء الجوطيون

من ذرية المولى القاسم بن ادريس الحسني (ت: 265هـ/788م), يقطنون بمكناسة وفاس[5]، من ذرية يحيى الجوطي بن القاسم بن ادريس (ت: 292هـ/904م)[6], وعرفوا بـ (الجوطيون) نسبة الى مدينة جوطة[7] كان جدهم يحيى

([1]) العياشي، الفهرس، ص46؛ الزياني, تحفة الحادي المطرب, ص62؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج1، ص219–220؛ اللهيوي، حصن السلام، ص366–367؛ الادريسي، مصابيح البشرية, ص131 .

([2]) وهي مدينة اختطها بعض شرفاء العلمين بالقرب من سبتة بهدف تحصين المسلمين من هجمات النصارى عليهم؛ ينظر: القادري، نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق: محمد الحجي واحمد توفيق، دار المغرب للطباعة والنشر والتوزيع، (الرباط، 1977م)، ج1، ص1001؛ الناصري، الاستقصا، ج4، ص121 .

([3]) العياشي، الفهرس، ص46؛ الزياني, تحفة الحادي المطرب, ص62؛ اللهيوي، حصن السلام، ص366–367؛ الادريسي، مصابيح البشرية, ص131 .

([4]) العياشي، الفهرس، ص46؛ الزياني, تحفة الحادي المطرب, ص62؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج1، ص219–220؛ اللهيوي، حصن السلام، ص366–367؛ الادريسي، مصابيح البشرية, ص131 .

([5]) ابن حزم, جمهرة انساب العرب, ص44؛ الزياني, تحفة الحادي, ص65؛ الناصري, الاستقصا, ج1, ص235– 236.

([6]) ينظر: ابن حزم, جمهرة النسب, ص44؛ الفاسي, مرآة المحاسن, ص248؛ الزياني, تحفة الاحاد, ص66؛ ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص150؛ الناصري, الاستقصا, ج4, ص235.

([7]) لم اقف على تعريف لها فيما بين يدي من كتب الجغرافية، والرحلات، الا ما ذكر في بعض المصادر التي تحدثت عن نسب الاشراف الجوطيون اذ قيل: هي قرية عظيمة من قرى المغرب تقع على نهر سبو من ناحية ازغار، واصبحت فيما موطناً لاولاد عمران من قبائل الخلط؛ ينظر: الزياني، تحفة الحادي، ص46؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج1، ص150؛ الفضلي، الدرر البهية، ج2، ص22 .

اول من نزلها فعرفوا بذلك[1]، وهم من اكثر بيوتات الاشرف قدماً وشهرة في الانتساب للنبي (ρ), ومما قيل في حقهم من الشعر[2]:

خلاصه المجد وبيت الحسب والغرة البيضاء في بيت النبي

شرفهم كالدرجات في نسق كالصبح أو كقمر اذا اتسق

ونبه علماء النسب والمؤرخين على وضوح نسبهم وشهرتهم فلم يختلف احداً وفي ذلك يقول الفاسي[3]: " إن الشرفاء الذين لا يشك في شرفهم كثيرون, كالجوطيين من الحسنيين الأدريسيين ", فهم سدنة الحرم الإدريسي, هذا فضلاً عن اشتهارهم بالعلم والصلاح, وقد تولوا المناصب المهمة ومنها النقابة التي توارثوها أباً عن جد[4] .

ومن البيوتات الجواطية الشهيرة التي كثر في سلفهم المبارك القراء والفضلاء والموصوفون بمكارم الأخلاق والشيم الفاضلة, هي الاشراف الطاهرين، والطالبيون، العمرانيون، والفرجيون، والشبيهيون، الغالبيون[5] .

7. الشرفاء الكانونيين

([1]) ابن حزم, جمهرة النسب, ص44؛ ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص150 .

([2]) الدلائي, درة التيجان، ورقة 21؛ وينظر: ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص151.

([3]) ابي حامد محمد العربي بن يوسف, (ت:1052هـ/1642م), مرآة المحاسن من اخبار الشيخ ابي المحاسن, تحقيق: الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني, منشورات رابطة بن الجد, (المغرب, د.ت), ص265.

([4]) ينظر: الزياني, تحفة الحادي, ص65- 66؛ ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص149-150؛ الناصري, الاستقصا, ج1, ص114؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص173- 174.

([5]) ينظر: الغرناطي, الانوار, ص85؛ الفاسي, مرآة المحاسن, ص248؛ الزياني، تحفة الحادي، ص65-72؛ ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص154- 201؛ حشلاف, سلسلة الاصول, ص94- 96؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص173- 180؛ الحسني, المنتقى, ص286.

يرجع عمود نسبهم الى القاسم بن ادريس الحسني[1] وهم من البيوت النبوية الصريحة النسبة, العريقة في فاس, وعرفوا بـ (الكانونيين), نسبة الى محل سكناهم بمكان يعرف بالكوانين بتادلة في المغرب[2], ويتفرع الشرفاء الكانونيين الى فرعين وهم:

أ. الشرفاء الحسنيون

يعد هذا الفرع من الاشراف من البيوتات الحسنية القليلة التفرع بالنسبة لغيرها من العلويين الحسنين الموجودين في المغرب, وكانوا يسكنون فاس الى عهد موسى بن ابي العافية, ففر بعض الاشراف الكانونيين الى تادلة والبعض الأخر الى الأندلس, ولما عاد للأشراف حرمتهم بعد زمن عاد البعض منهم الى فاس, فكان من ضمنهم هذا الفرع الكريم[3] .

ب. الشرفاء أولاد ابي العيش

يستقر هؤلاء الاشراف في مدينة تطوان الا انهم كانوا قديماً بمدينة فاس, وانتقلوا منها الى جبل العلم, ومن ثم الى تطوان وهم اخوان للشرفاء الكانونيين الحسنيون يجتمعون معهم بجدهم محمد كانون وهو من أولاد ابي العيش بن محمد كانون بن يحيى بن علي بن ميمون بن علي بن الحسن بن محمد بن احمد بن ابي القاسم بن محمد بن ابي القاسم بن ادريس الأزهر (ت:631هـ/1234)[4] .

8. الشرفاء الحموديون

ينحدر الشرفاء الحموديون عن السيد علي بن حمود بن ابي العيش بن ميمون بن احمد بن علي بن عبد الله بن عمر بن المولى ادريس الأزهر (ت:407هـ/

([1]) الحسني, المنتقى, ص284.

([2]) الادريسي, مصابيح البشرية, ص181.

([3]) الادريسي, مصابيح البشرية, ص181؛ الحسني, المنتقى في اعقاب الحسن المجتبى, ص284.

([4]) الادريسي, مصابيح البشرية, ص180؛ الحسني, المنتقى في اعقاب الحسن المجتبى, ص284,

1018م)[1]، وهم من اهل مدينة فاس[2], هاجروا الى الاندلس حيث قامت لهم دولة هناك سنة (407هـ/1017م)[3] .

9. الشرفاء الغيثيون

يرجع عمود نسبهم الى جدهم الذي عرفوا نسبة اليه بـ (الغيثيون) وهو ابو عبد الله الغيث بن محمد بن علي بن ميمون بن محمد بن احمد بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن احمد بن علي بن عبدالله بن عمر بن ادريس الحسني (ت:1280/679م) .

وهم ابناء عمومة مع الشرفاء الحموديون ويوجدون في بلاد غمارة وبتادلة, وقد برز منهم العديد من العلماء والادباء ذوي الشأن العظيم[4].

10. الشرفاء الدرقاويون

ينتسب الشرفاء الدرقاويون الى جدهم ابي عبد الله محمد المكنى بـ(ابي درقة) (ت:6هـ/12م), حيث كان جدهم هذا يستوطن بلدة زواوة, على عهد السلطان يعقوب المنصور الموحدي[5] (580- 595هـ/ 1184-1199م)، الذي استصحبه معه

([1]) ابن عنبة، عمدة الطالب, ص16؛ الزركلي، الاعلام، ج4، ص283؛ الحسني, المنتقى في أعقاب الحسن المجتبى, ص326.

([2]) ابن عنبة، عمدة الطالب, ص160؛ حشلاف, سلسلة الاصول, ص74؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص217؛ الحسني, المنتقى في أعقاب الحسن المجتبى, ص326.

([3]) الادريسي, مصابيح البشرية, ص217؛ العبادي, احمد مختار, تاريخ المغرب والاندلس, دار النهضة العربية, (بيروت, 1978م), ص256.

([4]) حشلاف, سلسلة الاصول, ص74؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص218؛ الحسني, المنتقى في اعقاب الحسن المجتبى, ص328.

([5]) وهو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ابن علي الكومي، يكنى بـ (أبو يوسف)، ولقب بـ (المنصور بفضل الله)، ولد بمراكش سنة (554هـ/1160م)، بويع له بعد وفاة أبيه وجه اهتمامه إلى الإصلاح، وبنى كثيرا من المدارس والمساجد، والمستشفيات للمرضى والمجانين كما أجرى عليها الأرزاق، وبنى صوامع وقناطر كثيرة. وحفر آبارا للماء في بلاد إفريقية والمغرب والأندلس، ورتب مرتبات للفقهاء وطلبة العلم؛ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج29، ص5؛ الزركلي، الاعلام، ج8، ص203 .

تبركاً به للجهاد في الأندلس, وقد توفي الشريف ابو درقة اثناء العودة في مراكش[1]، وقد تفرع عن هذا البيت الشريف فروع عدة منهم الشرفاء اولاد عبد النبي، والشرفاء بنـي زوال بفـاس، والشـرفاء اولاد خملـيش، والشـرفاء اولاد علـي بوشـناقة بـالجزائر، والشرفاء اولاد محمد بن احمد غراس الجبل، الشرفاء اولاد خالد بن زكريا .

وهولاء الشرفاء جمعوا بين فضيلتي النسب والعلم, حيث جل افراد عائلتهم توجد ببني زروال ناحية فاس موطن العلماء[2] .

11. الشرفاء الهرغيون

يرجع عمود هذهِ السلالة الشريفة الى المولى ياسين بن ادريس بن عمر بن ادريس الحسني (ت:586هـ/1286م)[3], يسكنون هرغة التي اشتهروا بها وهي قبيلة من قبائل المصامدة من السوس الاقصى نزلها سلف هولاء الاشراف وتناسلوا هناك, فبرز منهم العديد من العلماء والصلحاء، وكانوا يعرفون بـ(الداوديون) قبل نزولهم هرغة, نسبة الى جدهم العالم القاضي داود بن احمد بن علي بن ابي بكر الحسني (ت:435هـ/1044م)[4] .

12. الشرفاء الدباغيون

وهم من الاشراف ذوي النسبة الصحيحة يطلق عليهم عبارة (سلسلة الذهب)، لتواتر نسبتهم بأجماع العلماء، فهم من ذرية الشريف المولى عيسى بن ادريس الحسني (ت:330هـ/942م)[5]، كانوا قد انتقلوا الى الاندلس فراراً مع بني عمهم

([1]) حشلاف, سلسلة الاصول, ص75؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص225- 226.

([2]) حشلاف, سلسلة الاصول, ص75؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص225- 226.

([3]) حشلاف, سلسلة الاصول, ص74؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص220؛ الحسني, المنتقى في اعقاب الحسن المجتبى, ص329.

([4]) حشلاف, سلسلة الاصول, ص74؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص220؛ الحسني, المنتقى, ص329.

([5]) الشفشاوني، ابي الربيع سليمان الحوات، (ت:1231هـ/1816م)، السر الظاهر فيمن احرز بفاس الشرف الباهر من اعقاب الشيخ عبد القادر، تحقيق: حسن بالجيب، دار الكتب العلمية، (بيروت،2019م)، ص453؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج1، ص200؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص206 .

على اثر المحنة التي حلت بهم على يد ابن ابي العافية، فسكنوا غرناطة[1] بزعامة جدهم الشريف علي بن عبد الرحمن بن عيسى بن احمد بن عيسى بن ادريس الحسني كان حياً سنة (465هـ/1073م)، فأقاموا هناك مكرمين من قبل الحكام والعامة، وتولوا المناصب المهمة في الدولة، فضلا عن ظهور علماء وصالحين افذاذ منهم، ثم عادوا الى المغرب ايام بني مرين[2] (668-869هـ/1269-1464م)، ودخلوا مدينة سلا[3] التي استقبلوا بها بحفاوة بالغة واجريت عليهم نفقات

([1]) وهي من أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها، تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من بلاد الأندلس، تتسع حدودها الشرقية وصولاً إلى سواحل البحر المتوسط ومضيق جبل طارق، أما حدودها الغربية فقد تميزت بوجود بعض الجبال المطلة على سفوحها قرب مدينة لوشة، أما الجنوبية فقد أنتهت بمرتفعات جبل شيلر؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص195؛ القزويني، اثار البلاد، ص547 .

([2]) وهو شعب من بني واسيس من بطون قبيلة زناتة التي ينتمي اليها بعض القبائل البربرية ويرجع نسب بني مرين الى بربر قيس عيلان بن مضر وكانت منازلهم في المغرب الأوسط، ومرين هو أحد أجداد القبائل التي تفرعت عن زناتة ومنه تفرعت افخاذ كثيرة تجتمع كلها في ورتاجن بني مرين، وقد بدأ يظهر خطر بني مرين على الدولة زمن المستنصر (610-620هـ/1213-1223م)، ومن أشهر المعارك التي دارت بينهم معركة المشعلة سنة (613هـ/1192م) وكانت الغلبة فيها لبني مرين؛ ينظر: ابن ابي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، د. مط، (الرباط، 1972م)، ص14-15؛ الناصري, الاستقصا, ج4, ص3 وما بعدها؛ شبانة, محمد كمال, الدويلات الإسلامية في المغرب, دار العالم العربي, (بيروت, د.ت), ص80- 83؛ حركات، ابراهيم، المغرب عبر التاريخ عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ما قبل الاسلام الى العصر الحاضر، دار الرشاد الحديثة، (الدار البيضاء، 2000م)، مج2، ص10-11.

([3]) وهي من مدن المغرب تقع بأقصى البلاد يحيط بها من جهة الشمال البحر، ومن الغرب تجاورها الانهار، وفي الجنوب يوجد كبير اقرب ما يكون للبحر تجري فيه السفن، وفي غربي هذا النهر اختطت مدينة المهدية، ومنها إلى مراكش ما يعادل عشر مراحل؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3، ص231؛ صفي الدين، مراصد الاطلاع، ج2، ص724 .

تناسب مقامهم الرفيع ونسبهم الشريف وما اتصفوا به من اخلاق عالية، كما خصوهم بدار الدباغة بمدينة سلا، التي كانت السبب بمعرفتهم بـ (الدباغيين)[1] .

13. الاشراف الامغاريون

وهم من ذرية المولى عبد الله بن ادريس الازهر، وعرفوا بـ (الامغاريون) نسبة الله لقب جدهم عبد الله امغار بن سحاق بن عثمان بن سعيد بن عبد الله بن ادريس الحسني (ت:399هـ/)[2] .

والمولى عبد الله هذا هو جد الاقطاب السبعة عبد السلام، وابي النور، وابي محمد، وعبد السلام، وعبد الله، وابي يحيى، وسعيد، وهم من كبار العلماء والاولياء الصالحين في المغرب، وقد اثنى على هذا البيت الشريف معظم مؤرخي الانساب الثناء العاطر، ووصوفهم بأبهى الاوصاف، فقد توارثوا القطبانية كابراً عن كابر[3] .

وكان منهم العلماء والاتقياء وتصدروا المناصب المهمة كالتدريس والخطابة والقضاء والعدالة، وانتشرت زواياهم للذكر والعبادة في دكالة والسوس الاقصى ومراكش وفاس والدار البيضاء، وغيرها[4] .

([1]) الشفشاوني، السر الظاهر، ص453؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج1، ص200؛ حشلاف، سلسلة الاصول، ص72؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص206 .

([2]) السيوطي المكناسي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (كان حياً 778هـ/1386م)، اللآلي المستضيئة النورانية لنفي ظلام التلبيس في نسب إدريس بن إدريس، مخطوط مؤسسة علال الفاسي، الرباط ، تحت رقم (863 ج)، الورقة (18)؛ حشلاف، سلسلة الاصول، ص78 .

([3]) حشلاف، سلسلة الاصول، ص78؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص253.

([4]) السيوطي المكناسي، مخطوط عقد الآلئ المستضيئة، ورقة(19)؛ حشلاف، سلسلة الاصول، ص78؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص253.

الفصيلة الثانية: سلالة الأشراف السليمانيون

وهم ابناء عمومة الاشراف الادارسة، اذ يرجع عمود نسب هذه الشجرة الشريفة المباركة الى المولى سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن المجتبى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب (%), المتوفي سنة (169هـ/785م) [1]، اخ المولى ادريس بن عبد الله الكامل الحسني، وتمتد مواطنهم بين المغرب الشرقي والجزائر الغربي[2] .

واول من دخل المغرب من نسله المبارك هو ابنه محمد بن سليمان (ت: 698هـ/1298م)[3], وعنهُ تفرعت اغصان هذهِ الشجرة المباركة, فأن كل شريف حسني سليماني هو من ذرية المولى محمد بن سليمان, فلم يكن لسليمان عقب غيره[4] .

ولما توفي المولى محمد بن سليمان ترك تسعة ابناء وهم: (عبد الله, واحمد, والحسن، ناصر، وعيسى، وابراهيم، الحسين، وحمزة, وادريس)[5], من اعقب منهم (عبد الله، احمد، الحسن، ادريس) وعنهم تفرع الاشراف السليمانيون في المغرب[6] .

([1]) ابن الزبير، نسب قريش، ص55؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15،ص242؛ القلقشندي، أحمد بن علي، (ت:821هـ/1418م)، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: ابراهيم الإبياري، نشر: دار الكتاب اللبنانين، (بيروت، 1980م)، ص137؛ الزركلي، الاعلام،ج3، ص128.

([2]) العياشي، الفهرس، ص26؛ فضالة، الجوهر العفيف، ص1032 .

([3]) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص48؛ المروزي، إسماعيل بن الحسين أبو طالب، (ت: بعد 614هـ/1217م)، الفخري في أنساب الطالبيين، دار الحديث، (د.م، 1995م)، ص29؛ القلقشندي، نهاية الارب، ص137.

([4]) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص48؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص242؛ القلقشندي، نهاية الارب، ص137؛ حشلاف، سلسلة الاصول، ص117؛ الادريسي، مصبايح البشرية، ص272.

([5]) العياشي، الفهرس، ص25؛ الزياني، تحفة الحادي، ص54؛ حشلاف، سلسلة الاصول، ص171؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص272 .

([6]) حشلاف، سلسلة الاصول، ص171؛ الزياني، تحفة الحادي، ص54؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص272 .

فذرية الاشراف الثلاثة في عين الحوت، اما الشريف ادريس فنزل القيروان[1] وخلف تسعة اولاد كونوا تسعة فرق رئيسية للإشراف السليمانيون في مختلف المدن والبلاد المغربية، اذ استقر ابراهيم بتونس[2]، وعيسى ارشكول، ونزل الحسن الى تاهرت[3]، ويحيى نزل توات، وسكن علي وادي شلف، والحناش نزل ترارة، اما محمد العابد فنزل الشكراني قرب مستغانم، اما عبد الرحمن فنزل بتاهرت من مدن سجلماسة، وعنهم تفرعت بقية الفروع والاغصان للشجرة السليمانية في المغرب[4] .

([1]) وهي من المدن الكبرى في المغرب الأدنى (تونس) بنيت بعد الفتح العربي على يد عقبة بن نافع الفهري سنة(50هـ/670م)، بناها بعيداً عن البحر لكي لا تتعرض لهجمات البيزنطيين البحرية، كانت وما زالت من أهم المدن الاسلامية في أفريقية الاسلامية؛ ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص186؛ المنجم، اسحاق بن الحسين، (ت: ق4هـ/10م)، أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل زمان، عالم الكتاب، (بيروت،1408هـ)، ص98.

([2]) وهي من مدينة كبيرة في المغرب تقع على ساحل البحر، فهي قصبة بلاد افريقية، بالقرب من جبل زغوان، تتميز بطيب هوائها ومائها كثيرة الخيرات وبها من الثمار والفواكه ما لا يوجد في غيرها من بلاد المغرب حسناً وطعماً؛ ينظر: العزيزي، الحسن بن أحمد، (ت:380هـ/990م)، المسالك والممالك، تحقيق: تيسير خلف، دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، (د.م، 2006م)، ص48؛ البكري، المسالك والممالك، ج2، ص693؛ القزويني، اثار البلاد، ص179 .

([3]) مدينة مشهورة من مدن المغرب الأوسط على طريق المسيلة من تلمسان، وكانت تاهرت قديماً مدينتين كبيرتين أحدهما عرفت بتاهرت القديمة والأخرى الحديثة وهما كثيرتا الأشجار وافرتا الثمار، وبهما كثرة الأمطار والنداء وشدة البرد، قلما ترى الشمس بها، ينظر: القزويني، آثار البلاد، ص169؛ الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، (ت: 900هـ/ 1495م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، نشر: مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، (بيروت، 1980م)، ص126.

([4]) العياشي، الفهرس، ص26؛ الزياني، تحفة الحادي، ص54؛ حشلاف، سلسلة الاصول، ص171-120؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص272-274؛ فضالة، الجوهر العفيف، ص1032 .

الفصيلة الثالثة: سلالة الاشراف المحمديون (العلويون)

يرجع اصل هذهِ السلالة الشريفة المباركة الى المولى محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب (%) (ت:145هـ /762م)[1], وقد عرفوا بالمحمدين نسبة اليه, كما عرفوا بالحسنين نسبة الى الامام الحسن السبط (υ), واشتهروا على الاكثر بالعلويين وذلك نسبة الى أصل هذهِ الدوحة الشريفة والنسبة المباركة الامام علي بن ابي طالب (υ)[2] .

وقد اعقب الامام محمد النفس الزكية سبعة من ابناء وهم (القاسم الأكبر, وعبدالله الأشتر, وعلي, والحسن واحمد, وابراهيم, وطاهر)[3]، ومن اعقب منهم في المغرب هو المولى (القاسم الاكبر)[4] .

وقد اثبتهم صاحب درة التيجان[5] بقولهِ:

محمد فرع المعالي قد سما ... ولد سبعاً كالثريا في السما
فمنهم القاسم فيما ذكروا ... وعابد الاله هو الأشتر
وفهماً العقب والأنساب ... والبيت والشرف والأحساب
ثم علي والحسين الباهر ... احمد ابراهم ثم طاهر
وذاك في الدر السني ماذكر ... وعدهم سبعة في ذاك نظر

([1]) ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد، (ت:852هـ/1449م)، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، (دمشق، 1986م)، ص487؛ ابن حجر، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعرف النظامية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت، 1971م)، ج7، ص363؛ العيني، محمود بن أحمد بن موسى، (ت:855هـ/ 1451م)، مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2006م)، ج3، ص545؛ الزركلي، الاعلام، ج6، ص220.

([2]) ينظر: الغرناطي, الانوار، ص59–60؛ العياشي، الفهرس، ص28؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج2، ص1– 20؛ الفضلي، الدرر البهية، ص78–90 .

([3]) حشلاف، سلسلة الاصول، 126–127؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص63.

([4]) حشلاف، سلسلة الاصول، ص127؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص66.

([5]) الدلائي, درة التيجان، ورقة 22؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص66.

وإن اصل هذهِ الدوحة الشريفة هو ينبوع النخيل, حيث مركز الأشراف في الحجاز، واول من قدم منهم هو المولى الحسن القادم بن المولى القاسم بن محمد النفس الزكية وذلك سنة (664هـ/1266م), ومنهُ تفرعت الشجرة العلوية الحسنية بالمغرب الأقصى فبرز فيهم الأقطاب والصالحون والزهاد والعباد والعاملون والعلماء والراسخون والغزاة المجاهدون, حتى أنهم استطاعوا ان يأسسوا دولة عرفت باسم الدولة العلوية[1] .

ولهذهِ الشجرة المباركة فروع كثيرة حتى ذكر بعض المؤرخين بأنهم يصلون الى ستين الف فرع أو يزيدون[2], ومن فروعهم الشرفاء الفضليون, السكوريون, والاسماعيليون, والزيدانيون, والبلغبتين, الأغجيديون، وغيرهم[3] .

الا اننا لن نتطرق الى جميع هذهِ الفروع الكريمة وذلك لكونها خارج نطاق دراستنا .

ثانياً: الاشراف من عقب المولى الحسن المثلث

يعد ابناء المولى الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن ابي طالب (%) الفرع الثاني للإشراف الحسنين في المغرب، وقد اصبح عقبه من البيوتات العلوية المشهورة بالمغرب وهم :

❖ **الاشراف السملاليون**

وهم شرفاء سملالة من مدن المغرب بـ (السوس الاقصى)[4] وينحدرون عن جدهم الشريف ابراهيم جنبد الملقب بـ (كندوز) بن عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن الحسين بن اسماعيل بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسن المثلث من اهل القرن (3هـ/9م)، دخل المغرب قادماً من العراق، فنزل عند قبيلة

([1]) ينظر: الغرناطي, الانوار، ص59–60؛ العياشي، الفهرس، ص28؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج2، ص1– 20؛ الفضلي، الدرر البهية، ص78–90؛ حشلاف، سلسلة الاصول، ص172؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص66–67.

([2]) العياشي، الفهرس في عمود نسب الادارسة، ص28؛ حشلاف، سلسلة الاصول، ص172؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص66–67.

([3]) الادريسي، مصابيح البشرية، ص66–67 .

([4]) وهو اسم للمدينة التي تمتد من تامدلت إلى مدينة السوس، وأهلها أخلاط من البربر؛ ينظر: اليعقوبي، أحمد بن اسحاق بن جعفر، (ت:292هـ/905)، البلدان، دار الكتب العلمية، (بيروت،1422هـ)، ص198 .

ادوسملال بربرية في جزولة بالسوس، واعقب بها فظهر بهم جم غفير من العلماء والصلحاء ذوي الشأن الرفيع[1] .

وقد تفرع هؤلاء الاشراف الى عدة بيوتات منها: الاشراف الاحكاكيون، والادوزيون، الشديطيون، السرغينيون، والزمرانيون، وغيرهم[2] .

القسم الثاني: الشجرة الحسينية وفروعها في المغرب

ويرجع عمود هذه الشجرة المباركة الى سيدنا الأمام الحسين بن علي بن أبي طالب(υ), الذي اعقب ست من الأبناء الذكور[3] استشهد بعضهم معه في موقعة كربلاء سنة (61هـ/680م), وعقبه جميعاً ينحصر في سدينا الأمام علي الأصغر زين العابدين(υ) (ت:94هـ/713م), الذي ترك خمسة عشر من الأبناء مع اختلاف في ذلك بين المؤرخين[4], وتسلسل عقبه في المغرب من ذرية الأمام محمد الباقر(υ) (ت:117هـ/735م), الذي خلف ست ابناء, وقيل سبع على اختلاف الأراء[5], الا أن عقبه كله من ولده الامام جعفر الصادق(υ) (ت:148هـ/ 765م)[6], الذي خلف سبعه ابناء, واعقب في المغرب من فرعين منهم, وهم: الامام موسى الكاظم

([1]) الادريسي, مصابيح البشرية، ص58؛ فضالة، الجوهر العفيف، ص1033 .

([2]) الادريسي, مصابيح البشرية، ص58؛ فضالة، الجوهر العفيف، ص1033 .

([3]) ينظر: سبط ابن الجوزي، أبو المظفر شمس الدين، (ت:654هـ/1256م)، تذكرة الخواص المعروف بتذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة، تحقيق: عامر النجار، نشر: مكتبة الثقافة الدينية، (د.م، 2008م)، ص564؛ الطبري، محب الدين أحمد بن عبد الله، (ت:694هـ/ 1295م)، ذخائر العقبى في مناقب ذوى القربى، (القاهرة، د.ت)، ص151.

([4]) ينظر: ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله، (ت:571هـ/1175م)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، (دمشق، 1995م)، ج41، ص360؛ ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد، (ت:681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، د.ت)، ج3، ص266؛ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (ت:711هـ/1311م)، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق: روحية النحاس واخرون، دار الفكر، (دمشق، 1984م)، ج17، ص230.

([5]) سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص630- 637؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج4، ص174.

([6]) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج1، ص327؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج11، ص99.

(ت:183هـ/799م) والشـــريف علـــي العريضـــي[1] (ت:161هـ/ 778م)(%)[2], وسوف اتحدث عنهم على النحو التالي :

الفصيلة الاولى: سلالة الاشراف العريضيون

هم ذرية المولى علي بن جعفر الصادق العريضي(υ) كان رحمه الله عالماً, ومحدثاً, وحافظاً, وراوياً خلف أحد عشر ولداً[3], من اعقب منهم في المغرب هو المولى(محمد), فهو أصل السلالة الحسينية العريضية في المغرب[4]، وهم :

❖ **الأشرف الصقلين**

عرفوا بـ (الصقلين) لسكنى سلفهم المبارك بصقيلية[5] فكان لهم بها غاية الشهرة اذ كان هذا البيت الكريم مزدهر بالعلم والولاية والصلاح والبأس والشجاعة، فلم يكونوا يخافوا في الحق لومة لائم وشجاعتهم نادرة المثال, حريصون على حماية الشريعة الاسلامية, فيحتلوا بها اعلى المراتب في التدريس والقضاء والتعليم والخطابة

([1]) عرف بالعريضي نسبة الى (العريض), وهي قرية على بعد اربعة اميال من المدينة المنورة ؛ ينظر: البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، (بيروت،1403م)، ج3، ص938، ينظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت:748هـ/1374م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط2، (بيروت، 1993م)، ج14، ص362؛ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، (ت: 902هـ/1497م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت)، ج5، ص59؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص293.

([2]) ينظر: ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج1، ص 120-125؛ الفضلي، الدرر البهية، ج2، ص204-205؛ حشلاف، سلسلة الاصول، ص130، 138؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص261

([3]) الذهبي، تاريخ الإسلام ،ج14، ص362؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص59.

([4]) الشباني، مصابيح البشرية، ص293.

([5]) وهي جزيرة في شرقي الأندلس على شكل مثلث في لج البحر وتحاذيها من بلاد المغرب أفريقية وباجة وبطرقة إلى مرسى الخزر وغربيها في البحر جزيرة قرشقة ومن الجنوب جزيرة قوسرة وكانت هذه الجزيرة غنية بمختلف المواد الطبيعية فضلاً عما كانت تتمتع به من طبيعة جميلة فتحت أيام بني الأغلب على يد القاضي أسد بن الفرات سنة (212هـ/827م) وكانت تخضع للحكم البيزنطي؛ ينظر: مجهول، (ت: بعد سنة372هـ/986م)، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق: السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، (القاهرة، 1423هـ)، ص40؛ البكري، المسالك والممالك، ج1، ص482-485 .

والتوثيق وغيرها[1]، فضلاً عن تلقيهم المحبة والتقدير من الجميع سواء من طرق الحكام أو من العامة, لما تميزوا به من اخلاق حميدة وثبات على المبدأ, وصدق العزيمة[2]، ويتفرع هذا البيت الشريف الى فرعين :

أ . الاشراف السبتين

وعرفوا بـ (السبتين) لانهم بعد هجرتهم من صقلية الى المغرب انقسموا الى فرقتين الاولى اتجهت نحو سبتة[3] فنسبوا اليها، وذلك ايام دولة الموحدين[4] (524-674هـ/1129-1275م)، فوجدوا لديهم الحظوة والاعتبار لنسبتهم الطاهرة وغزارة علمهم حيث عينوا في المناصب الدينية الهامة, فعمروا بيوت الله لنشر العلم،

([1]) الادريسي، مصابيح البشرية، ص293 .

([2]) الشنقيطي، محمد بن علي بن احمد، (ت: 799هـ/1397م)، الجواهر المضيئة في النسب الوهاج، دار الغرب الاسلامي، (د.م، 1999م)، ج2، ص46؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص293 .

([3]) وهي مدينة كبيرة عبارة عن شبه جزيرة في المضيق هذا الموقع جعل اتصالها بالأندلس قوياً، لهذا نجدها قد انطبعت بطابع أندلسي في مظهرها وثقافتها بل في وضعها السياسي اذ خضعت للدولة الأموية بالأندلس بعد استنجاد صاحب سبتة (اليان) بهم، واخرجت عدداً من العلماء منهم ابن مرانة السبتي وكان اعلم الناس بالحساب والفرائض والهندسة والفقه ومنهم ابو عطاء الكاتب، وابن غازي الخطيب؛ ينظر: البكري، المسالك والممالك، ج2، ص779-781؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص182-183.

([4]) نشأت دولة الموحدين على يد محمد بن تومرت الملقب بالمهدي وقد بدأ الدعوة اليها سنة (514هـ/1120م) وأطلق عليهم الموحدين لأنهم يدعون الى توحيد الله توحيداً مطلقاً، وكانت البداية الأولى لهم بإعلان ابن تومرت الحرب على المرابطين، وقد استطاع في ثلاث سنوات من سنة (516هـ /1122م) الى سنة (518هـ/1124م) ان يبسط سلطانه على عدة مناطق واثبت وجود دولة الموحدين الى أن توفي سنة (524هـ/1129م)، وأكمل من بعده خليفته عبد المؤمن بن علي بن مخلوق بن يعلي بن مروان ابو محمد من قبيلة (كوميه) من قبائل البربر, الذي ينحدر من صلبه الامراء الموحدين وبويع له اميراً سنة (524هـ/1130م) أن يستحوذ على كامل المنطقة ويكمل ما بدأه ابن تومرت ويبسط نفوذه في كامل المغرب والمدن الأفريقية بعد غزوة طويلة بدأت سنة (534هـ/1139م) وانتهت بالفتح والاستيلاء سنة (541هـ/1146م)، فدخول مراكش سنة (541هـ/1147م), وجاءتهُ بعد ذلك بيعة اهل الاندلس, وقد عرف بشجاعتهُ وحزمهُ, توفي سنة (580هـ/1184م)؛ ينظر: الصفدي, الوافي بالوفيات, ج19, ص155- 156؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص306،301-307؛ عنان، محمد عبد الله، دولة الاسلام في الاندلس- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، مكتبة الخانجي،(القاهرة،1411هـ)، ق1، ص178-198.

وكذلك الحال في ايام الدولة المرينية اذ خصصوا لهم خراج مدينة سبتة لما تمتعوا به من مكانة علمية ودينية لدى الجميع[1].

ب. الاشراف الصقلين

وهم الفرع الثاني من الاشراف القادمين من صقلية الى الاندلس ثم سكنوا مراكش ومن ثم قصدوا فاس التي استقرا بها[2]، وبقوا يحملون اسم (الصقلي) لورودهم من صقلية، ولم يكونوا اقل شأناً من اخوانهم نزلاء سبتة اذ لاقوا ذات التقدير والاحترام، فضلاً عن المناصب الادارية المهمة في الدولة، وقد تفرعوا الى فروع في عدة بلاد[3] .

الفصيلة الثانية: سلالة الاشراف الكاظميون

وهم عقب الشريف طاهر بن الحسين بن موهوب بن احمد بن محمد بن طاهر بن الحسين بن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم (υ)، وهم كأبناء عمهم الاشراف العريضيون سكنوا صقلية مدة طويلة من الزمن، وخرجوا معهم الى المغرب ايام دولة الموحدين، برئاسة جدهم الشريف طاهر، وكان له ولدان (عبد الله، وابو الحسن علي)[4]، واثنى على نسب الصقلين العديد من كبار العلماء مثل ابن خلدون[5] اذ قال فيهم: " ذو النسب الواضح السالم من الريبة عند كافة أهل المغرب"، كما دونت في مدحهم ووصفهم محاسنهم القصائد والدواوين ومن ذلك[6]:

إفضلهم موسى الامام الكاظم — ولدهُ على الرضى الخاتم

وأتصل المجد بهذا النسب — فيالها سلسلة من ذهب

قد فتحت وختمت باسم علي — ياحسنها من أخر وأول

---

(1) الادريسي، مصابيح البشرية، ص296.

(2) ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج2، ص95؛ الفضلي، الدرر البهية، ج2، ص205 .

(3) ينظر: ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج2، ص95؛ الفضلي، الدرر البهية، ج2، ص205؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص 296.

(4) القادري، الدر السني، ص69؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج2، ص95 .

(5) العبر، ج7، ص548 .

(6) الدلائي, درة التيجان، ورقة13؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج2، ص95.

نسل الحسين الطراز الذهب قد ذهبوا في الفضل كل مذهب
كم شرف سما لهذا السند وما حد من سيد اسياد
كالنسب المعروف بالصقلي نَسل الرضى كالشمس في التجلي

1. الاشراف الصقلين

وهم عقب الشريف عبد الله بن طاهر بن الحسين الحسيني، الذي نزل فاس واستقرار بها مع ابيه بعد خروجهم من صقلية وعرفوا بالصقلين[1]، وبرز منهم العديد من العلماء الذين وصفوا بالذكاء والفطنة مما جعلهم من المقربين عند رجال الدولة والعامة، هذا فضلا عن نسبهم الشريف لذا كان الحكام يسعون اليهم وقلدوهم المناصب الادارية المهمة في الدولة كالقضاء والكتابة وغيرها، ومنهم الشريف محمد بن عبد الله بن طاهر الصقلي قاضي الدولة الموحدية بمراكش وغيره كثير من العلماء وذي السلطة والجاه[2] .

2. الاشراف السبتيون

وهم الفرع الثاني للاشراف الصقلين ابناء الشريف ابو الحسن علي بن طاهر بن الحسين بن موهوب الحسيني الذي اتجه مع ابنائه الى سبتة فعرفوا بالسبتيون، فكانت لهم سير فاضلة من القيام على العلوم والعكوف عن العمل بها، ولزوم البيت

(1) القادري، الدر السني، ص69؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج2، ص95؛ حشلاف، سلسلة الاصول، ص136؛ مصابيح البشرية، ص 296.

(2) القادري، الدر السني، ص69؛ ابن السكاك، محمد بن ابي غالب بن احمد، (ت:818هـ/1415م)، نصح ملوك الاسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق ال البيت الكرام، طبعة حجرية، (فاس،1316هـ)، ص21؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج2، ص95؛ مصابيح البشرية، ص 296.

والعزوف عن تولي المناصب الادارية كخطط القضاء والخطابة والتدريس، حتى ذاع صيتهم في اقطار الارض ودونت في مدحهم القصائد لورعهم وعلمهم وزهدهم(1).

3. الاشراف الطاهريون

وهم فرع من الاشراف الصقلين ابناء الشريف طاهر بن علي بن طاهر بن الحسين بن موهوب الحسيني، وهم من فضلاء الناس واعيان الاشراف واهل شأن ونزاهة وحظوة وجلالة ووجاهة، فبرز منهم العلماء والصلحاء والاولياء والمتصوفين(2)، كالشريف محمد بن عبد الله بن طاهر الصقلي (609هـ/1212م)، ومما قيل في نسبهم من الشعر(3) :

جماعة سادة الورى الاكابر ... اعني الصقليين ال طاهر
محمد بن طاهر المراد ... ابن حسين بن علي الجواد
ابن محمد التقي بن الرضى ... علي ابن كاظم موسى المضا
ابن الصادق يسمى حعفرا ... ابن محمد ويدعي الباقرا
ابن علي وهو زين العابدين ... ابن الحسين سبط خير المرسلين
وبعد فهذه سلسلة من ذهب ... ما مثلها في مشرق ولا مغرب
وكم بها من عالم وقطب ... قد ملات اخبارهم الكتب

4. الاشراف العراقيون

وهم من مشاهير الأشراف الفضلاء ابناء عمومة الاشراف الصقلين لهم مكانة عالية عند الخاصة والعامة، يرجع نسب هذا البيت الكريم الى جدهم الشريف محمد الهادي بن القاسم بن نفيس بن عبد الله بن الحسين بن علي بن عبد الله بن ابي

(1) القادري، الدر السني، ص69؛ ابن السكاك، نصح ملوك الاسلام، ص21؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج2، ص96 .

(2) القادري، الدر السني، ص69؛ الزياني، تحفة الحادي، ص56؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج2، ص97؛ الفضلي، الدرر البهية، ج2، ص205 .

(3) ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج2، ص98؛ حشلاف، سلسلة الاصول، ص134 .

الطيب احمد بن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم المجاب بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب (∃) المتوفى في القرن (8هـ/14م)[1]، وكان هذا السيد عالماً فاضلاً اديباً شاعراً مجيداً، خيراً ناسكاً ذو منزلة عالية ومرتبة سامية وجاه عظيم، وصل الى ايام دولة السلطان ابو سعيد المريني[2] (710-731هـ/1310-1331م) فحظي بمكانة عالية عند حكام بني مرين كما تمتع جميع عقبه من بهذه المكانة جيل بعد جيل[3]، وهذا الفرع الكريم خارج مدة دراستنا الا اننا اشرنا اليه لكونه احد الفروع الاساسية للأشراف الحسينين في المغرب .

الفصيلة الثالثة: الاشراف المسفريون

وهم بنو محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب (∃)، وقد رفع البعض عمود نسبهم الى الامام الحسين (υ) عن طريق ابنه محمد الا ان ذلك تم تصحيحه من قبل علماء النسب بعد ان اثبتوا ان الامام الحسين (υ) لم يعقب الا عن طريق ابنه الامام علي زين العابدين (υ)، وتبين ان ذلك الاشكال قد حدث نتيجة اسقاط اسم (علي زين العابدين) من عمود نسبهم ربما اثناء الكتابه او بعد نقل عمود النسب فتقدم اسم

([1]) ابن السكاك، نصح ملوك، ص16؛ القادري، الدر السني، ص69؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج2، ص166؛ الفضلي، الدرر البهية، ج2، ص229 .

([2]) وهو عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، ويكنى بـ (أبو سعيد) ولقب بـ (السعيد بفضل الله)، ولد سنة (675هـ/1276م)، احد سلاطين دولة بني مرين ملك مراكش وفاس وغيرها، كان ذا حلم، وركون إلى السلم فكانت دولته اثنان وعشرين سنة، توفي سنة (731هـ/1331م)، وله بضع وستون سنة؛ ينظر: الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد ونبيل أبو عشمة ومحمد موعد ومحمود سالم محمد، دار الفكر المعاصر، (يروت،1998م)، ج3، ص232؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج19، ص336 .

([3]) ابن السكاك، نصح الملوك، ص16؛ القادري، الدر السني، ص69؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج2، ص166؛ الفضلي، الدرر البهية، ج2، ص229 .

محمد، وقد اثبت نسبهم عند جميع النسابة واهل العلم ولديهم شهادات اثبات بذلك[1].

كانوا يعرفون بـ (المحمدين) نسبة الى جدهم الاعلى المولى محمد بن جعفر الصادق (ט)[2]، ثم عرفوا بلقب (المسفريون)، الذي لحق بهم بعد ان عمل احد اجدادهم بتسفير الكتب[3]، وحظوا بالجلال والتعظيم عند الخاصة والعامة وبرز منهم عدد كبير من العلماء والصالحين الذين كان لهم دور كبير في نشاط الحياة العلمية في المغرب، امثال الشريف ابو الحسن علي بن خليل المسفري وهو من رجال القرن (6هـ/12م)، كان هذا الشيخ حكيماً عارفاً وعالماً متصوفاً وشاعراً مجيداً، ويعد من كبار علماء الفلسفة في عصره[4] .

([1]) الزياني، تحفة الحادي، ص57-58؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج2، ص144؛ الفضلي، الدرر البهية، ج2، ص246؛ الادريس، مصابيح البشرية، ص300-301؛ ابن عبد الله، العلميون والاشعاع العلمي، ص6 .

([2]) ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج2، ص144 .

([3]) الزياني، تحفة الحادي، ص57؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج2، ص144؛ الفضلي، الدرر البهية، ج2، ص246؛ الادريس، مصابيح البشرية، ص300؛ ابن عبد الله، العلميون والاشعاع العلمي، ص6 .

([4]) ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي، (ت:638هـ/1240م)، محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار في الادبيات والنوادر والاخبار، دار اليقظة العربية، (بيروت، د.ت)، مج1، ص224؛ كنون, عبد الله بن عبد الصمد, النبوغ المغربي في الادب العربي, د.مط، ط2, (طنجة, 1960م), ج1, ص156؛ كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والادب والسياسة، تحقيق: محمد بن عزوز، دار ابن حزم، (بيروت، 2010م), ج1، ص267 .

المبحث الثالث

هجرة آل البيت العلوي الى المغرب

يعد ظهور الاسلام وانتشاره خارج حدود الجزيرة العربية حدثاً عظيماً يترتب عليه اموراً جسام حيث اصبح الناس لاسيما البعيدين عن الجزيرة ينتظرون بشغف وشوق كل من يرد اليهم بخبر عن امور دينهم، لاسيما من ينتسب لآل البيت (%)، الذين انتشر نسلهم المبارك في مشارق الارض ومغاربها بفضل دعاء جدهم رسول الله (ρ) بعد ان طلبت منه السيدة فاطمة الزهراء (∃)، بصالح الدعاء لها ولذريتها[1]، فكانت خير ذرية صلحت وانتشرت في الارض شرقاً وغرباً .

وبلاد المغرب هي احدى تلك البقاع المباركة التي تناسلت بها ذرية المصطفى (ρ)، ويجدر بنا قبل ان ننتقل للحديث عن اسباب الهجرة العلوية الى المغرب، وكيف تم استقبالهم من قبل المغاربة ان نشير اشارة سريعة الى تعريف الهجرة في اللغة والاصطلاح .

اولاً: تعريف الهجرة لغة واصطلاحاً

1. لغةً

الهجرة: هي الاسم من الهجر أو الهجران، وهي مأخوذة من مادّة (هـ ج ر)، فالهجر ضد الوصل، من هجره يهجره هجرا وهجرانا [2] .

ويقول الرازي[3]: الهجر ضدّ الوصل، والمهاجرة من أرض إلى أرض، ترك الأولى للثّانية، سعيًا وراء الأمن أو الرزق .

وعرفها الراغب الاصفهاني[4] بقوله: المهاجرة في الأصل: مصارمة الغير ومتاركته، كقوله (Y): (**وَالَّذِينَ هاجَرُوا وَجاهَدُوا**)[5] .

([1]) ينظر: ابن ابي زرع الفاسي، الاشراف، ج1، ص53 .

([2]) ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص250، مادة (هـ ج ر)؛ الزبيدي، تاج العروس، ج14، ص397، مادة (هـ ج ر) .

([3]) مختار الصحاح، ص705؛ وينظر: عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، نشر: عالم الكتب، (بيروت، 2008م)، ج3، ص2326.

([4]) المفردات في غريب القرآن، ص833 .

([5]) سورة البقرة، اية: (218).

ويأتي الهجر أيضا بمعنى الهذيان: يقال من ذلك هجر المريض يهجر هجرا، فهو هاجر، والكلام مهجور، والهجر بالضّمّ: الاسم من الإهجار، وهو الإفحاش في المنطق[1] .

2. **اصطلاحاً :**

يقول الجرجاني[2]: الهجرة: هي ترك الوطن الذي بيد الكفار والانتقال إلى دار الإسلام .

وعرفها الراغب الاصفهاني[3] بقوله: الهجرة: " الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان كمن هاجر من مكّة إلى المدينة، وقيل: مقتضى ذلك هجران الشهوات والأخلاق الذميمة والخطايا وتركها ورفضها، وقوله: ﴿**إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي**﴾[4] أي: تارك لقومي وذاهب إليه "، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾[5].

ثانياً: اسباب هجرة آل البيت (%) الى المغرب

للهجرة اسباب ومسببات تدفع بالعديد من سكان البلدان الى هجر بلادهم والبحث عن بلاد تكون أكثر استجابة لمتطلباتهم, ومن اهم الاسباب التي دفعت آل البيت العلوي (%), الى ترك بلاد المشرق والتوجه نحو بلاد المغرب هو الاضطهاد السياسي الذي لاقوه على ايدي حكام المشرق سواء من الأمويين أو العباسيين, لذا سوف ابدأ بذكر أسباب الهجرة مقدمة الحديث عن الاسباب السياسية على غيرها, كما يلي :

---

(1) ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص705؛ الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، (ت: نحو 770هـ/1369م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، نشر: المكتبة العلمية، (بيروت، د.ت)، ج2، ص634.

(2) علي بن محمد بن علي، (ت:816هـ/1413م)، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، (بيروت،1983م)، ص256.

(3) المفردات في غريب القرآن، ص833 .

(4) سورة العنكبوت، اية: (26).

(5) سورة النساء، اية: (97).

1.العداء السياسي اتجاه آل البيت (%)

كان العداء السياسي لآل البيت (%), من الاسباب الرئيسة التي أدت الى هجرة أكبر واهم الفروع العلوية الى المغرب وهم الفرع الادريسي, والفرع السلماني, فقد عاش بنو علي بن أبي طالب (%) في خلاف دائم مع بني أمية منذ استشهاد الامام علي (ρ) سنة (40هـ/660م) ولم ينقطع هذا العداء بأي شكل كان حيث كانت معارضتهم دائمة اتجاه آل البيت لعلمهم أنهم أصحاب حق، فقد بدأ معاوية بن أبي سفيان حكمه سنة (41هـ/661م) بمحاولات لقتل كل من ينتمي لآل البيت (%) أو يتبع طريقهم, مما أضطرهم الى الدخول بمبدأ التقية في أعمالهم[1] .

ولم يكن يزيد بن معاوية (61-64هـ/645-863م), أقل اضطهاداً لبني الامام علي (%) فقد كان استشهاد الامام الحسين (υ) على يده سنة (61هـ/645م) من أفظع اعماله اتجاه آل البيت أجمعين[2], والتي نتجت عنها ثورات وانتفاضات عديدة من قبل العلويون وانصارهم ضد الامويين فأدى ذلك الى تفجير اضطراب سياسي واجتماعي في اغلب مراكز العالم الاسلامي, وكان هو السبب في التعجيل بسقوط الدولة الأموية سنة (132هـ/749م), وقيام دولة بني العباس (132-656هـ/749-1258م) التي أخذت نفس المنحى الأموي اذ اتخذت سياسة حازمة ومعارضة لآل البيت (%) وانصارهم[3], بعد ان وجدوا ان هدفهم هو اقامة حكم الله (Y) في

([1]) ينظر: ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص15-16؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج1، ص60-70 .

([2]) الطبري, تاريخ الأمم والملوك دار الكتب العلمية, (بيروت, 1407هـ), ج3, ص348؛ أبو الفداء, عماد الدين اسماعيل بن علي, (ت: 732هـ/1332م), المختصر في أخبار البشر, المطبعة الحسينية المصرية, (القاهرة, د.ت), ج1, ص190؛ ابن كثير, أسماعيل بن عمر بن كثير, (ت:774هـ/1373م), البداية والنهاية, دار الفكر, (بيروت, 1986م), ج8, ص211؛ المشرفي, محمد بن محمد بن مصطفى, (ت 1334هـ/1916م), الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية, تحقيق: ادريس بوهليلة, دار ابن رقراق للطباعة والنشر, (الرباط, 2005م), ج1, ص189.

([3]) طاهر, كاظم شمهود, الشيعة في الاندلس الخلافة الحمودية العلوية, دار الكتاب العربي, (بغداد, 2010م), ص25.

الارض وهذا ما لم يكن يتماشى مع رغباتهم الدنيوية والمادية, لذا حاربوهم بشتى الطرق والوسائل, فقد كان الامام الصادق (υ) اول من واجه المضايقات من قبل بني العباس، وهو اخر من شهد بني امية واول من عاصر بني العباس, حيث حاولوا استمالته الى جانبهم في بداية الأمر, الا انه (υ) كان يدرك انهم غير صالحين لحكم الناس بالعدل فرفض التعاون معهم[1], وما أن بدأ حكم الخليفة ابو جعفر المنصور حتى استفتحه بمحاولات عديدة لاغتياله متهدداً بهِ قائلاً: " لأقتلنك ولأقتل اهلك حتى لا ابقي على الأرض منكم قائمة سوت "[2], كما أمر بأحراق بيته في المدينة[3], الا انه على الرغم من فشل محاولاته هذه, غير انه تمكن في المرة التالية من دس السم له حتى توفي (υ) شهيداً[4] .

وقد استمر اضطهادهم لآل البيت (%) جيل بعد جيل حتى خرج ابناء الأمام الحسن (υ) بثورات متعددة عليهم دفعاً ورداً لظلمهم فثار محمد النفس الزكية, وابراهيم (ت:145هـ/763م) ابناء عبد الله الكامل بن الحسن المثنى (%) ضد الخليفة المنصور سنة (145هـ/762م), بعد ان قويت شوكتهم بمبايعة أهل المدينة

([1]) ينظر: الشهرستاني, محمد بن عبد الكريم, (ت:548هـ/1153م), الملل والنحل, تحقيق: محمد سيد كيلاني, دار المعرفة, (بيروت, 1404هـ), ج1, ص149؛ البيشوائي, مهدي, سيرة الائمة عرض وتحليل للحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية للائمة المعصومين, تحقيق: جعفر السجاني, مؤسسة الامام الصادق, (قم, 1423هـ), ص337؛ القزويني, محمد كاظم, الامام الصادق (υ) من المهد الى اللحد, دار العلوم, (بيروت, 2008م), ص541؛ المطهري, مرتضى, من حياة الائمة الاطهار (%), الدار الاسلامية, (بيروت, 1992م), ص114.

([2]) ابن شهر اشوب, محمد بن علي, (ت: 588هـ/1192م), مناقب آل أبي طالب, تحقيق: يوسف البقاعي, دار الاضواء, ط2, (بيروت،1991م), ج3, ص251؛ المجلسي, محمد باقر, بحار الانوار الجامع الدرر أخبار الائمة الاطهار, مؤسسة الوفاء, ط2, (بيروت, 1983م), ج47, ص178.

([3]) الكليني, محمد بم يعقوب بن أسحاق, (ت:328هـ/940م), أصول الكافي, تحقيق: علي أكبر, دار الكتب الاسلامية, (طهران, 1388هـ), ط3, ج1, ص473.

([4]) المسعودي, علي بن الحسين بن علي, (ت:346هـ/975م), مروج الذهب ومعادن الجواهر دار القارئ للطباعة والنشر, (القاهرة، 2005م), ج3, ص323؛ ابن اشهر اشوب, مناقب آل ابي طالب, ج4, ص280؛ الطبري, محمد بن حرير بن رستم, (ت:694هـ/1295م), دلائل الأمامة, منشورات المطبعة الحيدرية, (النجف, 1963م), ص110.

لهم وقد انتهت هذهِ الثورة بمقتل المولى ابراهيم على يده وقمع كل من وقف الى جانبه، وحبس ابيهما[1] .

كما قاتل الخليفة المهدي (158-169هـ/775-785م) المولى محمد النفس الزكية في جيش عظيم من الحجاز واليمن وغيرهم سنة (169هـ/775م)، وذلك بعد ان بايعه الناس بمكة والمدينة، استشهد على اثرها الشريف وهزم عسكره وقتل منهم الكثير[2] .

ولم يختلف الامر بالنسبة للخليفة هارون الرشيد (170-193هـ/786-809م) الذي زاد في ظلمه واضطهاده للعلوين حتى اضطروا الى هجر البلاد بسببه, وهذا ما يصفه القاضي حشلاف[3] بقوله: " فلما انتهت الولاية من بني أمية لبني العباس ولحقت الولاية لهارون الرشيد حصل الاذى منه للعلويين ما هو معلوم من العباسيين حيث جار الرشيد في حقهم وسعى كل السعي في قطع دابرهم الا من عصمه الله فهربوا منه الى الأرضي البعيدة من ولايته " .

ومن اكثر الثورات دموية بعد مأساة كربلاء هي ثورة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب (%) (ت:169هـ/785م), والتي وقعت في مكة والمدينة سنة (169هـ/785م), ايام الخليفة الهادي (169-170هـ/785-

---

([1]) ابن خياط، التاريخ، تحقيق: اكرم ضياء العمري، دار القلم، ط2، (بيروت، 1397)، ص421؛ ابن أبي زرع, علي بن عبد الله, الانيس المطرب، ص15؛ ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج2، ص4؛ ابن الوردي، التاريخ، ج1، ص186-187؛ العصامي، سمط النجوم، ج3، ص360؛ زبيب، نجيب, الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس, تقديم: احمد بن سودة, دار الأمير للثقافة والعلوم, (بيروت, 1995م), ج2, ص126.

([2]) ابن خياط، التاريخ، ص421؛ العصامي، سمط النجوم، ج3، ص360؛ حشلاف, سلسلة الأصول، ص24؛ المحامي، محمد فريد بك بن أحمد فريد باشا، المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، (بيروت، 1981م)، ص41 .

([3]) عبد الله بن محمد بن الشارف, سلسلة الأصول في شجرة ابناء الرسول, المطبعة التونسية, (تونس, 1929م), ص24؛ وينظر: لوتورنو, روجينة, فاس في عصر بني مرين, ترجمة: نقولا زياد, مكتبة لبنان, (بيروت, د.ت), ص19.

786م)[1] في موضع يعرف بـ (فخ)[2], وكان المولى ادريس بن عبد الله الكامل من المشاركين في هذهِ الثورة والتي انتهت بفاجعة عظيمة على بني الامام علي (υ), وقد ظن الخليفة انه بذلك قضى على كل نشاط يقوم ضدهم من قبل العلويين, لكن قدرة الله كانت اكبر من ظنهم, فأن كل من أضطر الى الهرب من هذهِ المعركة بعد الهزيمة كان سبب في تأسيس دولة علوية, فكل من توجه منهم لناحية حصل على ملكها, فكانت لهم دولة بخراسان[3], وثانية بجرجان[4], وطبرستان[5],

وبلاد الديلم[6], وثالثة باليمن والحجاز, ورابعة بالجنوب بإراضي السودان, وخامسة بالمغرب[1], التي أسسها المولى ادريس بعد ان وصل البلاد فاراً من موقعة فخ حيث استقر بفاس وجعلها دار ملكه[2] .

([1]) ابن ابي زرع, الانيس, المطرب, ص16؛ طاهر, الشيعة في الاندلس, ص25.

([2]) وهو احد وديان مكة بينه وبينها ثلاثة اميال، وقيل ستة اميال؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص237؛ الحميري، الروض المعطار، ص436 .

([3]) وهو اقليم يشمل عدة كور يحيط به من شرقيه نواحى سجستان وبلد الهند وما يتصل بها من ظهر الغور كله الى الهند، وغربيه مفازة الغزية ونواحى جرجان وشماليه ما وراء النهر، وجنوبيه مفازة فارس وقومس؛ ينظر: الاصطخري، إبراهيم بن محمد، (ت:346هـ/957م)، المسالك والممالك، دار صادر، (بيروت، 2004م)، ص253؛ ابن حوقل, ابو القاسم محمد، (ت:367هـ/977م), صورة الارض, دار صادر, (بيروت،1938م), ج2، ص399 .

([4]) وهي مدينة عظيمة مشهورة تقع بين طبرستان وخراسان، تكون من قطعتان إحداهما المدينة والأخرى بكرآباذ وبينهم نهر كبير بها، بناها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، يكثر بها زراعة الزيتون والنخل والجوز والرّمان وقصب السكر؛ ينظر: القزويني، اثار البلاد، ص348؛ صفي الدين، مراصد الاطلاع، ج1، ص323 .

([5]) وهي بلاد عظيمة من أعمال خراسان، كثيرة الحصون والاودية، أهلها من اشراف العجم وأبناء ملوكهم؛ ينظر: المنجم، اسحاق بن الحسين (ت: ق4هـ/10هـ)، أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل زمان، عالم الكتاب،(بيروت،1408هـ)، ص69؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص13 .

([6]) وهي بلاد واسعة ذات صفات ولغات مختلفة يحيط بها من الشرق بلاد خراسان، ومن الجنوب، مدن الجبال، ومن الغرب بلاد آذربايجان، ومن الشمالي بحر الخزر، وتكون ذات مياه

ولم يكن اختيار المولى ادريس لبلاد المغرب دار هجرة واستقرار عبثاً بل عن تخطيط مدروس, حيث كانت ارض المغرب مهيئ لاستقبال مثل هذهِ الدعوة اذ بدأت الدعوة الزيدية الى المغرب قبل هذهِ الموقعة بزمن بعيد، فكانت ممهدة لقيام دولة علوية هناك اذ وصلها احد الدعاة الزيدية الذين انفذهم المولى محمد النفس الزكية(3)، فأجابه خلق كثير من قبائل البربر (4) ومع ذلك عاد ادراجه الى الشرق خوفاً من عيون العباسيين بإفريقية, وبعده ارسل محمد النفس الزكية أخاه المولى سليمان فنزل تلمسان(5) الا انه اضطر ايضاً للعودة لذات السبب, وبعد وفاة محمد

جارية وأنهار كثيرة جميعها تنسب إلى بلاد الديلم؛ ينظر: مجهول، حدود العالم، ص153؛ القزويني، اثار البلاد، ص330 .

(1) ينظر: ابن قتيبة, عبد الله بن مسلم بن قتيبة, (ت:276هـ/890م), المعارف, تحقيق: ثروت عكاشة, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ط3, (القاهرة, 1992م), ص213؛ المقدسي, المطهر بن طاهر, (ت:355هـ/966م), البدء والتاريخ, وكتبة الثقافة, (بور سعيد, د.ت), ج6, ص99-100؛ الزياني, جمهرة التيجان, ص89.

(2) المقدسي, البدء والتاريخ, ج6, ص100؛ ابو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين، (ت: 356هـ/967م), مقاتل الطالبين, تحقيق: السيد احمد صقر, دار المعرفة, (بيروت, د.ت), ص406؛ ابن الجوزي, المنتظم في تاريخ الامم والملوك, تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا, دار الكتب العلمية, (بيروت, 1992م), ج7, ص213؛ ابن القاضي, احمد بن محمد، (ت:1025هـ/ 1616هـ)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، (الرباط، 1973م), ص18؛ الغريسي, محمد الأعرج, (ت:1340هـ/192م), شرح المنظومة المسماة بغية الطالب للعلامة سيدي عيسى بن موسى التجيني جزء من مجموعة النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب, للناشر: بلهاشمي بن بكارة، مطبعة ابن خلدون, (تلمسان, 1961م), ص370؛ الساعدي، محمد, الحسنيون في التاريخ, مطبعة النجف, (النجف, 1956م), ج1, ق1, ص168.

(3) اسماعيل, محمود, الادارسة (172- 375هـ) حقائق جديدة, مكتبة مدبولي, (القاهرة, 1991م), ص47؛ نصر الله, سعدون عباس, دولة الادارسة في المغرب العصر الذهبي 172-223هـ/ 788- 835م, دار النهضة العربية, (بيروت, 1987م), ص59- 60.

(4) ابن ابي زرع, الانيس المطرب, ص15؛ وينظر: اسماعيل, الادارسة, ص48.

(5) هي مدينتان متجاورتان، احداهما قديمة والأخرى حديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب، واسمها (تافرزت) والقديمة اسمها (أقادير) فهي قاعدة المغرب الأوسط، وكانت دار مملكة زناتة،

النفس الزكية اخذ يدعو للحسين بن علي بن الحسن, وخرج معه ادريس ايضاً وقد تمكنا من ان يحققا نجاحاً كبيراً هناك, قبل عودتهم للمشاركة في معركة فخ, وبعد الهزيمة عاد المولى ادريس الى بلاد المغرب[1], بعد رحلة طويلة قضاها متنقلا من القيروان الى وليلي ثم طنجة[2] فلم يجد بها ما يدل على حسن الحال بالرغم من انها كانت خارجة عن سلطة بغداد، الا انها كانت مركز عبور الى الاندلس التي كانت تعج بالعديد من العلماء المختلفين في المذاهب والاتجاهات، فقرر العودة مرة اخرى الى وليلي بصحبة مولاه راشد[3] (ت:188هـ/840م) فعمل ومن معه على كسب اهل المغرب الى جانبه[4], وحارب الخوارج هناك, وقام بتصفية البلاد من المخاطر والخلافات التي كان يعاني منها المغاربة واسس اول دولة علوية مستقلة في تلك النواحي[5] .

ينسب اليها عدد من العلماء الكبار والمتصوفة؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص44؛ القزويني، اثار البلاد، ص172؛ صفي الدين، مراصد الاطلاع، ج1، ص172-173.

([1]) ابن الابار, محمد بن عبد الله بن ابي بكر, (ت:658هـ/1260م)، الحلة السيراء, تحقيق: حسين مؤنس, دار المعارف, (القاهرة, 1985م), ص98؛ ابن ابي زرع, الانيس المطرب, ص16؛ اسماعيل, الادارسة, ص48.

([2]) العلوي، احمد بن علي، (ت:14هـ/19م)، انساب الشرفاء الادارسة، مخطوط محفوظ في مكتبة الملك سعود قسم المخطوطات، تحت رقم (7227 ف 4/1505)، ورقة 11 .

([3]) وهو مولى الامام ادريس بن عبد الله الحسني، بربري الاصل شجاعاً حازماً من أهل النجدة والدين والنصيحة لآل بيت النبي (∃)، تولى امر البربر نائباً الامام ادريس الثاني بعد وفاة ابيه؛ ينظر: ابو فرج الاصبهاني، مقاتل الطالبين، ص407؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص11-12؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص210؛ الزركلي، الاعلام، ج3، ص11-12 .

([4]) ابو فرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، ص407؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ص98؛ العلوي، مخطوط انساب الشرفاء، ورقة11؛ ابن عذارى, البيان المغرب، ج1, ص82؛ الغرناطي, الانوار, ص62 .

([5]) البخاري, سير السلسلة العلوية, ص12-13؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ص98؛ ابن عذارى, البيان المغرب، ج1, ص82؛ الغرناطي, الانوار, ص62؛ الغريسي, شرح المنظومة, ص270؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ص21-22 .

وبالرغم من ذلك لم يتوقف الخليفة هارون الرشيد من محاولاته للقضاء عليهم وسعى كل السعي في سبيل قطع دابرهم من تلك البلاد فعمل على قتل المولى ادريس عن طريق دس السم له(1) .

ولم يكن الفرع الادريسي هو الوحيد الذي وصل الى المغرب بعد وقعة فخ, بل وصل السليمانيون ايضاً الى البلاد بعد احداث هذه الواقعة(2), فما ان وصل المولى ادريس اليها حتى لحق به المولى سليمان بن عبد الله الكامل, الذي فر بعد الهزيمة الى بلاد النوبة ومنها الى السودان, ثم رجع الى أفريقية واقام هناك فترة من الزمن ثم انتقل بعد ذلك الى تلمسان واتخذها موطناً له ولذريته من بعده في خلافة المولى ادريس، وتزوج هناك فولد له عشرة ابناء وعنهم تفرعت الشجرة السليمانية في بلاد المغرب(3) .

ودخل فرع ثالث من الاشراف الحسنين الى المغرب في منتصف القرن (3هـ/9م)، هرباً من بطش الخلفاء العباسيين فنزلوا سملالة التي اصبحت موطناً لهم، واول من دخل منهم كان الشريف ابراهيم جنبد بن عبد الرحمن الحسني(4) .

وهكذا كانت بلاد المغرب احدى محطاتهم المهمة التي تحولت من دار هجرة الى دار استقرار وأمان, تناسل بها العلويين جيل بعد جيل وكونوا فيها بيوتات كبيرة اصبح لها مكانة سياسية وعلمية واجتماعية ودينية مرموقة(5) .

---

(1) الرازي, احمد بن سهل, (ت: ق4هـ/10م)، اخبار فخ وخبر يحيى بن عبد الله (υ) واخبار ادريس بن عبدالله (υ)، تحقيق: عبد الرقيب مطهر حجر, منشورات مركز اهل البيت (%), الدراسات الاسلامية, (اليمن, 2000م), ص67؛ البخاري, سر السلسة العلوية، ص12؛ ابي الفرج الاصفهاني, مقاتل الطالبين, ص408؛ ابن الابار, الحلة السيراء, ص53؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ص22؛ زبيب, الموسوعة العامة, ج2, ص127.

(2) البخاري, سر السلسلة العلوية, ص12؛ الغرناطي, الانوار, ص60.

(3) ينظر: مجهول, (كان حياً 712هـ/1313م), مفاخر البربر, تحقيق: عبد القادر بوباية, دار ابي قراق للطباعة والنشر, (الرباط, 2005م), ص86؛ الغرناطي, الانوار, ص60؛ ابن عنبة, عمدة الطالب, ص92؛ الغريسي, شرح المنظومة, ص370؛ حشلاف, سلسلة الاصول, ص25-26, 127 .

(4) الادريسي, مصابيح البشرية، ص58؛ فضالة، الجوهر العفيف، ص1033 .

(5) ينظر: ابن عنبة, عمدة الطالب, ص92-93-94.

يتضح لنا مما سبق انه على الرغم من الظلم والاضطهاد الذي لقيه آل البيت العلوي (%) في بلاد المشرق الذي انتهي بتفريقهم وهجرتهم الى بلاد عدة فان البركة حلت عليهم وفتحت لهم أبواباً جديدة وأكثر امان وسعة لينتشر بها نسلهم المبارك في جميع الاقطار شرقاً وغرباً .

2. محبة آل البيت (%) والتبرك بهم

تعد محبة آل البيت (%) من الاسباب الرئيسية في دخول فرع الاشراف العلويين (المحمديون) الى المغرب اذا ان محبتهم هي من صميم العبادة وحق من حقوقهم علينا, فهي من الاعمال التي يتبرك بها العبد ويتقرب عن طريقها الى الله (I), ورسولهُ الكريم (ρ), قال تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾[1], وذكر علماء التفسير ان مودة الله (Y), هي في محبة رسوله (ρ) وقرابته والبر بهم والاحسان اليهم[2], وهذا ادل دليل في الحث على محبتهم, والمودة في الغالب تورث المحبة, لقولهِ (ρ): « تَوَادُّوا تَزِيدُ فِي الْقَلْبِ حُبًّا، وَتَذْهَبُ بِغَوَائِلِ الصُّدُورِ »[3] وقوله (ρ) ايضاً: « أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللَّهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي بِحُبِّي »[4].

---

(1) سورة الشورى، اية: (23).

(2) ينظر: مجاهد، ابو الحجاج بن جبر، (ت:104هـ/722م)، التفسير، تحقيق: محمد عبد السلام، دار الفكر الإسلامي الحديثة، (مصر،1989م)، ص589؛ الطبري، جامع البيان، ج21، ص525 .

(3) أبو بكر البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، (ت:458ه/1066م)، شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، نشر: مكتبة الرشد، (الرياض، 2003م)، ج11، ص304.

(4) ابي زرعة، عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله، (ت:281ه/894م)، الفوائد المعللة، تحقيق: رجب بن عبد المقصود، نشر: مكتبة الإمام الذهبي، (الكويت، 2003م)، ص214، رقم (157)، المقدسي، ضياء الدين أبو عبد الله محمد، (ت:643ه/1245م)، الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، (بيروت، 2000م)،ج12، ص348، رقم (383) .

اذاً فإن الهدف من المودة هو تحصيل المحبة واي محبة افضل للعاقل من محبة رسول الله (ρ), واهل بيتهُ الاطهار (%), اذ بحبهم يصل الهدف المنشود وهو دخول الجنة بشفاعته, اذ قال (ρ): « الزَمُوا مَوَدَّتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنَّهُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ يَوَدُّنَا دَخَلَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَنْفَعُ عَبْدًا عَمَلُهُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ حَقِّنَا »[1] .

فان محبة آل بيت النبي (%), والتبرك بهم ما هو الا جلب للخير من المولى (Y), اذ بالعودة الى المعنى اللغوي (للتبرك) نجد أنها مشتقة من البركة, والبركة: هي النماء والزيادة والاتساع[2], وثبوت الخير الإلهي في الشيء[3], كقولهِ تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[4] وقولهم تبركت بهِ, اي بمعنى تيمنت بهِ, لوضع البركة الالهية فيه[5] ومن ذلك قولهِ تعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[6] .

فقد اكرمهم الله (I) على غيرهم من خلقه وجعل منهم فروع للشجرة المحمدية المباركة في الأرض فهم امان اهل الأرض يهدون الناس من الضلال, ويعصمونهم من الفتن, وقد كان المغاربة يكنون حباً عميقاً لآل البيت (%) تصديق للحديث

([1]) الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، (القاهرة، د.ت)، ج2، ص360، رقم (2230) .

([2]) ينظر: ابن دريد، محمد بن الحسن بن دريد، (ت:321هـ/933م)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، (بيروت، 1987م)، ج1، ص325، مادة (ب ر ك)؛ ابن سيده، علي بن إسماعيل بن سيده، (ت:458هـ/1066م)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، (بيروت، 2000م)، ج7، ص22، مادة (مقلوبه: ب ر ك)؛ ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص395، مادة (برك).

([3]) ينظر: الهروي، محمد بن أحمد، (ت:370هـ/980م)، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع، (بيروت، د.ت)، ص64؛ ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص395، مادة (برك).

([4]) سورة الاعراف، اية،: (96).

([5]) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص395، مادة (برك).

([6]) سورة الانعام، اية،: (155) .

المتناقل بينهم عن النبي (ρ) اذ يروى ان السيدة فاطمة الزهراء (∃)، اعطت جارية لها صدقة بعد وفاة رسول الله (ρ) وطلبت منها ان تذهب بها الى السوق وتأتي بمن يقبل منها الصدقة، فذهبت الجارية وسئلت الناس من يقبل مني صدقة فاطمة بنت رسول الله (ρ)[1]، فجاء اليها رجلا وقال: " انا موضع صدقة آل رسول الله (ρ) "[2]، فأعطته الصدقة وسألته ان يذهب معها الى السيدة الزهراء، فأجابها لذلك، فلما بلغ الباب سألته: من يكون؟ ومن اي البلاد، فقال: " انا رجل مغربي، فقالت اي المغرب؟ فقال: من البربر، فبكت ... وقالت: قال لي والدي رسول الله (ρ): لكل نبي حواري وحواري ذريتي البربر "[3] .

ومن هذا المنطلق قام المغاربة بمحاولات عدة في سبيل الوصول الى آل البيت النبوي (%), وجلبهم الى بلادهم تبركاً بهم ومحبة لله ورسوله (ρ), لاسيما بعد خلو بلادهم من الاشراف التي هجروها الى جهات نائية هرباً من القتل والتشريد والذل الذي لاقوه على يد موسى بن ابي العافية ومن تولى بعده من دولة بني مغراوة[4] وبني يفرن[5]، مما ارغمهم على ترك البلاد التي سكنوها منذ اربعة قرون[6].

([1]) المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص213 .

([2]) المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص213 .

([3]) المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص213؛ وينظر: حشلاف, سلسلة الاصول, ص26.

([4]) وهم من اكبر بطون قبيلة زناتة البربرية ذوي بأس وغلبة يرجع نسبهم إلى مغراو بن يصلتين بن مسر بن زاكيا بن ورسيك بن ألديرت بن جانا، ويتفرع عنهم بطون عدة؛ ينظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص33 .

([5]) وهم إخوة قبائل بني مغرواة، ولا يقلون عنهم شجاعة وبأس، ويتميز بني يفرن ببطونها الكثيرة، منهم بإفريقية بنو واركوا ومرنجيصة وغيرهم، ولهم ما بين تلمسان تاهرت أمم كثير، وهم من اختط مدينة تلمسان، ولم يكن لهم واخوانهم المغراويون دولة مستقلة في المغرب وفاس، وإنما كانت لهم ولاية تحت حكم الأمويين بالأندلس؛ ينظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص24؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص262 .

([6]) الافراني، محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله، (ت:1156هـ/1743م)، نزهة الحادي باخبار مبوك القرن الحادي، تحقيق: السيد هوداس، مطبعة بردين وشركائه، (د.م، 1888م)،

الا انهم تنفسوا الصعداء ايام الدولة المرينية الذين اكبروا الاشراف ورفعوا من قدرهم وحترموهم، فسعى السلطان عبد الحق المريني[1] (610-614هـ/ 1214-1217م), لرفع الظلم عنهم وزرع الطمئنانية في قلوبهم بعد الخوف الذي عاشوه وذلك للحب الصادق الذي كان يكنه لهم، فقربهم اليه ليتمكنوا من التقدم نحو بلاد المغرب بأمان والاستقرار بها بحرية, فأشرقت الشمس الحسنية من جديد[2]، في سنة (664هـ/1266م) وذلك بقدوم السلالة العلوية التي بوصلها البلاد حلت الخيرات والبركات على المغرب، وبدأت تستقر في سجلماسة واصبحت مقراً للأمام الحسن بن القاسم العلوي (ت:676هـ/1277م) المعروف بـ(الحسن الداخل), وعنه أثمرت فروع الاشرف العلوين في المغرب وكثره جموعهم, وعمرت ربوعهم هناك[3] .

ويعود اصل هذهِ الشجرة الزكية الى ينبوع النخيل في الحجاز وهو مقر الاشراف ومركزهم, وكان سبب قدومهم الى سجلماسة هو خلو هذه البلاد من سكنى الشرفاء من آل البيت النبوي (%), وذلك لان تلك الاصقاع كانت وقتئذ تحت حكم بني مغرواة المتبعين لأثر بني العافية حيال آل البيت (%)[4], ولكن بعد تعرض البلاد الى قحط وجفاف كبير ولاسيما صحراؤه الواسعة التي تمتد الى نهر السينغال, اجمع

ص288؛ الفضلي, الدرر البهية, ج1, ص81؛ المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص209؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص64.

(1) وهو عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد، يكنى بـ (أبو محمد)، زناتي من بربر المغرب ولد سنة (542هـ/1147م)، وهو مؤسس دولة بني مرين في المغرب الأقصى، فكان خير أمير قام بمصالحهم وتعفف عما في أيديهم فحسن امرهم وبقي على ذلك لحين وفاته سنة (614هـ/1214م)؛ ينظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص224-225؛ الناصري، الاستقصا، ج3، ص5-6؛ الزركلي، الاعلام، ج3، ص282 .

(2) الافراني، نزهة الحادي، ص290؛ الفضلي, الدرر البهية, ج1, ص80-81, الادريسي, مصابيح البشرية, ص64.

(3) ينظر: العياشي, الفهرس, ص28-29؛ الفضلي, الدرر البهية, ج1, ص82؛ المشرفي، الحلل البهسة، ج1، ص289؛ حشلاف, سلسلة الاصول, ص127؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص65-66.

(4) ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج2, ص2-3, الفضلي, الدرر البهية, ج1, ص82.

راي اهلها واعيانهم وعلمائهم ان السبب في هذا القحط الذي ضرب البلاد هو خلوها من ذرية آل البيت النبي (%) الذي بهم وبمحبتهم يرفع الله (I) هذا الكابوس وهذهِ المجاعة التي اتت على الأخضر واليابس[1] .

وفضلاً عن ذلك كان فخر اهالي بلدان المغرب الاخرى على اهل سجلماسة بحلول صرحاء الاشراف لديهم على العكس من بلادهم التي تفتقر لهذا الشرف العظيم على الرغم ما تملكهُ من كثرة علمائها الاجلاء, فعمد أعيانهم وكبرائهم وصلحائهم بعد ان تذاكروا بينهم على وجوب حلول ذرية الرسول الكريم (ρ) الى بلادهم التي بحلولهم تحل البركات والخيرات[2]، فقالوا: " ان الذهب يطلب من معادنه والياقوت يجلب مواضعه وان بلاد الحجاز هي مقر الاشراف وصدف جوهر ذلك النسب "[3] .

وبحلول سنة (663هـ/1226م), قرر علماء سجلماسة ان يلتمسوا من رئيس وفد الحجاج المتجه الى بيت الله الحرام العالم الزاهد السيد ابراهيم العمري[4] كان حياً سنة (663هـ/2273م), الذي كانت تربطه صلة وثيقة بشرفاء الينبوع, اذ كان رئيس جماعات الاشراف بالينبوع العالم الشريف السيد قاسم العلوي الحسني والد المولى الحسن القادم، فتقدم اليه عند العودة من الحج رئيس الوفد المغربي ملتمساً منه ان يرسل معهم احد ابنائه تبركاً به وبذريته من بعده في بلادهم, فأستجاب لهم ونزل الى رغبتهم وذلك بعد ان اجرى اختباراً عسيراً لكل واحد من ابنائه وكان له ثمانية اولاد،

([1]) الافراني، نزهة الحادي، ص290؛ المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص211؛ الفضلي, الدرر البهية, ج1و ص81–82, الادريسي, مصابيح البشرية, 65.

([2]) الفضلي, الدرر البهية, ج1و ص82.

([3]) الافراني، نزهة الحادي، ص290؛ وينظر: المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص212؛ الفضلي، الدرر البهية، ج1، ص82 .

([4]) وهو ابراهيم بن عمر بن مراس بن سملال بن علي بن العلاء بن محمد بن عاصم بن ابي محمد صالح بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، عالماً زاهداً من اهل القرن (7هـ/13م)، كان يتولى رئاسة وفد الحجاج الى بيت الله الحرام؛ ينظر: ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ص3؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص65 .

اذ وجه لكل واحد منهم اسئلة على انفراد ليتعرف على مدى قدرتهم في سياسة الناس بالعدل وتقوى الله (Y)[1], فكان يسئل الواحد منهم بعد الاخر قائلاً: " من فعل فيك الخير ما تفعل معه؟ فيقول: افعل معه الخير، ومن فعل معك الشر؟ فيقول له: افعل معه الشر"[2], الى ان بلغ المولى الحسن الداخل فقال له: " ومن فعل معك الشر؟ فقال له: افعل معه الخير، قال: فيرد بالشر؟ فيقول له ادعو له بالخير الى ان يغلب خيري على شره "[3], وما ان سمع اباه ذلك حتى فرح واستبشر خيراً[4], وقال لولده الحسن: " مثلك من يصلح للقيادة ويسوس الناس بأخلاق الرسول (ρ) "[5] .

وما ان دخل البلاد حتى اطمأنت بهِ وتنافس اهلها في مصاهرته راغبين في قربه[6]، ولما توفي رحمه الله سنة (676هـ/1277م) تنافس كلا من اهل بلدته في ان يدفن عنده وكادت ان تشب نار الفتنة بينهم, الى ان اجتمع اهلها واتفقوا ان يدفن في مكان وسط ليتبرك به جميع الناس فقسموا البلاد بالحبال الى اربعة ارباع ودفنوه في موضع يتوسط دميع النواحي الاربعة بحيث لا يكون اقرب لجهة دون الاخرى، حتى

([1]) العلوي، احمد بن عبد العزيز، (ت: 1101هـ/1690م)، الانوار الحسنية، نشر: وزارة الانباء، (المغرب، د.ت)، ص26–29؛ ابن عبدالله الفاسي, الاشراف, ج2, ص3–4؛ المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص212؛ الفضلي, الدرر البهية, ج1و ص82, الادريسي, مصابيح البشرية, ص65–66.

([2]) الافراني، نزهة الحادي، ص291؛ المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص212؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص65.

([3]) الافراني، نزهة الحادي، ص291؛ وينظر: المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص212؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص66.

([4]) الافراني، نزهة الحادي، ص291؛ ابن عبدالله الفاسي, الاشراف, ج2, ص3–4؛ المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص212؛ الفضلي, الدرر البهية, ج1و ص82, الادريسي, مصابيح البشرية, ص65–66.

([5]) الادريسي, مصابيح البشرية, ص66.

([6]) الزياني، البستان الظريف في دولة اولاد مولاي الشريف، تحقيق: رشيد الزاوية، نشر: مطبعة المعرف الجديدة، (الرباط، 1992م)، ق1، ص29؛ الدرر البهية, ج1و ص111–112.

قيل ان مقبرة سجلماسة هي بقيع المغرب وليس لاهل سجلماسة ميزة اعظم من هذه الميزة[1] .

وعنه اثمرت الشجرة الحسنية العلوية في سجلماسة, وكان لها شأن كبير في المستقبل حتى بلغت فروعها ما يزيد على الستين الفاً واسسوا دولة في (ق: 8هـ/ 14م) عرفت بالدولة العلوية[2], ومما قيل من الشعر بحقهم[3] :

الشـرفاء اصـحاب ينبـوع النخيـل — كـم لهـم مـن الغـرب سـيد جليـل
كالسـيد الحسـن وهـو القـادم — شـمس بنـي الزهـراء نجـل القاسـم
نخبـة عتـرة الرسـول الطـاهر — وبضـعة الزهـراء ذي المفـاخر
مـن سجلماسـة قـد تعرفـت — وقبلـهُ قـد خلـت مـن الاشـراف
وقبلـهُ قـد خلـت مـن الاشـراف — صـارت بهـم كـدرت الاصـداف

3. هجرات اخرى

من خلال دراسة تاريخ الاشراف في المغرب وجدنا ان هناك دوافع عديدة للهجرة غير ما سبق اذ وصل الى المغرب خلال القرون (5-6/10-11م)، الاشراف الحسينين الذين كانوا يسكنون صقلية وقد رحلوا اليها من المشرق بعد ان اتعبتهم المضايقات والحروب التي حلت عليهم آنذاك هناك، لخوفهم من استمرار الحكم فيهم وفي عقبهم من بعدهم[4]، فكان لهم بها غاية الشهرة وحتلوا بها اعلى المراتب في التدريس والقضاء والتعليم والخطابة والتوثيق وغيرها[5]، الا انهم رحلوا عنها متجهين

(1) الافراني، نزهة الحادي، ص291؛ المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص213؛ الفضلي, الدرر البهية, ج1و ص111-112.

(2) ينظر: العياشي, الفهرس في عمود نسب الادارسة, ص29؛ ابن عبدالله الفاسي, الاشراف, ج1, ص4-5؛ حشلاف, سلسلة الاصول, ص127؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص68.

(3) ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج2، ص4؛ حشلاف, سلسلة الاصول, ص129؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص67 .

(4) ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج1، ص83؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص296.

(5) الادريسي، مصابيح البشرية، ص293 .

صوب المغرب بعد ان ملكها الروم سنة (490هـ/1097م)[1]، فاستقبلهم اهلها على عادتهم في حب آل البيت فوجدوا عندهم من الترحيب والمكانة الرفيعة التي شجعتهم في الاستقرار هناك[2] .

كما ظهر خلال القرنين (3-4هـ/9-10م) هجرة فردية لاحد الاشراف الحسينين وهو الشريف حسين بن محمد بن موسى بن يحيى بن عيسى بن علي بن محمد بن علي بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى الكاظم، ويرجح علماء النسب قدومه من العراق، فدخل المغرب ونزل فاس وعرف بـ (حسين الفاسي)، واعقب بها فبرز لذريته الشأن الكبير في العلم فكانوا علماء واولياء وصالحين ومتصوفة منهم الفقيه الشريف احمد بن علي بن ابراهيم بن محمد الفاسي (ت:675هـ/1273م)، والشريف العالم المدرس محمد بن عبد الله بن القاسم الفاسي (ت:652هـ/1228م)، والشريف ابراهيم بن محمد بن عمر بن احمد بن ابراهيم الفاسي من اهل القرن (7هـ/13م) وغيرهم كثير، وقد كان لهم نشاطاً واسعاً في جل المجلات من سياسة وعلم فضلا عن دورهم المهم في المجتمع[3] .

وانتقل الشريف محمد بن احمد بن القاسم العلوي الحسني قادماً من ينبوع النخيل سنة (630هـ/1233م) ونزل بإقليم درعة[4]، وكان من اهل العلم والدين ولما ظهر فضله, زوجه اهل درعة منهم فخلف بها اولاداً عدة حيث كان لهم ولعقبهم دوراً كبيراً في الحياة العامة في المغرب فيما بعد لما ظهر فيهم من العلم والمعرفة والحكمة

([1]) ابن عبد الله, احمد بن عبد العزيز, العلميون والاشعاع العلمي والروحي, ص5 .

([2]) ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج1، ص83؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص296.

([3]) شكر، عبد الفتاح فتحي، الاحياء بعد الانساء في اعقاب طبقة الاشراف الاولى بالحجاز الاشراف الموسوين الحسنيين للقصة بقية، دار الكلمة للنشر والتوزيع، (د.م، د.ت)، ج2، ص17-20.

([4]) وهي من مدن المغرب تقع في جهة سجلماسة، وبها وادي كبير ونهر يجري من المشرق إلى المغرب ينبع من جبل درن، واقيم عليه عمارة كبيرة متصلة بعضها بالأخرى، فأصبحت مدينة عامرة آهلة بها جامع وأسواق حافلة كثيرة ومتاجر رائجة؛ ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص235 .

فكان منهم الملوك الزيدانين أو ما يعرفون بالإشراف السعدين[1]، وصفهم الادريسي[2] قائلاً: " وهم علماء اجلة فضلاء, توارثوا العلم اباً عن جد, ولهم مكانة سامية في نفوس المغاربة " .

ووصل الفقيه ابو العباس الجدلي الشريف الى المغرب في القرن (7هـ/13م)، ونزل افريقية مدة من الزمن ثم تنقل ما بين مدنها عاملا على نشر العلم الى ان توفي هناك[3] .

ثالثاً: موقف المغاربة من هجرة آل البيت النبوي (%)

ان موقف اهل المغرب من قدوم ذرية رسول الله (ρ), عليهم كان موقفاً ايجابياً منذ البداية اذ وقفوا الى جانبهم وشدوا من ازرهم فكان ذلك ولاءٍ لهم وثقافة راسخة لديهم باحترامهم وتقديرهم, فنجدهم يتناقلون رواية ورد فيها ان رسول الله (ρ), قد بشر اهل المغرب بحديث قال فيه: « لَا يَزَالُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ ظَاهِرِينَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَة »[4] وذلك اثناء زيارة وفد البرابرة من قبيلة (ركراكة – رجراجة) لرسول الله (ρ) في ايام بعثته الشريفة[5] .

وعلى الرغم من اختلاف اهل الحديث في مدى انطباق هذا الحديث على اهل المغرب الا ان المغاربة كانوا وما زالوا يفتخرون بهذه البشارة التي ميزتهم على غيرهم ويعتبرون انفسهم مقصودين ومخصوصين بها, وقد زاد اتصال المغاربة بالآل البيت

([1]) ينظر: الزياني, جمهرة التيجان, ص97–99؛ ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص86–87–88 .

([2]) مصابيح البشرية, ص86.

([3]) الغبريني، احمد بن احمد بن عبد الله, (ت:714هـ/1314م), عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابقة ببجاية, تحقيق: عادل نويهض, منشورات دار الافاق الجديدة, ط2, (بيروت, 1979م), ص183–184 .

([4]) المروزي، نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث، (ت:228هـ/843م)، الفتن، تحقيق: سمير أمين الزهيري، نشر: مكتبة التوحيد، (القاهرة، د.ت)، ج2، ص601، رقم (1677)؛ مسلم، الصحيح، ج3، ص1525، رقم (177).

([5]) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص19–20؛ الغرناطي, الانوار, ص62؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ص21–22 .

(%) خلال موسم الحج حيث دأبوا على الاتصال بالعلويين والتواصل معهم, لذا كانت هناك قاعدة كبيرة لآل البيت (%) عندهم حتى نجد زعيماً بربرياً مسلماً يدعى اسحاق بن محمد عبد المجيد الاوربي المعتزلي, وهو الذي نزل عنده المولى ادريس بن عبد الله الكامل بعد وصوله الى المغرب سنة (172هـ/ 789م), تنازل له عن ملكه بعد ان تحقق عنده نسبه وكثرة علمه, فجمع اخوته قبائل اوربة وعرفهم بنسب المولى ادريس وذكر لهم فضله وقرابته من رسول الله (ρ), فما كان من المغاربة الا ان استبشروا به وفرحوا لقدومه وبايعوه على الطاعة[1], فقالوا له: " الحمد الله الذي اتانا به وشرفنا بجواره فنحن العبيد وهو سيدنا نموت بين يديه فما تريد منا فقال: تبايعوه حيث هو احق بالإمامة من غيره فقالوا سمعاً وطاعة ما منا من يتخلف ويتوقف على طاعته ومبايعته فبايعوه "[2] .

وكانوا بذلك الوقت من اعظم قبائل البربر واشدهم قوة وبأساً واحدها شوكة, الا ان حبهم لرسول الله (ρ), ومن ينتسب اليه كان اعظم من ذلك, فأجابوه على السمع والطاعة وقاموا بدعوته احسن قيام، وبعد ان تمكن سلطانه جاءته الوفود من جميع البلدان, وقصده الناس من كل جانب وصوب فأستقام ملكه على حب اهل المغرب[3], فكانوا انصاراً له, وهو مصدق لما روته السيدة الزهراء (%) عن سيد البشر (ρ), اذ قالت: " سمعت رسول الله (ρ) يقول ان لي بالمدينة انصاراً ولولدي

([1]) ابن خلدون، العبر، ج4، ص11؛ العصامي، سمط النجوم، ج4، ص181؛ العشماوي, السلسلة الوافية, ص214؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ص20- 21؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص209؛ حشلاف, سلسلة الاصول, ص26؛ الرازي, اخبار فخ, ص56- 57؛ منصور, عبد الوهاب, قبائل المغرب, المطبعة الملكية, (الرباط, 1968م), ج1, ص115.

([2]) حشلاف, سلسلة الاصول, ص26, وينظر: عبد الحميد, سعد زغلول, تاريخ المغرب العربي, دار المعارف, (الاسكندرية, د.ت), ج2و ص430؛ الرازي, اخبار فخ, ص56- 57؛ منصور, قبائل المغرب, ج1, ص115.

([3]) ينظر: الغرناطي, الانور, ص62؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ص21-22؛ العياشي, الفهرس, ص90؛ الودغيري, الدر النثير, ص40؛ منصور, قبائل المغرب، ج1, ص115؛ شبانة, الدويلات الإسلامية، ص25- 26؛ عبد الحميد, تاريخ المغرب العربي, ج2, ص430.

بالمغرب الاقصى انصاراً يا فاطمة سيقتل الحسن والحسين ولا يجد ذريتهما انصاراً الا البرابرة بالمغرب الاقصى فيا شقاوة من قتلهما ويا سعادة من احبهما يا فاطمة قد جعل الله في قلوب البرابرة لذريتي محبة ورحمة وسيكون قوم البرابرة على اليقين والدين الصحيح الى يوم الدين, قلت: ما احلاها من بشارة وما اغلاها سعادة للبرابرة"[1] .

مما سبق نجد ان المغاربة كانوا ينتظرون دعوة علوية حقيقة تحت ألوية آل البيت (%), وقد تحقق ذلك بوصول المولى ادريس بن عبد الله الكامل, الذي نشأ على علوم اسلافه وتربى في مجالسهم وحلقاتهم, فوصل الى المغرب الاقصى معززاً مكرماً وغمره المغاربة بحبهم ومودتهم ونصرتهم, فعندما اراد ادريس الأول تأسيس دولته بالمغرب سنة (172هـ/789م) وقفوا الى جانبه ورفعوا مكانته سياساً واجتماعياً واقتصادياً وهذا ما فسرته الأحداث والصراعات التي كانت قائمة بين الادارسة وغيرهم في الجهات المختلفة[2] .

حيث كان المغاربة اول من تجرأ على بني العباس وخرجوا عن طاعتهم بعد ان وجدوا ضالتهم المنشودة من بني السيدة فاطمة (∃), فقد كان العالم الاسلامي كله متطلعاً الى خلافة بني فاطمة دون ان يستطيع احد ان يحقق شيئاً من ذلك, طيلة قرن كامل فنال المغرب بذلك حظاً اعلى من بين مختلف الاقاليم الاسلامية الاخرى, فعلا صيت بلاد المغرب في العالم الاسلامي داوياً, لاسيما بعد ان يعثر على رجل من آل البيت النبوي الشريف, الذي طالما انتظره المغاربة بشغف وحب فكانت هذه الوفادة الكريمة محطة تاريخية اساسية تجسد بها حب المغاربة لآل البيت (∃), اقتداء

(1) المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص213؛ ينظر: حشلاف, سلسلة الاصول, ص26.

(2) ينظر: الرازي, اخبار فخ, 56-57؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص19-20؛ الغرناطي, الانوار, ص62؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ص21-22؛ العياشي, الفهرس عي عمود نسب الادارسة, ص89؛ الودغيري, الدرر النتير, ص40؛ حشلاف, سلسلة الاصول, ص26؛ منصور, قبائل المغرب, ج1, ص115-116.

منهم بالنصوص القرآنية الكريمة والسنة النبوية الشريفة, فأعلنوا انفصالهم عن عاصمة الخلافة العباسية بغداد(1) .

وبهذا الحب الوافر والمكانة المتميزة لآل البيت (∃) عند المغاربة تمكنوا من ان يقفوا امام كل الفتن والمكائد التي حيكت ضدهم, فقد استمرت روح لانتماء والولاء لآل البيت النبوي الشريف, حتى بعد القضاء على دولة الأدارسة سنة (375هـ/986م)، على صورة فكر راسخ في عقول اهل المغرب دائماً مما جعلهم يعملون بشتى الطرق والوسائل في سبيل احضار هذا النسب الشريف من جديد الى بلادهم خلال القرن (7هـ/13م), تبركاً بهم وحباً وايماناً بجدهم المصطفى (ρ), فتجهوا صوب ينبوع النخيل في الحجاز, فقدم معهم منها السيد الحسن الداخل جد الاشراف العلويين في المغرب .

(1) اللهيوي، حصن السلام، ص253- 254؛ منصور, قبائل المغرب, ج1, ص115؛ عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي, ج2, ص430؛ زبيب, الموسوعة العامة, ج2, ص126؛ الساعدي، الحسنيون في التاريخ، ج1, ق1, ص171.

الفصل الثاني

دور آل البيت العلوي في الحياة السياسية والادارية والعسكرية

للآل البيت العلوي اثر ومكانة متميزة في جميع المجتمعات, فلم يعرف التاريخ اسرة كأسرة رسول الله (ρ), ضل عنها حقها فطلبته بصبر وثبات تناضل الظالمين, حاملة اعباء رسالة النبي (ρ) منذ مطلع البعثة النبوية على عاتقها حيث بذلوا في سبيل ذلك كل غالٍ لديهم من نفس ونفيس ولم يظّنوا بشيء, ساخرين من جيوش اعدائهم مبتسمين للموت بالحق، فاستشهدوا راضية نفوسهم مطمئنة ضمائرهم صابرين صبرا جميلا[1]، قال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾ [2] " أخبر الله المؤمنين أن الدنيا دار بلاء وأنه مبتليهم فيها وأمرهم بالصبر وبشرهم فقال: وبشر الصابرين، ثم أخبرهم أنه فعل هكذا بأنبيائه وصفوته، لتطيب أنفسهم "[3] .

فجاء وعد الله لهم بعد صبرهم على ما اصابهم من بلاء في المشرق ان برزت مكانتهم في بلاد المغرب، فكان لهم دوراً متميزا في مختلف الجوانب منذ دخولهم البلاد، ولاسيما في المغرب الاقصى فكان لهم اثر واضح في المنطقة اذ تمكن الامام ادريس بن عبد الله الكامل الحسني، من تأسيس اول دولة علوية في المغرب تلك الدولة التي شكلت نقطة تحول كبيرة في التاريخ السياسي للعلويين بعيداً عن متناول ايدي الخلافة العباسية في بغداد .

([1]) ينظر: نصر الله، دولة الادارسة، ص5.

([2]) سورة البقرة، اية (155) .

([3]) الطبري، جامع البيان، ج3، ص219؛ وينظر: الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب، (ت:450هـ/1058م)، التفسير= النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)، ج1، ص209؛ النيسابوري، علي بن أحمد بن محمد، (ت:468هـ/1076م)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1994م)، د1، ص235.

ولكون موضوع دراستنا متخصص بـ (آل البيت العلوي في المغرب ودورهم في الحياة العامة حتى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي)، حرصت ان لا اتطرق الى ما يخص تأسيس الدولة الادريسية وما واجهته من صعاب وحروب كونها قد درست سابقاً بمختلف جوانبها، لذا سوف تكون دراستنا قائمة على أثر رجال آل البيت العلوي في الحياة العامة في المغرب منذ دخولهم حتى القرن (7هـ/13م)، ولاسيما بعد ان تزايدت اعدادهم وتوسعت فروعهم فاصبحوا شريحة مهمة في المجتمع وتعزز دورهم في مجالات عدة بمرور الزمن فكان منهم القادة والجنود والامراء والوزراء والقضاة والكتاب وغيرها من المناصب السياسية والادارية والعسكرية المهمة, فضلاً عن المكانة المتميزة التي حظوا بها عند الحكام ورجال السلطة غير ان تلك العلاقات كان يشوبها بين الحين والاخر بعض المضايقات التي دفعتهم للهجرة من بلد الى اخر او قد تنهي حياتهم في احيان اخرى .

المبحث الأول

دور آل البيت العلوي في الجانب السياسي

اولاً: علاقتهم بالسلطة

ان لكل من ينتسب الى آل البيت العلوي مكانة خاصة عند السلطات في المغرب وذلك بفضل انتسابهم للنبي (ρ), فضلاً عن مالهم من أثر فعال في المجتمع, حيث كانت تربطهم بالناس علاقات وثيقة كان لها الأثر الكبير في أتخاذ مواقف حازمة اتجاه السلطة اذا ما اقتضى الامر لذلك, لاسيما وان جلهم لم يكونوا يخافون في الحق لومة لائم, لذا فأننا نلمس من خلال بعض المواقف والعبارات الواردة بحقهم ما يشير الى مكانتهم المميزة عندهم .

1. مكانتهم عند السلطان ورجال دولته

حظى آل البيت العلوي بمكانة متميزة منذ الفترة الأولى لدخولهم المغرب, ونلحظ ذلك من خلال ما كانوا يتمتعون بهِ من حظوة عالية ومحفوظة لدى الجميع, اذ كثيراً ما نقرأ في تراجمهم عبارات مثل: هو" من أهل الفضل والوجاهة والنزاهة"[1], وقولهم: " ذا مكانة عند الخاصة والعامة "[2], " محترماً عند ملوك عصره مقدماً لديهم, مسموع الكلمة "[3], " عظيم الحظوة عند الملوك "[4]، وغيرها من العبارات الدالة على عظمة مكانتهم عند رجال الدولة .

([1]) التنبتكي, احمد بابا, (ت:903هـ/1036م), كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج, تحقيق: محمد مطيع, نشر: وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية, (المغرب, 2000م), ج1, ص302؛ التنبتكي, نيل الابتهاج بتطريز الديباج, تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة, منشورات كلية الدعوة الاسلامية, (طرابلس, د.ت), ج1, ص258 .

([2]) العمراني, الجواهر الباهرة، ص136 .

([3]) تأليف الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر, معلمة المغرب قاموس مرتب على حروف الهجاء محيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الاقصى, نشر: مطابع سلا, (الرباط: 1989هـ), ج16, ص5551.

([4]) الكتاني, جعفر بن ادريس, (ت: 1323هـ/1906م), الشرب المحتضر والسر المنتظر من معين اهل القرن الثالث عشر, تحقيق: محمد حمزة بن علي الكتاني, دار الكتب العلمية, (بيروت: د. ت), ص127.

وقد ترجم هذا الاحترام والتقدير من قبل الحكام ورجال دولتهم بصور واشكال مختلفة فقد كانوا حريصون على سماع آرائهم وفتاويهم وما يرون فيه الصلاح ويدأبون في عمل كل ما يرشدونهم اليه فقد كان العالم الشريف علي بن بوحرمة بن عيسى بن سلام العلمي الحسني (ت: ق: 4هـ/ 9م), مكرماً عند ملوك عصرهِ مسموع الكلمةِ من قبلهم ومما قيل فيه: كان " من صلحاء المغرب ووجهائه, ومن اعيان اشرافه, ... محترماً عند ملوك عصره, مقدماً لديهم, مسموع الكلمة "[1] .

ونظير ذلك كان الفقيه الشريف محمد بن عيسى بن سلام بن احمد العروسي الحسني (ت: ق: 5هـ/10م), مقرباً من الامير يوسف بن تاشفين[2] (440- 500هـ/ 1087- 1106م), لطيف المنزلة عنده عالي المكانة, يصف العمراني[3] تلك العلاقة السامية التي كانت تربط الشريف بالأمير بقوله: " فكان يوسف بن تاشفين يتيمن بهِ ويتبرك بهِ ", ولم يكن ذلك الا مظهراً من مظاهر التقدير والاحترام لرجال آل البيت العلوي لدى الحكام, حتى اننا نجد الشعراء يصفون تلك العلاقة الجليلة بأشعارهم, ومن ذلك ما ذكره صاحب درة المفاخر[4] اذ يقول:

وحرمة المشهور عند الناس ... وقبره عند بني ومراس
اخوه عيسى الطيب العروسي ... معظم لدى بني عروس

([1]) العمراني, الجواهر الباهرة, ص136.

([2]) وهو يوسف بن تاشفين بن إبراهيم الصنهاجي اللمتوني الحميري، يكنى (أبو يعقوب)، ولد في صحراء المغرب سنة (410هـ/1019م)، سلطان المرابطين بالمغرب الأقصى، بنى مدينة مراكش سنة (465هـ/1073م)، وأول من دعي بأمير المسلمين أمير المسلمين بعد وقعة الزلاقة المشهورة سنة (480هـ/ 1087م)، ضد النصارى في الاندلس؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج7، ص112-114؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، ط3، (بيروت، 1985م)، ج19، ص252.

([3]) الجواهر الباهرة, ص136 .

([4]) الدلائي, درة التيجان، ورقة 10؛ وينظر: العمراني, الجواهر الباهرة, ص136.

وعلى نهج الوالد سار الولد فقد كان الامير علي بن يوسف بن تاشفين شديد الاعتزاز والحب والاحترام للأشراف ويسعى دائماً الى ان يستضيء بنورهم فكتب ظهير احترام وتوقير مؤرخ سنة (527هـ/1133م) ارسله الى الشريف ابي عبد الله محمد امغار الحسني، يلتمس منه الدعاء ويعرفه بأن له فيه حسن الظن والاحترام يقول فيه: " من امير المؤمنين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين الى ابي عبد الله محمد بن الشيخ الشريف آمغار وليه في الله اكرمه الله بتقواه .

بسم الله الرحمن الرحيم، ابقاكم الله وايانا بتقواه ويسرك للعمل بما يوافق رضاه، من حضرة مراكش حرسها الله عقب ربيع الاخر سنة سبع وعشرين وخمسمائة وقد علمنا ما انت عليه من الخير والدين والجري في احواله على نهج الصلاح المستبين، فأعتقدناك في الاولياء ورتبناك في اهل الذكاء، وخاطبناك داعين لك الى اختصاصنا بخالص الدعاء، فأسم لنا في ذلك حظاً من ابتهالك في الاوقات المرجوة، واعتمد في رسم المواظبة والصفاء، والله سبحانه يجعلنا ممن الهم ما يرضاه واشتمل فيما يوجب زلفاه ورحمة بقدرته لا اله سواه، وتبلغ سلاماً جزيلاً كثيراً لأهل حزبك واهل بيتك الشرفاء الفضلاء ورحمة الله وبركاته "[1] .

ان هذا الظهير يوضح لنا المكانة العالية والحظوة الكبيرة، التي كان يتمتع بها آل بيت النبي (%) لدى سلاطين المغرب، ولم يكن ذلك اول ظهير يصل الى الاشراف الامغاريون فقد سبقه الأمير أبي الكمال تميم بن زيري اليفرني بأرسال كتاب سنة (424هـ/1033م) إلى الشريف أبي جعفر إسحاق بن إسماعيل الامغاري الحسني في طرف صنهاجة، يظهر لقارئه مدى الاحترام وتقدير الكبيرين التي كان يحظى بها الاشراف في المغرب ايام حكم دولته، ولم يكن ذلك الظهير الا رغبة في التيمن بانتسابهم إلى النبي الأكرم (ρ) والتماس البركة من أفاضلهم، ونصه بعد سطر الافتتاح: " من عبد الله المتوكل عليه المفوض أمره إليه الأمير بن الأمير أيده

([1]) ابن عبد العظيم الازموري، (ت: في حدود 800هـ/1397م)، بهجة الناظرين وأنس الحاضرين ووسيلة العالمين في مناقب رجال أمغار الصالحين، مخطوط محفوظ بالخزانة الوطنية، الرباط، تحت رقم (1343 د)، الورقة 12؛ ينظر: نص الظهير في الملاحق قسم الظهائر السلطانية .

الله بنصره، وعامله بتأييده، إلى الشيخ الولي أبي جعفر إسحاق ابن الشيخ الولي ذي المـآثر الشـريفة، والمراتـب الدينيـة المنيـرة، المشـرفة بالسـعادة الدنيويـة والأخرويـة، ومغارس الكرامـة العظمـى، والسجايا العلويـة الجسمانية، المذهب للظلم بإعراب عن سلفه المنتمي بالبنوة إلى مراتب النبوءة، قطب المدار، اسماعيل امغار، المتبرك بـه نفعنا الله بـه، السلام عليكم ورحمـة الله وبركاتـه وبعد حمدا لله العظيم والصـلاة علـى نبيـه المصـطفى الكريم وعلـى آلـه نعم الال والرضـى عن مصـابيح الإسـلام أصـحابه البررة أهل الدين المستقيم، وعلـى الأئمـة الخلفاء الراشدين موصـلين الحق إلـى أهلـه إلـى غايـة التبيين والتعظيم، فـاني كتبت إليكم معلمـا بمـا فـي جأشكم مـن الاعتقـاد وخلـوص المحبـة وجميـل الـوداد، وبـأني أرى راغبـا بـأن أستظل فـي ظـل عنـايتكم، وأحظـى ببركـاتكم موفيـا بعهـد الله فـي مرضـاتكم، طالبـا مـن الله الثبـات علـى سـبيل طريقتكم، خائفا منـه الطرد والحرمـان عن بـابكم، وأنـي بحـول الله ولا حـول ولا قـوة إلا بـالله العلـي العظـيم رأيـت أن أفضـل مـا يقربنـي إليـه خلـوص محبـتكم وتـوفيركم علـى الدوام والاستمرار وقطبانيتكم الظـاهرة ربطـت رعيكم المأمول، واستظهرت جانب البر والقبـول، والخيـر المسـتمر الـدوام الموصـول، ... والسـلام الكـريم علـيكم ورحمـة الله وبركاته"[1] .

وعلى نحو ذلك الاحترام الوافر والتقدير الكبير حظـي الشريف محمد بن محمد الادريســـي (ت:560/1165م) بمكانـــة عاليـــة لـــدى ملـــك صـــقلية روجـــر[2]

([1]) ابن عبد العظيم الازموري، (ت:في حدود 800هـ/1397م)، تنقيح الاخيار، مخطوط محفوظ بالخزانة الوطنية، الرباط، تحت رقم (1343 د)، ورقة (16) .

([2]) وهـو روجـر او روجـار الثـاني الابـن الثـاني لروجـر الاول كونـت صـقلية، الـذي اسـتبعد مـن المشـاركة فـي الحـروب الصـليبية، الا انـه تمكـن مـن ان يحصـل علـى ملكلصـقلية بعـد وفـاة اخيـه سيمون، ويقي على ملكها لحين وفاته: ينظر:

Matthew, Donald, Modern Study of the Norman Kingdom of Sicily, University of Reading, London, 2000, p. 34; Houben, Hubert , oger II of Sicily A Ruler Between East and West, Cambridge University Press, 2002; Gregory ,Timothy, A history of Byzantium, published by Blackwell Publishing Ltd, 2005, P.268-269.

(1130/1154م)، لما عرف به من العلم الواسع في جل العلوم فسعى الملك لاستقدامه الى بلاده سنة (533هـ/1138م) والاستفادة من خبراته، فكان مقرباً من بلاطه مبالغاً في تعظيمه، اذ يأتي اليه راكباً فإذا صار عنده يتنحى له عن مجلسه فيجلسان معاً، وقدم له تشريفات لا تكون الا للملوك، وبمثل تلك الحال كان في عهد ابنه غليوم[1] (1154-1166م)[2] .

كما كان الشريف محمد بن عيسى المومناني (ت:639هـ/1241م) فقيهاً عالماً مستبحراً مفتياً كثير الفهم والحفظ[3] نزيه النفس حسن الخلق والهيئة، صاحب علائق نفيسة[4]، فحضي عند ملوك عصره بمكانة عالية معظماً لديهم وقد اختصه الامير الرشيد عبد الواحد الموحدي[5] (630-640هـ/1232-1242م) بعد انتقال

([1]) وهو غليوم او وليام الاول ابن الملك روجر الثاني، تولى حكم صقلية بعد وفاة ابيه، كما اصبح حاكماً لجنوب ايطاليا عام 1158م، باعتراف مانويل الاول حاكم بيزنطة (1143-1180م)؛ ينظر:

Rosser, H. John, Historical Dictionary of Byzantium, New Jersey: Scarecrow press, 2001, p.158,415; Breckenridge, James, The two Sicilies in Islam and the Medieval West, Editor: Stanley, Feber, ALoan Exhibition at the University Art Gallery, State University of New York, 1975, P. 55 .

([2]) ينظر: الشريف الادريسي, نزهة المشتاق، ج1, مقدمة المحقق ص1؛ كنون, ذكريات مشاهير رجال المغرب، ج1, ص115 .

([3]) التنبتكي, نيل الابتهاج, ج1, ص379؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج1, ص215؛ السملالي، العباس بن ابراهيم، (ت:1378هـ/1959م)، الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام، تحقيق، عبد الوهاب بن المنصور، المطبعة الملكية، ط2، (الرباط، 1993م), ج4, ص229 .

([4]) الغرناطي، صلة الصلة, تحقيق: ابو العلا العدوي، نشر: مكتبة، الثقافة الدينية، (دمشق، د.ت)، مج3، ص13 .

([5]) وهو الامير عبد الواحد بن إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، ويكنى بـ (ابو محمد)، والملقب بـ (الرشيد) ولي امر المغرب بعد أبيه سنة (630هـ/1232م) إلى أن توفي غريقا في صهريج بستان له بمدينة مراكش؛ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج19، ص166؛ الذهبي, العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت), ج3، ص238 .

الشريف الى مراكش بحظوة عظيمة وقدمه لمنصب القضاء[1] .

ومثله كان الشريف محمد بن عبد الله الصقلي الحسيني (ت:609هـ/1212م) عالماً عادلاً ورعاً فاضلاً، تمتع بمنزلة عظيمة لدى السلطان يعقوب المنصور الموحدي منذ ان اتصل به سنة (587هـ/1191م) اذ كان السلطان يجله ويحترمه كثيراً ويتودد اليه لعلمه وفضله، روي ان صلاته للشريف قد بلغت تسعة عشر الفاً دون الخلع والمراكب والاقطاع، كما سعى الى ان يوليه منصب القضاء لما عرف عنه من العلم والعدل بين الناس[2] .

ومن صور اهتمام الحكام والولاة بعلماء آل البيت العلوي هو سعيهم لاستقبالهم في مجالسهم, ومثل ذلك ما حدث مع الشيخ الفقيه المحدث ابو العباس الشريف الحسني (ت: ق: 7هـ/13م), وهو من اهل اصبهان[3] وقد دخل المغرب في خلافة المستنصر بالله[4]، الذي ما ان سمع بوصوله الى افريقية حتى بادر على

([1]) ينظر: ابن عسكر, محمد بن علي بن خضر بن هارون، (ت:636هـ/1239م) وأبو بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس (كان حياً سنة 638هـ/1241م)، اعلام مالقة, تحقيق: عبد الله المرابط الترغي، دار الغرب الاسلامي، (بيروت، 1999م)، ص192- 193؛ الغرناطي، صلة الصلة، مج3، ص13؛ التنبتكي, نيل الابتهاج, ج1, ص379؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج1, ص215؛ السملالي, اعلام بمن حل مراكش, ج4, ص229 .

([2]) ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص48، السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص64 .

([3]) وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها في بلاد فارس تقع في الطرف الجنوبي الشرقي من إقليم الجبال وهي أهم مدن الإقليم، ينسب إليها عدد كبير من العلماء منهم أبو الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني، وأبو القاسم الحسن المشهور بالراغب الأصفهاني وغيرهم؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص206-209 .

([4]) لم يذكر المؤرخ من هو الخليفة المستنصر بالله, لكن بالعودة الى كتب التاريخ ومقارنتها مع الرواية التي جرت احداثها في افريقية خلال القرن (7هـ/ 13م)، بناءٍ على وفاة الفقيه المعني بالحدث نجد ان هذا الخليفة كان ببلاد افريقية اي في المغرب الادنى, التي كان يحكمها بني حفص في القرن السابع الهجري وبالتالي نصل الى ان المستنصر المقصود هنا, هو ابو عبد الله محمد المستنصر الاول الذي بويع لهُ سنة (647هـ/ 1249م), وتوفي سنة (675هـ/ 1277م), او ابو حفص عمر المستنصر الثاني الذي بويع لهُ سنة (683هـ/ 1284م), وتوفي سنة (694هـ/ 1295م) .

الفور بأرسال الرسل اليه واستضافته وتقديم كل سبل التقدير والاحترام له، واحضر بين يديه بعض الطلبة ترحيباً بقدومه فهو من علماء الجدل[1] المشهورين فسأله عن البلاد التي دخلها وعن الغرائب التي اطلع عليها, فذكر له ما حضره في تلك البلدان[2] .

ومن مظاهر التقدير والاحترام ايضاً نجد ان البعض من السلاطين قد عمل على وضع مرتبات مالية سنوية وشهرية لهم ولأبنائهم من بعدهم يتوارثونها جيل بعد جيل, ومثل ذلك ما حدث للشريف الجوطي عبد الواحد بن عبد الرحمن الحسني (ت: ق: 7هـ/13م), الذي قدم الى مكناس[3] في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني[4] (656- 685هـ/1286-1285م)، فوجد التقدير الازم لمكانته العلمية ولنسبه الشريف فقد كان مقرباً لدى السلطان يتبرك به ورتب له جرايات شهرية وسنوية توارثها ابناءه من بعده[5] .

([1]) وهو من فروع علم النظر ومبني لعلم الخلاف ليستبين الصواب بهدف النصح واظهار الحق اذ ينتقل العلماء من دليل إلى دليل لاظهار الحق واذا خفي على احدهم شيء ينبهه الاخر لأن المقصود كان اظهار الحق؛ ينظر: ابن الجوزي، تلبيس ابليس, دار الفكر,(بيروت، 2000م), ص108؛ السدحان, عبد العزيز بن محمد, معالم في طريق طلب العلم, ط3, دار العاصمة, (بيروت،1420هـ), ص239-240؛ للتفصيل اكثر ينظر الفصل الثالث من الاطروحة .

([2]) الغبريني، عنوان الدراية، ص183.

([3]) وهي مدينة عظيمة في المغرب بينها وبين فاس أربعون ميلاً في جهة المغرب، وهي أربع مدن وقرى كثيرة متصلة بالمدن والحصون؛ ينظر: الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، (ت: 900هـ/ 1495م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، نشر: مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، (بيروت، 1980م)، ص544 .

([4]) وهو يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة يكنى بـ (أبو يوسف)، والملقب بـ (المنصور بالله) وكان اول من عبر البحر للجهاد في الاندلس من بني مرين؛ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج28، ص63؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1424 هـ)، ج1، ص330 .

([5]) ابو عبد الله الفاسي، الاشراف, ج1, ص152, الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج11, ص43.

اذ كان يسعى لان يتقرب اليهم ويكسب ودهم بمختلف السبل ومن ذلك مخاطبته للأشراف الامغاريون الحسنيون ليختاروا من بينهم ثلاثة رجال ليتولوا مهمة حمل الربعة المباركة وكسوة بيت الله الحرام الى الحجاز، وقد اشار في رسالته الى مكانتهم العالية ونسبهم الشريف واصفاً اياهم بأجل الاوصاف قائلاً فيها ما نصه بعد البسملة: " من عبد الله يوسف امير المؤمنين بن امير يوسف ابن عبد الحق ايده الله بنصره وامده بمعونته الى الاشياخ الاجلاء الاولياء البررة الاتقياء الاصفياء العلماء العاملين الخاشعين القانيين السالكين الناسكين المخلصين لرب العالمين الذين اتقرب انا واسلافي الى الله تعالى بودهم وود اسلافهم آل الرسول عليه الصلاة والسلام خير آل، اتوسل ببركتهم الى الله تعالى مما ارتقيه منه سبحانه مدة عسري في الحال والمال الى الشيخ الفقيه الشريف النسب العلوي الحسني الصالح قطب زمانه ابي البدلاء ابي عبد الله امغار ادام الله كرامتكم ومبرتكم سلام الله عليك ورحمة الله تعالى وبركاته اردنا منكم ومن كمال فضلكم ان تعينوا انتم اجل اهل الفضل ثلاثة رجال من بيوتكم الشريفة يتوجهون الى بلاد الحجاز شرفها الله تقدمون على ارسالنا مع صلحاء المغرب، يحملون الربعة السعيدة المباركة، وكسوة البيت الكريم ونحن تميزناكم من هنالكم لذلك، لعلمنا علم اليقين انكم من اهل البيت الذرية الشريفة آل محمد عليه الصلاة والسلام، مع ما انتم عليه من الدين المتميز والصلاح المستبين حرصاً منا على اقتناء بركتكم، وصالح دعواتكم لينجينا الله ببركاتكم ويعيننا على ما قلدنا من القيام بحقه والالتزام ارعي ما استرعانا وهو سبحانه ينفعنا بصالح دعواتكم بمنة من بركاتكم "[1] .

ولم يكن ذلك التمجيد لآل البيت العلوي من قبل السلطان يعقوب دون غيره من بني مرين اذ يقول العلامة الفضلي[2]: " لما طلع كوكب الدولة المرينية العبد الحقية من افق زاب افريقية اشرقت بالقطر المغربي ايضا شمس الحسنية وعاد نورها الى

([1]) ابن عبد العظيم الأزموري، مخطوط بهجة الناظرين، ورقم رقم (14) .

([2]) الدرر البهية، ج1، ص 81، وينظر، الزياني، تحفة الحادي، ص 10-11؛ المشرفي، الحلل البهسة، ج1، ص289؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج11, ص3198- 3199.

اصله واسند الامر الى اهله ... فتتبعوا مشاربه وشعابه تتبعا شافيا[1]، فألفوا بعضه كدرا وبعضه صافيا ولم يوالوا في تتبع فروعه واصوله جهدا، الى ان نشلوهم من ربقة العموم وعدوهم عدا واثبتوهم في دواوين العطاء"، وعلى نحوه يقول الناصري[2] في ذلك " كان بنو مرين أيام ولايتهم على المغرب يعظمون ... الأشراف ... ويوجبون حقهم ويتقربون إلى الله تعالى برفع منزلتهم وجبر خواطرهم لما فاتهم من رتبة الخلافة التي كانت تكون لهم بطريق الاستحقاق الشرعي فكان بنو مرين لما جبلوا عليه من الجنوح إلى مراسم الدين وانتحالها يرون في أنفسهم كأنهم متغلبون مع وجود هؤلاء الأشراف فلذا كانوا يخضعون لهم ويتأدبون معهم ما أمكن " .

ولم ينته هذا الاهتمام من قبل السلطات بموت احدهم, بل نجد انهم يهتمون لإمرهم حتى بعد وفاتهم وذلك من خلال الاعتناء بأضرحة قبورهم كاهتمامهم بضريح السيد احمد مزوار[3] بن علي بن محمد الحسني (ت:350هـ/961م), وهو جد الشرفاء العلميين والوزانيين حيث " ظلت دول المغرب المتعاقبة ترعى حرمة هذا الحرم الأمن "[4] .

كما سعوا للاتصال بهم تبركاً بنسبهم الشريف وعلمهم المنيف، مما جعلهم يتسابقون على جذبهم الى مدنهم وهذا ما حصل مع الشريف عبد الواحد الحسيني الذي رافقه السلطان يعقوب المريني, الى مكناس في اطار البحث عن سند ديني قوي واكتساب مشروعية لحكمهم لما لهم من مكانة مرموقة عند الخاصة والعامة, هذا فضلاً عن التبرك بهِ وبنسبهُ الشريف, اذ سعى ان يكونوا معه في كل مدينة يحل بها

([1]) وذلك لتشتت شملهم بين البلدان على اثر المحنة التي انزلها بهم ابن ابو العافية ابن القاضي؛ ينظر محنة ال البيت العلوي ضمن هذا المبحث .

([2]) الاستقصا في اخبار دول الاقصى، ج4، ص115.

([3]) وهي كلمة باللغة البربرية تطلق على رئيس القوم ونقيبهم؛ ينظر: الكتاني، سلوة الانفس، ج1، ص95 .

([4]) الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج1, ص277.

فما ان دخل فاس سنة (668هـ/1259م), حتى ادخل الشرفاء الطالبيون الجوطيون اليها[1] .

ولم يكن هذا الاهتمام والتقدير مقتصراً على الشخصيات البارزة دون غيرهم بل اشتمل على كل من انتمى لآل البيت العلوي, ومن ذلك ما روي عن الاشراف الصقليون من بني الامام الحسين (υ) بأنهم نالوا حظوة وعناية بني حكام دولة الموحدين[2] (524-674هـ/1129-1275م) الى نهاية دولتهم[3], فولوهم مناصب مهمة في الدولة واستمر تعظيمهم وتكريمهم من قبل الدول التي توالت على حكم المغرب[4] .

([1]) ينظر: الزياني، تحفة الحادي، ص66؛ ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص151-152؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج11, .

([2]) نشأت دولة الموحدين على يد محمد بن تومرت الملقب بالمهدي وقد بدأ الدعوة اليها سنة (514هـ/1120م) وأطلق عليهم الموحدين لأنهم يدعون الى توحيد الله توحيداً مطلقاً، وكانت البداية الأولى لهم بإعلان ابن تومرت الحرب على المرابطين، وقد استطاع في ثلاث سنوات من سنة (516هـ /1122م) الى سنة (518هـ/1124م) ان يبسط سلطانه على عدة مناطق واثبت وجود دولة الموحدين الى أن توفي سنة (524هـ/1129م)، وأكمل من بعده خليفته عبد المؤمن بن علي بن مخلوق بن يعلي بن مروان ابو محمد من قبيلة (كوميه) من قبائل البربر, الذي ينحدر من صلبه الامراء الموحدين وبويع له اميراً سنة (524هـ/1130م) أن يستحوذ على كامل المنطقة ويكمل ما بدأه ابن تومرت ويبسط نفوذه في كامل المغرب والمدن الأفريقية بعد غزوة طويلة بدأت سنة (534هـ/1139م) وانتهت بالفتح والاستيلاء سنة (541هـ/1146م)، فدخول مراكش سنة (541هـ/1147م), وجاءتهُ بعد ذلك بيعة اهل الاندلس, وقد عرف بشجاعتهُ وحزمهُ, توفي سنة (580هـ/1184م)؛ ينظر: الصفدي, الوافي بالوفيات, ج19, ص155- 156؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص306،301-307؛ عنان، محمد عبد الله، دولة الاسلام في الاندلس- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، مكتبة الخانجي،(القاهرة،1411هـ)، ق1، ص178-198.

([3]) ينظر: ابن الاحمر, إسماعيل فرج بن إسماعيل بن يوسف، (ت: 807هـ/1405م)، بيوتات فاس الكبرى, دار المنصور للطباعة والنشر، (الرباط، 1972م)، ص16؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج17, ص5700 .

([4]) ينظر: التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، 379؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص215؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب، ج16, ص5551 .

وكذلك كان نصيب الشرفاء الكتانيون الحسنيون من التعظيم والاهتمام عند الموحدين، فهم من البيوتات العلمية ذوي النسبة الصحيحة الذين درجوا على التقوى والزهد وتوارثوا ذلك خلفا عن سلف، جلهم من العلماء والفقهاء الذين تولوا مراكز هامة في الدولة (1) .

ونظير ذلك كان الشرفاء الدرقاويون الحسنيون فقد روي عن السلطان يعقوب بن المنصور الموحدي انه كان محباً لعلمائهم متبركاً بهم(2) .

وهذا ما جاء بحق الجوطيون من بني الامام الحسن (υ) اذ يذكر المؤرخون ان من اسباب انتقالهم الى مكناس وفاس هو بفضل الدعم الذي لقيه الشرفاء من قبل ملوك الدولة المرينية(3) .

كما اهتموا ببيت الشرفاء الكتانيين يقول في ذلك ابو عبد الله الفاسي(4): " وكان لهم الصيت الشهير بصراحة النسب وعلو المكانة وعظيم الحظوة عند ملوك بني مرين "، وقد حظي العلامة علي بن موسى الكتاني (ت: 689هـ/1290م)، عناية خاصة لدى سلاطين بني مرين، يقول صاحب كتاب الشرب المختصر (5) في ذلك: " وكان للسلاطين مزيد اعتناء به " .

ومن صور علامات تقدير المرنيين للأشراف احتفالهم بليلة المولد النبوي الشريف، هذه الليلة التي تشرفت على غيرها بولادة خير الخلق (ρ) حيث ارتبطت

---

(1) الادريسي، مصابيح البشرية، ص108 .

(2) ينظر: الكوهن, الحسن بن محمد بن قاسم, (ت: 1347هـ/1927م), طبقات الشاذلية الكبرى المسمى جامع الكرامات العلية في طبقات السادة الشاذلية, تحقيق: مرسي محمد علي, دار الكتب العلمية, (بيروت: 2005م), ص187؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص125؛ الحسني، المنتقى، ص320 .

(3) ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص152؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب, ج11, ص3198.

(4) نظم الدر، ص68؛ وينظر: الكتاني، الشرب المختصر، ص127؛ الكتاني، النبذة اليسيرة النافعة التي هي لجملة من استار مزايا الشعبة الكتانية رافعة، تحقيق: محمد الفاتح الكتاني ومحمد عصام عرار، (دمشق، د.ت)، ص173.

(5) الكتاني، ص127؛ وينظر: الكتاني، النبذة اليسيرة النافعة ، ص173 .

بولادته السعادات الأخروية على الاطلاق وتميز به الحق عن الباطل فبقت بذلك افضليتها ابد الدهر[1]، فاصبح في ايام السلطان ابو يعقوب عيداً رسيماً يحتفل به سائر البلاد[2]، وكان قبل ذلك تحمل صفة اجتماعية لا يحتفل به الا داخل القصور[3]، وادت هذه التجربة الى تقوية علاقة بني مرين بالأشراف، يقول الزياني[4] في ذلك: " ولعل سياسة المرنيين ازاء الاشراف قد برزت علاماتها بصفة جلية ... حيث اصبح الاحتفال بعيد المولد النبوي رسميا في سائر البلاد "، وقد نعكست تلك السياسة بالإيجاب على المرينيين فأشاد العلماء عليهم واكدوا على اهمية احياء ذلك فأن انصرف المجتمع الى الاحتفال بمولد النبي (ρ) سنة حميدة ليقلع الناس عن الانتهاكات التي كانت سائدة آنذاك في تعاليم الاسلام وقواعده، كتقليدهم للمسيحين ومشاركتهم في احتفالاتهم فكثيراً ما يسألون عن ميلاد السيد المسيح ويحيى بن زكريا (%)، وينتظرون انتهاء الايام اليه، وبالمقابل يجهلون يوم ميلاد نبيهم (ρ) فمن العجب الاقبال على ما لا ينبغي وترك ما وجب[5] .

لم يترك المرنيين سبيلاً للتقرب من الاشراف الا وطرقوه، ومن هذه السبل المصاهرة، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا**﴾[6]، اذ تعد مصاهرة الاشراف حلاً ناجحاً لإضفاء الشرعية للحكم في

([1]) ابو مرزوق التلمساني، محمد بن احمد، (ت:781هـ/1379م)، جنى الجنتين في خير الليلتين، مخطوط محفوظ في الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم (1228)، ورقة 6، 103 .

([2]) الزياني، تحفة الحادي المطرب، ص11؛ القبلي، محمد، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، د.مط، (الدار البيضاء، 1987م)، ص89 .

([3]) القبلي، مراجعات حول المجتمع، ص89؛ العامري، محمد بشير حسن، التفاعل الحضاري بين اهل الاندلس المسلمين والاسبان النصارى في القرون الوسطى، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2015م)، ص11 .

([4]) تحفة الحادي المطرب، ص11 .

([5]) ابو العباس العزفي، احمد بن محمد بن احمد، (ت: 633هـ/1236م)، الدر المنظم في مولد النبي المعظم، مخطوط محفوظ بمكتبة دير الاسكوريال، مدريد/ اسبانيا، تحت رقم (1741)، الورقة 6 .

([6]) سورة الفرقان، اية (54).

المغرب، لذا سعى السلطان يعقوب بن عبد الحق الى الزواج من الشريفة ام العز بنت محمد بن حازم العلوي، لترسخ مكانتهم بين الناس[1]، كما فعلى قبلهم بني العزفي[2] (647-728هـ/1239-1327م)، حكام سبتة الذين استقبلوا الاشراف الصقلين السبتين بعد وصولهم الى سبتة وقدموا لهم كل سبل التقدير والاحترام وعمدوا الى مصاهرتهم وكسبهم الى جانبهم[3] .

ولم تكن تلك العلاقات حصراً على حكام المغرب دون غيرهم, فقد كان لهؤلاء العلماء المغاربة الاجلاء المنتمين لآل البيت النبوي حظوة عالية لدى جميع حكام وسلاطين عصرهم, ومن ذلك ما روي عن الشريف احمد بن علي بن ابراهيم الحسيني (ت:675هـ/1276م) الذي رحل الى مصر في عهد السلطان المملوكي

([1]) ينظر: ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص374؛ ابن الاحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، (الرباط، 1062م)، ص21؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس ، ج2، ص547 .

([2]) وهم من أعيان مدينة سبتة واحدى اسرها المشهورة ينتمون إلى لخم في اليمن، بها العديد من العلماء ورجال الدين واهل الصلاح، فكان لهم شأن عالي لدى الناس، واول من سعى منهم للسلطة هو أبو القاسم محمد بن أبي العباس الذي كان من كبار مشايخ مدينة سبتة، فعقد له السلطان الموحدي المرتضى حكم المدينة سنة (647هـ/1239م)، وبقيت تحت امر آل العزفي إلى أن وقع الخلاف بين بني مرين الذين اصبح العزوفيون تابعين لهم وبين وبني الأحمر، فاحتلها بني الأحمر سبتة ونقلوا بني العزفي إلى غرناطة، وضمت المدينة إلى دولة بني الأحمر، وعاد العزفيون إلى المغرب مرة ثانية بعد انتهاء الخلافات المرينية الغرناطية، وانتشروا في فاس وسبتة وغرناطة، واشتهر منهم علماء في علوم الشريعة واللسان وغيرهما، الا انها لم تدم طويلا بسبب الضعف الذي اصاب حكام العزوفيون، وانتهت مكانة أسرتهم السياسية سنة (728هـ/1327م)؛ ينظر: ابن الاحمر، نثير الجمان في شعر من نظمني واياه الزمان = اعلام المغرب والاندلس في القرن الثامن، تحقيق: محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، (بيروت،1976م)، ص119؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص548؛ الناصري، الاستقصا، ج3، ص133 .

([3]) ابن خلدون، العبر، ج7، ص548 .

الظاهر بيبرس[1] (676هـ/1277م), فخرج لاستقباله هو وعسكره فتلقاه وأكرمه، وعظّمه وأنزله في دار ضيافته وبقي هناك الى حين وفاتهُ[2] .

يتضح لنا مما سبق ان ما تمتع به الاشراف من نفوذ معنوي قوي اكسبهم اياه نسبهم الشريف ومكانتهم العلمية والاجتماعية، مكنهم ان يكونوا " جبهة اجتماعية تتمتع بامتيازات مادية وتحظى بنفوذ سياسي "[3]، فرض على الحكام بأن يخصوهم بظهائر التوقير ومنحوهم امتيازات متنوعة، بهدف كسبهم اليهم، وبالتالي كسب الشرعية لحكمهم .

2. مواقفهم السياسية

تباينت موقف رجال ال البيت العلوي السياسية، اتجاه السلطان ورجال دولته ما بين مؤيدين لهم ولأعمالهم ولاسيما فيما يتعلق بأمور الدفاع عن الدين وحقوق الناس, ومعترضين رافضين لأعمال اخرى, اذ ساندوا الحق ودافعوا عن دينهم ودنياهم بوجه كل من اعتدى عليها سواء كان سلطاناً أو احد حاشيته, فكثيراً ما نقرأ في تراجمهم عبارات مثل: " قائماً بحدود الله لا تأخذه في الله لومة لائم "[4]، او "

([1]) هو بيبرس بن عبد الله، السلطان الأعظم الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح الصالحي، ولد في القبجاق سنة (625 /1277م) من مماليك الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار، ولما قبض عليه نجم الدين أيوب، أخذ بيبرس وجلعه من خاصة خدمه، كان شجاعا مقداما فأعتقه، وظل يتدرج في المراتب الى ان اصبح (أتابك) العساكر بمصر شارك في حروب كثيرة ضد المغول والصليبيين، وتوفي بدمشق؛ ينظر: ابن صلاح، محمد بن شاكر بن أحمد، (ت:764هـ/ 1363م)، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (بيروت،1973م)، ج1، ص235-236؛ الزركلي، الاعلام، ج2، ص79 .

([2]) ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد، (ت:1089هـ/1679م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، (دمشق، 1986م)، ج7، ص604؛ الزركلي، الاعلام، ج1، ص175؛ شكر، الاحياء بعد الانساء، ج2، ص18.

([3]) الزياني، تحفة الحادي، ص10؛ القبلي، مراجعات حول المجتمع، ص86 .

([4]) السجلماسي، عبد الرحمن بن محمد، (ت:1365هـ/1946م)، اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس، تحقيق: علي عامر، نشر: مكتبة الثقافة الدينية، (الرياض، د.ت)، ج2، ص27 .

كان عادلا فاضلا ورعاً لم يعرف في احكامه ميل "[1]، او " محمود السيرة مشكور الاحوال صادعاً بالحق جزلا مهيباً "[2]، او " غضبه لله وفي الله ورضاه كذلك، اماراً بالمعروف نهاءً عن المنكر "[3]، او " محترماً لدى ملوك عصرهُ, مقدماً لديهم, مسموع الكلمة "[4]، او " ذا عقل راجح وحلم واسع واقدام في مهمات الامور وحزم وصرامة "[5] .

كان جلَّ همهم هو الدفاع عن الحقوق من ظلم سلطان جائر فلم يسعوا عندهم لكسب رضاهم، كالشريف عيسى بن معنصر المومناني (ت: ق: 6هـ/ 12م), الذي كان يعمل على رد مظالم رجال الدولة عن الناس واقفا مع الحق غير مبالي ما قد يصيبه منهم، فقد روي ان رجلاً من العامة كان مسجوناً عند احد ملوك الدولة الموحدية بغير وجه حق فكتب اليه الشريف يعظه بسجن انسان ظلماً، ويأمره بإقامة العدل ورفع ظلمه عن الناس قبل فوات الأوان قائلاً له: " اطلق فلاناً المسجون قبل ان يرميك رجل اشعث اغبر بسهم لا يخطئك يقطع بهِ اصل دولتك"[6] .

ولما عرف عن فقهاء ال البيت العلوي من اجابة الدعاء ابتعد السلاطين عن ما يعرضهم لدعائهم, وقد كان الشريف المومناني " من اهل الله المخلصين, مجاوب الدعوة "[7], فلما وصل كتابه للسلطان بكى فسئل ما الخبر؟ فقال: " امرنا هذا قد انقرض فقيل لهُ: سبحان الله وما ذاك فأراهم الكتاب, فقيل: لابأس عليك انهُ علق على عدم قضائها فأقضها لهُ واصلح خاطره "[8], الا ان الامير كان على ادراك تام

(1) ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص48.

(2) السملالي, العباس بن ابراهيم, الاعلام بمن حل مراكش واغمات من الاعلام, تحقيق: عبد الوهاب بن منصورو نشر: المطبعة الملكية, ط2, (الرباط, 2002م), ج4، ص165.

(3) السجلماسي، اتحاف اعلام الناس، ج2، ص27.

(4) العمراني, الجواهر الباهرة في النسب الشريف, ص136.

(5) السجلماسي، اتحاف اعلام الناس، ج4، ص27 .

(6) ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج2, ص500.

(7) التبنتكي, نيل الابتهاج, ج1, ص290, وكفاية المحتاج, ج1, ص309.

(8) ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج2, ص500؛ التنبتكي, كفاية المحتاج, ج1, ص309؛ ونيل الابتهاج, ج1, 290.

ان ما توعدهُ به الشريف وحذرهُ من وقوعهُ واقع بهِ لا محال, لما عرف عنهُ واهل بيتهُ الاطهار من صلاح النفس وسعة العلم واجابة الدعاء, فقال لهم: " جهلتم, لكلام هذا الرجل صولة في القلوب وما قال ما قال الا وقد تغيرت نفسهُ وهم لا تخطئ سهامهم "[1], فكان الامر كما قال[2]، وانتهى امر دولة الموحدين .

وممن عرف عنهم الصرامة في الحق مع السلطة الشيخ الزاهد الشريف يوسف بن عبد الرحيم الحسيني (ت:462هـ/1069م)، كان من اهل التصوف مجاب الدعاء وله كرامات كثيرة، شديد الغلظة في الحق، روي ان احد امراء عصره المشهورين انكر عليه بعض امور الحياة ظلماً ولم ينصفه ومن كان على نفس حاله من الفقراء فكتب اليه مغضباً " تنكر على الفقراء وانت رقاص عند فلان، فما مات ذلك الرجل حتى كان رقاصا لسوء ادبه واعتقاده " [3] .

ان الشريف هنا لم يضع بحسابه ما قد يصيبه من الامير بقدر حسابه لقول الحق فأن تلك المواقف الحازمة من رجال ال البيت العلوي اتجاه السلطة قائمة على الحق وشرع الله، فضلاً عن حب الناس لهم لنسبهم وسعة علمهم وعدلهم وقضائهم لحوائجهم بإحسان, فتمسكوا بفتاويهم وآرائهم وذلك لما للشعور الديني من اثر في حياة الناس, كونت لهم قاعدة قوية يستطيعون الاستناد عليها لتحقيق العدل واثباته .

ج. محن آل البيت العلوي من قبل السلطات السياسية

قال تعالى : ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [4], وقال تعالى : ﴿ **إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾[5]، نزلت المحن بالأنبياء واعلام الامم واشرافها منذ اول الزمان،

([1]) التنبتكي, نيل الابتهاج, ج1, ص290؛ وينظر: كفاية المحتاج, ج1, ص390.

([2]) ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج2, ص500؛ التنبكي, كفاية المحتاج, ج1, ص390.

([3]) الكوهن، طبقات الشاذلية، ص84 .

([4]) سورة الانعام ،اية (17) .

([5]) سورة آل عمران اية120 .

وكان لآل البيت النبوي نصيبهم الأوفر من تلك المحن والبلايا، سئل رسول الله (ρ) عن أشد الناس بلاء، قال: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَالْأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»[1]، فلم يكن القتل وحده محنة لعل القتل محنة منتهية، ولكن الخوف والترويع الذي اصبح يزداد ويتوالد على مر الايام واعدائهم حولهم على اهبت الاستعداد للقضاء عليهم في كل لحظة مما اضطرهم الى هجر الديار وانكار النسب في سبيل النجاة، كل تلك محن شديدة فيها ترقب للمجهول وللمصائب المخبأة .

ومن تلك المحن والفواجع والكوارث العظيمة والمؤلمة التي آلمت بآل البيت النبوي الشريف في المغرب العربي هي ما حل بهم سنة (317هـ/929م) على يد موسى بن ابو العافية المكناسي زعيم قبيلة مكناسة الذي تحالف مع الفاطميين للسيطرة على فاس وكان على رأس الحملة مصالة بن حبوس المكناسي[2] (ت:312هـ / 924م) الذي قدم الى المغرب سنة (305هـ/917م) [3], وتمكن ابن ابي العافية من السيطرة على فاس سنة (313هـ/ 925هـ), وقد كان ابن ابي العافية

([1]) ابن حنبل، المسند، ج7، ص159، رقم (1607)؛ ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، (ت:273هـ/887م)، السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (د.م، د.ت)، ج2، ص1334، رقم (4023)؛ ابن الفراء، الحسين بن مسعود بن محمد، (ت:516هـ/ 1223م)، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، نشر: المكتب الإسلامي، ط2، (بيروت، 1983م)، ج5، ص244، رقم (1434) .

([2]) وهو مصالة بن حبوس بربري الاصل، عرف بالمكناسي نسبة لمدينة مكناسة التي تولى رياستها من قبل عبيد الله المهدي (ت:322هـ/934م) فقد كان من اكبر قواده وقد تغلب على قبائل البربر بأنحاء تازا إلى الكاي، كما ولي مدينة تاهرت والمغرب الأوسط، ثم استولى على فاس في المغرب الاقصى، ثم ترك على مكناس قائده موسى بن ابي العافية وعاد الى القيروان التي قتل فيها؛ ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص176؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص238؛ الزركلي، الاعلام، ج7، ص227 .

([3]) اللهيوي, حصن السلام، ص295 .

ظالماً جائراً خرب البلاد ونهب الاموال وحمل السيف على الشرفاء اينما وجدوا, وقتل منهم بوادي الشرفاء خلقاً كثيراً[1] .

وفي ذلك قال ابو عبد الله الفاسي[2]: " لما تغلب موسى بن ابي العافية المكناسي على فاس قتل ... اربع مئة بوادي الشرفاء ", كما روي انهُ قطع تسعين رأساً بمدن اخرى[3], مما اضطر من بقي منهم للهرب الى قمم الجبال والصحاري للنجاة بحياتهم من القتل اذ يقدر المؤرخين اعدادهم بحوالي السبعمائة رجل, بعد ان عزم على استئصالهم من البلاد[4]، فكانت حجر النسر احدى النقاط التي شكلت مركزاً لتجمعهم [5] .

ولم تكن كل تلك البشاعة والقسوة التي عامل بها ابن ابي العافية المكناسي آل البيت العلوي كافية لشفاء حقدهُ وغلهُ على ابناء بضعت نبينا (ρ), بل لحق بهم الى حجر النسر وضرب الحصار حولهم بغية قطع دابرهم من جميع البلاد خوفاً من عودتهم مرة اخرى ومطالبتهم بالملك الذي هو حقهم فهو ملك اجدادهم الادارسة, لاسيما بعد ان لاحظ حب الناس وتمسكهم وانصياعهم لهم في جميع امور دينهم ودنياهم, يقول ابن ابي زرع[6]: "وساروا بأجمعهم الى قلعة حجر النسر مقهورين مغلوبين فانحصروا بها ... فنزل عليهم ابن ابي العافية واشتد عليهم الحصار, واراد

([1]) ينظر: ابن عذاري, البيان المغرب, ج1, ص212- 214؛ ابن خلدون, العبر, ج4, ص22؛ ابن ابي زرع, الانيس المطرب , ص84- 85؛ الودغيري, الدر النثير, ص45؛ المشرفي, الحلل البهية, ج1, ص226- 227؛ منصور, قبائل المغرب, ج1, ص120؛ الزياني, جمهرة التيجان, ص90- 91.

([2]) الاشراف, ج1, ص210؛ وينظر: الودغيري, الدر النثير, ص45

([3]) الودغيري, الدر النثير, ص45.

([4]) الغرناطي, الانوار في نسب آل النبي المختار, ص72؛ ابن عبدالله الفاسي, الاشراف, ج1, ص210؛ حشلاف، سلسة الاصول، ص36 .

([5]) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص84؛ الغرناطي، الانوار في نسب آل النبي المختار, ص72؛ حشلاف، سلسلة الاصول ص36؛ اللهيوي، حصن السلام، ص285 .

([6]) الانيس المطرب, ص84؛ وينظر: الناصري، الاستقصا، ج1، ص243؛ اللهيوي، حصن السلام، ص251 .

قطع دابرهم, فعدلهُ على ذلك رؤساء المغرب وأكابر اهل دولتهُ وقالوا لهُ: اتريد ان تقطع دابر اهل البيت من المغرب وتقتلهم اجمعين هذا شيء لا نوافقك عليه ولا نتركك لهُ ", فاضطر الى الانسحاب نحو مدينة فاس وخلف عليهم قائدهُ ابا الفتح التسولي[1] في الف فارس لمنعهم من التصرف[2]، ودام حبسهم داخل القلعة لمدة اربع سنين[3] .

ادت هذهِ المحنة القاسية الى تشتيت آل البيت العلوي وهجر ديارهم وترك اموالهم وموارد عيشهم, هذا فضلاً عن انكارهم لنسبهم في سبيل المحافظة على انفسهم وعيالهم, ودون المؤرخين هذا الحدث بأدق تفاصيله, وفي ذلك قال الغرناطي[4]: " اخذ الشرفاء بالفرار الى قلعة حجر النسر سبعمائة رحيل والى تادلا[5] عشر رحائل والى السوس ثمانية رحائل والى السجرا ثلاثين, والى تلمسان عشرين رحيلاً, وتشتت الشرفاء من تلك الواقعة في البلدان في قبائل البربر والعربان وانكرت نسبتها من تلك الفتيان وصاروا مطلوبين الى القائد موسى بن ابي العافية المكناسي ... خرجت الى عدوة الاندلس ستين رحيلاً مهاجرة الى ملوك بني أمية وانتهكت الحرمات بين قتل وسبي ... واخذ غيرهم ملكهم واموالهم وديارهم وبساتينهم " .

([1]) وهو احد قادة موسى بن ابي العافية ابن القاضي، شارك معة في حربه على الغرب والقضاء على دولة الادارسة، فأختاره ابن العافية من بين قادته ليكون القائم على محاصرة العلوين بحجر النسر؛ ينظر: الناصري، الاستقصا، ج1، ص234-245 .

([2]) ابن ابي زرع، الانيس المطرب, ص84؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص243؛ اللهيوي، حصن السلام، ص251 .

([3]) الناصري، الاستقصا، ج1، ص243 .

([4]) الانوار في نسب آل النبي المختار, ص72؛ وينظر: حشلاف، سلسلة الاصول، ص36 .

([5]) وهي احدى مدن بلاد المغرب القديمة بنى فيها الملثمون حصنا عظيما كبيرا وهو الآن موجود الى الان فيه اسواق وجامع، وهي كثيرة الخيرات والارزاق؛ ينظر: المراكشي، (ت: ق 6هـ/ 12م)، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، (بغداد، 1986م)، ص200 .

ونظير ذلك ما قاله العلامة الفضلي[1] بأن نتيجة لما لاقوه من " القتل والنفي والتبديد, حتى شردوا في البلاد, وتفرقوا شذر مذر بين العباد, قد انكروا جلهم نسبهم حقناً لدمائهم وخوفاً على انفسهم وابنائهم فاندثر كثيرا من الانساب " .

ويصف المشرفي[2] تلك المحنة الصعبة التي نزلت بهم بقوله: " وبلغ من اهانتهم مما اصابهم من ابن ابي العافية ان تركوا نسبتهم لأهل البيت النبوي وتفرقوا في سائر البلدان " .

عند النظر الى كل هذهِ القسوة والوحشية التي القيت على عاتق آل البيت العلوي من قبل ابن ابي العافية المكناسي يتطرق الى الذهن قولهِ تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (57) وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)**[3], ويخطر هنا تساؤل الم يصل الى سماع ابن ابي العافية كلام الله (Y), والم يعلم ان رسول الله (ρ) قال في ابيهم (υ): « مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي »[4]، الم يقول (ρ) في امهم (∃):« إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ آذَاهَا فَقَدْ آذَانِي»[5]، الم يكن هؤلاء ابناء علي وفاطمة ؟ الا ان هذا هو فعل الغافلين عن رحمة الله وموعدهم النار غدا، قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (7) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)** [6].

ولم تنته محنتهم بعد استقرارهم بقلعة حجر النسر اذ واجهت آل البيت العلوي هناك محنة جديدة اضطرتهم الى التوجه نحو بلاد الاندلس تحت رهن الاعتقال، وفي

---

(1) الدرر البهية, ج1, ص81؛ وينظر: الغرناطي, الانوار في نسب آل النبي المختار, ص72؛ الودغيري, الدرر النثير, ص45؛ ابو عبد الله الفاسي, الاشراف، ج1, ص210.

(2) الحلل البهية، ج1، ص225 .

(3) سورة الاحزاب، اية (57-58) .

(4) ابن ابي شيبة، المصنف في الاحاديث، ج6، ص371، رقم (32108)؛ ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، (ت:354هـ/ 956م)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، (بيروت، 1988م)، ج15، ص365، رقم (6923).

(5) ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج2، ص755، رقم (1324)؛ مسلم، صحيح مسلم، ج1، ص1093، رقم (94) .

(6) سورة يونس، اية (07-8).

الانـدلس تعرضـوا لنكبـة جديـدة اخـرجتهم مـن الانـدلس الـى المشـرق، حيـث يـذكر المؤرخـون محاولـة الشريف الحسن بـن محمـد بـن القاسـم الحسـني (330هـ/942م)، تأسـيس دويلـة لجمـع مـن بقـى مـن ال البيـت العلـوي بعـد ان تشـتت شـملهم وتكـون قاعدتها قلعة حجر النسر واستمر علـى ولايتها حتـى وفاتـه، ولـم تتمكن هذه الدويلـة الصغيرة ان تقوم بنفسها، فكانت طورا تخضـع للفاطميين وطورا تخضـع للأمويين فـي الاندلس، وبعد تولي ابنـه الشريف احمد بن القاسم ابو العيش (ت:334هـ/945م)، انتقلـوا الـى بصـرة[1] المغـرب الاقصـى بسـبب الحـروب المسـتمرة بـين الامـوين والفاطميين بهدف السيطرة على بلدان المغرب، فرأى الشريف احمد انـه لم يبقى لـه مـن الامـر شـيء، فكاتـب عبـد الـرحمن الناصـر[2] (300-350هـ/912-961م) وانتقل الـى الانـدلس برسم الجهـاد[3]، وتـولى امـر ال البيـت العلـوي مـن بعـده اخـوه الشريف حسن بن القاسم (ت:375/986م)، وخـلال تلك الفترة تمكن الامـويين فـي الاندلس من السيطرة على مقدرات بـلاد المغرب، فقاموا بأجلاء الشريف الحسن بن القاسم وجميـع العلـويين فـي حجـر النسـر وغيرهـا مـن بلـدان المغـرب وسـيروهم الـى

(1) وهـي مدينـة كبيرة فـي المغرب تقـع علـى طريـق طنجـة، كثيرة الزرع والضـرع واسعة المرعـى تتميز بكثرة ألبانها حتى كانت تعرف ببصرة الألبان، وعرفت ايضا ببصرة الكتان لاشتغال أهلها بالكتـان وبيعـه، كمـا عـرف بـالحمراء وذلـك لحمـرة تربيتهـا، يحـيط بهـا سـور مبنـى مـن الحجـارة والطـوب يحمـر لونـه لمـن يـراه مـن بعيـد، ولهـا عشـرة أبـواب؛ ينظـر: المراكشـي، الاستبصـار، ص189 .

(2) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الـرحمن، يكنـى (أبـو المطـرف) ولـد بقرطبـة سـنة (277هـ/890م)، وتـوفي بهـا سـنة (350هـ/ 961م)، وهـو أول مـن تلقـب بالخلافـة مـن حكـام الدولـة الأمويـة فـي الأنـدلس، بويـع لـع سـنة 300هـ/ 912م؛ ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج8، ص265؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج18، ص136 .

(3) ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص235؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص89؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص291؛ ابن القاضـي، جذوة الاقتباس، ج1، ص112-111؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص251؛ منصور، عبد الوهاب، اعلام المغرب العربي، نشر: المطبعة الملكية، (الرياض، 1998م)، ج2، ص301-302 .

الاندلس، فكان دخولهم الى قرطبة يوما مشهودا وذلك اول يوم من محرم سنة (364هـ/974م)، فاستقبلهم الحكم المستنصر الاموي[1] (350-366هـ/961-976م)، وعفا عنهم واجرى عليهم الجرايات وسجلهم بديوان العطاء وكانوا سبعمائة رجل[2] .

وما ان حلت سنة (365هـ/975م)، حتى تعرضوا لمحنة شديدة على يد الحكم المستنصر، والسبب في ذلك هو كان للشريف الحسن بن القاسم " قطعة عنبر غريبة الشكل كبيرة الحجم ظفر بها في بعض سواحله من بلاد العدوة أيام ملكه بها فسواها منشورة يتوسدها ويرتفق بها فبلغ ... الحكم خبرها فسأله حملها إليه وضمها إلى ذخائره ... فامتنع الحسن من ذلك وأبى أن يسلمها إليه فنكبه عليها وسلبه جميع أمواله وسلبه القطعة أيضا فبقيت في خزانة الأمويين ... ولما نكب الحكم الحسن أمر بإخراجه وإخراج عشيرته من قرطبة وإجلائهم إلى المشرق "[3] .

ولاقى الشرفاء الحسينيون في صقلية ذات المصير في التهجير وترك الديار والتنقل بين الحواضر بحثاً عن الامان والاستقرار, بعد استيلاء الصليبيين عليها سنة (428هـ/1037م) فلم يطب لهم البقاء بأرض الذل والتهجير فقد ضيقوا عليهم سبل العيش وتعرضوا للقتل والتشريد, فنزل قسم منهم في ارض سبته, والقسم الاخر اتجه

([1]) وهو الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله، ولد بقرطبة سنة 302هـ/914م، تولى الخلافة في الاندلس بعد أبيه سبع واربعون سنة، وكان حسن السيرة، جامعاً للعلوم، محباً لها، مكرما لأهلها؛ ينظر: الحميدي، محمد بن فتوح بن عبد الله، (ت: 488هـ/ 1095م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، لدار المصرية للتأليف والنشر، (القاهرة، 1966م)، ص13؛ الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد، (ت:599هـ/1203م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، (القاهرة، 1967م)، ص18 .

([2]) ينظر: ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص89-92؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 291-293؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص176-178؛ الناصري، الاستقصا، ج1، 253-259؛ عنان، دولة الإسلام، ق، ج1، ص482-489؛ اللهيوي، حصن السلام، ص288-294.

([3]) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص93؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 292؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص258-259 .

نحو مراكش[1], وكان ذلك في عهد الموحدين الذين عنوا بهم عناية خاصة وقربوهم اليهم واسندوا اليهم المناصب الهامة غير ان تلك العناية جرت عليهم محنة جديدة لا تقل ضراوة وقسوة عن سابقتها, فما ان انتهت الدولة الموحدية على يد يعقوب بن عبد الحق المريني سنة (668هـ/1269م), حتى اضطر هؤلاء الاشراف الى الخروج من البلاد باعتبارهم ممن حضوا بعناية الموحدين واصبحوا من شيعتهم, فخرجوا من مراكش الى قصبة تاوريرت من قبيلة بني وارثين الصنهاجيين ثم منها الى فاس والاندلس[2] .

اما من بقي منهم من الاشراف الحسنين بأنهم تعرضوا الى محنة شديدة على يد النورمان وكان قائدهم انذاك الشريف ابو القاسم بن حمود الحسني، اذ تعرض لا فتراء شديد بأن له خطابات مع الموحدين ضد النورمان، فكادت تلك السعايا ان تقضي عليه، فتوالت المصادرات بحقه حتى اغرمته ما يزيد على الثلاثين الف دينار، ولم يزل يتنازل عن دياره واملاكه التي ورثها عن اسلافه حتى بقي دون مال[3]، ويروي عنه الرحالة ابن جبير[4] الذي التقى به سنة (580هـ/1185م) قائلاً: " فاجتمعنا به فأظهر لنا باطن حاله وبواطن احوال هذه الجزيرة مع اعدائهم ما يبكي العيون دماً، ويذيب القلوب الماً، فمن ذلك قوله: كنت اود لو اباع انا واهل بيتي، فلعل البيع كان يخلصنا مما نحن فيه، ويؤدي بنا الى الحصول في بلاد المسلين " .

([1]) ابن الاحمر, بيوتات فاس الكبرى, ص16؛ ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج2, ص95-96؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص296؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج16, ص5551, وج17, ص5700.

([2]) ابن الاحمر, بيوتات فاس الكبرى, ص16؛ ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج2, ص95-96؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص296 .

([3]) ابن جبير، الرحلة، ص314؛
Waern, Mediaeval Sicily, p. 74-75; Zaimeche, Salah, Sicily, FSTC Limited, 2004, p. 17 .

([4]) الرحلة، ص314؛
Waern, Mediaeval Sicily aspects, p. 74-75; Zaimeche, Sicily, p. 17 .

ولم تقف تلك المحن الشديدة عند القتل والتهجير الجماعي الذي نزل بآل البيت العلوي, فقد كان لكبار اعلامهم من فقهاء ومحدثين وادباء نصيبهم الاوفر من تلك المحن, ومثل ذلك ما أصاب القطب[1] الشريف علي بن عبد الله الشاذلي الحسني (ت: 656هـ/ 1258م)، فقد كان اماماً متبعاً عالماً وافر العلم، متصوفاً صاحب كرامات، يعمل على مساعدة الناس لذا كانوا يقبلون عليه من كل حدب وصوب ليحضروا مجالسه يستمعوا إلى دروسه ومواعظه وتعاليمه فاتسعت حلقاته، واتخذوه قدوة لهم يتأدبون بآدابه، فأصبح له اتباع ومريدين يلتفون حوله في حلقاته العلمية، حتى اذا سار من مكان لأخر ساروا بين يديه بالمئات يلتمسون منه الدعاء والبركة[2]، مما روي في ذلك: " كان إذا ركب تمشى أكادير الفقراء وأكابر الدنيا حوله، وتنشر الأعلام على رأسه، وتضرب الكوسات[3] بين يديه "[4] .

وتسبب هذا الحب واقبال الناس للشريف الحسني محنة كبيرة اثارها حسد علماء وفقهاء عصره منه، فقد كان آنذاك الفقيه ابو القاسم بن البراء قاضي القضاة بتونس واحد علمائها المعروفين ويعد نفسه زعيما غير منازع، فأوغر صدره التفاف

([1]) وهي درجة من درجات التصوف، ويأتي معنى (القطب) بأنه اكبر العاملين في مجال علمه ويطلق عليه الغوث لانه صاحب علم وقد وصل الى مرحلة يتمكن من خلالها اغاثة من يلتجئ إليه في سؤال او معرفة ويكون رجلاً ذو اخلاق عالية كريماً وسيداً عظيماً يحتاج الناس الى نصحه وارشاده عند الاضطرار ويطلب منه الدعاء لأنه مستجاب الدعوة؛ ينظر: الجرجاني، التعريفات، ص155؛ ابن عربي، رسالة في بيان اصطلاحات رئيس الصوفية سيدي محي الدين بن عربي الواردة في كتابه الفتوحات المكية، تحقيق: أحمد سعد علي، (القاهرة، 1938م)، ص235 .

([2]) الغبريني، عنوان الدراية، ص195؛ المناوي، الكواكب الدرية، ج2، ص470-471 .

([3]) وهي الة وجدت عند الايوبين مصنوعة من النحاس، تشبه الترس يضرب بأحداها على الاخرى بأيقاع معين والضارب بها يسمى كوسي؛ ينظر: المناوي، زين الدين محمد عبد الرؤوف، (ت: 1021هـ/ 1621هـ)، طبقات الصوفية الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد اديب الجارود، دار صادر، (بيروت، 1999م)، ج2، ص471، هامش رقم (1) .

([4]) المناوي، الكواكب الدرية، ج2، ص470-471 .

الناس حول الشريف الشاذلي واراد ان يضع حداً لنفوذه اذ خيل له ان هذا الالتفاف الشعبي حول الشريف مع ما عليه من علم وفقه وافتاء تؤله لتولي منصب قاضي القضاة[1]، فتوجه اليه لينازعه فلم يتمكن منه لعلمه فدس له عند السلطان ابو زكريا الحفصي[2] (626هـ -647هـ/1228-1249م) واخذ يردد عنده " انه يدعي الشرف وقد اجتمع عليه خلق كثير ويدعي انه الفاطمي ويشوش عليك بلادك "[3] .

ودخلت هذه الحيلة على السلطان غير ان القاضي ابو البراء لم يقتنع بذلك فعمل على اثارة علماء وفقهاء تونس ضده كما فعل مع السلطان، فأخذ يكيل عليه بالتهم الباطلة التي لا اساس لها من الصحة[4]، وللمكانة الكبيرة حظي بها الشريف عند الناس والتفافهم حوله وايمانهم به رأى السلطان التريث قليلا قبل الحكم عليه، فأمر بعض العلماء لاستجوابه ومحاولة معرفة حقيقة الامر، فوجد الشريف انه متهم وامام امتحان ووجهت اليه العديد من الاسئلة عن نسبه وعلمه محاولين الصاق التهم

([1]) محمود، عبد الحليم، المدرسة الشاذلية الحديثة وامامها ابو الحسن الشاذلي، دار النصر للطباعة، (القاهرة، د.ت)، ص38؛ غريب، مأمون، ابو الحسن الشاذلي حياته تصوفه تلاميذه واوراده، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، (القاهرة، د.ت)، ص17 -18.

([2]) هو يحيى بن عبد الواحد بن ابي حفص الهنتاني، وهو أول من استوحد بالملك في تونس وقضى على فتنة ابن غانيه وقتله سنة (631هـ/1233م) ووسع ملكه واستولى على عدد من المدن، وخدم العلم وأنشأ المدارس والمساجد، وجعل لها الأوقاف وأنشأ داراً للكتب فيها (63000) مجلد، فقد كان كاتباً وشاعراً كثير الاحسان توفي ببونة سنة (647هـ/1249م) ودفن بجامعها ثم نقل الى قسطنية؛ ينظر: ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلتهُ غرباً وشرقاً، دار الكتاب اللبناني، (بيروت،1997م)، ص11؛ ابن خلدون، العبر، ج7، ص239؛ صلاح الدين، فوات الوفيات، ج4، ص293-294 .

([3]) ابن الصباغ، محمد بن ابي القاسم الحميري، (ت:764هـ/1364م)، درة الاسرار وتحفة الابرار في اقوال وافعال واحوال ومقامات ونسب وكرامات ودعوات سيدي ابو الحسن الشاذلي، نشر: المكتبة الازهرية للتراث، (القاهرة، 2001م)، ص28؛ وينظر: محمود، المدرسة الشاذلية، ص39 .

([4]) ينظر: ابن الصباغ، درة الاسرار، ص28؛ محمود، المدرسة الشاذلية، ص39-40؛ غريب، ابو الحسن الشاذلي، ص17 -18.

به لكن الشريف اجاب على كل سؤال بثقة، واوضح لهم انه علوي النسب وان ما قدم بحقه بعيدا عن الحقيقة، وانه ما جاء الى تونس سعياً وراء منصب، او جاه، او سلطان، وان ما حدث له نوع من الابتلاء والسلطان يستمع اليه من وراء حجاب[1]، يقول في ذلك ابن الصباغ[2]: " فجمع مع ابن البراء جماعة من الفقهاء في القضية، وجلس السلطان خلف حجاب، وحضر الشيخ رضي الله عنه. وسألوه عن نسبه مرارا والشيخ يجيبهم عليه والسلطان يسمع، وتحدثوا معه في العلوم كلها فأفاض عليهم بعلوم أسكتهم بها، فما استطاعوا أن يجاوبوه عنها من العلوم الموهوبة، والشيخ يتكلم معهم بالعلوم المكتسبة ويشاركهم فيها " .

وما ان سمع السلطان اجابة الشريف الشاذلي حتى اعجب بعلمه وتقواه التي كانت واضحة بين ثنايا كلامه وايقن ان الرجل مظلوم، فقال لابن البراء: " هذا رجل من أكابر الأولياء وما لكم به طاقة "[3] .

الا ان ذلك لم ينهي محنة الشريف الشاذلي اذ ازداد حقد ابن البراء وتعاظمت غيرته منه على ما اوتى من علم وحكمة وحب الناس له والتفافهم حوله، فحرض السلطان من جديد ضده بعد ان شعر بحرج موقفه فقد كان الناس واقفين بباب السلطان ينتظرون خروج الشريف اليهم من تلك المحنة، فقال له: " والله لئن خرج في هذه الساعة ليدخلن عليك أهل تونس ويخرجوك من بين أظهرهم، فانهم مجتمعون على بابك "[4]، واذا بالسلطان يأمر ببقاء الشريف عنده واذن للفقهاء بالخروج فطلب الشيخ سجادة الصلاة وتوضأ وصلى وتوجه الى الله داعياً لينجيه من هذه المحنة الشديدة التي اوقعه بها حقد القاضي[5]، وكان للسلطان اخ يحب اولياء الله ويسعى اليهم وبلغه ما جرى في قصر السلطان فجاء مسرعا اليه والتقى بأخيه وقال له: " ما

---

(1) ينظر: غريب، ابو الحسن الشاذلي، ص17 -18.

(2) درة الاسرار، ص28؛ وينظر: محمود، المدرسة الشاذلية، ص39 .

(3) ابن الصباغ؛ درة الاسرار، ص28؛ وينظر: محمود، المدرسة الشاذلية، ص40 .

(4) ابن الصباغ؛ درة الاسرار، ص28؛ وينظر: محمود، المدرسة الشاذلية، ص40 .

(5) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص29 .

هذا الامر الذي اوقعك فيه ابن البراء اوقعك والله في الهلاك انت ومن كان معك"[1]، وتمكن من اقناعه بأطلاق سراحه وخرج الشريف من هذه المحنة منتصرا، غير ان ابن البراء لم يكف عن الحاق الاذى به ولم تكن ردة فعله سوى التعامل معه بالتسامح والقاء التحية عليه السلام اذا ما تصادف معه غير انه لم يبالِ له او يرد عليه[2] .

ضاق صدر الشريف من تلك الدسائس التي اوقعته بالمحن مع السلطان فلم يجد حلا الا الخروج من البلاد، والتوجه الى مصر ومن ثم الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، وبدا الركب يتحرك ونهضت تونس كلها مودعة له فعلم السلطان بذلك فأرسل له من يعتذر اليه ويسأله عن سبب خروجه، فأجابهم بأن خروجه لم يكن الا بنية الحج وسوف يعود بعد قضاءه[3] .

لم تكن تلك خاتمة محن الشيخ مع ابن البراء وبعض علماء تونس وفقهائها اذ استمروا بتدبير المكائد له للإيقاع به عند السلاطين، فما ان وصل مصر حتى كان كتاب ابن البراء ومعه عدد من الشهود قد وصل قبله الى السلطان ونائب الاسكندرية متهماً بها الشريف بالحاد والزندقة قائلاً: " سيقدم عليكم مصر مغربي من الزنادقة، اخرجناه من بلادنا حين اتلف عقائد المسلمين، واياكم ان يخدعكم بحلاوة منطقه، فأنه من كبار الملحدين، ومعه استخدامات من الجن "[4]، وعند وصول الشريف الى الاسكندرية كان الخبر قد سبقه اليهم، فبالغ اهل الإسكندرية في ايذائه ورفعوا الى سلطان مصر الكامل محمد الايوبي[5] (615-635هـ/1218- 1238م)

([1]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص29؛ محمود، المدرسة الشاذلية، ص42 .

([2]) محمود، المدرسة الشاذلية، ص 42.

([3]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص30؛ محمود، المدرسة الشاذلية، ص43، غريب، ابو الحسن الشاذلي، ص20 .

([4]) المناوي، الكواكب الدرية، ص471؛ الكوهن، طبقات الشاذلية، ص42 .

([5]) وهو محمد بن محمد العادل ابن أيوب، يكنى (أبو المعالي)، من سلاطين الدولة الأيوبية ولد بمصر سنة (576/1180م)، كان اديباً وشاعرا، سمع الحديث ورواه، توفي سنة (615/

مراسيم فيها ما يباح به دم الشريف الشاذلي[1]، وارسل الى القاهرة فأدخل على السلطان والقضاة والامراء فكان امتحان ثاني له بسبب سعاية ابن البراء فوجه له السلطان كتاب ابن البراء وسئل عن ما جاء فيه[2]، الا ان الله (I) كان الطف بعبده اذ اقنع الشريف الشاذلي السلطان بصدق نيته وكذب ابن البراء بعد ان حصل من سلطان المغرب على مراسيم فيها من التعظيم والتبجيل تناقض ما جاء به ابن البراء وبتواريخ متأخرة عن كتبه، فأخذ السلطان العمل بها بعد ان تبين له مكائد ابن البراء واتباعه[3] .

كما نزلت بالشريف ابو طاهر عمارة بن يحيى الحسني (ت: بعد 585هـ/ 9811م)، محنة اثناء ولايته لقضاء بجاية وهو من الفقهاء الافاضل شاعرا متقدما في علم العربية والادب وكان شعره هو السبب في محنته، فبعد استيلاء ابن غانيه[4] (579-585/ 1183-1189م)، على بجاية وبايعه الناس كان الشريف ابو طاهر ممن امتدحهم وانشد بين ايديهم على عادة الشعراء امثاله، وبعد ان بدأ الموحدين حملاتهم لإعادة سيطرتهم على المدن المنفصلة عن سلطتهم، انفصل ابن غانيه وتبع الناس الموحدين الذين فور وصولهم الى بجاية ارسلوا امروا بإحضاره الشريف معتقلاً مصفداً بالحديد وبقى على هذه الحال مدة من الزمن محاولاً الوصول الى الوالي

1238م)؛ ينظر: ابن خلكان وفيات الاعيان، ج5، ص79؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج22، ص127 .

([1]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص30؛ غريب، ابو الحسن الشاذلي، ص 20.

([2]) ابن الصباغ؛ درة الاسرار، ص30؛ الكوهن، طبقات الشاذلية، ص42؛ محمود، المدرسة الشاذلية، ص44 .

([3]) الكوهن، طبقات الشاذلية، ص42 -34 .

([4]) وهو علي بن إسحاق بن محمد ابن غانية: أمير من اسرة بني غانيه تولى امارة جزائر الباليار (Baleares) ميورقة وما حولها، في شرقي الأندلس بعد وفاة أبيه سنة (579هـ/ 1183م)؛ ينظر: المراكشي, عبد الواحد بن علي, (ت: 647هـ/1250م), المعجب في تلخيص اخبار المغرب من لدن فتح الاندلس الى اخر عصر الموحدين, تحقيق: صلاح الدين الهواري, نشر: المكتبة العصرية, (بيروت، 2006م), ص195-196؛ الزركلي، الاعلام، ج4، ص363.

ليتكلم معه بالإمر لكن دون سبيل، فلم يجد حلا غير الشعر فكتب قصيدة يطلب فيها منه انهاء الظلم الواقع عليه بشفاعة جده (ρ)[1]، اذ قال[2]:

سلام كعرف المندل في الجمر	والا كما هب النسيم على الزهر
فلله در مقلتين بعبرة	تعبر فوق الخد عن كامل السر
وقد راعني ايماض برق بذي الغضا	كما ابتسم الزنجي عن بهج الثغر
بدا لي ان الليل اورى زنادة	ولا نار الا نور برق له يسري
ونار باكبادي اكابد حرها	وقلب سليم قلب في لظي جمر
وما طائر فوق فوق الغصون مسرح	كمن بات مقصوص
واصغرهم يجري وادمعه تجري	فلم انس توديع البنين مصفدا
وجدي شفيع الناس في موقف الحشر	ابا زيد واني بالحسين وسيلتي

فتلقى الوالي القصيدة بالقبول وشفع فيه وفي اصحابه شفاعة لجده نبي الرحمة خير شفيع واكرم الخلق رسول الله (ρ)[3] .

ثانياً: أثرهم السياسي

❖ أثرهم في توحيد البلاد

([1]) الغبريني, عنوان الدراية، ص45؛ نويهض, معجم اعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر, نشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة, ط2, (بيروت: 1980م), ص242 .

([2]) الغبريني, عنوان الدراية، ص45؛ نويهض, معجم اعلام الجزائر، ص242؛ خدوسي, عمر، موسوعة العلماء والادباء الجزائريين, تقديم: محمد الامين بلغيث, منشورات الحضارة, (الجزائر, 2013م), ج2, ص324.

([3]) الغبريني, عنوان الدراية، ص45؛ نويهض, معجم اعلام الجزائر، ص242 .

مر آل البيت العلوي في المغرب بفترة عصية بعد تلك المحنة الشديدة التي عصفت بهم وابعدتهم عن السياسة وامور الدولة حيث نجدهم اتخذوا من الربط والجبال والمناطق البعيدة عن المدن مكان لهم تفرغوا بهِ للعبادة والدين والعلم, الا ان الامر لم يخلُ من التصدي للباطل اذا ما تطلب الحال الى ذلك, لاسيما اذا كان هذا من اجل المحافظة على أمن البلاد وتوحيدها ضد اعدائها, حتى وان ادى الأمر في نهاية المطاف الى التضحية بحياتهم في سبيل استباب الامن والمحافظة على الدين والعقيدة, وفي مثل ذلك ما روي عن الشيخ الفقيه عبد السلام بن مشيش العلمي الحسني (ت:623هـ/1227م), الذي خرج متصدياً حاملاً راية الجهاد من اجل المحافظة على وحدة البلاد وامنها في الوقت الذي عمل فيه الصلبيين على محاربة الاسلام ومحاولة القضاء على اهم معالمهُ[1], ولاسيما ما يخص العقائد حيث وجدت بها ثغرة سهلة في تلك الآونة الصعبة التي كان الموحدين يمرون بها, فقد كان المغرب في فترة انتقالية بعد موت السلطان العادل الموحدي[2] (621-625هـ/1224-1228م)، وتدهورت الاوضاع في الاندلس مع الاسبان وتقلصت سلطة الموحدين فصار المغرب مقسماً ما بين الموحدين والمرينيين، وانفصلت عنهم اغلب مدن المغرب[3]، ولاسيما بعد استنجاد الامير ابو العلاء المأمون الموحدي (626-629هـ/1229- 1232م)[4] حاكم مدينة اشبيلة[1] الذي تم اختياره لتولي

([1]) الفاسي, محمد العربي بن يوسف الفهري, (ت: 1052هـ/ 1688م)، مرآة المحاسن من اخبار الشيخ ابي المحاسن ونبذة عن نشأة التصوف والطريقة الشاذلية بالغرب, تحقيق: محمد حمزة بن علي, منشورات رابطة ابي المحاسن ابن الجد, (المغرب, د. ت)، ص288؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص124 .

([2]) وهو عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الكومي المنصور العادل، احد ملوك دولة الموحدين كان أميرا على الأندلس، وتولى امر مراكش بعد خلع عمه عبد الواحد بن يوسف، توفي سنة 654هـ /1228م؛ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج17، ص326؛ الزركلي، الاعلام، ج4، ص146.

([3]) اللهيوي، حصن السلام، ص425 .

([4]) وهو إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي المامون، يكنى (أبو العلاء)، احد ملوك دولة الموحدين بمراكش، كان بطلا، شجاعا، مهيبا، داهية، فقيها، علامة، أصوليا، ناظما،

الحكم من قبل اشياخ الموحدين فسر بذلك وأمر بالدعوة له على منابر الأندلس ثم أخذ في التجهيز والحركة إلى مراكش دار ملكهم، وبعد وصله الجزيرة الخضراء اتصل به الخبر أن الموحدين نكثوا بيعته وبايعوا ابن أخيه يحيى بن الناصر، فكتب الى ملك قشتالة[2] يستنجد به ضدهم وطلب منه ارسال فرقة عسكرية يسير بها الى مراكش لقتال يحيى ومن معه من الموحدين، وسرعان ما وافق الملك على طلبه لكن مقابل شروط وهي أن يعطيه عشرة حصون مما يلي بلاده يختارها بنفسه، وأن يبني لجيش النصارى الذين معه كنيسة بمراكش يظهرون بها دينهم ويضربون فيها نواقيسهم لصلواتهم، ومن اسلم منهم لا يقبل منه إسلامه ويرد إلى إخوانه فيحكمون فيه بأحكامهم، فوافق المأمون على جميع الشروط السابقة، فكان بذلك أول من أدخل عسكر الفرنج أرض المغرب[3] .

بعد هذهِ الفوضى التي آلت اليها دولة الموحدين اصبح امن البلاد في خطر ووحدتها مهددة بالفرقة وثار المغاربة غضباً اذ لم يكن قد سبق ان رأوا سلطناً لهم يستنجد بالنصارى لمقاتلة المسلمين على أرضهم, فقد أباح سلطانهم الجديد للنصارى قتل المسلمين والتحكم في رقابهم في عقر دراهم, فكانت هذهِ هي الفرصة السانحة للذين يريدون الانفصال عن جسم الدولة ومن ابرزهم واشدهم خطورة هو من كان يهدف الى اقامة مشروع سياسي في بلاد غمارة بعيداً عن الموحدين الثائر ابن ابو الطواجين (ت:623هـ/1227م) وهو ساحر كتامي وقد تمكن من اقناع العديد من

ناثرا، وافر الجلالة، توفي سنة (629هـ/1232م)؛ ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج22، ص324؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج8، ص209 .

([1]) احدى مدن الأندلس الكبرى تقع غربي مدينة غرناطة على نهر الوادي الكبير معنى اسمها الأرض المنبسطة، وقد تميزت بطيب الهواء وعذوبة الماء، وصحة التربة والزرع والضرع وكثرة الثمرات من كل نوع والصيد في البر والبحر، ينسب إليها عدد كبير من العلماء والقراء، والشعراء؛ ينظر: البكري، المسالك والممالك، ج2، ص902؛ القزويني، اثار البلاد، ص497 .

([2]) وهي من اقاليم الاندلس العظيمة قصبتها اليوم طليطلة؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص325؛ صفي الدين، مراصد الاطلاع، ج3، ص1094 .

([3]) ابن خلدون، العبر ، ج6، ص340–341؛ الناصري، الاستقصا في اخبار دول الاقصى، ج2، ص236–237 .

بني غمارة والبربر بالانضمام اليه بعد ان اثبت لهم بأنه نبي مرسل واظهر سحره على انه معجزات وكرامات النبوة[1] .

هنا وجد الصليبيون فرصتهم لضرب دولة الموحدين وامن البلاد, والعقيدة الاسلامية معاً حيث عملوا على الاتصال بأبن ابي الطواجين وجعلوه صنيعاً لهم لتحقيق مأربهم[2] .

فلم يكن بدأ هنا امام رجال الدين الا الخروج للوقوف بوجه هذهِ الفوضى التي اجتاحت امن البلاد ووحدتها, وهددت عقيدة الدين الاسلامي فكان على رأسهم الشريف عبد السلام بن مشيش الحسني فهو احد اقطاب التصوف في البلاد[3]، الذين كان لهم اثر كبير في حشد صفوف العامة ضد الغزاة[4]، فضلاً عن نسبه الشريف فخرج من خلوته في جبل العلم تاركاً العزلة متجهاً الى صدر المجتمع, ومتزعماً رجال الدين والجماهير منددين بأعمال الامير الموحدي مطالبين بالحفاظ على امن البلاد, لاسيما بعد ان سمح للجنود والنصارى ببناء كنيسة مسيحية لهم طبقاً للاتفاق السابق مع ملك قشتالة[5] .

هذا فضلاً عن رده على ابن ابي الطواجين واتباعه بالمنطق وبالأدلة الدينية, اكد لهم قولاً وعملاً كذب نبوءتهُ وفساد عقيدته[6] .

([1]) ينظر: الفاسي الفهري, مرآة المحاسن , ص288؛ الناصري, الاستقصا, ج1, ص263؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص125؛ العمراني، الجواهر الباهرة, ص138؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج21, ص7161.

([2]) مصابيح البشرية, ص125؛ اللهيوي، حصن السلام، ص425 .

([3]) ينظر: ابن عجيبة، احمد، (ت:1224هـ/1809م) شرح صلاة القطب بن مشيش سلسلات نورانية فريدة, تقديم: عبد السلام العمراني الخالدي, الدار البيضاء, (المغرب, د.ت), ص11؛ الفضلي، الدرر البهية, ج2, ص102؛ كنون، النبوغ المغربي, ج1, ص151- 152 .

([4]) Youssef M. Choueiri, A Companion to the History of the Middle East ,Blackwell publishing, united Kingdom, 2005, p. 110 .

([5]) ينظر: ابن عجيبة، شرح صلاة القطب، ص11؛ الفضلي، الدرر البهية, ج2, ص102؛ كنون، النبوغ المغربي, ج1, ص151- 152 .

([6]) محمود، القطب الشهيد عبد السلام بن بشيش دار المعارف, (القاهرة, د.ت), ص34.

فأوعز الصلبيين الى ابن ابي الطواجين بقتل المولى عبد السلام بن مشيش الحسني وذلك للتخلص من المعارضة الجماهرية التي قادها مع رجال الدين ضد الصليبين المنتشرين في البلاد, ومن جهة اخرى محاربة الدعاة للإسلام وقد أكد اللهيوي[1], على وجود " وثيقة بخزانة اسكريال بإسبانيا تؤكد ان قتل الموالى عبد السلام كان مدبراً على يد المسيحين "، فأن قتل رجال الدين والمتصوفة هو نهج متبع من قبل كل سلطات الاستعمار، ولاسيما في المغرب لانتشار التصوف بشكل كبير جداً واصبح كبار المتصوفة قادة للجماهير الثائرة ضد سلطات الاستعمار، وهذا ما اكد عليه Depont and Coppolani بأن وجود الصوفين في المغرب وتشعبهم بين طبقات المجتمع يشكل تهديداً كبيراً للوجود الاستعماري في البلاد، لذا فأن اي محاولة منهم للمقاومة يجب ان يقمع اعضائها بقوة وعلى الفور[2] .

ومن جهة اخرى ارسل ابن ابي الطوجين بأرسال عدداً من اتباعه واشياعه وفيهم بعض المسيحيين فرصدوا الشريف ابن مشيش حتى نزل من خلوته في جبل العلم الى عين قريب من الجبل فتوضأ منها واتجه راجعاً الى محل عبادتهُ مرتقباً الفجر فقتله غيلة سنة (623هـ/1227م) فمات شهيداً في سبيل الاسلام ودفاعاً عن وحدة بلادهُ, ومحافظة على امن وسلامة الناس من ظلم الدولة التي فسحت المجال العام للنصارى من التحكم بأمور البلاد ومقدراتها مما اثارت غضب الناس واستيائهم[3], ولهذا السبب يوعز د. عبد الله المرابط الترغي[4] الى ان مقتل الشيخ

([1]) حصن السلام، ص425؛ وينظر: الادريسي، مصابيح البشرية, ص125 .

([2]) Depont, Octave and Xavier Coppolani, Les confre´ries religieuses musulmanes. Publie´ sous le patronage de M. Jules Cambons, gouverneur ge´ne´rale de l'Alge´rie .Paris, Jourdan, 1897. P 279,89 .

([3]) ينظر: الناصري, الاستقصا, ج1, ص263؛ الكوهن, طبقات الشاذلية الكبرى، ص60؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص125؛ التمسماني, محمد بن محمد المهدي, عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه وقدس سره, دار الكتب العلمية, (بيروت, 1971م), ص269.

([4]) ينظر: الفاسي، عبد الله، بحث قراءة جديدة حول استشهاد الشيخ عبد السلام بن مشيش, الملحق الثقافي لجريدة الخضراء الأهلية, العدد (3), سنة 1995م .

عبد السلام بن مشيش كان بأمر من السلطان الموحدي ابو العلا المأمون فضلا عن تحريض الصليبيين له لتزعمه حركة المعارضة التي ثارت ضده في المغرب .

اما ابن ابي الطوجين فسرعان ما هرب مع اتباعه وتحاشى الاصطدام بالجيش الموحدي الذي خرج اليه من سبتة بعد مقتل الشريف، وتمكنوا من هزيمته وقتل اتباعه[1] ولم تنتهي تلك الحملات حتى قتل على يد شاب منهم سنة (623هـ/ 1227م)[2]، وانتهت بمقتله اكبر فتنة هددت امن وسلامة البلاد وعقيدة الاسلام انذاك .

المبحث الثاني
دور آل البيت العلوي في الجانب الإداري

شكل آل البيت العلوي في المغرب حلقة وصل ما بين السلطة والعامة، وذلك للمكانة المتميزة التي حظوا بها عند الناس كسبوها بنسبهم الشريف وعلمهم الواسع، فضلاً عن الخلق العظيم الذي عرفوا بهِ, لذا فان من دواعي احترام السلطة لهم توليهم للمناصب الادارية المهمة في الدولة, غير انهم لم يكونوا على منهج واحد فمنهم من

([1]) ينظر: الفاسي, مرآة المحاسن, ص288– 289؛ ابن عجيبة, شرح صلاة القطب, ص11؛ الاداريسي, مصابيح البشرية, ص125؛ العمراني, الجواهر الباهرة, ص138 .

([2]) ابن عجيبة، شرح الصلاة المشيشية، ص11؛ التليدي, عبد الله بن عبد القادر، المطرب بمشاهير اولياء المغرب، دار الامان، ط4، (الرباط، 2003م), ص96؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص125.

رحب بتلك المناصب وتولها عن رغبة, وهناك من رفضها وخرج من مدينته هرباً من الولاية زاهداً بها .

اولاً: المناصب الادارية المركزية

1. ولاية الامصار

تعد ولاية الامصار من المناصب الادارية المهمة التي تولاها رجال آل البيت العلوي في المغرب, فأن الوالي هو الشخصية الثانية من حيث الاهمية بعد السلطان لذا فأن الاشارة بتعين احداً منهم سواء كان من قبل السلطة أو من العامة في مثل هذا المنصب يبين مدى أيمانهم بهم, لاسيما فيما عرف عنهم من العدل والمساوة وحفظ حقوق الناس, فقد سبق وان حكم الأدارسة معظم مدن المغرب وعرفوا بالعدل بين الناس واعادوا الحقوق الى أصحابها، فكثيراً ما نقرأ عنهم: " كان أماماً راوية عارفاً بأحكام السنة والكتاب واقفاً عند حدهما مؤتمراً بأوامرهما, مزنجراً بزواجرهم, قائماً بحدود الله "[1], وقولهم: " فكان الناس بالمغرب في زمانهُ في امن ودعة الى ان توفي "[2] وقولهم: " عرف بفضلهِ وعدلهُ وأمانته ومحبتهُ للفقراء والمساكين والغرباء "[3], ومنها: " فسار بسيرة العدل والفضل والدين "[4], وكذلك: كان " حاكماً في الناس بما حكم الله بهِ عليهم لا يحابي احداً ولا يفضل احداً على احد "[5].

بهذهِ النظرة الايجابية عرف آل البيت العلوي سياسياً في المغرب لذا نجد أن السلطات سعت الى تعينهم لولاية المدن، فقد تولى الاشراف الحسينين ولاية صقلية ستة وثلاثون سنة، نواباً عن الفاطميين بمصر، اذ ولى اسماعيل بن محمد بن عبيد الله المهدي[6] (336-341هـ/947-953م)، الاشراف الحسينين عمالا على صقلية

([1]) السجلماسي, اتحاف اعلام الناس, ج2, ص27.

([2]) ابن ابي زرع, الأنيس المغرب, ص53.

([3]) الكتاني, سلوة الأنفاس, ج1, ص91.

([4]) ابن الخطيب, تاريخ المغرب العربي الوسيط القسم الثالث من كتاب اعمال الاعلام, تحقيق: احمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني, دار الكتاب, (بيروت: 1964م), ص207.

([5]) الكتاني, سلوة الانفاس, ج1, ص89.

([6]) وهو إسماعيل بن محمد بن عبيد الله يكنى بـ (أبو الطاهر)، ولقب بـ (المنصور بنصر الله) ثالث خلفاء الفاطمين بالمغرب، ولد سنة (302هـ/914م) بمدينة القيروان، وكان حازما خطيبا بليغا، بنى مدينة بقرب القيروان سماها (المنصورية) ونقل إليها حاشيته وجنده وتوفي بمدينته

سنة (334هـ/954م)، فمكثوا بها الى ان توفي، فأقرهم من بعده ولده معد بن اسماعيل[1] (341- 365هـ/952- 975م) على ملك صقلية الى حين وفاته، وقد سار ابنه نزار بن معد[2] (365-386هـ/967-996م) على نهج اسلافه فأقرهم على ولايتها الى ان استولى النصارى عليها سنة (366هـ/977م)[3] .

ومن خلال تتبعنا لتاريخ صقلية في المصادر الاجنبية بهدف البحث عن اخبار الاشراف هناك توصلنا الى اشارة تدل على وجود احد البيوت العلوية الحسنية كانت قد تولت امرة الجزيرة، اذ اشار مؤرخيهم الى وجود رجل يدعى Chamut (حمود) او Chamutus (حموديون)[4]، كان له حكم كل من مدينتي قصريانة[1]

المنصورية سنة (341هـ/953م) ودفن بالمهدية؛ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج9، ص122؛ الزركلي، الاعلام، ج1، ص322 .

([1]) وهو معد بن إسماعيل بن القائم بن عبيد الله يكنى بـ (أبو تميم) الفاطمي، خضعت له بلاد إفريقية كلها ما عدا مدينة سبتة, دخل القاهرة سنة (362هـ/973م)، فأصبحت مقر لهم إلى آخر أيامهم، توفي سنة (365هـ/975م)؛ ينظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج، (ت:597هـ/ 1201م)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت ،1412هـ)، ج14، ص245؛ الزركلي، الاعلام، ج7، ص265 .

([2]) وهو نزار بن معد بن منصور ويكنى بـ (أبو منصور)، ولقب بـ (العزيز بالله)، الفاطمي صاحب مصر والمغرب ولد في سنة (344هـ/955م) في مدينة المهدية وبويع له بعد وفاة أبيه وقد شهد حكمه فتن وقلاقل كثيرة؛ ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك، ج14، ص386؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج5، ص371 .

([3]) ابن الاحمر بيوتات فاس الكبرى، ص16 . مؤنس، حسين، تاريخ الجغرافية والجغرافين في الاندلس بحث في الملكة العلمية العربية عن طريق علم واحد في بلد عربي واحد، نشر: المطبعة الفنية، ط2، (القاهرة، 1986م)، ص178

([4]) وقد اشار الى ذلك حسين مؤنس في كتابه، تاريخ الجغرافية والجغرافين في الاندلس بحث في الملكة العلمية العربية عن طريق علم واحد في بلد عربي واحد، نشر: المطبعة الفنية، ط2، (القاهرة، 1986م)، ص184 .

وجرجنت[2] في صقلية[3]، وذكر المؤرخ Amari ان اسمه هو ابو القاسم بن علي بن حمود وهو من بيت بني حمود العلويين الحسنين الادارسة الذين تركو موطنهم في المغرب والاندلس بعد انتهاء دولتهم هناك، أي في منتصف القرن (5هـ/11م)، فتولى الزعامة بهما واستقل في حكمه عن حكم الجزيرة، ويبدوا انه قد تولى حكمها في وقت سادت به البلاد الاضطرابات اذ يبين بأنه كان له دواً كبيراً في المحافظة على البلاد ضد أي خطر يهددها سنين طويلة[4] .

ويبدوا انه قد تولى الحكم فيهما في حدود سنة (461هـ/1068م) وما بعدها، لان بالعودة الى تاريخ حكم جرجنت وقصريانة نجد انهما كانتا تحت حكم ابن الحواس[5] الذي قتل سنة (453هـ/1061م)، وحاول بني تميم بن معز الزيري ايوب

([1]) وهي من مدن الروم الكبيرة تقع في جزيرة صقلية على سن جبل مسورة بسور كبير يشتمل على زروع وبساتين وعيون ومياه؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص365؛ الحميري، الروض المعطار، ص475 .

([2]) وهي مدينة بجزيرة صقلية، حسنة زاهية قديمة العمران وتعد من أعظم الحصون لها قلعة سامية حصينة قريبة من البحر، يقصدها الناس من سائر الآفاق فهي من المدن المتحضرة عامرة بالتجارة بها أسواق جامعة لأصناف الصنائع وضروب المتاجر، وبها حدائق وجنات كثيرة؛ ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص493.

([3]) Metcalfe, Alex , The Muslims of medieval Italy, Edinburgh University Press Ltd, Edinburgh, 2009, p. 101; G. molaterra, la conquista de slcllia collezione opere inedite o rare, bologna, 1865,IV,cap.5 .

([4]) Amari, Micllele, storia dei musulmani di sicilia, Firenze, 1872, III ,P.175 Metcalfe, The Muslims of medieval Italy, p. 217 .

([5]) وهو علي بن نعمة ويعرف بـ (ابن الحواس)، احد القادة الذين حكموا مدن صقلية بعد ان عزل اخر الامراء الكلبين فيها سنة (444هـ/1052م)، وتقاسم البلاد مع قادة اخرين فاصبح تحت سلطته كل من قصريانة وجرجنت، الى ان حدث له خلاف مع زوج اخته ابن الثمينة وهو حاكم سرقوسة وقطبانية الذي نافسه في الحكم، مما ادى الى استنجاد ابن الثمينة بالروم فكان السبب الذي انهى حكم المسلمين بالجزيرة؛ ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص348-348؛ خضر، محمد زكي، ما اشبه اليوم بالبارحة، نشر: دار المنهل، (د.م، 2013م)، ص37 .

وعلي وحاولا السيطرة على البلاد بعد مقتل ابيهما فلم يتمكنا من ذلك فتركاها سنة (461هـ/1068م) ورجعا الى افريقية[1]، فلا بد ان يكون الشريف ابو القاسم قد تولى امرتها خلال تلك الفترة .

ونجد اول اشارة لهم في المصادر العربية التي بين يدي هي عند الرحالة ابن جبير[2] الذي زار صقلية في سنة (580هـ/1185م) اذ يقول: " ووصل هذه الأيام إلى هذه البلدة زعيم أهل هذه الجزيرة من المسلمين، وسيدهم القائد أبو القاسم بن حمود المعروف بـ (ابن الحجر)، وهذا الرجل من أهل بيت بهذه الجزيرة توارثوا السيادة كابراً عن كابر "، يتضح من هذا النص ان هذا الحاكم هو علوي واكد الرحالة بأنه من اهل البيت، ومن اسمه يتبين انه بيت الاشراف الحموديون، واشارته بانهم توارثوا السيادة كابراً عن كابر دليل على انهم كانوا قد دخلوا الجزيرة منذ فترة طويلة فكان لهم بها الزعامة والرياسة، وقد وجدنا مصداق هذا في المصادر والاجنبية.

وأصبح الحكم وراثياً في بيت الشريف ابو القاسم، وتولى امر البلاد من بعده ابنه الشريف ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم بن علي بن حمود، الذي كان من كبار رجال الدولة النورمانية ومدبري الامر فيها، وبعد وفاته حكم ابنه الشريف ابو القاسم بن حمود[3]، وهو الذي التقى به الرحالة ابن جبير سنة (580هـ/1185م)،

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص347-348؛ خضر، ما اشبه اليوم بالبارحة، ص36-39؛ غرايبة، عبد الكريم، عرب الماء والانسان، دار الفارس للنشر والتوزيع، (الاردن،2006م)، ص52 .

(2) الرحلة، ص314 .

(3) ابن ظفر، محمد بن ابي محمد، (ت: 567هـ/1175م)، سلوان المطاع في عدوان الاتباع، طبعة حجرية، (تونس،1279هـ)، ص3؛ ابن جبير، الرحلة، ص314؛ مؤنس، حسين، تاريخ الجغرافية والجغرافين في الاندلس بحث في الملكة العلمية العربية عن طريق علم واحد في بلد عربي واحد، نشر: المطبعة الفنية، ط2، (القاهرة، 1986م)، ص178؛
Morgan, David, Jermy Johns, Cambridge Studies Inislamic Civilizaton, Arabic Administration in Norman SicilY The Royal Dıwan, Cambridge, 2002, P.35; Abulafia, David, The Two Italies. Economic Relations

فيكون ما بين لقائه بالشريف وبين اول من تولى الامارة من هذا البيت الشريف سنة (461هـ/1068م)، (119) سنة وهذا يشير الى انهم كانوا يمتلكون مكانة عالية بين الناس، وقوة عسكرية وحنكة سياسية حتى تمكنوا من يستمروا باستقلالهم في حكم البلاد مع وجود الاستعمار النورماني فيها آنذاك .

كما كان لآل سليمان الحسنين نصيب في ولاية الامصار فمنذ وصول المولى سليمان بن عبد الله الكامل الى تلمسان بويع له على ولايتها[1]، واسس بها امارة آل سليمان وتولها ابنه الشريف محمد من بعده، فكانت له ولا بناءه امارتها وامارة ما حولها[2]، اذ نزل ابنه الشريف عيسى بن محمد بن سليمان الحسني (295هـ/907م) مدينة ارشقول[3] وتولى امارتها الى حين وفاته، وتوارث امارتها ابنائه[4] الشريف ابراهيم بن عيسى، ومن بعده ابنه يحيى بن ابراهيم (ت:

---

between the Norman Kingdom of Sicily and the Northern Communes, Cambridge, 1977, p. 246–250 .

([1]) العصامي المكي، عبد الملك بن حسين، (ت:1111هـ/1700م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد وعلي محمد، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1419 هـ)، ج4، ص127؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج1، ص97؛ الزركلي، الاعلام، ج6، ص149 .

([2]) ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص48؛ الزركلي، الاعلام، ج6، ص149 .

([3]) وهي احدى مدن المغرب تقع في ساحل مدينة تلمسان، وتطل على نهر تافنا تدخل فيه السفن من البحر إلى المدينة، وهي مدينة مسورة بها جامع كبير، آبار عذبة لا تغور تقوم بأهلها وبمواشيهم، ولها ربض من جهة القبلة ويقابله جزيرة في البحر تسمى جزيرة أرشقول؛ ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص26–27 .

([4]) ينظر: ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص48؛ البكري، المسالك والممالك، ج2، ص747؛ الزركلي، الاعلام، ج5، ص107 .

323هـ/935م)[1]، ومنهم ايضاً الامير عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان كان متولي امرة تلمسان[2]، وهو الذي يقول فيه الشاعر بكر بن حماد[3] :

سائل زواغة عن طعان سيوفه ورماحه في العارض المتهلل

وديار نفزة كيف داس حريمها والخيل تمرغ في الوشيج الذبل

غشى مغيلة بالسيوف مذلة وسقى جراوة من نقيع الحنظل

وتولى الشريف ابو زيد احمد الجوطي سنة (669هـ/1270م)، ولاية فاس من قبل الامير ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني[4] .

كما قام الشريف علي بن حمود بن ميمون الحسني (ت:408هـ/1018م)، بتولي ولاية طنجة[5] وغمارة وسبتة من قبل سليمان بن الحكم الاموي[6] (399-407هـ/951-1016م) من التاريخ سنة (403هـ/1009م)[7]، وانتهز حدوث

([1]) ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص153؛ البكري، المسالك والممالك، ج2، ص747؛ الزركلي، الاعلام، ج8، ص107 .

([2]) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص200؛ الزركلي، الاعلام، ج5، ص100؛ الحميري، الروض المعطار، ص135؛ منصور، اعلام المغرب، ج2، ص103؛ نويهض، معجم اعلام الجزائر، ص246 .

([3]) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص200؛ منصور، اعلام المغرب، ج2، ص104 .

([4]) ابن ابي زرع, الذخيرة السنية, ص126.

([5]) وهي مدينة قديمة في المغرب الاقصى على ساحل البحر، وتعرف بالبربرية (وليلى) افتتحها عقبة بن نافع، وهي طنجة البيضاء المذكورة في التواريخ، وكانت دار ملوك المغرب، وهذه المدينة الازلية أثارها ظاهرة وبنائها بالحجارة، ولها نهر كبير تدخله السفن، يصب في البحر؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص43؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، مكتبة الثقافة الدينية، (بيروت،1423هـ)، ص147؛ الحميري، الروض المعطار، ص395-396.

([6]) وهو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر يكنى (أبو أيوب) ولد سنة (354هـ/965م)، وهو احد خلفاء الاموين في الأندلس ولقب بـ (المستعين بالله والظافر بالله)، بويع بعد مقتل هشام بن سليمان، توفي سنة (407هـ/1016م)؛ ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج17، ص283؛ ابن خلكان، الوافي بالوفيات، ج15، ص227 .

([7]) ابن حزم، جمرة انساب العرب، ص50؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص295؛ المراكشي، المعجب، ص41؛ عنان، دولة الاسلام، ج1، ص657؛ الحسني، المنتقى، ص326-327 .

الفتنة التي عمت الاندلس عقب سقوط الخلافة الاموية، فاستولى على مالقة[1] ومنها الى قرطبة واسس دولة الحموديين هناك[2] .

كما كان للشريف يحيى بن عمران بن عبد الجليل الكتاني الحسني (ت: 393هـ/1003م)، ولاية امارة زواوة باختيار اهلها له, وعرف بعد ذلك بـ (أمير الناس), و(أمير المؤمنين)، بعد ان وصل اليها هارباً من عساكر ابن ابي العافية المكناسي حيث خرج من فاس الى قلعة حجر النسر التي استقر بها فترة من الزمن, ثم انتقل الى زواوة فأختارهُ اهلها اميراً عليهم لنسبهُ الشريف ولما عرف عنهُ من التقوى التي تبعث على الشجاعة في قول الحق ومواجهة الظلم الواقع على عاتق الناس[3], اشار الكتاني[4] الى ذلك قائلاً: " وكانت له بزوارة بعد وصوله اليها المنزلة الفاخرة والمكانة الباهرة, واشتهر فيها بصراحة النسب وسمو الحسب وكان لأولاده بها الصيت العظيم والجاه العميم ولقبوا هناك بأمراء الناس لما كان لهم من النفوذ التام والتصرف العام والاعزاز والاكرام والتعظيم والاحترام " .

([1]) وهي احدى مدن الأندلس من أعمال رية سورها على شاطىء البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية؛ ينظر: الشريف الادريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص570؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص43 .

([2]) السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور، (ت:562هـ/1167)، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى، دائرة المعارف العثمانية، (حيدر آباد، 1962م)، ج12، ص340؛ ابن الاثير، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، (بيروت، د.ت)،ج3، 232؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص295؛ المراكشي، المعجب، ص41؛ عنان، دولة الاسلام، ج1، ص657؛ الحسني، المنتقى، ص326-327 .

([3]) ينظر: الفضلي, الدرر البهية, ج2, ص108؛ الكتاني, الشرب المختصر, ص125- 126؛ حشلاف, سلسلة الاصول, ص55؛ الكتاني الحسني, محمد بن عبد الكبير بن هاشم, (ت:1362هـ/1943م), تحفة الاكياس ومفاكهة الجلاس فيما غفل عنهُ صاحب زهرة الاس في بيوتات فاس, تحقيق: علي بن المنتصر الكتاني, الدار البيضاء, (المغرب,2002م), ص451؛ السجلماسي، اتحاف اعلام الناس، ج4، ص32؛ ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص210-211؛ الادريسي, محمد بن عبد الحي بن عبد الكبير, (ت:1382هـ/1962م), التنويه والاشارة بمقام رواية ابن سعادة لصحيح الامام البخاري, تحقيق: عبد المجيد خيالي, دار الكتب العلمية, (بيروت: د.ت), ص10؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص108 .

([4]) الشرب المختصر, ص126.

الا اننا نجد ان تلك الرغبة في تولي الامارة لم تكن قائمة عند الجميع حيث أدت كثرة التقلبات السياسية وتغير الاهواء ما بين الحين والاخر الى انسحاب بعضهم واعراضهم عن الملك زهداً منهم بالمناصب, ومثل ذلك ما حدث مع الشريف محمد مزوار بن علي الحسني (ت:250هـ/864م) فهو من الامراء الادارسة الا انه زهد في الملك والرياسة فرفض الامارة وخرج من فاس متجهاً الى الجبال متعبداً مشتغلاً بالعلوم الدينية الى حين وفاته، وقد سار ابناءه على خطاه[1] .

2. الوزارة

اشتق لفظ " الوزير" مشتق من ثلاثة الفاظ " الوِزْر" وهو الثقل, و" الوزَر" وهو الملجاء والمعتصم, و"الازر" وهو الظهر[2], والوزارة: اسم جامع للمؤازرة وهي المعاونة لأن الوزير يكون عوناً لملك يحمل عنهُ ثقل اعباء السياسة[3] .

ومنصب الوزير من المناصب المهمة في الدولة الا ان ذلك لم يكن من نصيب رجال آل البيت الا في عهد الدولة المرينية والسبب في ذلك يرجع الى الظروف السياسية الصعبة التي مرَّ بها العلويون في المغرب على اثر المحنة التي اصابتهم على يد ابن ابو العافية المكناسي التي اضطرتهم الى هجر البلاد, وتخفي من بقي منهم عن رجال السلطة, الا انهم شغلوا منصب الوزارة في عهد السلطان يوسف بن

([1]) الزياني, جمهرة التيجان, ص92؛ وينظر: الزياني، تحفة الحادي المطرب, ص60.

([2]) ابن دريد, جمهرة اللغة, ج2, ص712, مادة (رزي)؛ الرازي, مختار الصحاح, ص337, مادة (وزر)؛ ابن منظور, لسان العرب, ج5, ص283, (فصل الواو)؛ الفيومي, المصباح المنير, ج2, ص657، مادة (وزر) .

([3]) ابو بكر الانباري, محمد بن القاسم بن محمد, (ت:328هـ/940م), الزاهر في معاني الكلمات, تحقيق: حاتم صالح الضامن, مؤسسة الرسالة, (بيروت, 1992م), ج1, ص207؛ ابن منظور, لسان العرب, ج5, ص283, (فصل الواو)؛ اليوزبكي, توفيق سلطان, دراسات في النظم العربية الاسلامية, نشر: جامعة الموصل, (الموصل, 1988م), ص77.

يعقوب المريني[1] (685- 706هـ/1286-1307م) حيث اتخذ من الشريف يحيى بن حازم العلوي (ت: ق: 7هـ/13م), وزيراً لهُ[2] .

ويعد منصب الوزير من اهم المناصب في عهد السلطان يوسف حيث تعددت مهامهُ منها النظر في السلاح ورئاسة الجيش والحرب هذا فضلاً عن محافظته على الامن والنظر في الولاة والجبايات[3], لذلك حرص على ان يكون الوزير اهلا لهذا المنصب المهم, لاسيما وان السلطان انشغل في الحروب فكان لابد من ان يكون وزيرهُ من ذوي القوة والسياسة للمحافظة على البلاد, لذا كان اختيارهُ للشريف يحيى بن حازم العلوي مبنياً على مكانه الشريف الاجتماعية التي سوف تضبط لهُ حسن السياسة والمعاملة مع الناس, هذا فضلاً عن شجاعتهُ فقد اشار المؤرخون الى مشاركتهُ في الحروب وقيادة الجيوش[4] .

3. الكتابة

لقد ظهرت وظيفة الكتابة في الدولة الاسلامية منذ عهد النبي (ρ), فهي وظيفة معاونة ومساعدة للسلطة العليا في تصريف شؤون البلاد, فكان الكاتب من

([1]) وهو يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن يحو، يكنى بـ (ابو يعقوب)، ويلقب بـ (الناصر لدين الله)، من سلاطين الدولة المرينية في المغرب الأقصى ولد سنة (638هـ/1240م)، كان سلطاناً مهابا شجاعاً جوادا عادلا مشفقا على الرعية ويتفقد احوالها عمل على تهذيب البلاد واكسابها رونق الحضارة وبهاء الملك، توفي سنة (706هـ/1307م)؛ ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، نشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط2،(الهند،1972م) ،ج6، ص255؛ الناصري، الاستقصا، ج3، ص66 .

([2]) ابن الاحمر, النفحة النسرينية واللمحة المرينية, تحقيق: عدنان بن طعمة, نشر: دار سعد الدين, ص7؛ ابن الاحمر، روضة النسرين, ص18؛ ابو عبد الله الفاسي, الذخيرة النسية, ص87؛ ابو عبد الله الفاسي، الانيس المطرب, ص298.

([3]) ينظر: حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2, ص105-106.

([4]) ينظر: المبحث الثالث من الفصل الثاني في الاطروحة .

اعوان الخليفة المقربين له فهو بمثابة خزانة اسرارهُ واقرب اليه من الوزير[1], لذا شرط على من يتولى هذا المنصب ان يكون من اهل الثقة حليماً حكيماً مقداماً مؤثراً للعفاف والعدل والانصاف, كتوماً للأسرار وفياً عند الشدائد عالماً في كل فن من فنون الادب متفقهاً بالدين, عارفاً بأيام العرب والعجم, بعيداً عن الطمع كريم النفس[2]، لأنهُ مرآة احوال الامام ولسانهُ الذي يخاطب بهِ الاصدقاء والاعداء القريب والبعيد[3] .

كانت بلاد المغرب احدى البلاد الاسلامية التي عرفت نظام الكتابة، ورجال آل البيت العلوي خير من يشغل هذا المنصب المهم فهم افضل من اتصف بصفات الثقة والمروءة والعلم وحسن الخلق, ولكن قد اصاب وظيفة الكتابة ما اصاب غيرها من الانحسار بسبب المحنة التي تعرضوا اليها, غير انهم تقلدوها بعد قيام دولتا المرابطين والموحدين في المغرب الاقصى فضلا عن توليهم مناصب اخرى مهمة منها خطة الكتابة التي تعد من الخطط الهامة في دولة الموحدين حيث حشد خلفاء الدولة في بلاطهم اقطاب الكتاب المجيدين ليكونوا لساناً للخليفة وترجماناً لهُ في مخاطبته الولاة والقبائل كافة سواء كان بالمغرب أو بالأندلس[4], وسعوا لأن يكونوا كتابهم من ائمة الأدب والبلاغة واهل العلم فكان من جملتهم رجال آل البيت العلوي القادمين من الاندلس الى مراكش وعلى رأسهم الشرفاء الحسينين الصقليين الذين استقبلهم الموحدين باهتمام وتقدير وولوهم العديد من الوظائف المهمة، منها وظيفة

([1]) ينظر: الكروي, ابراهيم سليمان, المرجع في الحضارة الاسلامية, منشورات ذات السلاسل, (الكويت, 1987م), ص59؛ حسن, حسن علي, الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموحدين, نشر: مكتبة الخانجي, (القاهرة, 1980م), ص113.

([2]) ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار البلخي، (دمشق،2004م)، ص248؛ نصر الله, دولة الادارسة, ص122.

([3]) حسن, الحضارة الاسلامية, ص113؛ نصر الله, دولة الادارسة, ص112.

([4]) عنان, محمد عبد الله, دولة الاسلام، ق2, ص622؛ حسن, الحضارة الاسلامية, ص113.

الكاتب[1], وأول من تولاها منهم الفقيه الشريف طاهر بن الحسين بن موهوب الصقلي[2] (ت: 366هـ/977م) .

ويبدوا ان حرصهم في اختيار الأشراف الصقليين فضلاً عن نسبهم الشريف وعلمهم الزاخر, هو معرفتهم بأحوال النصارى في الاندلس أكثر من الكتاب المغاربة, لاسيما بعد ان أصبحت الاندلس ولاية من ولايات امبراطوريتهم الواسعة .

ولم يكن هذا الاهتمام حصراً على الموحدين فحسب بل سعى حكام دولة بني مرين الى جذب اشراف آل البيت العلوي اليهم وتولية المناصب العليا في الدولة فكانت الكتابة احدها, فأتخذ الأمير يعقوب بن عبد الحق المريني من الشريف محمد بن عمران العمراني (435هـ/1044م), كاتباً لهُ, فكان حسن السيرة مؤتمناً علماً فذاً, مما جعل الامير يجمع لهُ منصب القضاء والكتابة معاً لحسن سياستهُ وادارتهُ للأمور[3] .

وعندما تولى بعدهُ ابنهُ الامير يوسف بن يعقوب المريني (685- 716هـ/ 1286- 1306م), امور الدولة سعى الى ان يبقى الشريف محمد بن عمران العمراني في وظيفته لأمانتهُ وسعة علمه وحرصه على حفظ اسرار الدولة[4].

مما سبق يتضح ان اهمية هذا المنصب جعل من الخلفاء حذرين في اختيارهم للكاتب لذا فضل الامير يوسف ان يبقي على الشريف العمراني لمعرفتهُ التامة بأنهُ كان بحكم عمله وثيق الصلة بوالدهُ وعارفاً لكل امور الدولة وهو اجدر بهذهِ الثقة من غيرهُ, هذا فضلاً عن ما عرف به من حسن الاخلاق والسيرة الحسنة والعلم الوفير .

ثانياً: الخطط الدينية الادارية

([1]) ابن عبدالله الفاسي, الاشراف, ج2, ص95؛ السملالي, الاعلام بمن حل بمراكش, ج8, ص202؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج17, 5700.

([2]) ابن الاحمر, بيوتات فاس الكبرى, ص17.

([3]) ابن الاحمر, النفحة النسرينية، ص7- 8؛ ابن الاحمر، روضة النسرين, ص18- 19؛ ابن عبدالله الفاسي, الذخيرة السنية, ص87؛ ابو عبد الله الفاسي، الانيس المطرب, ص299- 300.

([4]) ابن الاحمر, نفخة النسرينية، ص8؛ وروضة النسرين, ص21؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج2, ص548؛ ابن عبدالله الفاسي, الانيس المطرب, ص375.

1. ولاية القضاء

ان من دواعي احترام السلطة لعلماء وفقهاء آل البيت العلوي توليهم لمنصب القضاء, اذ يعد القضاء من أهم المناصب والمسؤوليات في المجتمع الاسلامي لما له من منزله كبيرة وهيبة عظيمة, واشار النبهاني[1] الى ذلك بقوله: " وخطة القضاء في نفسها عند الكافة من أسنى الخطط، فإن الله تعالى قد رفع درجة الحكام، وجعل إليهم تصريف أمور الأنام، يحكمون في الدماء والأموال، والحلال والحرام، وتلك خطة الأنبياء ومن بعدهم من الخلفاء فلا شرف في الدنيا بعد الخلافة أشرف من القضاء ", فهو وسيلة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اذ به تتحقق العدالة ويرفع الظلم والطغيان عن الناس وتسوى الخصومات, وتجتث العداوات وتصان الدماء والأعراض والاموال, وعدها ابن خلدون[2] من الوظائف الداخلة ضمن منصب الخليفة وبذلك ارجع اصل توليتها للخليفة نفسهُ لأهميتها فقال: " فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لأنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسما للتداعي وقطعا للتنازع إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة، فكان لذلك من وظائف الخلافة ومندرجا في عمومها " .

أ. تعريف القضاء

لقد جاء المعنى اللغوي للقضاء: بأنه الفصل والقطع في الحكم والقدرة [3]، اما في الاصطلاح: فهو بيان الحكم في نزاع، أو الحكم على مرتكب المعصية على

([1]) علي بن عبد الله بن محمد، (ت: نحو792هـ/1390م)، تاريخ قضاة الأندلس المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، ط5، (بيروت، 1983م)، ص2؛ وينظر: حسن حسن علي, الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس عصر المرابطين والموحدين, نشر: مكتبة الخانجي, (القاهرة, 1980), ص156.

([2]) ابن خلدون, العبر، ج1, ص257؛ وينظر: حسن, الحضارة الاسلامية, ص156.

([3]) ابن منظور، لسان العرب، ج15, ص186، مادة (قضى)؛ الزبيدي، تاج العروس، ج39, ص310، مادة (قضى) .

سبيل الإلزام والنفاذ[1]، والفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتنازع وقطعاً للتداعي[2] .

ب. اسباب اختيار القضاة

ان عظمة هذا المنصب وتأثيرهُ المباشر في أوضاع المجتمع, فرض على من يتولاه ان تتوفر بهِ عدد من الشروط اللازمة المستمدة من أصول الشريعة الاسلامية وسطرت كتب الفقه وآداب القضاء عددا منها[3], وفيما يخص دراستنا سوف نتطرق لهذه الشروط لنعرف مدى توفرها بقضاة العصر الذي نؤرخ له من رجال آل البيت العلوي الذين تولوه ومن أهم تلك الشروط هي: البلوغ والذكورة، والإسلام، والعقل، والحرية، والعدالة، وسلامة الحواس، والعلم[4] .

ولخص السمرقندي[5] ذلك بقوله: " يشترط في من يتولى القضاء ان يكون موثقاً في دينه، وعفافه، وصلاحه، وعمله، ومعرفته بالسنة والاثار والتأويل " .

([1]) ينظر: ابن النجار، محمد ابن احمد بن عبد العزيز، (ت:972هـ/1564م), معونة اولي النهي شرح المنتهى "منتهى الارادات"، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله دهيش، مكتبة الأسدي، ط5, (مكة المكرمة ،1329هـ)،ج11, ص79؛ البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح (ت:1051هـ/1642م)، كشاف القناع من متن الاقناع، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت), ج6, ص285 .

([2]) ينظر: البهوتي، دقائق اولي النهي لشرح المنتهى, عالم الكتب،(بيروت،1993م)، ج3، ص843؛ عبد القادر، علي، الفقه الإسلامي القضاء والحسبة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر,(بيروت،1986م)، ص57.

([3]) الهموندي، جنان عبد الجليل محمد، القضاء والقضاة في المغرب الأدنى الى القرن الرابع الهجري، أطروحة دكتوراة غير منشورة، الجامعة المستنصرية كلية التربية، (بغداد،1997م)، ص86 .

([4]) ينظر: ابن حزم، المحلى بالاثار، دار الفكر، (بيروت، د.ت)،ج2، ص427؛ ابن الفراء، الاحكام السلطانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، ط2, (بيروت،2000م) ، ص60 .

([5]) نصر بن محمد بن احمد (ت:373هـ/983هـ), خزانة الفقه، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية, (بيروت،1426هـ)، ص327.

وبناءٍ على ما تقدم نجد ان طبقة العلماء والفقهاء كان لهم الحظ الأوفر في هذا المنصب لما كان يعرف عنهم من ثقة وصلاح ودين وعفاف وعلم ومعرفة بكتاب الله (Y) والسنة والأثار لأنها مصدري الشريعة الأساسيين, وهما المرجع الأول للقضاء, وقد اشار النبهاني[1] الى ذلك بقولهِ: " أما الصفات التي ينبغي أن يكون عليها كملاء القضاة، فهي العلم بالكتاب والسنة وما وقع عليه إجماع الأمة؛ والاجتهاد المتكلم به عند الفقهاء ", وممن تولى القضاء من علماء وفقهاء آل البيت العلوي القاضي محمد بن عيسى الحسني ولاه الامير الرشيد عبد الواحد الموحدي, على قضاء ولاية مراكش, كما اضيف اليه فيما بعد ولاية قرطبة وبذلك تولى قضاء مدينتين في آن واحد, فكان اماماً عادلاً عالماً صالحاً مستبحراً مفتياً مجتهداً من اهل الرأي عارفاً بالفقه وبأصولهُ وفروعهُ وبالحديث شديد الفهم[2], وهو مالك لشروط القضاء ولاسيما العلم فإن شرط العلم هاجس ولاة الامور في اختيار من يتولى منصب القضاء, وهذا كثيراً ما نلاحظهُ عند الاطلاع على سيرة القضاة، اذ تتردد عبارات عدة عنهم كقولهم: " كان فقيهاً عالماً ... من اهل الرأي والنجدة مقدماً في الفتيا "[3], " فقيهاً اماماً عالماً صالحاً "[4]، و" شديد الفهم كثير الحفظ عارفاً بالفقه "[5], " وكان صالحاً خيراً ناسكاً "[6], " وكان عادلاً فاضلاً ورعاً "[7], ان هذهِ الاوصاف لم يطلقها المؤرخون جزافاً على القضاة من آل البيت العلوي أنما عنوها واطلقوها على من تمتع بها, وعرف بأهليته لهذهِ العلوم واتقانهُ بها .

([1]) تاريخ قضاة الاندلس، ص206؛ حسن, الحضارة الاسلامية, ص160.

([2]) ينظر: ابن عسكر, اعلام مالقة, ص192- 193؛ التنبتكي, نيل الابتهاج, ج1, ص379؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج1, ص215؛ السملالي, اعلام بمن حل مراكش, ج4, ص229.

([3]) ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج1و ص215.

([4]) السملالي, الاعلام بمن حل مراكش, ج4, ص229.

([5]) ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج1, ص215.

([6]) ابن الاحمر, بيوتات فاس الكبرى, ص171.

([7]) ابن ابي زرع, الذخيرة السنية, ص48.

وتولى ايضاً الشيخ عبد النور بن محمد العمراني الحسني, قضاء فاس[1] وقد كان " مدرساً عالماً وجيهاً ذا معرفة تامة بالفقه مشاركاً في الاصلين من مقدمي اهل الشورى "[2] .

كما تولى الشريف ابو طاهر عمارة بن يحيى الحسني ولاية بجاية زمن الموحدين[3], فقد كان من الفقهاء المتقدمين في العلم ولاسيما في العربية والادب ولهُ مصنف في علم الفرائض وهو من العلوم الشرعية[4] ويعد ذلك من شروط جمهور الفقهاء فيمن يتولى القضاء وهو " ان يكون عالماً بالأحكام الشرعية وعلمهُ بها يشتمل على علم اصولها والارتياض بفروعها "[5] .

وتولى بعض علماء آل البيت العلوي المغاربة منصب القضاء خارج المغرب وفي مقدمتهم الفقيه محمد بن وهب بن بكير الكتاني الحسني (ت:461هـ/1069م) الذي تولى قضاء قلعة رباح[6] في الاندلس, فكان عادلاً معروفاً بالتضحية

([1]) لم يذكر اي من المؤرخين الذين ترجموا له فيما بين يدي من مصادر, من قبل اي من الولاة كانت توليتهُ لمنصب القضاء .

([2]) التنبكتي, كفاية المحتاج, ج1, ص304؛ وينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج, ج1, ص286؛ الكتاني, سلوة الانفس, ج2, ص160.

([3]) لم يذكر اي من المؤرخين الذين ترجموا لهُ اي من خلفاء الموحدين اؤكل اليه قضاء بجاية, لكن بناءاً على تاريخ وفاتهُ سنة (585هـ/ 1189م), يكون في زمن ابو يعقوب يوسف الأول (558-580هـ/1163- 1184م) .

([4]) الغبريني, عنوان الدراية, ص45؛ نويهض, معجم اعلام الجزائر، ص242؛ الحسيني, موسوعة العلماء والادباء الجزائريين, ج2, ص324 .

([5]) الماوردي, الاحكام السلطانية, دار الحديث, (القاهرة, د. ت), ص112؛ وينظر: الباجي, سليمان بن خلف, (ت:474هـ/ 1081م), فصول الاحكام وبيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام, تحقيق: محمد ابو الاجفان, دار ابن حزم, ص113.

([6]) وهي مدينة بالأندلس تقع غربي طليطلة وبين المشرق والجوف من قرطبة، بها العديد من القرى والنواحي واقاليم وقد نسب اليها العديد من العلماء والنحوين واهل اللغة والشعراء والفقهاء والمحدثين؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص23؛ صفي الدين، مراصد الاطلاع، ج2، ص600؛ الحميري، الروض المعطار، ص469 .

والاخلاص عفيفاً ليناً مع الناس محبباً لديهم قائماً بالكتاب والسنة[1]، وتعد هذه الولاية دليل على حسن سمعة قضاة وفقهاء آل البيت العلوي المغاربة مما جعل الولاة يسعون الى توليتهم لهذا المنصب المهم في بلدان اخرى .

والى جانب هذا التنوع في مواطن القضاء, كان هناك نوعان من القضاة منها (قضاة المدن) وهم الموكل لهم بقضاء مدينة واحدة, و(قضاة الجماعة)[2]، ولهم رئيس اكبر يدعى بـ (قاضي القضاة)، وهو الذي يعد الرئيس الاعلى للقضاء, يرجع اليه في الاحكام العليا[3], وقد تولى منصب قاضي القضاة في مراكش الفقيه الشريف عبد الله بن طاهر الحسيني (ت: 587هـ/1191م), في عهد الموحدين فهو عالم وفقيه ذو دين وصلاح وحسن حال, وهي من الشروط الواجب توفرها في القاضي وكان عند حسن ظنهم عادلاً، لا تأخذه في الحق لومة لائم, مما مكنه من البقاء في هذا المنصب حتى وفاته[4] .

اما منصب قاضي الجماعة فيكون عادة في العاصمة أو في احدى المدن الكبرى وله نواب في كافة المدن الاخرى, وكان كل من قاضي مراكش وقاضي قرطبة يدعى بقاضي الجماعة[5]، وهذا اللقب يوازي لقب (قاضي القضاة) في المشرق, وعبر عن ذلك المقري[6] بقوله: " وقاضي الجماعة عند المغاربة هو بمعنى قاضي القضاة عند المشارقة "، ويعد قاضي الجماعة اعظم رتبة قضائية في المغرب,

---

([1]) ابن بشكوال, خلف بن عبد الملك بم مسعود, (ت: 578هـ/1191م), الصلة, تحقيق: شريف ابو العلا العدوي, نشر مكتبة الثقافة الدينية, (القاهرة: 2008م), مج1, ص183.

([2]) ينظر: حركات, المغرب عبر التاريخ, ج2، ص108؛ حسن, الحضارة الاسلامية, ص85.

([3]) حسن, الحضارة الاسلامية, ص85.

([4]) ينظر: ابن الاحمر, بيوتات فاس الكبرى, ص17, 19؛ ابو عبد الله الفاسي, الاشراف، ج2, ص65؛ السملالي, الاعلام بمن حل مراكش، ج8, ص202 .

([5]) حركات, المغرب عبر التاريخ, ج2، ص108؛ حسن, الحضارة الاسلامية , ص159؛ موسى, عز الدين احمد, تنظيمات الموحدين ونظمهم في المغرب, د. مط, (بيروت, 1969م), ص231.

([6]) احمد بن محمد، (ت:1041هـ/1632م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: احسان عباس، دار صادر،(بيروت ،د. ت)، ج5, ص385.

اذ عهد ولي الامر بتعين قضاة المدن, وقد أوضح النبهاني[1] ذلك بقولهِ: " والظاهر ان المراد بالجماعة جماعة القضاة اذ كانت ولايتهم .... غالباً من قبل القاضي بالحضرة السلطانية ", مضافاً الى ذلك النظر في المظالم, وخطة الكتابة هذا فضلاً عن استشارتهم ومشاركتهم في المهام المتعلقة بالشؤون القضائية, لكونهم اعلى هيئة استشارية في الدولة متمثلين للشريعة والقانون[2] .

وممن تولى منصب قاضي الجماعة بولاية مراكش من آل البيت العلوي الشريف محمد بن عبد الله الصقلي الحسيني بأمر ابو يوسف المنصور الموحدي, وهو ابن قاضي مراكش وقرطبة السابق الذكر, وقد اختير لنسبه الشريف وعلمه الوفير ودقة اجتهاده، ولهذا سعى ولاة الامر الى اختيار فرداً من اسرته لتولى هذا المنصب المهم, يقول الباجي[3] في ذلك: " لا يصلح للقضاء بين الناس الا اهل البيوتات والشرف المعروفون بالعدالة والفهم الثاقب والعقل الراجح والعلم البارع وان يكون عالماً باختلاف العلماء وما مضى عليه عمل السلف الصالح وقوراً بالزهد نزيهاً عما في ايدي الناس قليل الحاجة اليهم ", وهذا ما عرف بهِ القاضي محمد الحسيني حيث كان عالماً راوية للحديث, حافظاً له عارفاً برجالهُ وبصيراً بعللهُ[4]، فاضلاً عادلاً ورعاً لم يعرف لهُ في احكامهُ ميل, ولم يقبل هدية من احد منذ ان ولي القضاء الى ان توفي[5] .

([1]) تاريخ قضاة الاندلس, ص21.

([2]) ينظر: النبهاني, تاريخ قضاة الاندلس, ص5؛ حركات, المغرب عبر التاريخ, ج2، ص108-109؛ حسن, الحضارة الاسلامية, ص160؛ موسى, تنظيمات الموحدين, ص131.

([3]) فصول الاحكام, ص112- 113.

([4]) ابن الابار, التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، (بيروت، 1995م), ج2, ص162؛ وينظر: ابن ابي زرع, الذخيرة السنية, ص48؛ ابن الاحمر, بيوتات فاس الكبرى, ص17؛ الجمعية المغربية, ج18, 5549.

([5]) ابن ابي زرع, الذخيرة السنية, ص48؛ وينظر: السملالي, الاعلام بمن حل مراكش، ج4, ص164.

ويعد العدل الذي وصف بهِ قضاة آل البيت العلوي من الشروط المهمة الواجب توفرها في القاضي اذ لا يكون القاضي الا من أهل العدل وقال (ρ):« الْقُضَاةُ ثَلاَثَةٌ وَاحِدٌ فِى الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِى النَّارِ فَأَمَّا الَّذِى فِى الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِى الْحُكْمِ فَهُوَ فِى النَّارِ وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِى النَّارِ »[1], لذا كان الفقهاء ينصحون ولاة الامور باختيار افضل الرعية لولاية القضاء ممن يتصف بالعدل والحكم والروع[2] .

وتولى من هذه الاسرة ايضاً الشريف طاهر بن محمد بن علي الحسيني, منصب قاضي الجماعة بمراكش وقد عرف عنهُ العدل وحسن السيرة والصلاح[3] .

ونظير ذلك ما قام بهِ السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني اذ عين ثلاثة من علماء الاشراف لمنصب قاضي مراكش الاول القاضي عبد الله الشريف، والثاني القاضي الشريف ابو فارس عبد العزيز العمراني, الذي عرف عند المؤرخين بالفقيه لعلمهُ وتضلعهُ بالفقه[4]، اما الثالث فكان الشريف ابو القاسم بن عبد الرحمن بن سعيد الحسيني لما امتاز به من علم بالأحكام فضلاً عن تضلعه بعلم الفقه والحديث والقراءات[5] .

مما تقدم يتبين لنا مدى ما كان لعلماء آل البيت العلوي من مكانهُ مميزة عند حكام دولتهم اذ ان اغلب من تولى منهم القضاء, يكون قد تولى اعلى مرتبة بهِ وهي

([1]) أبو داود، السنن، ج3، ص299، رقم (3573)؛ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، (ت: 458هـ/1066م)، معرفة السنن والآثار، تحقيق: احمد عبد المعطي امين، دار الوفاء، (القاهرة، 1991م)، ج14، ص222؛ رقم (19732).

([2]) ابن حيون, دعائم الاسلام, ص359.

([3]) ينظر: ابن الاحمر, بيوتات فاس الكبرى, ص17؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج6, ص200–201.

([4]) ابن ابي زرع, الانيس المطرب, ص298, 375؛ ابن ابي زرع، الذخيرة السنية, ص86؛ السملالي, الاعلام بمن حل مراكش, ج8, ص403؛ وج10, ص15.

([5]) ينظر: ابن القاضي, درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية،(بيروت،1423هـ)، ج3, ص74؛ السملالي, الاعلام بمن حل مراكش, ج1, ص378؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج1, ص282.

(قاضي الجماعة) وهذا ان دل على شيء فإنما هو لأيمانهم بهم ولمعرفتهم التامة بما يتمتعون بهِ من علم ودين تؤهلهم لهذا المنصب المهم .

2. الافتاء

يشير ابن منظور[1] الى معنى الافتاء لغة بقوله: " أفتاه في الأمر أبان له، وأفتى الرجل في المسألة واستفتيته فيها فأفتاني إفتاء ... يقال: أفتيت فلانًا رؤيا رآها إذا عبرتها له، وأفتيته في مسألة إذا أجبته عليها ... يقال: أفتاه في المسألة إذا أجابه ... والفتيا والفُتْوى والفَتْوى: ما أفتى به الفقيه " .

وقولهم: " الفقيه يفتي اي يبين المبهم "[2]، وافتى المفتي اي احدث حكماً[3]، قال تعالى: **(وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ)**[4]: " أي يبين لكم حكم ما سألتم"[5] .

اما اصطلاحا: فهو بيان حكم الله (I) بمقتضى الادلة الشرعية على وجه العموم والشمول[6]، والمفتي: هو المخبر عن حكم الله (I) [7]، والمتمكن من معرفة أحكام الوقائع شرعًا بالدليل مع حفظه لأكثر الفقه[8] .

([1]) لسان العرب، فصل الفاء، مادة (افتى)، ج15، ص147 .

([2]) الفراهيدي، العين، باب (التاء والفاء و(و ء ى) معهما ف و ت، ف ت)، ج8، ص137.

([3]) ابن منظور، لسان العرب، فصل الفاء، مادة (افتى)، ج15، ص148؛ الجرجاني، التعريفات، ص .

([4]) سورة النساء، اية (127) .

([5]) ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب،(ت: 542هـ/1148م)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1993م)، ج2، ص183 .

([6]) النواوي، حسونة (واخرون)، الفتاوى الاسلامية من دار الافتاء المصرية، نشر: وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، (القاهرة، 1980م)، مج1، ص9؛ مجموعة مؤلفين، مفاهيم اسلامية، نشر: وزارة الاوقاف المصرية، ص240؛ عبد المنعم، معجم المصطلحات، ص143 .

([7]) ابن صلاح، عثمان بن عبد الرحمن، (ت: 643هـ/1245م)، أدب المفتي والمستفتي، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، نشر: مكتبة العلوم والحكم، ط2، (المدينة المنورة، 2002م)، ص24 .

([8]) الحنبلي، أحمد بن حمدان بن شبيب، (ت: 695هـ/1296م)، صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، نشر: المكتب الإسلامي، ط3، (بيروت، 1397)، ص4 .

أن الإفتاء امر عظيم الخطر كبير الموقع كثير الفضل لأن المفتي وارث الأنبياء (%)[1]، ونائبا عنهم في تبليغ الاحكام الشرعية[2]، قال النبي (ρ): « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً »[3]، فهو بذلك قائم بفرض الكفاية لكنه معرض للخطأ ولهذا قالوا المفتي موقع عن الله (I)[4]، لذا يجب على من يتولى الافتاء أن يكون قيما بمعرفة أدلة الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة والإجماع والقياس[5]، اما القول بغير علم فقد حرمه الله (I) وتوعد الفاعل بعذاب اليم قال تعالى: **(وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ)** [6].

مما سبق يتبين لنا مدى اهمية امر الافتاء لذا يجب ان يكون من يتولاه على قدر كبير من العلم ليحفظه من الوقوع في الخطأ، ولم يكن هناك افضل من علماء آل البيت العلوي في التصدي لهذا الامر العظيم فهم فقهاء اصحاب رسالة ذوي خلق عظيم، وهذا ما يجب ان يكون عليه المفتي باعتباره هادياً ومرشداً وفتواه مدار لإصلاح الناس[7] .

([1]) النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، (ت:676هـ/1278م)، آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار الفكر، (دمشق، 1408)، ص13 .

([2]) النواوي، الفتاوى الاسلامية، مج1، ص11 .

([3]) البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وايامه – صحيح البخاري ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (عمان،1422هـ)، ج4، ص170، رقم (3461).

([4]) النووي، اداب الفتوى، ص13 .

([5]) ابن صلاح، اداب المفتي، ص86؛ النووي، اداب الفتوى، ص22 .

([6]) سورة النحل، اية (66).

([7]) النواوي، الفتاوى الاسلامية، مج1، ص16 .

ومن الاشراف الذين توفرت بهم شروط الافتاء هو العالم الشريف المفتي عيسى بن معنصر بن ابراهيم المومناني، كان فقيها عالما بجل العلوم حتى كاد ان يبلغ درجة الاجتهاد[1] واعترف له علماء الامصار كافة بسعة علمه[2].

وهذا من اهم شروط الافتاء حيث ينبغي على الوالي قبل ان يأمر بتعين المفتي يتتبع اخبار وأحوال العلماء ليرى من يصلح منهم للفتوى، فمن اصلح أقره ومن لا يصلح منعه ونهاه أن يفتي وفرض عليه العقوبة إن عاد الى ذلك، وسبيل الوالي في معرفة من يصلح الافتاء هو أن يسأل علماء وقته ويعتمد أخبار اهل الثقة منهم[3]، وهذا ما تحلى به المفتي الشريف عيسى المومناني فقد كان عاماً ثقة مأموناً عند جميع العلماء[4]، ولم تكن هذه الشهادة مقتصرة على علماء عصره فقط، حيث روي ان الامام القاضي عياض بن موسى[5] (544هـ/1149م) كان اذا نقل مسألة ما، يقول: " قاله عيسى المومناني فقيه اهل فاس "[6]، وهذا خير ما يتوسم به العالم والمفتي ان يكون ثقة مأموناً منزهاً بين العلماء .

([1]) التنبتكي، كفاية المحتاج، ج1، ص309؛ التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، ص209؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص500؛ الطعمي، محي الدين، تكملة جامع كرامات الاولياء، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2008م)، ص332 .

([2]) التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، 209؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص500 .

([3]) النووي، اداب الفتوى، ص18 .

([4]) التنبتكي، كفاية المحتاج، ج1، ص309؛ التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، ص209؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص500؛ الطعمي، تكملة جامع كرامات الاولياء، ص332 .

([5]) وهو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي، يكنى أبو الفضل، ولد بسبتة سنة (476هـ/1083م)، من علماء المغرب إمام أهل الحديث في زمانه عارفا بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم ولي قضاء سبتة، ومن ثم غرناطة، وتوفي بمراكش؛ ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص437؛ القفطي، علي بن يوسف، (ت:646هـ/1248م)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، نشر: المكتبة العنصرية، (بيروت، 1424هـ)، ص363-364 .

([6]) التنبتكي، كفاية المحتاج، ج1، ص309؛ التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، ص209؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص500؛ الطعمي، تكملة جامع كرامات الاولياء، ص332 .

كما تصدى ابنه الشريف محمد بن عيسى المومناني للفتاء في مراكش، وكان اماماً ومفتياً وقاضياً مستبحراً بالعلم، وبذلك يكون قد تحلى بأهم صفة للمفتي يقول عنه المكناسي[1] واصفاً اياه: " كان فقيها اماما عالما محصلا مستبحرا من اهل الراي والنجدة مقدما في الفتايا شديد الفهم كثير الحفظ عارفا بالفقه وبأصوله وفروعه وبالحديث " .

ومن فقهاء آل البيت العلوي الذين تولوا الافتاء ايضا الفيه العلامة عبد النور بن محمد العمراني علامة عصره من اهل الشورى ومقدمهم ذا معرفة تامة بالفقه مشارك بأصول الدين واصول الفقه، وله تقيد في المدونة[2]، وفتاوي في (المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى اهل افريقية والاندلس والمغرب)[3] منقولة عنه[4]

.

([1]) التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، ص379؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، 216 .

([2]) وهو كتاب من كتب الفقه على مذهب المالكية، عبارة عن مجموعة أسئلة واجوبة، للامام مالك بن انس (ت:179هـ/795م)،جمعها الإمام سحنون بن سعيد التنوخي المغربي (ت: 204هـ/819م)، رواية عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم (ت:191هـ/801م)، وتعرف بالمدونة الكبرى، ومدونة سحنون، اذ تعد من اهم واول مصادر الفقه المالكي؛ ينظر: الحسيني، محمد صديق خان بن حسن ، (ت:1307هـ/1890م)، أبجد العلوم، دار ابن حزم، (بيروت، 2002م)، ص465؛ جمعة، عماد علي جمعة، المكتبة الإسلامية، نشر: سلسلة التراث العربي الإسلامي، ط2، (د. م، 2003م)، ص174.

([3]) وهو كتاب جامع لفتاوى اهل المغرب والاندلس لأحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني (ت: 914هـ/1508م)، اسمه (المعيار المعرب والجامع المغرب فى فتاوى افريقية والاندلس والمغرب)، مطبوع عدة طبعات .

([4]) التنبتكي، كفاية المحتاج، ج1، ص304؛ عبد الحي، ابي العباس احمد، (ت: 1120هـ/ 1708م)، الدر النفيس والنور الانيس في مناقب الامام ادريس بن ادريس وهو تاريخ للإمامين ادريس بن عبد الله الكامل وابنه ادريس الازهر وتاسيس الدولة المغربية، تحقيق: محمد بوخنيفي، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1971م)، ج2، ص492؛ الكتاني، جعفر بن ادريس الحسني، (ت: 1323هـ/1906م)، الدواهي المدهية للفرق المحمية بحث في السياسة الشرعية، تحقيق: محمد بن حمزة الكتاني والحسن بن علي الكتاني، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2005م)،

ومنهم ايضا المفتي محمد بن عبد الرحمن بن راشد الحسني من اهل القرن (7هـ/13م)، يذكره المكناسي[1] بقوله: " الفقيه الامام العالم المفتي المدرس المصنف الصالح المتصوف " .

كما نجد من الفقهاء الاشراف من اثبت جدارته العلمية لتصدر الافتاء في المشرق والمغرب، كالفقيه الشريف ابو الحسن علي الشاذلي الحسني فقد كان من علماء عصره الكبار، وصفه المؤرخون بانه مفتي الاسلام[2] .

3. **النقابة**

نشأت مؤسسة النقابة في القرن (3هـ/9م)[3], وهي من المناصب الادارية المهمة التي تعادل الوزارة ولا يتقلدها الا العلماء والعارفون بالأنساب من آل البيت وذوي اسنانهم الذين لا ترضى هممهم الطمع, ويشكل متولي النقابة حلقة ارتباط ما بين السلطة والامة, التي بواسطته تتعرف على حاجات الطرفين, فالنقيب هو رئيس القوم الأكبر والمقدم عليهم الذي يتعرف اخبارهم وينقب عن احوالهم[4], ويطلق على الذين يتولون هذا المنصب اسم النقباء والعرفاء[5], وفي ذلك يقول ابن منظور[1]: " والنقيب: عريف القوم، والجمع نقباء والنقيب: العريف، وهو شاهد القوم وضمينهم " .

ص100؛ كحالة، عمر بن رضا بن محمد بن راغب، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، مكتبة المثنى، (بيروت، د.ت)، ج6، ص202 .

(1) جذوة الاقتباس، ج1، ص136 .

(2) ابن القاضي، سلوة الانفس، ج1، ص46؛ وينظر: الكوهن، طبقات الشاذلية الكبرى، ص52.

(3) اغابرزك الطهراني، محمد محسن بن علي بن محمد رضا, الذريعة التي تصانيف الشيعة, دار الاضواء, ط3, (بيروت, د.ت), ج16, ص58؛ الحسيني, عبد الرزاق, موارد الاتحاف في نقابة الأشراف, مطبعة الآداب في النجف الأشرف, (النجف, 1968م), ج1, ص6.

(4) العياشي, الفهرس في عمود نسب الادارسة, ص95؛ الزياني, تحفة الحادي, ص89؛ البيطار, عبد الرزاق, (ت:1335هـ/1917م), حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر, تحقيق: محمد بهجة البيطار, دار صادر, (بيروت, 1993م), ج2, ص1042- 1043؛ الحسيني, موارد الاتحاف, ج1، ص4؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص19.

(5) المنتظري, حسين علي, دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الاسلامية, الدار الاسلامية, (لبنان, 1988م), ج2, ص571؛ الكتاني, عبد الحي, نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب

وقد أمضى رسول الله (ρ) في سياستهُ لأمور الأمة امر النقابة والعرافة فحين بايعهُ اهل المدينة في العقبة الثانية قال لهم: " أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا، ليكونوا على قومهم بما فيهم، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا، تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس "[2] .

ونقابة آل البيت وضعت في الأصل لصيانتهم، لكي لا يتولى عليهم من لا يكافئهم في النسب ولا يساويهم في الشرف, ويختار من أجلهم بيتاً وأكثرهم فضلاً واقواهم رأياً لتجتمع فيه شروط الرياسة والسياسة فيسرعوا الى طاعته برياسته وتقسيم امورهم بسياسته[3], وعادة ما يتولى نقيب الاشراف في الوقت ذاته وظيفة الافتاء والقضاء والخطابة والتدريس فيصبح حينئذ من أصحاب المراكز الخطيرة والكلمة المسموعة[4] .

وقد ظهرت مؤسسة النقابة بشكل واضح في المغرب خلال القرنين (5-6هـ/11-12م)[5]، ومن الاسر العلوية الشريفة التي تولت منصب النقابة في المغرب هم الشرفاء العمرانيين حتى نجد أن المؤرخين عندما يتطرقون الى ذكرهم

الادارية, تحقيق: عبد الله الخالدي, دار الأرقم بن ابي الأرقم, ط2, (بيروت, د.ت), ج1, ص206؛ الحسيني, مواد الاتحاف, ج1، ص4؛ البيطار, حلية البشر, ج2, ص1042-1043.

([1]) لسان العرب، فصل النون، مادة (النقب)،ج1، ص769 .

([2]) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب، (ت: 213هـ/828م)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط3، (القاهرة، 1955م)، ج1، ص443 .

([3]) النبهاني, يوسف بن اسماعيل بن يوسف، (ت: 1350هـ/1932م)، الشرف المؤبد لآل محمد، نشر: مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، 2007م)، ص48؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص19؛ البيطار, حلية البشر, ج2, ص1043؛ الحسيني, موارد الاتحاف، ص8.

([4]) ابن طباطبا, يحيى بن محمد بن القاسم, (ت: 478هـ/1085م), ابناء الامام في مصر والشام " الحسن والحسين رضي الله عنهما ", تحقيق: الوراق ابن صدقة الحلبي (ت: 1180هـ/1766م), واخرون, نشر: مكتبة جل المعرفة, (د. م، 2004م), ص31.

([5]) ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج1، ص18 .

يصفونهم بالنقباء[1]، ونظير ذلك كان الشرفاء الجوطيين ومما قيل بحقهم انهم: " توارثوا نقابة الاشراف أباً عن جد "[2].

وهناك اثنى عشر شرط يجب على من يتولى منصب النقابة الالتزام بها وهي:

اولاً: حفظ أنسابهم ممن دخل فيها ولبس منها أو خارج عنها وهو منها .

ثانياً: معرفة أنسابهم وتميز بطونهم ويثبتهم في ديوانهُ[3] .

يعد هذان الشرطين من الضروريات التي لابد من الالتزام بها فقد حفل التاريخ بالمدعين للنسب النبوي, ولم يكن تاريخ المغرب بعيداً عن هؤلاء المدعين, وقد سهل الأمر عليهم بعد ان تعمدت رجال آل البيت واسرهم من التخفي وترك انسابهم على أثر المحنة التي جرت على يد ابن ابي العافية المكناسي، لذا اعد ديوان خاص بهم عرف بديوان الشرفاء يثبت به نسب كل الاشراف بعد اثبات صحة نسبه بأمر النقيب, وفي ذلك يقول المريني العياشي[4]: " جرت العادة والعرف انهُ لا يعترف بالشريف ونسبه الا اذا وافق نقيب الشرفاء على صحة ذلك واثبته في ديوان الشرفاء " .

هذا فضلاً عن اصدارهم لمرسوم يثبت بهِ بطلان نسب المدعين لآل البيت بأشهاد الشهود أو ثبات القضاة, وفي ذلك يقول الزياني[5]: " لا تكاد تجد رسماً من رسوم اهل الدعاوي المكذوبة الا وعليه خطوط العلماء واشكال الشهود وثبوت القضاة وامضاء النقباء, وهم محكوم عليهم ببطلان شرفهم في القديم, منبه على ما بأيديهم من الرسوم المزورة والشجرات المستعملة والظهائر المفتعلة " .

ثالثاً: ان يحملهم على الآداب التي تضاهي شرف انسابهم وكرمهم لتكون حشمتهم في النفوس موفرة وحرمة رسول الله (ρ) فيهم محفوظة .

---

(1) ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص151 .

(2) الادريسي, مصابيح البشرية, ص174؛ الحسني, المنتقى, ص286 .

(3) ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)، ج7، ص350؛ النبهاني, الشرف المؤبد, ص49؛ الحسيني, موارد الاتحاف، ج1، ص4 .

(4) الفهرس في عمود نسب الادارسة, ص95 .

(5) تحفة الطالب, ص88.

رابعاً: ان ينزههم عن المكاسب الدنيئة ويمنعهم من المطالب الخبيثة حتى لا يستغل ولا يضام منهم احداً[1] .

خامساً: ان يكفهم عن ارتكاب المأثم ويمنعهم من انتهاك المحارم ليكونوا على الدين الذي نصروه أغير وللمنكر الذي ازالوه انكر، فلا ينطلق بذمهم لسان ولا يشونهم انسان .

سادساً: ان يمنعهم من التسلط على العامة لشرفهم والتسلط عليهم لنسبهم فيدعوهم ذلك الى المقت والبغض ويبعثهم على المناكرة والبعد, وان يندبهم الى استعطاف القلوب وتألف النفوس ليكونوا الميل اليهم اوفى والقلوب لهم اصفى[2] .

وممن تولى النقابة وكان خير من يترجم لنا هذهِ الشروط هو النقيب محمد بن علي الحسني المعروف بـ(المزوار)، حيث يبين الكتاني[3] ذلك واصفاً النقيب بقولهِ: " قياس اللغة في لفظة [مزوار]... من زار يزور, مبالغة في زائر وتكثيراً للمعنى وهو خاص بنقيب الاشراف... فلا يطلق على غيره ... كون النقيب تكثير زيارته لغيره, لكونه عيناً من اجل الأعيان, فيستدعيه الناس كثيراً في مهامتهم, فلا يمكنه التخلف عنهم لأحتياج الناس الى اليمن برؤيته وبرأيه " .

سابعاً: ان يكون عوناً لهم في استيفاء حقهم حتى لا يضعفوا عنها وعوناً عليهم في أخذ الحقوق منهم حتى لا يمنعوا اهلها منها ليصيروا بالمعونة لهم منتصفين وبالمعونة عليهم منصفين فإن في عدل السيرة فيهم انصافهم وانتصافهم .

ثامناً: ان ينوب عنهم في حقوقهم في بيت مال المسلمين .

تاسعاً: ان يمنع نساءهم ان يتزوجن الا من الاكفاء لشرفهن على سائر النساء صيانة لا نسابهن وتعظيماً لحرمتهن[4] .

([1]) النبهاني, الشرف المؤبد, ص49- 50؛ الحسيني, موارد الاتحاف، ج1، ص4-6.

([2]) ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج7، ص350؛ النبهاني, الشرف المؤبد, ص49؛ الحسيني, موارد الاتحاف، ج1، ص4-5 .

([3]) سلوة الأنفس, ج1, ص95.

([4]) ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج7، ص350؛ النبهاني, الشرف المؤبد, ص49.

عاشراً: ان يقوم ذوي الهفوات منهم ويقيل ذا الهيبة منهم عثرته ويغفر بعد الواعظ زلته .

احد عشر: ان يراعي وقوفهم بحفظ اصولها وتنمية فروعها ويراعي قسمتها علمهم بحسب الشروط والاوصاف .

اثنا عشر: معرفة من ولد منهم من ذكر أو انثي فيثبته, ومعرفة من مات فيذكره[1].

وفي مثل ذلك ما روي عن استدعاء نقيب الشرفاء عند وفاة الفقيه الشريف ابو زكريا يحيى الزواوي, لاتخاذ التدابير الازمة وصيانة لجثته الطاهرة الزكية, فهو من علماء الأشراف في المغرب[2] .

وممن تولى النقابة في المدن الفقيه العالم الشريف الذي عرفه ابن فندق[3]: بـ " السيد الشريف ", نقيب القيروان ابو القاسم عيسى بن الحسن بن محمد بن الحسن الحسني من اهل القرن (5هـ/11م) .

4. الأمامة

الامامة هي مصدر للفعل (أم), يقول ابن منظور[4]: " أم القوم وأم بهم: تقدمهم وهي الامامة ", اما الفيومي[5] فيقول: " أم بهِ إمامة صلى بهِ امام ", ومثل ذلك جاء بهِ الفيروزابادي[6] اذ قال: " امة قصده كأئمته وامه وتأممه... والامامة والإتمام بالأمام " .

([1]) النبهاني, الشرف المؤبد, ص49- 50؛ الحسيني, موارد الاتحاف، ج1، ص4-5 .

([2]) ينظر: الغبريني، عنوان الدراية, ص129.

([3]) علي بن القاسم بن زيد, (ت:565هـ/1170م), لباب الانساب والالقاب والاعقاب, تحقيق: مهدي الرجائي, نشر: مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى, ط2, (قم، 2007م), ج2, ص547.

([4]) لسان العرب, فصل الالف، مادة (الام)،ج12, ص24.

([5]) المصباح المنير, مادة (ء م م)، ج1, ص23 .

([6]) مجد الدين محمد، (ت:817هـ/1414م)، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوي، مطبعة الرسالة، ط8، (بيروت، 2005م)، فصل الهمزة، ص1076.

اما معنى الامامة اصطلاحاً فهي تحمل معاني وتفاسير عديدة, الا اننا سوف نذكر منها ما يخص موضوعنا وهم معنيان :

1. امامة الناس في الصلاة .
2. امامة العالم المقتدى بهِ, فيقال: امام المحدثين, أو امام الفقهاء[1] .

اما تعريف الامام: فهو كل من اقتدى بهِ الناس لكونهم يأتمنون بهِ ويهتدون بهديهُ لذا اطلق عليه لفظ الامام[2] .

وتعد الامامة من المناصب المهمة التي تولاها فقهاء وعلماء آل البيت العلوي, لما لها من مقاصد سنية واهداف سامية, يصفها ابن خلدون[3] بقولة: " هي ارفع الخطط كلها وارفع من الملك ", فالأمام لهُ دور هام في المجتمع فهو من يقوم بإمامتهم في الصلاة التي هي اعظم اركان الاسلام بعد الشهادتين, وهو من يقوم بإرشادهم وتوجيههم الديني والدنيوي[4], وقد كان النبي (ρ) اماماً للناس وليس هناك افضل من ذريته في تولي هذا المنصب الهام فقد امتن الله (Y) على من وفقه للإمامة في الدين فقال: " وجعلنا منهم ائمة "[5] اي لما كانوا صابرين على اوامر الله (Y) وترك نواهيه والصبر على التعلم التعليم والدعوة الى الله ووصلوا في ايمانهم الى

([1]) ينظر: ابو جيب, سعدي, القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً, دار الفكر, ط2, (دمشق, 1988م), مادة (حرف الهمزة), ص24؛ عبد المنعم, محمود عبد الرحمن, معجم المصطلحات, والالفاظ الفقهية, دار القنصلية, (القاهرة, د. ت), ص282؛ القحطاني, سعد بن علي بن وهف، الامامة في الصلاة مفهوم وفضائل وانواع واداب واحكام في ضوء الكتاب والسنة، نشر: مطبعة السفير، (الرياض، 1420هـ), ص7؛ المنيف, عبد المحسن بن محمد, احكام الامامة والائتمام في الصلاة, د. مط, ط1, (الرياض, 1987م), ص61.

([2]) ينظر: الطبري, جامع البيان، ج13, ص438؛ القحطاني, الامامة في الصلاة, ص7؛ عسيري, علي بن حسن بن ناصر, مسؤولية امام المسجد, نشر, وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد, (السعودية, 1419هـ), ص5.

([3]) العبر, ج1, ص273.

([4]) المنيف, احكام الامامة، ص64- 65.

([5]) سورة السجدة, اية: (24).

درجة اليقين وهو العلم التام الموجب للعمل, كما انهم ائمة يهدون الى الحق بأمر الله, ويدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[1] .

وقد وضع العلماء عدداً من الشروط الواجب توفرها فيمن يتولى هذا المنصب وهي: ان يكون رجلاً قارئاً للقران, حافظاً لهُ, عالماً بأحكام الصلاة والطهارة فاضلاً في دينهُ, فصيحاً[2] .

ومن خلال دراستنا لسير وتراجم علماء آل البيت العلوي في المغرب نجد ان جلهم كانوا يتمتعون بهذه الشروط والصفات الجليلة، وممن تولى امامة الناس في الصلاة منهم هو الامام الشريف احمد بن محمد بن عبد الله العمراني وهو من فقهاء المغرب من أهل فاس, وصفهُ المؤرخون بأنهُ: " امام عصرهُ في أصول الفقه واصول الدين "[3], كما كان محدثاً وراويةً, ومشاركاً في علوم العربية[4], واختير لأمامه المسلمين في الصلاة بأمر الامير مباشرة، واشار الى ذلك ابن ابي زرع[5] بقوله: " فقدم امير المسلمين يوسف بن عبد الحق ... للإمامة الشيخ الفقيه المحدث الورع

([1]) ينظر: الطبري, جامع البيان, ج18, ص636- 637؛ ابن ابي زمنين المالكي, محمد بن عبدالله بن عيسى, (ت: 399هـ/1009م), تفسير القران العزيز, تحقيق: حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز, نشر: مطبعة الفاروق الحديثة, (القاهرة, 2002م), ج3, ص384؛ السمعاني, تفسير القران, ج24, ص253؛ القحطاني, الامامة في الصلاة, ص9- 10.

([2]) الماوردي, الاحكام السلطانية, ص162- 163؛ ابن الازرق, محمد بن علي بن محمد, (ت: 986هـ/1491م), بدائع السلك في طبائع الملك, تحقيق: علي سامي النشار, نشر: وزارة الاعلام, (بغداد, د. ت), ص238, كرمي, احمد عجاج, الادارة في عصر الرسول (ρ), دار السلام, (القاهرة, 1427ه), ص112.

([3]) منصور, اعلام المغرب, ج4و ص259.

([4]) ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج1, ص61؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج1, ص16؛ ابو عبد الله الفاسي, الانيس المطرب, ص76؛ منصور, اعلام المغرب, ج4, ص259.

([5]) الانيس المطرب, ص76؛ وينظر: الجزنائي, علي، (ت: ق9ه/13م)، جنى زهرة الاس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، (الرباط، 1991م)، ص61.

احمـد ابـن الفقيـه العـالم المرحـوم ابـي عبـدالله بـن راشـد ", وكـان ذلـك سـنة (694هـ/1295م) بجامع القرويين[1] .

كمـا كـان الشريف يوسف بـن موسـى الحسـني (ت:686هـ/1287م) امـام للنـاس فـي الصـلاة وقـارئ للقران في احد مسجد مدينـة فـاس المعرف بمسجد (بـاب السلسة)[2] .

ومنهم من كان يئم الناس للصلاة في اكثر من مسجد كالشريف ابو الحسن الشـاذلي اذ كـان يصـلي بالنـاس فـي بعـض مسـاجد حاضـرة تـونس، واخـرى فـي القيـروان[3]، يقـول تلميـذه الشـيخ ابـو العبـاس المرسـي[4] (ت: 686هـ/1287م): " صليت خلفه صلاة فشهدت ما بهر عقلي "[5] .

ولـم يقتصـر امـر أمامـة الصـلاة علـى المسـاجد العامـة فقد قـام بعـض الاشراف ببنـاء مساجد الخاصـة بهم واصبح النـاس يقصدونها الصـلاة خلفهم كمسجد الشريف اسـحاق بـن احمـد الحسـني (ت: اواخـر ق 3هـ/9م)، فقد كـان مـن العلمـاء العـارفين، والاولياء الصالحين يقع مسجده في ناحية باب الفتوح بـ (مصمودة)[6] .

([1]) منصور, اعلام المغرب, ج4, ص260.

([2]) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص554؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص344.

([3]) ابن عطاء، احمد بن محمد بن عبد الكريم، (ت: 709هـ/1309م)، لطائف المنن، تحقيق: عبد الحليم محمود، دار المعارف، (القاهرة، 2006م)، ص87؛ التليدي، المطرب، ص125 .

([4]) هو شهاب الدين أحمد بن عمر بن محمد المرسي، اندلسي الاصل من مرسية قدم مصر مع شيخه ابو الحسن الشاذلي، عالم فقيه متصوف سكن الإسكندرية، وقد نفه أهلها بعلمه، بقي بها الى حين وفاته؛ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج7، ص173؛ ابن تغري بردي، جمال الدين يوسـف بـن عبـد الله، (ت: 874هـ/1469م)، المنهـل الصـافي والمسـتوفى بعـد الـوافي، تحقيـق: محمـد محمـد أمـين، نشـر: الهيئـة المصـرية العامـة للكتـاب، (مصـر، د.ت)، ج2، ص43؛ الشعرني، الطبقات الكبرى، ج2، ص11 .

([5]) الكوهن، طبقات الشاذلية، ص44 .

([6]) المـدرع، محمـد، (1174هـ/1760م)، ارجـوزة فـي مشـاهير صـلحاء فـاس، تحقيـق: خالـد الصقلي، دار الامان للنشر والتوزيع، (الرباط، 2010م)، ص100؛ الكتاني، سلوة الانفس، ج1، ص390 .

ومنهم ايضاً الشريف ابي بكر بن علي الحسني الذي بنى مسجدا خاصاً به[1]، واصبح من بعده مسجداً لابنه الشريف سليمان المعروف بلقب (مشيش)[2].

اما المعنى الثاني للإمامة وهو: (الامام المقتدى به) فأن جل الاشراف كانوا أئمة متبعين مقتدى بهم، فهم قدوة حسنة للجميع يستمعون لنصحهم، ويهتدون بهديهم، ويطبقون فتواهم، وذلك لإيمانهم بعظيم علمهم وصدق نهجهم نهج النبوة، فهدى الله بهم خلق كثير فكانت امامتهم للناس تطبيقاً لقوله (ρ): « لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا »[3] .

ومن هؤلاء الائمة المتبعين بين الناس الامام الشريف محمد بن عيسى بن معنصر الموموناني وهو ابن الامام عيسى الموموناني من شرفاء فاس الحسنين يدعى بـ (الامام) اذ كان اماماً عالماً متبعاً موصوفاً بسعة علومه في المنقول والمعقول[4].

كما كان الشريف عبد السلام بن مشيش العلمي, اماماً يستضاء بعلمه, فهو قطباً من اقطاب العلم في المغرب, ووصفهُ المؤرخين بأفضل الكلمات واعذب الجمل لما كان عليه من علم ودين ونسب جعلهُ اماماً مقتدى بهِ غوثاً مستتجداً فيه ومن ذلك وصفهم له بأنه: " قطب دائرة المحققين, استاذ اهل المشارق والمغارب... قطب الوجود وبقيت اهل الشهود, الغوث الفرد, الجامع لأسرار المعاني, غوث الأمة, وسراج الملة, صاحب العلوم اللدنية, والمعارف الربانية, الجامع بين علم الشريعة والحقيقة "[5], فقد كان اماماً عالماً معروفاً بالتقوى والتواضع بين الخلق والاقبال الى الله تعالى

([1]) شكر، الاحياء بعد الانساء، ج2، ص158 .

([2]) اللهيوي، حصن السلام، ص300؛ شكر، الاحياء بعد الانساء، ج2، ص160؛ العمراني، الجواهر الباهرة، ص137 .

([3]) المروزي، عبد الله بن المبارك بن واضح، (ت:181هـ/797م)، الزهد والرقائق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)، ص484، رقم (1375)؛ البخاري، الصحيح، ج5، ص18، رقم (3701) .

([4]) ابن عسكر, اعلام مالقة، ص192– 193؛ التنبتكي, نيل الابتهاج, ج1, ص379؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج1, ص215– 216؛ السملالي, اعلام مراكش, ج4, ص229.

([5]) الكوهن, طبقات الشاذلية, ص59؛ وينظر: ابن عجيبة, شرح الصلاه, ص10؛ ابن عطاء الله، الطائف المنن، ص75.

متخلقاً بأخلاق النبي (ρ)[1], حفظ القران ورتلهُ وهو في عمر صغير[2], برع بجل العلوم, يذكرهُ صاحب الدرر البهية[3] بقولهِ: " هو البدر الواضح البرهان الغني عن التعريف والبيان, المشتهر في الدنيا قدره, الطالع في فلك المعالم بدره لا يختلف في غوثيته اثنان على تعاقب الاعصار والاحيان ", كعبة العلم المنيف, ونبعة النسب الشريف[4] .

ونظير ذلك كان الامام الشريف ابي الحسن علي الشاذلي الحسني وهو امام الطائفة الشاذلية ومؤسس طريقتها[5] التي تعد من اشهر الطرق الصوفية المتبعة في المشرق والمغرب[6]، فهو من العلماء المعترف له بكثرة العلوم, والمشهود لهُ بالقطبانية فقد بلغت علومهُ التي يتقنها ما ناف المائة وعشرة علم[7]، وقد شهد اهل

(1) التليدي, المطرب، ص98.

(2) قيل في السابعة, وقيل العاشرة وقيل الثانية عشر؛ ينظر: الادريسي, المصابيح البشرية, ص123؛ العمراني, الجواهر الباهرة, ص138.

(3) الفضلي, ج2, ص102 .

(4) كنون, النبوغ المغربي، ج1, ص151.

(5) وهذهِ الطريقة هي نتيجة طريقتان الأولى: التبرك وقد اخذها عن الشيخ الولي محمد بن حزام بن علي بن حزام، والثانية هي طريقة ارادة وقد اخذها عن الامام القطب عبد السلام بن مشيش الحسني, فكانت طريقتهُ مشتملة على السلوك والمجاهدة والعناية, والادب والقرب والرعاية, وتشيد بالعلمين الظاهر والباطن من سائر اطرافها وقرنت بصفات الكمال شريعة وحقيقة؛ ينظر: الكتاني، سلوة الانفس, ج1, ص78؛ الكوهن، الطريقة الشاذلية، ص54 .

(6) الذهبي, تاريخ الإسلام، ج48, ص273؛ الذهبي, العبر، ج3, ص282؛ الصفدي, نكث الهميان في نكت العميان، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2007م), ص197؛ ابن الملقن، سراج الدين عمر بن علي بن أحمد، (ت: 804هـ/1401م)، طبقات الأولياء، تحقيق: نور الدين شريبه، نشر: مكتبة الخانجي، ط2، (القاهرة، 1994م), ص458؛ ابن عبدالله الفاسي, الاشراف, ج1, ص107.

(7) اليافعي, عفيف الدين عبد الله بن أسعد، (ت: 768هـ/1367م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1997م)، ج4, ص107؛ السيوطي, عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: 911هـ/ 1505م)، حسن

زمانه بإمامته ومما قيل فيه: " بأنه قطب الزمان، والحامل في وقته لواء اهل الاعيان، حجة الصوفية، علم المهتدين، زين العارفين، استاذ الاكابر، زمزم الاسرار، ومعدن الانوار "[1] .

وقد كتب له قصيدة تعبيراً على علو مقامه وما هو عليه من علم الذي اهله ليكون اماماً يقتدي به الناس، فيقول مادحاً له[2] :

ولو قيل لي من في الرجال مكمل | لقلت إمامي الشاذلي أبو الحسن
لقد كان بحرا في الشرائع راسخا | ولا سيما علم الفرائض والسنن
ومن منهل التوحيد قد عب وارتوى | فلله كم أروى قلوبا بها محن
وحاز علوما ليس تحصى لكاتب | وهل تحصر الكتاب ما حاز من فن
فكن شاذلي الوقت تحظ بسره | وفي سائر الأوقات مستغنيا بعن
فإني له عبد وعبد لعبده | فيا حبذا عبد لعبد أبي الحسن
إذا لم أكن عبدا لشيخي وقدوتي | إمامي وذخري الشاذلي أكن لمن
فيا رب بالسر الذي قد وهبته | تمن علينا بالمواهب والفطن

لقد كانت تلك الامامة احد الاسباب التي اوقعته في المحنة مع القاضي ابن البراء وفقهاء تونس، فقد ثارت حفيظتهم حسداً لاتباع الناس له واستماعهم لقوله وعملهم بمشورته[3]، وقد قابل الشريف كل تلك المكائد والدسائس بقلب مؤمن راضي

المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة، 1967م)، ج1, ص250.

([1]) الكوهن، طبقات الشاذلية، ص22 .

([2]) ابن مغيزل، عبد القادر بن الحسين، (ت: 894هـ/1461م)، الكواكب الزاهرة في اجتماع الاولياء يقظة بسيد الدنيا والاخرة، تحقيق: عاصم ابراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2013م)، ص181؛ الشافعي، احمد بن محمد بن عباد، (1153هـ/1740م)، المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، نشر: المكتبة الازهرية للتراث، (القاهرة، 2004م)، ص10؛ الكوهن، طبقات الشاذلية، ص21 .

([3]) المناوي، الكواكب الدرية، ج2، ص470-471؛ محمود، المدرسة الشاذلية، 54 .

بقضاء الله، ويشير الى ذلك بقوله: " لا يكمل عالماً في مقام العلم حتى يبتلى بأربع: شماتة الاعداء، وملامة الاصدقاء، وطعن الجهال، وحسد العلماء، فان صبر على ذلك جعله الله اماماً يقتدى به "[1] .

فأن ما يتمتع به علماء آل البيت العلوي من علم ودين وخلق وصلاح كانت السبب في اقتداء الناس بهم واتباعهم، فقد كان الشريف عيسى بن معنصر الموماني, اماماً متبعاً وفقيهاً واسع العلم, متواضعاً من اهل الله المخلصين قريباً من الناس مجاب الدعوة ذو فضائل جمة[2]، وبمثل ذلك عرف الشريف الفقيه عبد الله بن طاهر الصقلي بين أهل زمانهُ اذ يذكرهُ المؤرخين قارنين اسمهُ بالإمامة, كقولهم: " الفقيه الامام العالم الصالح "[3] .

كما كان الشريف عبد الرحيم بن احمد الحسيني (ت:592هـ/1196م) امام زمانه، شيخ من شيوخ الاسلام، والاعيان الصالحين واهل العلم المعروفين بالزهد والفضل، اتفق اهل زمانه على امامته وانه قطب الزمان المتبع ولم يختلف في ذلك اثنان، وقد تخرج على يديه جماعة من كبار العلماء[4] .

ومنهم ايضاً الفقيه الامام عبد الجليل بن يحيى الكتاني الحسني (ت: 303هـ/915م), اذ كان عالماً ومرجعاً وملجأ للناس يقتدون بهِ, ويهتدون بهديه يرجعون اليه في جل امورهم, فقد كان من العلماء العاملين العارفين لحدود الله يصفه المؤرخين بقولهم: " الامام الوالي الصالح العارف بالله المتبرك به حياً وميتاً "[5] .

([1]) الكوهن، طبقات الشاذلية، ص42 .

([2]) التنبتكي, نيل الابتهاج, ج1, ص290؛ التنبنكي، كفاية المحتاج, ج1, ص309؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ص500؛ الطعمي, تكملة جامع الكرامات, ص332 .

([3]) ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج2, ص65؛ السملالي, الاعلام بمن حل مراكش, ج4, ص202.

([4]) الكوهن، طبقات الشاذلية، ص82 .

([5]) الكتاني, الشرب المختصر, ص125؛ الكتاني، الدواهي المدهية , ص7.

وعلى منواله سار ابنهُ العالم الامام عمران بن عبد الجليل الكتاني (ت: 340هـ/951م), فقد كان اماماً من اهل الولاية والصلاح والخير والفضل والنجاح والمعرفة بالله والنصح للعباد[1] .

ومنهم ايضاً الامام ابو القاسم بن عبد الرحمن بن سعيد الحسني (كان حياً سنة: 682هـ/1283م), كان من الاولياء الصالحين عارفاً بأحكام الله, عالماً بدينهُ ومقتضاهُ, فأصبح بعلمهُ ودينهُ اماماً للناس[2] .

المبحث الثالث

اثر آل البيت العلوي في الجانب العسكري

(1) الكتاني, الشرب المختصر, ص125؛ الكتاني، الدواهي المدهية , ص7.

(2) السملالي, الاعلام بمن حل مراكش, ج1, ص378.

برز أثر آل البيت العلوي في الجانب العسكري مبكراً في تاريخ المغرب, فمنذ دخول المولى ادريس بن عبد الله الكامل الحسني الى المغرب اخذ يتوسع في البلاد مجاهداً من اجل رفع راية الاسلام واعلاء كلمة الحق, الى ان تمكن وابناءه من بعده بتأسيس دولة حكمت قرنين من الزمن, ثم تبلور اثر رجال آل البيت العلوي بالجانب العسكري فيما بعد من خلال حثهم للناس على الجهاد باعتبارهم فقهاء ورجال دين, وتوعيتهم الى اهمية الدفاع عن دينهم وبلادهم والوقوف بوجه من يعتدي على حقوقهم الدينية, هذا فضلاً عن مشاركتهم في الحروب وقيادة الجيوش, وخوض المعارك مثلهم مثل كل جندي يجاهد في سبيل دينه وبلده، مضافاً الى ذلك المرابطة في حراسة الثغور, وسوف اقوم بالحديث عن اثرهم في الجانب العسكري على النحو التالي :

اولاً: دورهم في الدعوة للجهاد

لقد برز دور رجال آل البيت العلوي في الدفاع عن بلادهم بمختلف الوسائل, ومنها " الدعوة للجهاد ", فقد شحنوا نفوس الناس ورغبوهم في الجهاد من اجل المحافظة على بلادهم, متوسمين بقولهِ تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون**) [1], ولم يكن التحريض منحصراً على اثارة الحماس قبل المعارك فحسب, فإن معظم الاشارات التاريخية تدل على خروجهم مع الجيوش اثناء الحروب مضحين بأنفسهم في سبيل الله ليثيروا بذلك همم الجنود وحماسهم للقتال لعلمهم بعظيم ثوابه وجزيل اجره، وقد عظم رسول الله (ρ) امر الجهاد في سبيل الله, روي عنهُ (ρ) في حث الناس على الجهاد قوله: « لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَحْبَبْتُ أَنْ لاَ أَتَخَلَّفَ عَنْ سَرِيَّةٍ تَخْرُجُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَكِنِّي لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ وَلاَ يَجِدُونَ مَا يَتَحَمَّلُونَ عَلَيْهِ، فَيَخْرُجُونَ وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ

---

(1) سورة المائدة، اية (35) .

يَتَخَلَّفُوا بَعْدِي فَوَدِدْتُ أَنِّي أُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَأُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَى فَأُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَى فَأُقْتَلُ » [1] .

وعلى هذا النهج العظيم سار رجال آل البيت العلوي من علماء وفقهاء في اثارة نفوس المجاهدين بمعاني الحماس والاقدام فـ " يعظون الناس ويحضونهم على الصبر , ويحذرونهم الفرار "[2]، فلم يتهربوا من مجابهة الاخطار التي يتعرض لها وطنهم بحجة انهم رجال علم قابعين في محرابهم للعبادة الله والتفقه بالدين، كالشريف ابو الحسن علي الشاذلي فقد كان من المجاهدين في سبيل الله يحض الناس على الجهاد مشغولا بأمر المسلمين والمحافظة على البلاد ليلاً ونهاراً[3] .

ولم تكن تلك الجهود تذهب هباءٍ بل كانت تسري في نفوس المقاتلين وتتسرب الى اعماقهم كالماء الذي يروي ظمئ العطشى, اذ ملكوا حب الناس وثقتهم باعتبارهم ذرية رسول الله (ρ), وعلماء دين افذاذ اصحاب رسالة سامية واهداف واضحة, لذا سعى الامراء وقادة الجيوش لحملهم معهم اثناء الحروب لتبرك بهم, ولشحن همم المقاتلين[4] .

ومن فقهاء آل البيت العلوي الذي شاركوا الجيوش, الفقيه الشريف علي بن عبد الرحمن الحسني, وهو جد الاشراف الدباغيين واحد المشاركين في جيش المرابطين بقيادة الامير يوسف بن تاشفين المتجه الى الاندلس[5], بعد استنجادَ اهلها وملوك الطوائف[6] لإنقاذهم من اطماع النصارى ووقف زحفهم اتجاه بلادهم[1], قرر

([1]) ابن انس، مالك (ت:179هـ/795م)، الموطا، تحقيق: محمد مصطفى الاعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان، (أبو ظبي،2004م)، ج3, ص663, باب (الترغيب في الجهاد)، رقم (1690)؛ ابن حنبل، مسند الأمام احمد، ج16، ص274، باب (مسند أبي هريرة τ)، رقم(10442) .

([2]) الحميري, الروض المعطار , ص290.

([3]) غريب، ابو الحسن، ص25 .

([4]) ينظر: ابو عبد الله الفاسي؛ الاشراف, ج1, ص152؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص225؛ الحسني, المنتقى, ص320؛ الجمعيه المغربية, معلمة المغرب, ج11, ص3198.

([5]) ابو عبد الله الفاسي، الاشراف, ج1, ص201.

([6]) ابو عبد الله الفاسي، الاشراف, ج1, ص201.

الامير يوسف بن تاشفين التوجه نحو الاندلس برسم الجهاد وسعى الى ان يكون الفقهاء ورجال الدين ضمن صفوف الجيش حيث كان محباً للفقهاء والعلماء والصلحاء مقرباً لهم صادراً عن رأيهم[2], واثقاً انهم قادرين على شحذ همم المقاتلين في ساحات الوغى لاسيما اذا كان منهم من ينتسب لآل البيت النبوي, لذا سعى الى اصطحاب الشريف الفقيه علي الحسني معه الى الاندلس بقصد التبرك به، وتفاءلاً بدعائه، كما انه يعد محرضاً للجنود ومثيراً لحماسهم اثناء القتال[3] .

ومن فقهاء آل البيت العلوي الذي صحبوا الجيوش ايضاً العالم الشريف محمد بن يوسف الدرقاوي الحسني, الذي كان يستوطن بلدة زواوة على عهد السلطان يعقوب المنصور الموحدي[4], في وقت استعداده لقتال الروم النصارى في الاندلس بعد ان اخذ ملك الروم الثامن الاذفونش[5] (1252-1284م) يشن الغارات على المسلمين سنة (591هـ/1195م), ودخلوا البلاد وعاثوا بها فساداً وقتلاً ونهبوا وسبوا, وما ان بلغ السلطان يعقوب ذلك بدأ بالاستعداد للمعركة[6], معلناً النفير العام آخذاً بالأسباب العسكرية والمعنوية المهمة التي تمثلت بوجود الفقهاء ورجال الدين، فكتب

([1]) المراكشي, المعجب, ص97- 98؛ ابن خلكان, وفيات الاعيان, ج5, ص28؛ الناصري, الاستقصا, ج2, ص49- 50؛ حسن, الحضارة الاسلامية, ص28.

([2]) ابن ابي زرع, الانيس المطرب, ص137.

([3]) ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص201.

([4]) الادريسي, مصابيح البشرية, ص225؛ الحسني, المنتقى, ص320.

([5]) وهو الفونسو العاشر (Alfonso X of Castile) المعروف بالمصادر العربية باسم (الاذفونش)، ويلقب بالفونسو الحكيم لاهتمامه بالعلم والادب ورعايته للعماء ولاسيما علماء الفلك، ولد سنة 1221م، ملك قشتالة وليون سنة 1252م، تمكن من صد ثورات المسلمين في المغرب، وكذلك ثورات النبلاء في بلاده ، واطلق على نفسه لقب الامبراطور الروماني المقدس، توفي سنة 1284م؛ ينظر:

Britannica Concise Encyclopedia. UK: Encyclopedia Britanica inc, 2006, P. 45 .

([6]) ينظر: المراكشي, المعجب, ص206؛ ابن خلكان, وفيات الاعيان, ج7, ص5؛ الحميري, الروض المعطار, ص27؛ ابو عبد الله الفاسي, الانيس المطرب, ص219- 220.

إلى جميع المدن بالبحث عن الصالحين والمنتمين إلى الخير وحملهم إليه، فاجتمعت بين يديه جماعة كبيرة منهم فكلما يسير مرحلة ينظر إليهم ويقول لمن عنده هؤلاء الجند, لا هؤلاء، مشيراً إلى العسكر[1]، ومنهم الشريف محمد بن يوسف الدرقاوي الحسني لرفع معنويات الجند وثباتهم بساحات المعارك اذ كان عنصراً محفزاً لهم عالماً عاملاً مجاهداً في سبيل الله[2], يتبركون بهِ فهو ذو نسب عظيم وعالماً كبير القدر بين الناس فستصحبه السلطان معه تبركاً بهِ اثناء جهادهم في الاندلس[3] .

ونظير ذلك كان مع الشريف عبد الواحد بن عبد الرحمن الجوطي, في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني الذي ستصحبه معه اثناء فتح فاس للتبرك بهِ التي دخلها سنة (668هـ/ 1259م)[4]، ورافق الجيش الذي خرج للجهاد في الاندلس، فخصص له السلطان مرتبات شهرية وسنوية[5]، يتوارثها ابناءه من بعده[6].

مما تقدم يتبين لنا اثر علماء آل البيت العلوي في الحث على الجهاد فكان وجود احدهم بين صفوف المقاتلين كفيلاً بتحفيزهم وحشد هممهم من اجل كسب النصر فهم اصحاب رسالة خالدة سعى الجميع للانتماء لها، الا انهم لم يكتفوا بالبيان النظري لأهمية الجهاد فحسب بل كان لهم مشاركات فعالة في المعارك كقادة وجنوداً محاربين .

ثانياً: مشاركتهم في الحروب وقيادة الجيوش

---

(1) المراكشي, المعجب, ص208؛ القبلي، مراجعات حول المجتمع، ص62 .

(2) الكوهن, طبقات الشاذلية الكبرى, ص187؛ التمسماني, سلسلة اعيان من شيوخ الشاذلية بالمغرب الامام مولاي العربي الدرقاوي شيخ الطريقة الدرقاوية الشاذلية ترجمتهُ وبعض اثارهُ, دار الكتب العلمية, (بيروت, 2006م), ص48.

(3) الكوهن, طبقات الشاذلية الكبرى, ص187؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص225؛ الحسني, المنتقى, ص310؛ التمسماني, مولاي العربي الدرقاوي, ص20.

(4) ابن السكاك, نصح ملوك الاسلام, ص33؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج11, ص3198.

(5) ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص152.

(6) الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج11, ص3198.

لقد كان لرجال آل البيت العلوي مساهمة فعالة في الجانب العسكري فقادوا الجيوش وحملوا السلاح وشاركوا في المعارك كجنود متطوعين مدافعين عن بلادهم فرسموا اروع صور الجهاد ووصفوا بذلك فكثيراً ما نقرأ في تراجمهم عبارات دالة على ذلك كقولهم: " عالماً مجاهداً ذا ولاية وصلاح "[1], " عالماً عاملاً... مجاهداً في سبيل الله "[2], " العالم المتصوف المجاهد "[3], " الفقيه الصالح المجاهد "[4], اذ جعلوا من العلم والجهاد ركيزة واحدة وشرحوا بهذا العمل فضل المجاهدين على القاعدين لعلمهم بعظيم ثوابهِ وجزيل اجره متوسمين بقولهِ تعالى: **(لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا)** [5]، لم يكن تفاني علماء آل البيت العلوي في ميادين الحرب الا لأدراكهم بحقيقة الجهاد واجره العظيم لذا نجدهم ارخصوا في سبيله انفسهم واموالهم فقلما نجد سيرة احداً منهم لم تكن له مشاركة في غزوة أو معركة .

ومن فقهاء آل البيت العلوي الذين شاركوا في قيادة الجيوش الشريف المجاهد موسى بن مشيش بن ابي بكر العلمي الحسني (ت: 612هـ/1215م), الذي حارب النصارى بعد اعتدائهم على اهل وادي مرتيل بالقرب من تطوان والحقوا الاذى بالسكان هناك, فخرج محاربا لهم وتمكن من تحقيق النصر عليهم واخراجهم من الوادي[6] .

([1]) العمراني, الجواهر الباهرة, ص149.

([2]) التمسماني, الامام مولاي, ص48؛ وينظر: الكوهن, طبقات الشاذلية الكبرى, ص320؛ الحسني, المنتقى, ص320؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص225.

([3]) ابن ابي زرع, الذخيرة السنية, ص48؛ ابن الاحمر, بيوتات فاس الكبرى, ص17؛ السملالي, الاعلام بمن حل مراكش, ج4, ص164.

([4]) ابن عبد الفاسي, الاشراف, ج1, ص154.

([5]) سورة النساء، اية 95 .

([6]) العمراني, الجواهر الباهرة, ص149.

وقاد الشريف يحيى بن حازم العلوي حملة عسكرية ضد المصامدة[1] سنة (677هـ/1278م)، على اثر خروج مسعود بن كانون السفياني[2] على حكم السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني, واجتمع الناس من قومه وغيرهم حوله فشكل بذلك خطراً على السلطان ودولته فوجه اليهم السلطان حملة بقيادة وزيره الشريف يحيى العلوي وحقق النصر على ابن كانون الذي فر منهزماً من ارض المعركة متحصناً بالجبال[3] .

كما أسر مجموعة من الاشراف الصقليين بسبتة بعد ان خرجوا مدافعين عن بلادهم ضد الفرنج الصلبين غير مبالين بأنفسهم، فكان مناقبهم ان رأى حكام ذلك العصر مرائي عديدة بالأمام علي والسيدة الزهراء وابنائهم (%)، دلت على تنغصهم لإسر هؤلاء الاشراف فأنتدب حكام بني الاحمر انفسهم لفدائهم[4] .

وكثيراً منهم من مات متأثراً بجراحه أو من علة أصابته وهم في تلك الغزوات بعد ان نفروا تلبية لنداء الجهاد خفافاً وثقالاً فصحبوا الجيوش وشاركوا في الحروب كجنود متطوعين لإعلاء كلمة الله في ربوع البلدان، متبعياً قوله تعالى: (**انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**)[5]، وقولهِ

([1]) وهم قوم من البربر في المغرب عرفوا بـ (المصامدة) نسبة إلى مصمودة وهو موضع بالمغرب سكنوه فعرف بهم؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص136؛ صفي الدين، مراصد الاطلاع، ج3، ص1277 .

([2]) وهو مسعود بن كانون من بلاد نفيس من احواز مراكش، بايعه جميع عرب سفيان اميراً عليهم، بعد اخيه يعقوب بن كانون، فعمل على تحريض اهل بلاد نفيس ضد السلطان عبد الحق المريني، الذي توجه ارسل اليه الجيوش وتمكن من هزيمته وتهدئة الاوضاع في البلاد سنة (680هـ/1282م)؛ ينظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص267؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص130-136؛ الناصري، الاستقصا، ج3، ص50-53 .

([3]) ابن خلدون, العبر, ج7, ص267؛ الناصري, الاستقصا, ج3, ص50؛ حركات, المغرب عبر التاريخ, ص126.

([4]) السملالي، الاعلام، ج4، ص161-162 .

([5]) سورة التوبة، اية (41) .

(ρ): « وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا »[1]، كالفقيه الشريف احمد بن القاسم بن محمد الحسني الذي قرر ترك الامارة في بصرة المغرب واصيلة، والتوجه الى الاندلس برسم الجهاد في سبيل الله، فأرسل الى الخليفة عبد الرحمن الناصر يستأذنه بالدخول الى الاندلس والمشاركة في محاربة النصارى، فرحب به وامر بأن يبنى له في كل منزل ينزله من الجزيرة الخضراء الى الثغر داراً ليكون اثر اقباله ال الأندلس باقياً مع الايام، فكانت ثلاثون منزلاً، فوصل الاندلس سنة (346هـ/957م)، وباشر الحروب وقاتل بشجاعة مؤمناً محتسباً لله (Y)، حتى سقط شهيداً في ميدان الشرف والدفاع عن البلاد ضد النصارى شهيداً مقبلاً غير مدبراً سنة (348هـ/390م)[2]، فكان واحدا من علماء آل البيت العلوي الذين ماتوا متأثرين بجراحهم مجاهدين بأموالهم وانفسهم في سبيل الله، قال تعالى: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)** [3] .

ومنهم ايضا الفقيه عبد الصمد بن عبد السلام المشيشي الحسني, الذي خرج متطوعاً لقتال العدو الغاشم على شواطئ المغرب قرب طنجة, غير مبالي بالحياة ساعياً نحو تحقيق هدف الجهاد وهو النصر أو الشهادة، تلبية لقوله تعالى:﴿**قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ**﴾[4], فمات رحمه الله شهيداً مدافعاً عن بلاده[5] .

([1]) عبد الرزاق الصنعاني، عبد الرزاق بن همام بن نافع، (ت: 211هـ/827م)، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، نشر: المكتب الإسلامي، ط2، (بيروت، 1403هـ)، ج5، ص309، رقم (9711) ابن حنبل، المسند، ج3، ص448، رقم (1991) .

([2]) ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص235؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص89؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص291؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص112-111؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص251؛ منصور، اعلام المغرب، ج2، ص301-302؛ فضالة، صالح حسن، الجوهر العفيف في معرفة النسب النبوي الشريف، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1971م)، ص؛ السيد، فؤاد صالح، معجم السياسيين المثقفين في التاريخ العربي والاسلامي، نشر: مكتبة حسن العصرية، (بيروت، 2011م)، ص71.

([3]) سورة الحجرات, ايه (15).

([4]) سورة الحجرات, ايه (52).

([5]) العمراني, الجواهر الباهرة, ص147.

وهناك من مات على اثر علة اصابته من تلك المعارك, كالفقيه الشريف محمد بن طاهر الحسيني قاضي الجماعة بمراكش, الذي توجه نحو الاندلس كأحد جنود جيش دولة الموحدين في معركة العقاب[1] سنة (609هـ/1212م), بقيادة السلطان محمد الناصر[2] (595-610هـ/1198-1213م) بعد استنجاد المرابطين بهِ, فكان لتلك المعركة الاثر الكبير على دولة الموحدين اذ فقدت الدولة فيها خلاصة جندها الشجعان وروحها الفتية المقاتلة، فأصابها الوهن والضعف بفعل الصراعات العسكرية التي نشبت في سائر أرجائها في المغرب والاندلس[3]، وعاد الشريف من تلك الغزة مصاباً بجراح توفى على اثرها بمدينة إشبيلية وهو في طريق عودته للبلاد[4] .

ويعد العلماء الجهاد من أفضل الأعمال لتثبيت مبادئ الدين الاسلامي عند الناس، لأنه وسيلة إلى إعلان الدين ونشره وإخماد الكفر ودحضه[5]، وقد كان علماء آل البيت العلوي افضل من يعلم ذلك فهم من الفقهاء العالمين بالدين والعاملين بهِ،

([1]) وهي المعركة التي دارت بين الموحدين بقيادة محمد الناصر الموحدي (ت: 610هـ/1213م)، وبين الجيش الإسباني بقيادة الفونسو الثامن (553-611هـ/1158-1214م) عند حصن العقاب الواقع جنوب جبال سييرا مورينا في إقليم جيان وأنتهت بهزيمة الجيوش الموحدية؛ ينظر: ابن ابي زرع، الأنيس المطرب، ص238-239، وقد جاءت باسم (العقبان) عند: الناصري، ج2، ص223.

([2]) وهو محمد بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي ويكنى بـ (أبو عبد الله) بويع بعد وفاة والده المنصور، وتلقب بـ (الناصر) وفي عهده بلغ اجحاف العدو بأفريقية وفساد الأعراب في نواحيها، فقد ثار بالسوس سنة (598هـ/1202م) ثائر بن كزولة يعرف بأبي قفصة، فسرح اليه الناصر جيوشه وقد تمكنوا من هزيمته وقتله، وبهذا يكون قد سيطر على امور أفريقية؛ ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص331.

([3]) قطوش، نورة، بنية الخطاب الشعري في العهد الحفصي خلال القرن السابع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج الخضر باتنة، كلية الآداب للعلوم الانسانية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ص19.

([4]) ابن الابار, التكملة لكتاب الصلة, ج2, ص162؛ ابن ابي زرع, الذخيرة السنية, ص48؛ ابن الاحمر, بيوتات فاس الكبرى, ص17؛ السملالي, الاعلام بمن حل مراكش, ج4, ص164-165 -166.

([5]) ابن حجر, فتح الباري شرح صحيح البخاري, دار المعرفة, (بيروت, 1379م), ج6, ص5.

لذا كانوا يخرجون بأنفسهم الى ساحات الوغى لتجسيد مفاهيم الجهاد ومعانيه في نفوس المقاتلين، اذ نوهت المصادر بتتابع خروجهم للجهاد فلا يكاد يسمع احدهم عن غزوة الا وكان أول من يتجهز لها كالفقيه الشريف محمد بن يوسف ابو درقة الحسني مما روي عنهُ بأنه ما ان علم عن تجهيز جيش الا وكان احد المشاركين بهِ, حاملاً درقتهُ التي يتوقى بها في الحروب, لذا عرف بـ (ابي درقة)(1), فقد نذر نفسهُ لذلك حتى وافاه قضاء ربه بمراكش اثناء عودته من احدى الحملات التي شارك بها ضد النصارى في الاندلس على عهد السلطان يعقوب بن المنصور الموحدي(2) .

كما كان لأشراف صقلية الحسنين الحمودين الذين تولوا حكم جرجنت وقصريانة سنة (461هـ/1068م)، دور مهم جداً في مقاومة الغزو النورماني للبلاد، حيث يشير مؤرخين النورمان بانه عند وصول القوات النورمانية الى صقلية دار صراع مرير مع المسلمين لمدة ثلاثين سنة حتى تمكنوا من هزيمتهم والسيطرة على معظم البلاد(3)، ولم يتبقى سوى جرجنت وقصريانة اذ تولى امر قيادة المسلمين فيها ضد النورمان رجل يدعى ابو القاسم بن علي بن حمود Chamut وذلك سنة (479هـ/1086م)(4)، وهو من بيت بني حمود الادارسة، اذ تمكن هذا الشريف من صد التقدم النورماني نحو تلك البلاد لمدة ثلاث سنوات ذاقوا بها الشدائد العصيبة من جراء الحصار الذي فرض عليهم من قوات الغزو(5) .

---

(1) الكوهن, طبقات الشاذلية, ص187؛ التمسماني, الامام مولاي, ص48.

(2) الكوهن, طبقات الشاذلية, ص187؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص225؛ الحسني, المنتقى, ص320؛ التمسماني, الامام مولاي, ص20, 48.

(3) Morgan, Cambridge Studies Inislamic Civilizaton, P.31; Amari, storia dei musulmani di stcilla, 1, P.181-183

(4) Metcalfe, The Muslims of medieval Italy, p. 101 .

(5) Amari, storia dei musulmani di stcilla, III, P.175; Metcalfe, The Muslims of medieval Italy, p. 217 .

وقد اشارة ابن الاثير[1] الى تلك المقاومة بقوله: " ولم يبقى للفرنج ممانع، فاستولوا على الجزيرة، ولم يثبت بين أيديهم غير قصريانة وجرجنت، فحصرهما الفرنج، وضيقوا على المسلمين بهما، فضاق الأمر على أهلهما، حتى أكلوا الميتة، ولم يبق عندهم ما يأكلونه فأما أهل جرجنت فسلموها إلى الفرنج، وبقيت قصريانة بعدها ثلاث سنين "، الا انه لم يوضح من تولى امر المقاومة .

وبعد اشتد الحصار عليهم وكثر القتل فيهم اضطروا إلى التسليم، فدخلها النورمان فأصبح لروجر الاول Ruggero I di Sicilia[2] سنة (484هـ/1091م) حكم جميع الجزيرة واسكن الروم والافرنج مع المسلمين[3]، في حين يذكر مؤرخي النورمان ان الشريف ابو القاسم قد ترك الدين الاسلامي واعتنق النصرانية بعد ان سلم البلاد لروجر، خوفاً على ابنائه وزوجته الذين كانوا رهائن عند الملك[4]، وخاف على نفسه بعد ذلك من المسلمين فطلب من الملك ان ينقله واهله الى بلاد اخرى، فستجاب الملك لطلبه ونقله الى مدينة ميلاطو، التي بقي بها الى حين وفاته[5] .

ان مثل هذا القول لا يمكن قبوله فهو غير صحيح ودليلنا في ذلك عدة اشارات منها قول ابن الاثير السابق الذي مفاده ان المسلمين والنورمان عاشوا جنباً

([1]) علي بن محمد بن محمد، (ت:630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت، 1997م)، ج8، ص349 .

([2]) وهو اول الحكام النورمان لجزيرة صقلية حكم (1017-1101م)، وعرف بـ (الكونت روجر الكبير)، وكان سياسياً حاذقاً عمل على كسب رعايه المسلمين وشجع العلماء وخصهم بالعناية الفائقة، حتى وجد نفسه متهماً من قبل النورمان بتركه للدينه ودخوله الاسلام، فكان هم اخر زعماء الغزو النورماني لجنوب ايطاليا؛ ينظر:

Briffault, Robert, The Making of Humanity ,George Allen ,London ,1928, p.212; Miranda, Ambroxio Huici, The Iberian Peninsula and Sicily, in The Cambridge History of Islam, London, 1928, vol 2, p. 438 .

([3]) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص349 .

Morgan, Cambridge Studies Inislamic Civilizaton, P.31 .

([4]) Metcalfe, The Muslims of medieval Italy, p. 221 .

([5]) Amari, storia dei musulmani di stcilla, III ,P.175-176; Metcalfe, The Muslims of medieval Italy, p. 217 .

الى جنب في الجزيرة تحت ضل حكم الملك روجر الاول، وهذا يعني ان الاستسلام كان الهدف منه حماية البلاد من دمار الغزو في حال دخلها مغتصب للبلاد وهذا ما اشار اليه Morgan(1) بقوله: " وهزم ابن العلويين في اليأس "، اذ فرض عليهم حصار شديد حتى اكلوا به الميتة، ولا بد من انه وضع شروط في صالح المسلمين حتى سمح له في البقاء هو وابنائه على حكمها كما اشار الى ذلك مؤرخيهم بأن الحكم اصبح وراثياً في بني ابو القاسم(2)، وهذا ما فعله النورمان مع معظم المدن المسلمة في الجزير(3)، وهذا يعني انهم لم يتركوا دينهم ولم يخرجوا من صقلية .

كما اننا نجد ان فقيه صقلية الاكبر محمد بن ابي محمد بن ظفر(4) الذي توفي سنة (565هـ/1107م) اي انه عاش في فترة ما بعد عقد الصلح للشريف ابو القاسم الحسني مع النورمان، قد اهدى كتابه المسمى (سلوان المطاع في عدوان الاتباع)(5)، الذي الفه سنة (554هـ/1159م) الى ابنه الشريف ابي عبد الله محمد واصفاً اياه بقائد القادة، اذ قال في مقدمته الى " قائد القادة ابي عبد الله محمد بن ابي القاسم بن علي علوي القرشي بارك الله له في الهمة اكسبه، وكان وليه وحسبه، فلقد انزل الدنيا بدرك منزلها، وكشف بدرك مذلتها، فعمل للبقاء لا للفناء، ... واخى للتعاون على البر والتقوى، ... وزان الرياسة بنفس لا تضيف بنازلة درء، ولا تصغي الى الوشات سمعاً، ولا تدنس بطبع طبعاً، وبحلم لا يرفع اليه راساً، وحزم لا يخاف

---

(1) Morgan, Cambridge Studies Inislamic Civilizaton, P.32 .

(2) Morgan, Cambridge Studies Inislamic Civilizaton, P.37; Abulafia, The Two Italies Economic Relations, p. 246-250 .

(3) Morgan, Cambridge Studies Inislamic Civilizaton, P.34 .

(4) وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن ظفر الصقلي، يكنى بـ (أبو عبد الله)، ولد في صقلية سنة (497هـ/567م) كان عالم رحال أديب ومفسر. نشأ بمكة. ثم اخذ يتنقل بين البلاد، الى ان دخل المغرب فجال بإفريقية والأندلس، وعاد بعدها إلى الشام فاستوطن مدينة حماة التي توفي بها، وله عدة مصنفات منها كتاب (ينبوع الحياة)، وغيرها؛ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص125؛ الزركلي، الاعلام، ج6، ص230 .

(5) مطبوع طبعة حجرية في تونس سنة 1297هـ .

الا بالـه معـه باسـاً "[1]، وهـذا دلـيلا اخـر علـى عـدم صـحت مـا ذهبـت اليـه المراجـع الاتينية والرومانية في تنصرهم وتركهم البلاد .

والدليل الثالث هو لقاء الرحالـة ابن جبير[2] بعد (119سنة) من عقد الصـلح بالشريف ابو القاسم بن حمود الحسني، وهو حفيد الشريف ابو القاسم بن علـي وقد وصفه بانه زعيم اهل الجزيرة وقائدهم ثم اضـاف قائلاً: " وكنا قد ابصرنا لـه ولاخوته ولاهل بيته بالمدينة دياراً كأنها القصور المشيدة الانيقة، وشأنهم بالجملـة كبير لاسيما هذا الرجل منهم ... ومن عظم هذا الرجل الحمودي في نفوس النصـارى ابادهم الله، انهم يزعمون لو تنصر لما بقي في الجزيرة مسلم الا وفعل فعلـه اتباعـاً لـه واقتداء بـه، تكفل الله بعصمته جميعهم ونجاهم مما هم فيه بفضله وكرمه " .

ويمكننـا ان نستخلص ممـا سبق ان هؤلاء الاشراف قد بذلوا قصـارى جهدهم فـي الـدفاع عن مـدنهم ورسـموا اروع صـور الجهـاد فـي سبيل المحافظـة عليهـا مـن الغـزو النورمـاني، وبقـوتهم وشـجاعتهم تمكنـوا مـن قيـادة النـاس نحـو تحقيـق هـدف السـيادة والاستقلال، حتـى توصـلوا معهـم الـى صـلح حفظـوا بـه دمـاء ابنـائهم وارض بـلادهم، وبقوا يحكمون بها حكاماً واسياد جيلاً بعد جيل .

ثالثاً: الرباط

الربـاط: هـو الاقامـة علـى جهـاد العـدو بـالحرب، وقيـل: هـو ملازمـة (ثغـر)[3] العدو[1]، اذ اختلفت صور الجهاد عند رجال آل البيت العلوي فلم تقتصـر علـى قيادة

([1]) ابن ظفر، سلوان المطاع، المقدمة ص3-4 .

([2]) الرحلة، ص314-315 .

([3]) وهو البلاد المتاخمة للعدو من المشركين وأهل الكتاب التي يخيف العدو أهلها، ويخيف أهلها العدو، والمرابطة بها افضل من مجاورة الحرمين؛ ابن تيمية، مسالة في المرابطة بالثغور افضل ام المجـاورة بمكـة تشـرفها الله تعـالى، نشـر: اضـواء السـلف، (د.م, 2002م)، ص17؛ ابـن تيميـة،

الجيوش والمشاركة في ميدان الحرب فحسب بل كان اثرهم ممتداً الى المرابطة وحراسة المسلمين ومجاهدة الاعداء، والتي تعني ملازمة جماعة من الناس الثغور مما يلي العدو بخيولهم وعدتهم[2], وفي هذا المعنى جاء قولهِ تعالى:(**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**)[3], ومن مشاهر علماء آل البيت العلوي وفقهائهم الذين برز اثرهم في حراسة الحدود ومجاهدة الأعداء القطب عبد السلام بن مشيش الحسني الذي رابط بمدينة سبتة عدة سنين من اجل الدخول الى الاندلس بهدف الجهاد والمشاركة في المعارك الحربية مع الإسبانيين في عهد دولة الموحدين, اذ تعد مدينة سبتة مركزاً للمرابطة والجهاد امام هجمات الاعداء, وقاعدة حربية للعساكر الاسلامية[4]، فأن الشريف هنا كان يقوم بواجبه الجهادي في الدفاع عن بلادهُ من الاعداء, وواجبه اتجاه المرابطين اذ بتواجدهُ بين صفوفهم وتجولهُ في الثغور والرباطات يرفع من مستوى الاعداد النفسي والمعنوي لديهم ويحرضهم على الصبر والثبات .

ونظير ذلك ما روي عن الشريف محمد بن عبد الله العمراني، فقد كان دائم المرابطة على ساحل البحر من اجل حماية المسلمين وحراستهم، روي عنه قوله: "

مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد، نشر: مجمع الملك فهد لطاعة المصحف الشريف، (مكة المكرمة, 1995م)، ج27، ص24.

([1]) ابن منظور ، لسان العرب، فصل الراء، مادة (ربط)، ج7، ص302 .

([2]) الفيروزابادي، القاموس المحيط، مادة (ربط) ص667؛ الزبيدي، تاج العروس، مادة (ربطة)، ج19، ص299؛ قلعجي، محمد رواس وحامد صادق، معجم لغة الفقهاء، نشر: دار النفائس، (د.م ,1988م)، ص31.

([3]) سورة الانفال، اية (60) .

([4]) اللهوي, حصن السلام, ص411؛ ابن عبد الله, العلميون والاشعاع العلمي, ص105؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ص21, ص7161.

بت ليلة في رابطة مقفرة على ساحل البحر "[1]، اذ تعد الربط والحصون الممتدة على ساحل البحر مهمة جداً لحماية السكان ودفع هجمات الاعداء عنهم، ولاسيما التي شنها الروم البيزنطيين ضد السواحل التونسية لألحاق الاذى بهم ولنهب ممتلكاتهم .

كما برز للاشراف الامغاريون دور بارز في حماية البلاد من العداء في الرباطات، ولاسيما في رباط عين الفطر فقد كان هذا الرباط اشهر الرباطات في المغرب ويسكنه الاشراف الحسنين من آل امغار فكانت تقع على عاتقهم مسؤلية الدفاع فيه وقد رسموا في ذلك اروع صور الجهاد في الدفاع عن البلاد، ولنا في ذلك وثائق عدة تؤكد ما ذهبنا اليه منها الرسالة التي ارسلها الامير يعقوب الموحدي بعد معركة الارك مع البيزنطيين الى الشريف ابي عبد الحق امغار الحسني في انتصاره بالمعركة ويثمن جهودهم في المرابطة[2]، كما وصل اليه ايضاً كتاب ابنه الامير الناصر بن يعقوب بعد معركة العقاب يزف اليه بشارة انتصارهم من اشبيلية سنة (609هـ/1212م) يقول فيه: " الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد واله، من امير المؤمنين محمد الناصر بن امير المؤمنين يعقوب المنصور الموحدي ايده الله ونصره بمعونته الى الشيخ ابي عبد الخالق امغار الشريف سلام عليكم كريم عميم .

اما بعد:

فكانت الرزية في جميع الاسلام فانا بحمد الله وشكره نصلي على سيدنا محمد الكريم وعلى اله وصحبه الفائزين ونسله الرضي اهل بيته الطاهرين، وعلى الامام

([1]) ابن الزيات، يوسف بن يحيى التادلي، (ت:617هـ/1220م)، التشوف الى رجال التصوف واخبار ابو العباس السبتي، تحقيق: احمد التوفيق، نشر: مطبعة النجاح الجديدة، (الدار البيضاء، 1997م)، ص446 .

([2]) السيوطي المكناسي، مخطوط عقد الآلئ المستضيئة، ورقة (19) .

المهدي القائم بأمر الله الداعي الى البصيرة وعن الخلفاء الراشدين من حضرة اشبيلية حرسها الله والسلام، في الثالث من شعبان عام تسع وستمائة "[1] .

([1]) ابن قنفذ القسنطيني، تحفة الوارد في اختصاص الشرف من قبل الوالد، مخطوط محفوظ في الخزانة الوطنية، باريس، نسخة غير مرقمة، ينظر نص الظهير في الملاحق قسم الظهائر السلطانية .

الفصل الثالث

دور آل البيت العلوي في الحياة الثقافية

لا يمكن معرفة مستوى رقي اي مجتمع الا من خلال معرفة مدى نمو الحياة الثقافية فيه, ويعد بلاد المغرب من بين المجتمعات التي عرفت التطور الحضاري والتفوق العلمي، وكان لعلماء آل البيت العلوي اثر في ذلك التقدم من خلال مشاركتهم في الرحلات العلمية فأن تكبدهم لمشاق السفر وعناءه بين حواضر العلم للتزود بمختلف العلوم والمعارف، كانت احد الوسائل المهمة التي ساعدت في بناء حضارة علمية عريقة من خلال اطلاعهم على سير الحركة العلمية في البلاد الاخرى, فضلا عن عقدهم للمجالس الثقافية التي كانت السبب في نشر وبث تحصيلهم لتلك العلوم بين الناس، ونظرا لأهمية الرحلات العلمية في تقدم الحياة الثقافية ارتئينا ان نتحدث عنها في بداية الفصل .

المبحث الاول

دورهم في الحياة الثقافية من خلال الرحلات العلمية

تعد الرحلة احدى الركائز المهمة في الانتعاش الثقافي لأي بلد فإنها من اهم طرائق البحث عن العلم، اذ كان طلاب العلم يتركون بلادهم بعد ان يحصلوا على ما لدى علمائها من علوم متجهين الى حواضر العلم المنتشرة في العالم الاسلامي، اذ حملهم حب العلم الى تحمل مشاق السفر واخطاره التي لم تقف حائلا امام رحلاتهم، فلم يتخلف عنها غني ولا فقير، فقلما نجد سيرة عالم لم يرحل في طلب العلم اذ كانوا طلاب العلم، يتنقلون من حلقة إلى اخرى، ينهلون من كل فرع من فروع المعرفة، وربما قطع احدهم الاف الاميال في سبيل قراءة كتاب واحد او حتى لسماع حديث واحد، وربما رغب في الاستزادة في احد العلوم، فشدوا الرحال من مدينة إلى اخرى، ومن بلد إلى آخر في سبيل تحصيله، فقد كان طلاب العلم يفدون من اقاصي المغرب والاندلس إلى بلدان المشرق من الحجاز ومصر والعراق والشام للأخذ عن جهابذة العلماء[1] .

اذ اتخذ علماء المسلمين من الرحلات والاسفار الى مختلف حواضر العلم عادة حميدة وسنة كريمة للتزود بالعلوم واكتساب المعرفة، وعدوها واحدة من اهم سلمات مراحل التطور الحضاري والتفوق الذي تولد عنه نشاط علمي باهر في مختلف البلدان الاسلامية[2] .

([1]) ينظر: احمد، منير الدين، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري مستقاة من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ترجمة: سامي صقر، دار المريخ، (الرياض، 1981م)، ص65؛ الزهراني، علي بن محمد بن سعيد، الحياة العلمية في صقلية الاسلامية، جامعة ام القرى، (مكة المكرمة،1993م)، ص179.

([2]) البشري، سعد عبد الله صالح، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الاندلس، دار احياء التراث الاسلامي،(مكة المكرمة،1996م)، ص91.

وعد ابن خلدون[1] الرحلة من الشروط الواجبة في كسب العلم اذ بواسطتها يحصل الكمال الذي لا يتحقق الا بلقاء المشايخ فيقول: " الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، والسبب في ذلك ان البشر يأخذون معارفهم واخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليماً والقاء، وتارة محاكاة وتلقياً بالمباشرة، الا ان حصول الملكات عن المباشرة والتلقين اشد استحكاماً واقوى رسوخاً فعلى قدرة كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها، والاصطلاحات أيضا في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم، حتى قد يظن كثير منهم انها جزء من العلم، ولا يدفع عنه ذلك الا مباشرته لاختلاف الطرق من المعلمين، فلقاء اهل العلوم وتعدد المشايخ يقيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها " .

وقد كان لموقف الاسلام من الحث في طلب العلم أثر عظيم في اهتمام المسلمين بالرحلات العلمية، فأولى آيات القران الكريم جاءت للحث على العلم قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾[2]، ويقول (I) مشجعا لأهل العلم: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[3]، وحث رسولنا الأكرم محمد (ρ) المسلمين على تعلم العلم بل وجعله فرضاً عليهم أذ قال: « طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ »[4]، وحث على الخروج في طلبه والبحث عنه، أذ قال (ρ): « مَا مِنْ خَارِجٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، إِلَّا وَضَعَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ »[5] .

وقد أكرمهم (ρ) إيما أكرام، فرفعهم الى منزلة لا يكاد ينالها غيرهم أذ جعلهم ورثة الأنبياء فقد صح عنه قوله (ρ): « إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ

([1]) المقدمة، ج2، ص358 .

([2]) سورة الفلق، اية (1) .

([3]) سورة المجادلة، اية (11) .

([4]) ابن ماجة، السنن، ج1، ص81؛ باب (فضل العلماء والحث على طلب العلم)، رقم (224).

([5]) ابن حنبل، المسند، ج36، ص45، باب (حديث ابي الدراء)، رقم (21715) .

يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[1] لأن الله تعالى بفضله ومنته وفقهم الى طريق الحق في جميع أبوابه وشعبه، وجزاهم على هذا أعظم الجزاء إذ جعل عقبى هذا الطريق الى الجنة فجاء مصدق هذا الجزاء على لسان نبيه الكريم (ρ) إذ قال: « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ »[2] .

بناءٍ على هذا التأسيس الالهي والهدي النبوي الشريف حرص المسلمون على بذل كل ما يدخروه من جهد في سبيل بلوغ ذلك الهدف السامي، اذ تحملوا ضروب المشاق من عناء السفر وغربة البلد والاهل متجهين بخطى ثابتة الى ان بلغوا مرادهم، فكان له اثر عظيم اذ اسسوا بنجاحهم حضارة عريقة باقية اثارها امد الدهر .

اولاً: الرحلات الداخلية

من البديهي ان يبتدئ طالب العلم التعلم والسماع على علماء بلدته ومن ثم يتجه الى البلدان القريبة ليكتسب من علمائها ما لديهم من علوم, لاسيما وان حواضر مدن المغرب تميزت بمكانتها العلمية لذا نلحظ ان هناك صلات ثقافية متنوعة بينها في الأخذ والعطاء, فكان طلاب العلم يشدون رحالهم بين تلك الحواضر للأخذ على علمائها, ومن اعلام آل البيت العلوي الذين تنقلوا بينها لكسب العلم الشريف عبد السلام بن مشيش الحسني من اهل قرية الحصن العروسية التي تقع بين تطوان وطنجة، فدرس بها علومه الاولى وحفظ القران الكريم ورتله وهو ابن السبع والعشر سنوات، ثم رحل الى حاضرة مدينة فاس للتعلم على يد علمائها[3] اذ كانت عامرة بالعلم, وقائمة بشرائع الدين والعلوم الظاهرة والباطنة اجيالاً بعد اجيال,

---

([1]) ابن ابي شيبة، المسند، ج1، ص55، باب (ما رواه أبو الدراء رضي الله عنه عن النبي ρ)، رقم (47).

([2]) مسلم، الصحيح، ج4، ص2074، باب (فضل الاجتماع على تلاوة القرآن)، رقم (2699).

([3]) التليدي، المطرب، ص92-93؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص123-124؛ العمراني، الجواهر الباهرة، ص138 .

منذ ان اسسها الاشراف الادارسة سنة (193هـ/809م)[1], ولنا في ذلك وصف الكتاني[2], لمكانتها العلمية، قائلاً: " وليس في المغرب مدينة يوجد فيها رجال تنبع العلوم من صدورها كما ينبع الماء من عيونها, مع الحفظ والتحرير على انواعها " .

ومن فاس رحل الشريف الى حاضرة مدينة سبتة، فدرس العلوم الفقهية بالمدونة على مذهب الامام مالك بن انس، على يد الشيخ الحاج احمد العسقلاني[3] (ت: ق: 6هـ/12م)، وغيره من الشيوخ في علوم الشريعة، اما علوم الحقيقة فقد اخذها على يد شيخه الشريف عبد الرحمن الزيات، وعاد بعدها الى قريته وجلس للعلم والعبادة[4] .

كما رحل الشريف ابو عبد الله محمد العمراني وهو من اهل مدينة غمارة الى حاضرة مدينة فاس فاخذ بها جل العلوم على يد علمائها، بعد ان درس في مدينته علومه الاولى[5]، اذ كانت قبائل غمارة غنية بعلمها وعلمائها ومدارسها، واهلها لا يهتمون بشيء قدر اهتمامهم بحفظ القرآن الكريم ودراسة العلم، حيث لا تشرف الأسر فيهم إلا بقدر ما أنجبت من الفقهاء والعلماء، وبرز منهم العديد من حفاظ القرآن الكريم، فكانت تعج بالعلماء والصلحاء، حيث كانت تدرس فيها الفروع العلمية بمختلف أنواعها من فقه ولغة وقراءات ورياضيات وطب وغيرها، وكان من عادة الطلاب في هذه المنطقة أنهم يرحلون

---

(1) ابن عذاري, البيان المغرب, ج1, ص211؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص220 .

(2) زهرة الاس, ج1, ص43.

(3) وهو الشيخ احمد الملقب بـ (اقطران) علامة فقيه من الاولياء الصالحين مغربي الاصل، من اهل حاضرة سبتة كان احد المعلمين المعتبرين في العلوم الفقهية رحل اليه الطلبة من كل مكان للإخذ عنه، امتلك مكانة خاصة عند الناس توفي ودفن بقرية ابراج بقبيلة الاخماس بالقرب من باب تازة، وضريحه يعتبر من المزارات الشهيرة في المغرب، وله موسم يعقد سنوياً في فصل الصيف؛ ينظر: التليدي، المطرب، ص93؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص123-124 .

(4) التليدي، المطرب، ص92-93؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص123-124؛ العمراني، الجواهر الباهرة، ص138 .

(5) ابن الزيات, التشوف, ص466.

إلى فاس بعد ان تملئ عقولهم علما وثقافة للاستزادة بما عند علماء فاس من العلم[1]، وهذا ما قام به الشريف ابو عبد الله العمراني[2] .

وكذلك رحل الشريف ابو الحسن علي الشاذلي وهو ايضا من اهل قرية غمارة وبها نشأ وبدأت حياته العلمية اذ حفظ القران الكريم, واخذ الحديث وبدأ يتفقه في امور الدين على يد شيوخها, ومنها رحل الى مدينة فاس اذ طلب بها العلوم الظاهرة, فدرس على يد كبار علمائهم من امثال الشيخ المتصوف محمد بن علي بن حرزهم[3] (ت:559هـ/1164م) وهو من اكبر تلامذة الشيخ ابو مدين التلمساني، فدرس الشريف عليه جل العلوم وسلك طريق التصوف من خلاله ولبس على يديه خرقة التصوف حتى صار من كبار علماء الظاهر[4] .

ومنها شق طريقه نحو باقي مدن المغرب سعياً وراء العلم فدخل مدينة زويلة[5]، ثم رحل الى حاضرة مدينة تونس التي كانت الرحلة اليها من قبل طلاب

([1]) ينظر: الغماري، علي ميمون، (ت:917هـ/1511م)، رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القران، تحقيق: خالد زهري، دار الكتب العلمية، (بيروت،2003م)، ص29؛ العافية، عبد القادر، الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها خلال القرن العاشر الهجري–السادس عشر الميلادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،(الرباط، 1982م)، ص256؛ البكوري، معاذ، المدارس الغمارية العتيقة في مواجهة السياسة التعليمية الاسبانية ومسألة تهرب الاطفال من التعليم الرسمي الى العتيق، بحث منشور على شبكة ضياء للمؤتمرات والدراسات، (المغرب، د.ت)، ص1–2 .

([2]) ابن الزيات, التشوف, ص466.

([3]) هو علي بن اسماعيل بن عبد الله بن حرزهم بن زيان بن يوسف، ويكنى (ابو الحسن)، كان خيرا دينا فاضلا ورعا زاهدا متقشفا، وهو من كبار فقهاء مدينة فاس ومدرسيها متضلع بعلوم الشريعة، درس على يديه عدد كبير من علماء الكبار امثال ابن العربي الحتامي، وابو مدين الغوث، تمتع بمكانه مرموقة عند السلطان والعامة، توفي بفاس ينظر: التنبتكي، نيل الابتهاج، ص315؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص464–466؛ الناصري، الاستقصا، ج2، ص206.

([4]) التليدي, المطرب، ص122؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص126؛ غريب, ابو الحسن الشاذلي, ص14؛ عبد الله، عبد العزيز، معلمة التصوف الاسلامي التصوف المغربي من خلال رجالته، دار نشر المعرفة، (الرباط، 2001م)، ج2، ص63؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج15, ص5233.

([5]) وهي من مدن من أطرابلس تقع بين المغرب والقبلة، وعادة ما يجلب العبيد منها إلى ناحية إفريقية؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص159–160؛ البكري، المسالك والممالك، ج2، ص658 .

العلم اكثر من أي مدينة أخرى، لاسيما بعد ان ادخل اليها علي بن زياد التونسي[1] (ت:183هـ/799م)، الموطأ وجامع سفيان الثوري[2] (ت:161هـ/777م)، فهو من فسر لأهلها اصول مالك، لذا رحل اليه طلبة العلم لسماع الموطأ عنه[3]، واستمرت الرحلة اليها على اثر ذلك حتى بعد وفاته بقرون عديدة، فدخلها اليها الشريف الشاذلي سنة (602هـ/1205م)، ليكمل علومه بها, فدرس الفقه على المذهب المالكي, ودرس ايضاً الادب وعلوم اللغة العربية, وعلوم الدين من تفسير وحديث وعلم الكلام والتوحيد على يد كبار علماء العصر آنذاك, فلم يكن يتخلف عن الحلقات العلمية نبغ في معظمها[4], وبقى هناك مدة طويلة من الزمن لاسيما وان الجو العلمي في تونس كان افضل من بقيت مدن المغرب، اذ كانت حرية الفكر والدراسة مكفولة هناك الى حدٍ ما، فضلا عن تعاليم ابو مدين وروحانياته الصوفية التي تشع في كل مكان فتأثر بذلك الجو كثيراً، ولاسيما وانه

([1]) وهو علي بن زياد، يكنى (ابو الحسن)، من اهل مدينة تونس فقيه ثقة ماموناً، سمع من مالك بن انس، وسفيان الثوري، والليث بن سعد وغيرهم، وهو أول من أدخل كتاب (الموطأ) للامام مالك بن انس الى المغرب، وهو من فقهاء عصره الكبار، فلم يكن هناك أفقه منه بإفريقية، توفي بتونس ودفن بها؛ ينظر: ابو العرب، محمد بن أحمد بن تميم، (ت:333هـ/945م)، طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، د.ت)، ص251؛ الزركلي، الاعلام، ج4، ص289 .

([2]) وهو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة من مضر، سيد اهل زمانه في علوم الدين والتقوى ولد ونشأ بالكوفة، له من الكتب الجامع الكبير، والجامع الصغير، كلاهما في الحديث، وكان آية في الحفظ، كان يقول: (ما حفظت شيئاً ونسيته)؛ ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج6، ص350؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، مج2، ص386.

([3]) أبو العرب، طبقات علماء افريقية، ص251؛ عياض، عياض بن موسى (ت:544هـ/ 1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: سعيد احمد اعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ،(المغرب، د.ت)،، ج3، ص80.

([4]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص5، 23، 28؛ التليدي, المطرب، ص123؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص126؛ غريب, ابو الحسن الشاذلي, ص15؛ النجار، عامر، الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها الرفاعي- الجيلاني- البدوي – الشاذلي- الدسوقي، دار المعارف، (بيروت، د.ت)، ص124-125؛ عبد الله، معلمة التصوف، ج2، ص63؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج15, ص5233-5234 .

سبق ان درس التصوف في فاس[1]، كما كان يقيم في تونس عدد كبير من اعلام المتصوفة امثال الشيخ ابو محمد المهدوي[2] (ت:621هـ/1224م)،
والشيخ ابو سعيد الباجي[3] (ت: 628هـ/1265م)، ولابد ان يكون الشريف قد اتصل بهم واخذ عنهم فهم علماء العصر البارزين آنذاك في التصوف، ومنذ ذلك الحين صار عاشقاً للتصوف وحياة المتصوفة[4] .

اما رحلته الثانية نحو تونس فكانت بعد سنة (618هـ/1221م)، على اثر عودته من المشرق والتقى هذه المرة بشيخه الشريف عبد السلام بن مشيش الذي

([1]) الشيال، جمال الدين، اعلام الاسكندرية في العصر الاسلامي، دار المعارف، (بيروت، 1965م)، ص165؛ النجار، الطرق الصوفية، ص124-125 .

([2]) وهو عبد العزيز ابن أبي بكر القرشي، عرف باسم (عبد العزيز المهدوي)، من اهل مدينة المهدية، ويعد احد كبار علماء التصوف في المغرب قام بعدة سياحات على سبيل مجاهدة النفس، فأنتقل الى تونس ثم الى المشرق، ودرس على يديه اثناء تواجده بتونس عدد كبير من علماء التصوف امثال الشريف الشاذلي ، وابن العربي (ت:638هـ/1240م)، الذي جاء من الأندلس ليتلقّى منه مبادئ العلوم الدينية، وبرزت مكانته بشكل واضح بعد وفاة ابو مدين شعيب (594هـ/1198م)، فاصبح قطب الصوفية من بعده الى حين وفاته؛ ينظر: النبهاني، يوسف بن اسماعيل بن يوسف، (ت:1350هـ/1932م)، جامع كرامات الاولياء، تحقيق: ابراهيم عطوة عوض، د.مط، (الهند، 2001م)، ج2، ص172 -173؛ محفوظ، محمود، تراجم المؤلفين التونسين، دار العرب الاسلامي، (بيروت، 1985م)، ج4، ص403 -406 .

([3]) وهو خلف الله بن يحيى التميمي، مغربي الاصل من اهل باجة ناحية تابعة لمدينة تونس ولد سنة (551هـ/1261م)، من اولياء الله الصالحين ذو علم وصلاح خرج برحلة الى المشرق قاصدا الحج سنة (603هـ/1206م)، وبعدها رحل الى الشام عاد الى المغرب بعد ثلاثة سنين، وازداد علماً ومعرفة، اخذ حلقة عبد العزيز المهدوي في افريقية وقصده الطلبة للتزود بالعلم الى حين وفاته؛ ينظر: الهواري، علي، مناقب ابي سعيد الباجي، تحقيق: البخاري الشتوي، د.مط، (تونس، 2004م)، ص65؛ النيال، محمد البهلي، الحقيقة التاريخية للتصوف، د.مط، (تونس، 1985م)، ص226؛ السمعلي، خديجة، الفكر الصوفي من خلال مناقب ابي سعيد الباجي، د.مط، (الرباط، د.ت)، ص10-11 .

([4]) الشيال، اعلام الاسكندرية، ص165؛ النجار، الطرق الصوفية، ص124-125 .

لازمه مدة طويلة من الزمن واخذ على يديه اشهر طرق التصوف التي عرفت في المشرق والمغرب باسم الطريقة الشاذلية[1] .

ومن تونس اتجه نحو شاذلة وهي قرية تقع بالقرب من مدينة تونس، الا ان رحلته هذه المرة كانت بإشارة من شيخه الشريف عبد السلام بن مشيش، بعد ان لاحظ ما وصل اليه من العلم وقد صفت نفسه واصبح اهلا للولاية ومهيأ لان ينشر ما لديه من علوم الى الناس، وعرف بـ (الشاذلي) منذ ذلك الحين، وتوافد الى مجالسه العلمية الطلبة من كل حدب وصوب وعرف في كل البلاد[2] .

كما رحل الشريف محمد بن محمد الادريسي من اهل سبتة الى مدينة فاس وقضى بها ردحا من الزمن مفيداً ومستفيداً[3] .

ورحل الشريف عبد الرحمن بن عبد الله الحسني وهو من اهل مراكش بعد ان اخذ على مشاهير علماء عصره, الى حاضرة مدينة سبتة فسمع هناك من كبار علمائها امثال ابي مروان الباجي[4] (ت:635هـ/1237م) الذي سمع عنه (صحيح

([1]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص5، 23، 28؛ التليدي, المطرب، ص123؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص126؛ غريب, ابو الحسن الشاذلي, ص15؛ عبد الله، معلمة التصوف، ج2، ص63؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج15, ص5233-5234 .

([2]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص23؛ النبهاني، جامع كرامات الاولياء، ج2، ص168؛ الشيال، اعلام الاسكندرية، ص169؛ النجار، الطرق الصوفية، ص85؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص126 .

([3]) التازي، عبد الهادي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، دار نشر المعرفة، ط2، (الرباط، 2000م)، مج1، ص168؛
Waern, Cecilia, Mediaeval Sicily aspects of life and art in the middle ages, Duckworth and Co London, 1910, p. 47-48; Zaimeche, Sicily, p. 17.

([4]) هو محمد بن أحمد بن عبد الملك ابن أحمد بن عبد الله اللخمي الباجي، يكنى بـ (أبو مروان)، مغربي الاصل من مدينة باجة القيروان، ولد سنة (564هـ/1169م) من كبار علماء عصره فقيها له معرفة بالعربية وتاريخ رجال الحديث، تولى عدة مناصب ادارية منها قضاء اشبيلية في الاندلس، كما تولى خطبتها، وحدث بصحيح البخاري في الحجاز اثناء رحلته للحج سنة (633هـ/1235م)، وجال بعدها في البلدان المشرقية للتزود بلعلم كعادة العلماء ودخل

البخاري), كما كان دائم الحضور لمجلس الشيخ ابي العباس العزفي[1] (ت: 633هـ/ 1236م) بحاضرة مدينة سبتة[2] .

لم يكتفِ العلماء بالتتلمذ على علماء بلدتهم بل سعوا الى الاستزادة من جل علماء العصر آنذاك وفي اي مدينة كانوا, مما ساعد على اذكاء الصلات العلمية والتلاقح الفكري بين مختلف حواضر بلاد المغرب, فقد كان الشريف السابق من اهل مراكش، وبعد ان اخذ عن علمائهم رغب بالاتجاه نحو مدينة سبتة وكسب ما عند علمائها من علوم, ونلحظ هنا ان الرحلة بدأت تتجه من سبتة نحو حاضرة مراكش، اذ رحل اليها الشريف الفقية محمد بن عيسى الحسني وهو من اهل سبتة وكان من كبار محدثي عصره, فوصل مراكش وقرأ على علمائها, كما اخذ عنه اهلها, واتخذ من مراكش وطنناً حتى وفاته سنة (638هـ/1240م) [3] .

كما رحل اليها الشريف محمد بن علي العمراني الحسني, اذ نزل بها وسمع من علمائها, واخذ عنها اهله، وهو من العلماء الكبار الشأن حتى وصف بأنه اكبر شأناً من ابو مدين الغوث[4] (ت:594هـ/1198م)[1].

دمشق ومن بعدها مصر التي توفي بها؛ ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج23، ص29؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص84 .

([1]) وهو أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي عرفة العزفي، يكنى بـ (ابو العباس) ولد سنة (557هـ/1162م)، من فقهاء المالكية يعرف بـ (السبتي)، اعتمد التدريس بجامع سبتة طول حياته، له نظم حسن، وتآليف منها (برنامج) برواياته؛ ينظر: ابن نقطة، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر، (ت: 629هـ/1231م)، إكمال الإكمال، تحقيق: عبد القيوم عبد ريب النبي، نشر: جامعة أم القرى، (مكة المكرمة، 1410)، ج4، ص296؛ الزركلي، الاعلام، ج1، ص281 .

([2]) ابن القاضي، درة الحجال, ج3, ص74- 75؛ السملالي, الاعلام بمن حل مراكش, ج8, ص90؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج1, ص282.

([3]) ابن عسكر, اعلام مالقة, ص193؛ الغرناطي، صلة الصلة, مج3, ص13؛ التنبتكي، نيل الابتهاج، ص379؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص215؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص229 .

([4]) وهو شعيب بن الحسين يعرف بـ (أبو مدين الغوث)، اندلسي الاصل من اهل حصن من توجب من أعمال إشبيلية، ومن مشايخ اهل المغرب فقد جال بالبلدان اقام بفاس وسكن بجاية مدة ثم سكن تلمسان وكان من مشاهير الصوفية والعارفين في عصره، توفي بتلمسان؛ ينظر:

واكمل الشريف العمراني رحلاته في طلب العلم داخل حواضر مدن المغرب بالتوجه نحو حاضرة مدينة تلمسان، التي تعد داراً للعلماء والمحدثين واهل الرأي على مذهب الامام مالك, فهي اول مدن بلاد المغرب لذا اجتاز معظم العلماء اثناء دخولهم وخروجهم للبلاد[2], واستوطنها الشريف مدة من الزمن واخذ من فيض علمائها, ونفع الناس بعلمه[3] .

واتخذ الشريف ابو زكريا يحيى الحسني من اهل زواوة, من الرحلة والتنقل بين حواضر مدن المغرب سبيلاً للتزود بالعلوم, اذ رحل الى قلعة بني حماد التي استقر فيها العديد من العلماء وثقات العصر والمحدثين والرواة, فقرأ هناك الفقه وعلوم اللغة العربية والنحو على يد الشيخ الفقيه النحوي ابي عبد الله ابن الخراط[4] (ت: ق7هـ/13م), وغيره من علماء العصر[5]، ثم اتجه صوب حاضرة مدينة بجاية وانتفع بعلمائها, واستوطنها الى حين وفاته سنة (611هـ/1214م)[6] .

ومن تلك الحواضر ايضاً التي شد العلماء رحالهم صوبها هي حاضرة مدينة القيروان العاصمة العلمية للمغرب الادنى واول عواصم العلم في انحاء المغرب، اذ تبوأت مركزها العلمي الريادي قبل ان تؤسس بقية عواصم العلم والمعرفة في انحاء المغرب مثل تونس، ومراكش، وتاهرت، وفاس، وتلمسان، فقد تميزت القيروان بكثرة

الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج21، ص219؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج16، ص95؛ الكتاني، سلوة الانفاس، ج1، ص416-417 .

(1) ابن الزيات، التشوف, ص446.

(2) الحميري, الروض المعطار, ص135.

(3) ابن الزيات، التشوف, ص446.

(4) هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري القلعي، يكنى بـ (ابو عبد الله)، المعروف بـ (ابن الخراط)، احد الثقات والصلحاء الرواة في المغرب، فقيه شيخ واستاذ مقرئ انتقل لبجاية وجلس بها للاستاذية، انتفع الناس به فقد كان معروفا بعلمه وصلاحه؛ ينظر: الغبريني, عنوان الدراية, ص133.

(5) الغبريني, عنوان الدراية, ص127- 133.

(6) ابن الزيات, التشوف, ص428؛ الغبريني، عنوان الدراية, ص127.

علمائها في مختلف الاختصاصات[1], لذا قصدها العلماء من مختلف البلدان للأخذ والعطاء فكان من بين هؤلاء العلماء الشريف علي بن عبد الله الحسني, الذي كان دائم الخروج اليها, وكان له بها مجلس يحضره حتى الاولياء للأخذ عنه والاستزادة من علمه[2] .

لم تقتصر الصلات العلمية لعلماء المغرب من الاشراف بأفريقية على القيروان فقط, اذ كان للمدن القريبة منها كصقلية التي تربطهم بها صلات علمية متينة ما بين الاخذ والعطاء ذات اثر عميق[3]، وقد بدأت الصلات العلمية ما بين الاشراف وجزيرة صقلية على اثر المحنة التي حلت بهم على يد موسى بن ابي العافية المكناسي, اذ اتجه اليها الاشراف الحسينين واستوطنوها فترة طويلة من الزمن حتى عرفوا بـ (الاشراف الصقلين)، وكان بينهم كبار العلماء الذين عملوا هناك على اذكاء اهل البلاد بالعلم ولاسيما العلوم الدينية[4] .

ومن علماء آل البيت العلوي الذين رحلوا الى صقلية الشريف محمد بن محمد الحسني الذي اتجه اليها بعد رحلة علمية طويلة في مختلف بلدان المغرب والمشرق, ليبقى بهذهِ البلاد ما يقارب الخمسة عشر سنة كانت حافلة بالنتاج العلمي[5], اذ كانت رحلته نحو صقلية بناءٍ على دعوة من ملكها روجر الثاني ليعينه على ابحاثه الجغرافية, هذا فضلاً عن ما عرف بهِ من معرفة بعلم النبات، وقد اجابه

([1]) حوالة، يوسف بن احمد، الحياة العلمية في افريقية المغرب الادنى منذ اتمام الفتح وحتى القرن الخامس الهجري، نشر: جامعة ام القرى، (مكة المكرمة، 2000م)، ج1، ص194 .

([2]) ابن عطاء، لطائف المنن، ص78؛ التليدي, المطرب, ص124.

([3]) شواط، حسين بن محمد، مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الدار العالمية للكتاب الإسلامي،(الرياض،1407م), ج1, ص448.

([4]) الادريسي، مصابيح البشرية، ص296.

([5]) الشريف الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، مقدمة المحقق، ص1-7؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص193؛ كنون, ذكريات مشاهير رجال المغرب, ج1, ص212؛ الزركلي، الاعلام، ج7، ص24؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج11، ص236؛ الفراء، طه عثمان ومحمدين، محمد محمود، المدخل الى علم الجغرافية والبيئة، دار المريخ، ط4، (د.م، د.ت)، ج1، ص47.

الـى طلبـه بـالقبول متجهـاً صـوب صـقلية[1]، وتمكـن خـلال هـذه الرحلـة مـن التفـرغ للتأليف الذي اثرى به المكتبة الاسلامية[2] .

ثانياً: الرحلات الخارجية

تمثلت الرحلات العلمية الخارجية لأشراف آل البيت العلوي باتجاهين الاول: نحو بلاد المشرق الذي سلكوا طريقهم اليه في وقت مبكر، اما الاتجاه الثاني: فكان نحو بـلاد الانـدلس ولـم تكن بالكثافة التـي عرفتها رحلاتهم نحو البلاد المشرقية, اذ كانت غالباً ما ترتبط رحلاتهم اليها بالظروف السياسية أكثر من طلب العلم لذا كان عطائهم العلمي فيها اكثر من الأخذ، غير إننا سوف نقدم الكلام عن الرحلة الى الاندلس اولا كونها اقرب الى المغرب جغرافيا .

1. الرحلة الى بلاد الاندلس

لم تظهر الرحلـة العلمية من المغرب الـى بـلاد الانـدلس فـي وقت مبكر, فـأن تـأخر فتحهـا الـى سنة (92هـ/710م)[3] ومـا تبعهـا مـن حـروب واضـطرابات شـغل اهلها عن الاهتمام بالعلم، لذا لم يكن بها من العلم ما يغري بالرحلة لاكتسابه الا نـادراً, فضـلاً عـن دخـول عـدد مـن علمائهـا الـى بـلاد المغـرب اثنـاء رحلاتهـم الـى

(1) الشـريف الادريسـي، نزهـة المشـتاق، ج1، مقدمـة المحقـق، ص1-7؛ الصـفدي، الـوافي بالوفيات، ج1، ص193؛ كنون, ذكريات مشاهير رجال المغرب, ج1, ص212؛ كنون, النبوغ المغربـي, ج1, ص155- 165؛ الزركلـي، الاعـلام، ج7، ص24؛ كحالـة، معجـم المـؤلفين، ج11، ص236؛ الفراء، المـدخل، ج1، ص47. السـملالي, الاعـلام بمـن حـل مـراكش, ج4, ص116 .

(2) الشـريف الادريسـي، نزهـة المشـتاق، ج1، مقدمـة المحقـق، ص1-7؛ الصـفدي، الـوافي بالوفيـات، ج1، ص193؛ كنـون, ذكريـات مشـاهير رجـال المغـرب, ج1, ص212؛ الزركلـي، الاعلام، ج7، ص24؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج11، ص236؛ الفراء، المدخل، ج1، ص47.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص9.

المشرق فأخذ عنهم المغاربة, وكذلك اثناء عودتهم فيستغنون بذلك عن الرحلة اليهم في بلادهم[1] .

شهدت الرحلة العلمية لأشراف آل البيت العلوي الى الاندلس حسب ما تأكده المادة المتوفرة للدراسة, شيئاً من الحيوية والنشاط خلال القرون (4- 5- 6- 7هـ/9- 10- 11- 12م), وذلك بفعل الظروف السياسية التي اضطرتهم الى ترك بلادهم على اثر المحنة التي حلت بهم على يد ابن ابي العافية المكناسي في القرن (4هـ/9م)[2], لذلك نجد ان الرحلة الى الاندلس في البداية لم ترتبط بالطلب فأن المرتحل منهم يكون في الغالب اكمل اغلب اصول تكونيه العلمي, وله من القدرة العلمية التي تمكنه من الجلوس لنشر العلم فينتفع بهم اهل الأندلس، اما فيما بعد فنجد ان هناك من دخلها لطلب العلم وهذا يعني ان رحلات الاشراف نحو الاندلس جمعت ما بين الأخذ والعطاء في أغلب الأحيان, كما ان كثيراً منهم بقي هناك ولم يعد الى المغرب، وممن ارتحل من الاشراف خلال حقبة المحنة هم الاشراف الحسينيون (بني طاهر) وهم من البيوتات العلمية، ولهم دورٍ في اذكاء الحياة العلمية هناك فقد برز منهم العلماء والفقهاء والادباء والقضاة, واتخذوا من الاندلس لهم موطناً ولم يرجعوا الى المغرب حتى بعد انتهاء المحنة[3] .

([1]) اسماعيل، محمود، الاغالبة سياستهم الخارجية، مطبعة عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط2،(د. م، 2000م)، ص137؛ شواط، مدرسة الحديث، ج1، ص210.

([2]) ينظر: ابن عذاري, البيان المغرب, ج1, ص212- 214؛ ابن خلدون, العبر, ج4, ص22؛ ابن ابي زرع, الانيس المطرب , ص84- 85؛ الودغيري, الدر النثير, ص45؛ المشرفي, الحلل البهية, ج1, ص226- 227؛ منصور, قبائل المغرب, ج1, ص120؛ الزياني, جمهرة التيجان, ص90- 91.

([3]) ابن الاحمر, بيوتات فاس الكبرى, ص15- 16؛ ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج2, ص95- 96؛ السملالي, الاعلام بمن حل مراكش, ج8, ص202.

ورحل اليها الشريف ابراهيم بن ادريس الحسني الذي دخلها ايام المحنة، وطاف بعدة مدن الى ان استقر به الحال في مدينة قرطبة وكان عالما اديباً حسن الشعر [1] .

ومن اشهر المرتحلين اليها الشريف محمد بن محمد الادريسي, رحل في مقتبل العمر حيث كان عمره آنذاك ستة عشر عاماً, بعد ان اخذ عن علماء بلاده, ثم واصل طلبه للعلم الى الاندلس[2], مما يدل على نضجه المبكر, شأن النوابغ امثاله من ابناء البيوتات العريقة[3], وجال في عدة مدن واستقر اخيراً في مدينة قرطبة وبقي بها مدة طويلة من الزمن فأخذ عن علمائها، واشتهر في مختلف فنون العلم والف هناك عدة مصنفات[4] .

ورحل اليها الشريف عبد النور بن محمد العمراني الفاسي, ودخل الى قرطبة واخذ عن علمائها امثال الأستاذ علي بن سليمان القرطبي[5](ت: ق 8هـ/ 14م), وهو من كبار محدثي عصره[1] .

([1]) الحميدي، جذوة المقتبس، ص152، الضبي، بغية الملتمس، ص262؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص226–227؛ منصور، اعلام المغرب العربي، ج1، ص34 .

([2]) الشريف الادريسي, نزهة، ج1, مقدمة المحقق, ص 1–2؛ الصفدي, الوافي بالوفيات, ج1, ص139؛ كحالة, معجم المؤلفين, ج1, ص236؛ السملالي, الاعلام بمن حل مراكش, ج4, ص116؛ كنون, ذكريات مشاهير رجال المغرب, ج1, ص210؛ كنون، النبوغ المغربي, ج1, ص156؛ الفراء, المدخل، ج1, ص47؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج1, ص279–280.

([3]) كنون, ذكريات مشاهير العرب, ج1, ص210.

([4]) الصفدي, الوافي بالوفيات, ج1, ص139؛ كحالة, معجم المؤلفين, ج1, ص236؛ السملالي, الاعلام بمن حل مراكش, ج4, ص116؛ كنون, ذكريات مشاهير رجال المغرب, ج1, ص210؛ والنبوغ المغربي, ج1, ص156؛ التازي، جامع القرويين، مج1، ص168؛ الفراء, المدخل، ج1, ص47؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج1, ص279– 280 .

([5]) وهو علي بن سليمان بن أحمد بن سليمان، يكنى بـ (أبو الحسن)، قرطبي مقرئ ومصنف الف كتابًا في كيفية جمع القراءات، كمجلس للاقراء بفاس، ممن قرأ عليه يوسف بن إبراهيم بن أبي ريحانة وأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير وأحمد بن عمر الجذامي؛ وغيرهم: ينظر: ابن

ورحل اليها ايضاً الشريف محمد بن عيسيى الحسني, فوصل الى مالقة في عهد الامير ابي عبد الله بن هود[2] (625- 635هـ/1228-1238م), وبقي بها سنتين, وكانت رحلته هذهِ ما بين الأخذ والعطاء, فهو من العلماء الاجلاء غلب عليه الحديث[3], وتعد هذهِ الرحلة عظمية الفائدة للحياة العلمية في الاندلس عامة, ولحاضرة مدينة مالقة بصفة خاصة اذ كان للشريف من الكتب مالم يكن عند احد, وقد عمل على ادخال تلك الكتب الى مالقة اثناء رحلته, واشار ابن عسكر[4] الى ذلك قائلاً: " ادخل مالقة فوائد وكتباً لم يشهدها قبله احد من اهلها " .

وممن رحل الى الاندلس ايضاً الشريف جابر بن احمد التلمساني (ت: 578هـ/1182م), وهو اديب حافظٌ للحديث دخل الى اشبيلة وسمع مشيخة ابن خير الاشبيلي[5](ت:575هـ/1179م)، وافاد بها واجازه اغلب علمائها[1], وعمل على نشر

الجزري، شمس الدين محمد بن محمد، (ت:833هـ/1429م)، غاية النهاية في طبقات القراء، نشر: مكتبة ابن تيمية، (د.م، 1351هـ)، ج1، ص544 .

([1]) التبنتكي, نيل الابتهاج, ج1, ص286؛ التنبتكي، كفاية المحتاج, ج1, ص304.

([2]) وهو الامير محمد بن يوسف بن هود، آخر امراء دولة بني هود الجذاميين من اعقاب ملوك الطوائف لقب بـ (المتوكل على الله)، كان من الأجناد المقيمين في سرقسطة عندما بدأت دولة الموحدين بالضعف، فثار عليهم بمرسية وتمكن من قتل الوالي والدخلول لمرسية، وتولى بعدها حكم الاندلس الى حين وفاته؛ ينظر: ابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن المبارك، (ت: 637هـ/ 1239م)، تاريخ إربل، سامي بن سيد خماس الصقار، دار الرشيد للنشر، (بغداد، 1988م)، ج2، ص688؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج23؛ ص20؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ج2، ص74 .

([3]) الغرناطي, صلة الصلة, مج3, ص13؛ ابن عسكر, اعلام مالقة, ص192- 193.

([4]) اعلام مالقة, ص193.

([5]) وهو محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني، يكنى بـ (أبو بكر)، اندلسي الاصل من اهل إشبيلية، ولد سنة (502هـ/1109م)، كان من حفاظ الحديث، مقرئ، أتقن القراءات على شريح بن محمد واختص به؛ تصدر للإقراء والإسماع بأشبيلية وسمع عنه كثيرًا، فقد كان مكثرًا للغاية بحيث إنه سمع من رفاقه وشيوخه أكثر من مائة نفس، فلم يكن احدا من طبقته مثله، كما كان مجودًا ومحدثًا متقنًا وأديبًا نحويًّا لغويًّا واسع المعرفة، وقد بِيعت كتبه بأغلى الأثمان بعد وفاته لصحتها ولم يكن له نظير في هذا الشأن مع الحظ الأوفر من علم اللسان، وقد عاش ثلاثًا

العلم هناك وله مجلس للسماع، وسمع عنه كبار العلماء ومنهم ابن الابار الاندلسي[2] (ت: 658هـ/1260م)، سنة (578هـ/1182م)[3] .

ودخلها الشريف محمد بن وهب الكتاني الحسني, بعد ان حصل على ما لدى علماء عصره, وهو من العلماء الكبار ذوي الشأن العظيم بصير المسائل ومعاني الاحكام، فوجد منهم التقدير والاحترام وعزموا على توليه قضاء قلعة رياح, ولحبه للعلم والتعلم رحل سائحاً في بلاد عدة طلبٍ للعلم اخذاً وعطاء حتى نزل طليطلة[4] وافاد من علمه سكانها, واتخذها موطناً له حتى وفاته سنة (461هـ/1069م)[5] .

ومن علماء آل البيت العلوي الذين رحلوا الى الاندلس طلباً للعلم, الشريف قاسم بن علي الحسيني فأخذ هناك عن ابي القاسم بن بشكوال[6] (ت: 578هـ/ 1183م) وعن غيره من علماء الاندلس[1] .

وسبعين سنة؛ ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1998م)، ج4، ص107؛ السيوطي، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1403)، ص486 .

([1]) ابن الابار, التكملة لكتاب الصلة, ج1, ص201؛ نويهض, معجم اعلام الجزائر, ص68.

([2]) هو محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي، يكنى بـ (ابو عبد الله)، ويعرف بـ (ابن الأبَار) اندلسي الاصل من أهل بلنسية ولد بها سنة (595هـ/1199م)، مؤرخ واديب، خرج من الاندلس بعد احتلال الإفرنج لها، واتجه الى المغرب استقر بتونس وحظي هناك بمكانة عند السلطان أبو زكرياء كما ولاه ديوان الكتابة مدة من الزمن، ومن مصنفاته كتاب (التكملة لكتاب الصلة) في تراجم علماء الأندلس، وكتاب (المعجم) ايضا في التراجم، وكتاب (الحلة السيراء) وغيرها، وقد تعرض لمحنة بتونس انتهت بقتله على يد سلطانها المستنصر؛ ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج23، ص336؛ الزركلي، الاعلام، ج6، ص223 .

([3]) التكملة لكتاب الصلة, ج1, 201؛ وينظر: نويهض, معجم اعلام الجزائر, ص68.

([4]) مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس، تسمى مدينة الملوك فهي قاعدة ملوك القرطبين وموضع قرارهم، من أجل مدن الاندلس قدراً وأكثرها خيراً، تتميز بطيب تربتها ولطافة هوائها؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص39؛ القزويني، اثار البلاد، ص545 .

([5]) ابن بشكوال، الصلة, مج 2, ص183.

([6]) وهو خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال بن يوسف بن داحة ابن داكة بن نصر بن عبد الكريم بن وافد الخزرجي الأنصاري القرطبي، يكنى بـ (أبو القاسم)، اندلسي الاصل من أهل

بناءً على ما تقدم ذكره نستنتج ان رحلة علماء آل البيت العلوي الى الاندلس لم يكن الهدف الاساس فيها هو طلب العلم بل بسبب الظروف السياسية، وعلى الرغم من ذلك فهذا الامر لم يمنعهم من نشر علومهم فيها بل العكس صحيح تماماً، اذ اصبحوا مناراً ورواداً في نشر علوم عدة من خلال عقدهم للمجالس العلمية او تدريسهم في مدارسها، هذا فضلا عن الطلب وان لم يكن كثيرا .

2. الرحلة الى بلاد المشرق

يعد المشرق من اهم مصادر أثراء الحياة العلمية فهو موطن العلم الأول ومهبط الرسالة ومنه منطلقها وعليه تتلمذ اهل المغرب، اذ استقبلت معظم مدن المغرب عدداً من العلماء الرحل من المشرق، ولكن على العموم رحلة المغاربة إلى المشرق كانت اكثر من رحلة المشارقة إلى المغرب[2] .

فقد نشأت الحياة العلمية في بلاد المغرب على ايدي اهل المشرق من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين الذين نشروا بها العلوم الدينية المختلفة التي حفزتهم للرحلة

قرطبة، ولد بها سنة (494هـ/ 1101م)، مؤرخ وباحث، تولي القضاء إشبيلية، له تصانيف عديدة نحو خمسين مؤلفا، أشهرها كتاب (الصلة) في تاريخ رجال الأندلس؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2، ص240؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج13، ص229-230 .

([1]) الغرناطي, صلة الصلة, مج 3, ص351.

([2]) القلصادي، علي بن محمد بن علي، (ت:891هـ/1486م)، تمهيد الطالب ومنتهى الراغب في اعلى المنازل، والمسماة بـ (رحلة القلصادي)، تحقيق: محمد أبو الاجفان، الشركة التونسية للتوزيع، (تونس، د. ت)، ص65.

الى المشرق فيما بعد والتعرف على ما فيه من العلوم الغزيرة، والالتقاء بكبار العلماء والرواية عنهم[1]، فقد كان الارتحال شرفا ومفخرة يزهو به اصحابه، فهذا فقيه المغرب أسد بن الفرات[2] (ت:213هـ/828م)[3]، ذكر مفتخرا بالرحلة: " ضربنا في طلب العلم آباط الابل واغتربنا في البلدان ولقينا العلماء، وغيرنا انما طلب العلم خلف كانون ابيه ووراء منسج امه، ويريدون ان يلحقوا بنا "[4] .

وهذا ما كان عليه علماء آل البيت العلوي عموماً الا اننا نجد حالة من الركود بسبب بها الاوضاع السياسية التي حلت بهم على يد ابن ابي العافية المكناسي سنة

([1]) ينظر: عبد الرحمن بن محمد بن علي (ت:696هـ/1297م)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، (بيروت،2005م)، ج1، ص41 .

([2]) وهو أسد بن الفرات بن سنان، وقيل اسمه: أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المري، ويكنى (أبا عبد الله)، اصه من نيسابور، وقيل من قرية الميرمورتة من أقليم البساط من قرى غرناطة، كان فقيهاً عالماً فاضلاً عرف بسعة علمه، ولد بنجران سنة (142هـ/759م)، وقيل: بحران، وقدم به أبوه من نيسابور إلى القيروان سنة (144هـ/761م)، وقد تمكن من أن يأخذ العلم عن كبار شيوخ أفريقية، ثم رحل إلى المشرق فجمع بين المدنيين والكوفيين، ثم عاد إلى القيروان سنة (181هـ/797م)، وأصبح له الرياسة في الفقه، فقد كانت له مكانة كبيرة عند الخاصة والعامة وتولى عدة مناصب، كان عادلاً اقواله واحكامه، توفي في مدينة سرقوسة؛ ينظر: عياض، عياض بن موسى اليحصبي، (ت: 544هـ/1149م) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، نشر: مطبعة فضالة – المحمدية، (المغرب،1970م)، ج3، ص291؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ج1، ص231. ابن الآبار، الحلة السراء، ج2، ص380؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص540.

([3]) لقد اختلفت الرويات في سنة وفاته قيل سنة (214هـ/829م)، وقيل سنة (217هـ/ 832م)؛ ينظر: محمد بن أحمد بن تميم، (ت:333هـ/945م)، طبقات علماء أفريقية وتونس، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، د.ت)، ص83؛ ابن الدباغ، معالم الإيمان، ج2، ص14؛ الذهبي، سير إعلام النبلاء, ج10، ص225؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج9، ص6 .

([4]) المالكي، عبد الله بن محمد، (ت: بعد 453هـ/1061م)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي، دار الغرب الاسلامي، (بيروت، 1983م)، ج1، ص167؛ ابن الدباغ، معالم الإيمان، ج2، ص10 .

(313هـ/925هـ)[1], كما مر بنا سابقاً, كانت سبباً في تقليص عدد المرتحلين الى المشرق, الا ان ذلك لا يعني انقطاعها بشكل تام فهناك من الاشراف من ارتحل الى المشرق في خضم هذهِ الظروف الصعبة كالشريف محمد بن عيسى الحسني, واخاه الشريف ابو اسحاق ابراهيم الحسني وذلك سنة (366هـ/977م), متجهين صوب مصر[2]، فهي تمثل المدخل الطبيعي من الناحية الجغرافية للمغاربة الى المشرق فلا يمكن ان يدخل طالب علم او حاج او تاجر الا اذا مر بمصر, هذا فضلاً عن التوافق المذهبي بينهما فالأثنان كانا على المذهب المالكي[3]، الذي سادة مدرسته في المغرب والاندلس على غيره من المذاهب الاخرى[4]، وهو ما سعى اليه علماء المغرب ولاسيما علماء آل البيت العلوي فقد كانوا على المذهب المالكي .

اما في نهاية القرن (5هـ/11م)، وبداية القرن (6هـ/12م)، وحتى القرن (7هـ/13م) من خلال المادة المتوفرة للدراسة نجد ان الرحلة الى المشرق شهدت نوعاً من النشاط والحيوية على ما كانت عليه قبل ذلك, والسبب هو الامان والتكريم الذي حظي بهِ رجال آل البيت العلوي خلال هذهِ الفترة من قبل الحكام حتى اصبحوا يبحثون عنهم في البلدان وجلبهم الى المغرب تبركاً بنسبهم وعلمهم[5], هذا فضلاً على ما شهده المشرق من بروز علماء كبار حرص علماء آل البيت العلوي على الرحلة اليهم, وفي مقدمتهم الشريف محمد بن محمد الحسني الذي رحل سنة

([1]) ينظر: ابن عذاري, البيان المغرب, ج1, ص212- 214؛ ابن خلدون, العبر, ج4, ص22؛ ابن ابي زرع, الانيس المطرب , ص84- 85؛ الودغيري, الدر النثير, ص45؛ المشرفي, الحلل البهية, ج1, ص226- 227؛ منصور, قبائل المغرب, ج1, ص120؛ الزياني, جمهرة التيجان, ص90- 91.

([2]) المقريزي, تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر, (ت: 845هـ/1441م), المقفى الكبير, تحقيق: محمد اليعلاوي, دار الغرب الاسلامي, (بيروت, د.ت), ج6, ص473.

([3]) شواط, مدرسة الحديث, ج1, ص428.

([4]) abulafla, david, The new cambridge medieval history, Cambridge University Press, 2008, 1198, V c, P 623 .

([5]) ينظر: الزياني، تحفة الحادي، ص66؛ ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص151-152؛ الكوهن، طبقات الشاذلية الكبرى، ص187؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص125؛ الحسني، المنتقى، ص320؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج11 .

(510هـ/1116م), وتعد هذه الرحلة من ابرز الرحلات التي قام بها الاشراف خلال تلك الفترة وأكثرها تـأثيراً بالحياة العلمية فـي المغرب فيما بعد[1], فقد كانت رحلة طويلة دامت السنتين أو الثلاثة على الاقل طاف الشريف خلالها العديد من البلدان في طلب العلم فزار معظم بلاد مصر, ومن بعدها اتجه الى بلاد الشام وتجول في سائر بلاد اسيا الصغرى[2]، لزيادة تحصيل العلم والتوسع في الدراسة التي اكتسبها على يد كبار علماء المغرب, فاشتهر في مختلف العلوم كالطب والفلسفة والجغرافية والنحو والشعر وغيرها من فنون العلم كعلم النبات, وبعدها عاد الى بلاد المغرب وانكب على الكتابة والتأليف حتى اغنى المكتبة المغربية بمختلف المصنفات العلمية[3] .

وقد استهوى المشرق بعض علماء الاشراف فاستوطنوا مدنه ولم يعودوا الى المغرب اثر رحلاتهم, كالشريف عبد الرحيم الحسيني, ويبدو ان رحلته كانت سنة (583هـ/1187م), لأنه توفي سنة (593هـ/1197م) واقام في مكة المكرمة التي كانت اولى محطاته في رحلته نحو المشرق ولمدة سبع سنين وفي مصر سنتين وبذلك تكون مدة اقامته في المشرق تسع سنين[4]، اتجه صوب مكة المكرمة التي تعد المركز الاول لكل مرتحل الى المشرق، ولاسيما اذ كان طالباً للعلم فهي نقطة التقاء جميع الشيوخ بعد اداء فريضة الحج وبذلك يتمكن طالب العلم من الالتقاء بالشيوخ والسماع منهم ومباحثتهم ومسائلتهم, فيأخذون عمن وجد بمكة من العلماء من اهلها وممن دخلها من علوم الرواية والدراية ويحملون عنهم مصنفاتهم الى بلاد

([1]) ينظر: اثر الرحلات العلمية للاشراف في الحياة الثقافية ضمن هذا المبحث.

([2]) الشريف الادريسي, نزهة المشتاق في اختراق الافاق, ج1 , مقدمة المحقق, ص 1-2؛ الصفدي, الوافي بالوفيات, ج1, ص139؛ الزركلي, الاعلام, ج7, ص ؛ كحالة, معجم المؤلفين, ج1, ص236؛ السملالي, الاعلام بمن حل مراكش, ج4, ص116؛ كنون, ذكريات مشاهير رجال المغرب, ج1, ص210؛ كنون، النبوغ المغربي, ج1, ص156؛ الفراء, المدخل الى علم الجغرافية، ج1, ص47؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج1, ص279- 280 .

([3]) الصفدي, الوافي بالوفيات, ج1, ص139؛ كحالة, معجم المؤلفين, ج1, ص236؛ السملالي, الاعلام بمن حل مراكش, ج4, ص116؛ كنون, ذكريات مشاهير رجال المغرب, ج1, ص210؛ كنون، النبوغ المغربي, ج1, ص156؛ الفراء, المدخل الى علم الجغرافية، ج1, ص47؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج1, ص279- 280 .

([4]) الكوهن, طبقات الشاذلية, ص81 .

المغرب[1], وقد اخذ الشريف عبد الرحيم عن علمائها طيلة سبع سنوات وافاد منهم كثيراً, بعد ان اخذ عن اجلاء المشايخ في المغرب كالأستاذ ابي يعزي المغربي[2] (ت: 572هـ/1176م)، فقد كان نهماً في طلب العلم له مقالات في التوحيد, ورسائل في العلوم الدينية وبعد ان فرغ من سماع علماء مكة اتجه صوب مصر وتجول في بلادها حتى اتي قنا[3] واقام بها سنتين حتى وفاته[4] .

ولم تقتصر رحلته على الاخذ دون العطاء فهو من كبار علماء العصر آنذاك ومن اشراف آل البيت العلوي فقد تبرك اهل المغرب به, ووجد من المكانة العالية عند اهل مصر ما يماثل ذلك فحضروا مجالسه واغترفوا من بحر علمه وفضله وانتفعوا ببركاته[5] .

ورحل الشريف ابو زكريا يحيى الزواوي الحسني الى المشرق قاصداً العلماء والفقهاء للأخذ العلم عنهم[6], وسماع الحديث النبوي الشريف فان سماعه كان من العوامل الدينية الباعثة التي حفزت على الارتحال لجمعه من افواه الرواة, فان الحديث النبوي لم يكن يأخذ (بالسماع) و(القراءة) فحسب بل كان هناك طريقتان

([1]) شواط, مدرسة الحديث, ج1, ص437- 438.

([2]) وهو يلنور بن ميمون بن عبد الله الدكالي، يعرف بـ (ابو يعزى)، من كبار علماء المغرب وزهادها المشهورين، توفي في بلاد مغرواة؛ ينظر: التميمي، محمد بن عبد الكريم، (ت: 603 او 604هـ/1206 او 1204م)، المستفاد من مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تحقيق: محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، (تطوان، 2002م)، ق2، ص82 ؛ ابن قنفذ، أحمد بن حسن بن علي، (ت:810هـ/ 1407م)، الوفيات معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، 1983م)، ص284 .

([3]) وهي من قرى الصعيد بمصر تقع بالقرب من قوص بينهما مسافة يوم واحد؛ ينظر: زين الدين، محمد بن موسى بن عثمان (ت:584هـ/1188م)، الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، (د. م،1994م)، ص757؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص399 .

([4]) الكوهن, طبقات الشاذلية, ص81- 82.

([5]) الكوهن, طبقات الشاذلية, ص82.

([6]) ابن الزيات, التشوف, ص428؛ الغريني, عنوان الدارية, ص127.

اخريان هما (المكاتبة والمناولة)[1], ولقي الفضلاء والاخيار والمشايخ من الفقهاء والمتصوفة واهل طريق الحق[2] وسمع لهم, وعاد بعدها الى المغرب ورتب المجالس في الحديث والتفسير وغيرها من علوم الدين وبث علماً كثيراً نفع الناس بهِ[3] .

ورحل ايضاً الشريف العمراني محمد بن علي الحسني, واخذ عن علمائها وكان من كبار علماء التصوف, وذو شأن كبير عند اهل البلاد[4] .

كما اتجه الشريف يوسف بن يحيى الحسني صوب المشرق فدخل الى بغداد وسمع صحيح البخاري عن الفقيه سراج الدين ابن مبارك[5] (ت:631هـ/1234م) بسنده عن الامام البخاري، وحمل علوم الحديث عن الشيخ ابن الصلاح[6]

([1]) احمد, احمد رمضان, الرحلة والرحالة المسلمون, دار البيان العربي, (جدة، د.ت), ص11.

([2]) الغبريني, عنوان الدارية, ص127.

([3]) ابن الزيات, التشوف, ص428- 429؛ الغريني, عنوان الدارية, ص127- 128.

([4]) ابن الزيات, التشوف, ص446.

([5]) وهو سراج الدين الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى بن مسلم ابن أبي بكر الربعي الزبيدي، يكنى بـ (أبو عبد الله)، من اهل بغداد ولد سنة (546هـ/1151م) كان حنبلي المذهب وامام زمانه في الفقه، سمع من أبي الوقت السجري وغيره، فكان فقيها فاضلا متدينا متواضعا درس سمع عليه خلق كثير، وحدث عنه كبار علماء العصر؛ ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج22، ص357؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج13، ص405؛ ابن الغزي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، (ت:1167هـ/1754م)، ديوان الإسلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، (بيروت،1990م)، ج2، ص405 .

([6]) وهو صلاح الدين عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي النصر النصري الشهرزوري الكردي الشرخاني، يكنى بـ (أبو عمرو)، ويعرف بـ (ابن الصلاح) ولد في شرخان سنة (577هـ/1181م) وانتقل إلى الموصل ثم إلى خراسان ثم بيت الى فلسطين، وهو أحد علماء التفسير والحديث والفقه وعلم الرجال، فاضلاً مجيداً، وقد تولى منصب التدريس في المدرسة الصلاحية، وانتقل بعدها إلى دمشق، وتولى التدريس في دار الحديث التي توفي فيها، وله عدة مصنفات منها كتاب (معرفة أنواع علم الحديث) الذي يعرف بـ (مقدمة ابن الصلاح)؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج3، ص243؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص26؛ الزركلي، الاعلام، ج4، ص207 .

(ت:643هـ/1245م)، وقد افاد برحلته هذه كثيراً اذ عاد مملوء الوطاب عالماً جليلاً شدة الرحلة اليه من كل صوب وحدب[1] .

كما ارتحل نحو المشرق الفقيه ابو محمد عبد الله الشريف قاصدا المشايخ واهل العلم فدرس عليهم الفقه وعلم العقائد واصبح له معرفة بأصول الدين، وعاد بعد ان انهى جولته بين العلماء الى بلاد المغرب[2] .

يتضح لنا مما سبق ان علماء آل البيت العلوي في المغرب لم يتركوا طريقاً للعلم الا وسلكوه, متبعين نهج جدهم (ρ) في اتباع طريق الهدى الا هو العلم وقد كانت لهذهِ الرحلات حصيلة علمية ذات اثر كبير في المغرب, فإن كل من عاد منهم اصبح يمتلك من العلم ما يؤله للإقامة المجالس ونشر العلم, هذا فضلاً على قدرتهم في التأليف وتحسين امكانياتهم العلمية .

3. الرحلة من المشرق والاندلس إلى المغرب

ان التبادل الثقافي بين اهل المشرق والاندلس والمغرب بفعل الرحلات العلمية كان له أثره في أثراء الحضارة الاسلامية, فكما كان لأهل المغرب رحلات علمية إلى المشرق للإخذ والتزود بالعلم, كان لهم ايضا رحلات إلى الاندلس للإخذ والعطاء، وكذلك الحال بالنسبة لأهل المشرق والاندلس فقد خرجوا برحلات علمية إلى المغرب لما اشتهر به اهلها من الفضل والاقبال على العلم, واكثر ما عرف عن رحلات المشارقة إلى المغرب هو العطاء اكثر من الاخذ, على خلاف رحلات اهل الاندلس الى المغرب فإنما كانت للإخذ اكثر من العطاء، ومنهم من استهوته المغرب فاتخذها موطنا واخذ مكانه بين علمائها .

ومن رحلات الاشراف التي قدمت من الاندلس إلى المغرب كانت من قبل الاشراف الحسينين الصقلين، الذي تركو جزيرة صقلية بعد ان سيطرة عليها الروم متجهين نحو الاندلس مستوطنين غرناطة التي وجدوا بها الحظوة عند لدى الخاصة

([1]) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص554؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص344؛ التنبتكي، نيل الابتهاج، ج2، ص627؛ التنبتكي، كفاية المحتاج، ج2، ص674 .

([2]) الغبريني، عنوان الدراية، ص195 .

والعامة، وانتقلوا بعدها الى فاس[1]، فبرز منهم علماء كبار بجل العلوم كالشريف محمد بن عبد الله الحسيني[2]، والشريف طاهر بن الحسين بن موهوب الحسيني[3]، والشريف عبد الرحيم بن احمد الحسيني [4]، وغيرهم كثير .

كما نجد ان هماك بعض علماء الاشراف الذين انتقلوا من المشرق الى المغرب في سبيل العلم – كما ذكرنا انفاً – ومن هؤلاء الاشراف الشريف ابو العباس الجدلي وهو احد العلماء البارزين في اللغة العربية وعلم الجدل، محدث فاضل من اهل اصبهان ساح في البلاد في سبيل طلب العلم فرحل الى العراق والصين والهند وبلاد العجم وغيرها، الى ان قرر الدخول الى بلاد المغرب[5]، التي تمثل احدى منارات العلم في العالم الاسلامي آنذاك لاسيما بعد ان برز بها عدد كبير من الاعلام والفقهاء في المذهب المالكي الذي كان ينتمي اليه الاشراف كالفقيه اسد بن الفرات[6]

([1]) ينظر: القادري، الدر السني، ص69؛ ابن السكاك، نصح ملوك الاسلام، ص21؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج2، ص95؛ الفضلي، الدرر البهية، ج2، ص205؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص 296.

([2]) ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص48، السملالي، الاعلام، ج4، ص164 .

([3]) ابن الاحمر, بيوتات فاس الكبرى, ص17.

([4]) الكوهن، طبقات الشاذلية، ص84 .

([5]) الغبريني، عنوان الدراية، ص183 .

([6]) وهو أسد بن الفرات بن سنان، وقيل اسمه: أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المري، ويكنى (أبا عبد الله)، اصه من نيسابور، وقيل من قرية الميرمورتة من أقليم البساط من قرى غرناطة، كان فقيهاً عالماً فاضلاً عرف بسعة علمه، ولد بنجران سنة (142هـ/759م)، وقيل: بحران، وقدم به أبوه من نيسابور إلى القيروان سنة (144هـ/761م)، وقد تمكن من أن يأخذ العلم عن كبار شيوخ أفريقية، ثم رحل إلى المشرق فجمع بين المدنيين والكوفيين، ثم عاد إلى القيروان سنة (181هـ/797م)، وأصبح له الرياسة في الفقه، فقد كانت له مكانة كبيرة عند الخاصة والعامة وتولى عدة مناصب، كان عادلاً اقواله واحكامه، توفي في مدينة سرقوسة؛ ينظر: عياض، عياض بن موسى اليحصبي، (ت: 544هـ/1149م) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، نشر: مطبعة فضالة – المحمدية، (المغرب،1970م)، ج3، ص291؛ ابن الخطيب، الاحاطة، ج1، ص231؛ ابن الآبار، الحلة السراء، ج2، ص380؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص540.

(ت:213هـ/828م)[1]، والفقيـه سـحنون بـن سـعيد[2] (ت:240هـ/854م) وغيـرهم، فكـان لـه أثـر كبيـر فـي اجتذاب بعض العلمـاء والطلبـة بالرحلـة إليـه, فهجروا بلادهم واستوطنوا بـلاد المغرب، اذ جـال الشريف ابو العباس اغلب بلدان المغرب اذ دخل افريقية واقام بها مدة من الزمن، ثم انفصل عنها متجهاً صوب سبتة التي التقى بها بالقاضــي ابــو عبـد الله المرســي[3](ت:690هـ/1219م)، ومنهــا الــى درعــة التــي استوطنها الى حين وفاته[4] .

فضلا على ما تقدم فان من احترام الحكام الاشراف الوافدين اليهم قاموا بإسناد المناصب الادارية المهمة اليهم تشجيعاً لنشر العلم بين طبقات المجتمع لاسيما وانهم

([1]) لقد اختلفت الرويات في سنة وفاته قيل سنة (214هـ/829م)، وقيل سنة (217هـ/832م)؛ ينظر: محمد بن أحمد بن تميم، (ت:333هـ/945م)، طبقات علماء أفريقية وتونس، دار الكتاب اللبنــاني، (بيــروت، د.ت)، ص83؛ ابــن الــدباغ، عبــد الــرحمن بــن محمــد بــن علــي (ت:696هـ/1297م)، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، (بيروت،2005م)، ج2، ص14؛ الذهبي، سير إعلام النبلاء, ج10، ص225؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج9، ص6 .

([2]) وهو عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي، ويعرف بـ (سحنون) اصله من الشام من حمص، قدم به أبوه سعيد مع جند الشام أهل حمص، ولد فـي قريـة اسمها مزناتـة الشرق، سنة(160هـ/776م)، واتصـف سـحنون بخصـال قلمـا اجتمعـت فـي غيـره، منهـا الفقـه البـارع، والـورع الصـادق، والصـرامة، والزهـد فـي الـدنيا والخشـن فـي الملـبس والطعام، رحل الى المشرق سنة (188هـ/803م) وسمع من أكابر العلماء في مختلف البلدان، منه البهلول بن راشد، وابن وهب، وسفيان بن عيينة وغيرهم؛ ينظر: ابو العرب، طبقات علماء افريقية، ص 101؛ الخشني، محمد بن عبد الله بن ثعلبة، (ت:286هـ/899م)، طبقات علماء إفريقية، تحقيق: محمد زينهم محمد، مكتبة مدبولي، (القاهرة،1413هـ)، ص89؛ الخشني، قضاة قرطبــة وعلمــاء أفريقيــة، تحقيــق: عــزت العطــار الحســيني، ومكتبــة الخــانجي، ط2، (القاهرة،1994م)، ص178 .

([3]) وهو محمد بن يعقوب المرسي، ويكنى بـ (ابو عبد الله)، كان عالما، زاهدا، ورعا، فاضلا، محمود السيرة كان قاضي باجة، وقاضي الجماعة بتونس؛ ينظر: النبهاني، تاريخ قضاة الاندلس، ص130 .

([4]) الغبريني، عنوان الدراية، ص184 .

كانوا علماء كبار, وتقديراً وتبركاً بنسبهم الشريف للعلماء، فضلاً عن كسب الناس اليهم لعلمهم بمكانة آل بيت النبي (%) بينهم[1]، الا ان هناك من رفض ذلك زهدا منهم بمناصب الدنيا وسعياً للتفرغ للعلم كالأشراف السبتيون الكاظميون[2] .

ثالثاً: الرحلات الدينية العلمية

ان من اهم بواعث الرحلة واعظمها شأنا عند المسلمين تأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام, وزيارة قبر الرسول (ρ) طاعة واستجابةً لأمر الله تعالى لقوله (Y): **(وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)**[3]، فقد كان المغاربة يخرجون للحج بركب اشبه بأمارة متنقلة، اذ يحتوي على مختلف الصنوف من تجار وشعراء وادباء وغيرهم من عامة الناس، وامير وجنود لحراسة الركب، ولهم طريق مشهور يخرجون به للحج يحتوي على عدة منازل وبعد وصولهم كل منزل ينصرف الناس للاستراحة والتزود بالزاد، اما العلماء فانهم يسارعون الى لقاء المشايخ والعلماء للاستزادة من علمهم، ويهدفون عند لقائهم بأحدهم ان يحصلوا على ما لديه من مرويات نادرة، واسانيد عالية، ويهيئون انفسهم للسماع عليهم بمجالسهم[4]، وقد سجل النبهاء من هؤلاء الحجاج مشاهداتهم، وكذا الطرق والدروب التي يمرون بها وسلوكها والاحداث التي صادفوها في مصنفات عرفت بكتب الرحالة، فضلا على ذلك فانهم عزموا بعد الانتهاء من تأدية الفريضة إلى الالتقاء

([1]) ينظر في ذلك الفصل الثاني من الاطروحة .

([2]) القادري، الدر السني، ص69؛ ابن السكاك، نصح ملوك الاسلام، ص21؛ ابو عبد الله الفاسي، الاشراف، ج2، ص96 .

([3]) سورة الحج, اية 27.

([4]) شقور، عبد السلام بن المختار، المناظرات والانشادات في رحلات المغاربة الحجازية، بحث مقدم الى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الاسلامية عام 1426هـ، ص99 .

بعلماء العالم الاسلامي وفقهائها[1], والسير إلى امصار المشرق الاخرى طلبا للعلم والتزود بالمعرفة .

ومن علماء آل البيت العلوي الذين شغفت ارواحهم وقلوبهم للديار المقدسة لأداء فريضة الحج ومن ثم زيارة مدن وحواضر بلاد المشرق لاستكمال علومهم على ايدي شيوخها الشريف ابو الحسن علي الشاذلي الذي ارتحل الى المشرق لأداء فريضة الحج مراراً, ومن العوامل التي حفزته الى الارتحال فضلاً عن اداء الفريضة, هو كسب العلم والبحث عن (القطب الغوث), وقد بدا رحلته فدخل الى مصر فكانت اولى محطاته مدينة الاسكندرية, ومن مصر سار نحو الحجاز فأدى فريضة الحج وانطلق بعد ذلك سعياً وراء تحقيق ضالته المنشودة في كسب العلم والبحث عن القطب فساح في البلدان وكل بلد يدخله كان يقصد بهِ العلماء والفقهاء والمتصوفة فيتزود بما عندهم من علوم ويحضر مجالسهم ويأخذ عنهم[2], الا ان الشريف لم يصل بعد الى هدفه فهداه تفكيره ان يرتحل الى العراق عله يجد ما يبحث عنه من العلم والمعرفة ويصل الى قطب الزمان, فقد كان العراق بلد العلم والتصوف وبهِ من العلماء والاولياء والصالحين ما يجعل طلاب العلم يرحلون اليه من كل صوب, وقد حضر هناك مجالس العديد من العلماء والمتصوفة واخذ عنهم مختلف فنون العلم, الى ان التقى بشيخه ابو الفتح الواسطي[3] (ت:632هـ/1234م)، سنة (618هـ/

([1]) احمد, الرحلة والرحالة المسلمون, ص13؛ نواب, عواطف محمد يوسف, الرحلات المغربية والاندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين, دراسة تحليلية مقارنة, مكتبة الملك فهد الوطنية,(الرياض،1996م), ص71.

([2]) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج48، 273؛ ابن الصباغ، درة الاسرار، ص5- 30؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج21، ص141؛ الصفدي، نكث الهميان، ص197؛ المناوي، الكواكب الدرية، ج2، ص470، 472 .

([3]) وهو تقي الدين بن عبد الله بن محمد الواسطي، من كبار المحققين والاولياء في مصر ارسله الشيخ الرفاعي الى هناك، ليحمل الطريقة الصوفية لمصر وقد انتفع به خلق كثير وكان له مجلس للتعلم واخرى للمناظرة يقطع بها الحجة على كل من ناظره توفي هناك ودفن بالاسكندرية؛ ينظر: الشعراني، عبد الوهاب بن احمد بن علي، (ت: 973هـ/1565م)، الطبقات الكبرى لوافح

1228م) وهو اكبر تلامذة الشريف الشيخ احمد الرفاعي[1] (ت: 578هـ/1182م)، وكانت له منزلة عظيمة عند الرفاعية, واعجب الشريف بعلمه وتقواه اعجاباً شديداً وضل ملازماً له في بغداد مدة طويلة[2], وقد اثنى عليه الشريف بقولهِ: " لما دخلت العراق اجتمعت بالشيخ الصالح ابي الفتح الواسطي فما رأيت بالعراق مثله "[3] .

حصد الشريف من رحلته هذهِ اثناء تقلبه بين بلدان المشرق مختلف فنون العلم, ولم يبقى الا ان يصل الى هدفه وهو معرفة القطب الغوث فتكلم بذلك مع شيخه الواسطي, فنصحه بأن يعود الى المغرب فبها ما يبحث عنه, قائلاً له بتعجب: " اتطلب يا علي القطب بالعراق وهو ببلاد المغرب ارجع الى المغرب فأنك تجد

الانوار في طبقات الاخيار، نشر: مكتبة محمد المليجي الكتبي واخيه، (مصر، 1315هـ)، ج1، ص171؛ النبهاني، جامع كرامات الاولياء، ج1، ص474.

([1]) وهو أحمد بن علي بن احمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة الحسيني، يكنى بـ (أبو العباس)، مغربي الاصل قدم أبوه العراق ولد سنة (512هـ/1118م) بقرية (حسن) في واسط ، اخذ علومه بواسط فتفقه وتأدب وتصوف وهناك واسس الطريقة الرفاعية، سكن قرية أم عبيدة بالبطائح تقع بين واسط والبصرة، وتوفي بها؛ ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج21، ص21 –22؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج7، ص143؛ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، (ت: 771هـ/1370م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، (بيروت، 1413هـ)، ج6، ص23 – 24 .

([2]) النبهاني، جامع كرامات الاولياء، ج2، ص168؛ ابن عجيبة، شرح صلاة القطب، ص12؛ التليدي، المطرب، ص95، 123؛ غريب، ابو الحسن، ص14– 15؛ عبد الله، معلمة التصوف، ص67 .

([3]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص22؛ ابن عجيبة، شرح صلاة القطب، ص12؛ النبهاني، جامع كرامات الاولياء، ج2، ص168؛ التليدي، المطرب، ص95 .

القطب هناك "[1], وعند عودته الى المغرب اجتمع بالقطب الشريف عبد السلام بن مشيش الحسني الذي اخذ عنه بتونس[2] .

وما ان حلت سنة (542هـ/1147م) حتى بدأت رحلته التالية نحو بيت الله الحرام, الا ان هذه الرحلة كانت الاخيرة فلم يعد الشريف بعدها الى بلاده وقد اتخذ من مصر موطناً له, ولم تكن تلك الرحلة دون هدف فقد ظهرت قطبانيته هناك[3], وتحقق بذلك قول شيخه الشريف عبد السلام بن مشيش الحسني: " تنقل الى بلاد المشرق وترث القطبانية "[4], وروي عنه انه رأى النبي (ρ) في المنام وقد اذن له بالانتقال الى مصر, يقول: " رأيت النبي (ρ) في المنام فقال لي: يا علي انتقل الى الديار المصرية فإنك تربى بها اربعين صديقاً "[5] .

وقد كانت هذهِ الرحلة ذات فائدة عظيمة على الحياة العلمية عامة في المغرب والمشرق, فقد اصبح للشريف مجالس عديدة لم يترك فن من فنون العلم الا ونبغ بهِ واصبح مريدين العلم وطلابه يقصدونه من مختلف البلدان وانتشر علمه وطريقته التي عرفت بالشاذلية في معظم انحاء العالم الاسلامية واصبح لها اتباع من كل مكان, هذا فضلاً عن حلقات الوعظ التي دعى بها الناس الى العلم والالتزام بالمبادئ الاسلامية الصحيحة, وقد اصبح تلامذته قادة الحركة الفكرية والروحية في

---

(1) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص22؛ وينظر: ابن عجيبة، شرح صلاة القطب، ص12؛ النبهاني، جامع كرامات الاولياء، ج2، ص168؛ التليدي، المطرب، ص95 .

(2) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص22؛ ابن عجيبة، شرح صلاة القطب، ص12؛ التليدي، المطرب، ص95 – 123؛ غريب، ابو الحسن، ص15 .

(3) ابن عطاء، لطائف المنن، ص88؛ ابن الصباغ، درة الاسرار، ص30؛ غريب، ابو الحسن، ص20

(4) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص23؛ وينظر: النبهاني، جامع كرامات الاولياء، ج2، ص168؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص126 .

(5) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص31؛ وينظر: محمود، المدرسة الشاذلية، ص45 .

جميع البلدان, امثال الشيخ ابو العباس المرسي، ومن مريديه ومتبعي طريقته الشيخ محمد وفا الشاذلي[1] (ت: 765هـ /1364م), وغيرهم كثير[2] .

رابعاً: اثر الرحلات العلمية للأشراف في الحياة الثقافية

قال تعالى:(**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه**)[3] وليس هناك خير يعمله الانسان افضل من العلم فهو العمل الباقي حتى بعد الممات, قال (ρ): « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثةٍ: من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له »[4]، وهذه احدى منافع العلم، ولما كان علماء آل البيت العلوي قد اتخذوا من الرحلات منهج لكسب العلم فأنه من البديهي ان يكون هناك ثمرات لهذا العمل ولو مثقال ذرة وهذا ما اثبته علماء آل البيت العلوي اذ كانت رحلاتهم ذات اثار عظيمة واسهامات مهمة في الحياة العلمية, وقد ظهر ذلك من خلال مايلي:

1. **نشر العلم**: يختلف كل فرد منهم عن الاخر في المدة الزمنية التي يقضيها في اغترابه العلمي عن وطنه, فهي تتباين بحسب قدرة كل منهم وطاقته على مواصلة

([1]) هو محمد بن محمد بن محمد السكندري، يكنى بـ (أبو الفضل) أو (أبو الفتح)، مغربي الاصل ولد بالاسكندرية سنة (702هـ/1302م)، ونشأ بها ونبغ في النظم، مالكي المذهب سلك طريق الشريف أبي الحسن الشاذلي، كما كان واعظا، لكلامه تأثير في القلوب، وله عدد من المؤلفات منها: (ديوان شعر)، وكتاب (شعائر العرفان في ألواح الكتمان) وكتاب (نفائس العرفان من أنفاس الرحمن)؛ ينظر: الشعراني، الطبقات الكبرى، ج1، ص160؛ الزركلي، الاعلام، ج7، ص38؛ درنيقة، محمد أحمد، معجم أعلام شعراء المدح النبوي، تحقيق: ياسين الأيوبي، دار ومكتبة الهلال، ص404 .

([2]) ابن عطاء، لطائف المنن، ص88؛ المناوي، الكواكب الدرية، ج2، 470-471؛ الكوهن، طبقات الشاذلية، ص54؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص126-127؛ التليدي، المطرب، ص123؛ غريب، ابو الحسن؛ ص20- 21؛ عبد الله، معلمة التصوف، ص69-70 .

([3]) سورة الزلزلة، اية (7).

([4]) ابن حنبل، المسند، ج14، ص438، رقم (8844)؛ مسلم، الصحيح، ج3، ص1255، رقم (14)؛ أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثُنى، (ت: 307هـ/ 920م)، المسند، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، (دمشق، 1984م)، ج11، ص343، رقم (6457) .

الارتحال بين مراكز العلم المنتشرة في العالم الاسلامي[1]، الا انهم بعد تلقيهم العلم من علماء ومشايخ المشرق, كانوا يشدوا رحالهم الى بلادهم ليبثوا ما توصلوا اليه من علم ومعرفة.

ومن الاشراف الذين عادوا الى المغرب وهم اكثر علماً واوسع معرفة مما كانوا عليه, بعد رحلة طويلة وغربة عن الاهل والوطن في سبيل العلم, فساهموا في بناء الكيان العلمي لأوطانهم, الشريف ابو زكريا يحيى الحسني الذي جلس بعد عودته من المشرق ناشراً لعلوم الحديث وعلوم الفقه وعلوم التذكير، وناشراً للسنة يعلم الناس العلم ويحدثهم سنة رسول الله (ρ)[2]، فهو لم يجلس ذلك المجلس الذي انتفع بهِ الناس كثيراً الا بعد ان رحل الى المشرق وسمع هناك من كبار محدثيها وفقهائها فوفد الى بلاده وهو اكثر علماً ومعرفة واوسع افقاً, وفي ذلك قال الغبريني[3]: " استوطن بجاية رحمه الله بعد عودته من المشرق, وجلس بها لنشر العلم وبثه والدعاء الى الله تعالى, فأنتفع الخلق على يديه وظهرت عليهم بركته " .

كما جلس الشريف ابو الحسن علي الشاذلي بعد رحلته الى المشرق فكانت مجالسه من ابهى المجالس في العلوم الشرعية وعلم الحقائق, فألتف الناس حوله بتونس من كل صوب وازداد عدد المريدين حتى اصبح لا يمشي الا والناس من حوله تنتفع بعلمه وتستمع لوعظه[4] .

2. **احضار المصنفات العلمية:** لقد كانت الفائدة الاكبر والثمرة الأسمى لرحلات الأشراف هي ادخالهم لمختلف الكتب العلمية لبلاد المغرب, ومن ذلك ما روي عن الشريف محمد بن عيسى الحسني وهو من العلماء الأجلاء وكان اكثر اشتغاله

([1]) البشري, الحياة العلمية, ص94.

([2]) ابن الزيات, التشوف، ص428؛ الغريني، عنوان الدراية, ص127.

([3]) عنوان الدراية, ص127.

([4]) المناوي, الكواكب الدرية، ج2, ص470- 471؛ الكوهن, طبقات الشاذلية الكبرى, ص24؛ غريب, ابو الحسن, ص17.

بالحديث, قد ادخل الى البلاد من نوادر الكتب العلمية مالم يشهدها احداً قبله من اهل البلد(1) .

3. **التاليف:** تزداد هذهِ الثمرات وضوحاً حين اقدم الاشراف على تأليف المصنفات العلمية التي كانت نتيجة لتحصيلهم العلمي من خلال رحلاتهم الداخلية والخارجية في مختلف البلاد المغربية والمشرقية ومن هؤلاء الاشراف الذين عادوا الى بلاد المغرب بعد ان انتهوا من رحلاتهم العلمية وقد اصبحوا مهيئين لمثل هذا الانجاز العلمي الكبير, هو الشريف محمد بن محمد الادريسي الحسني, قال عنه العلامة عبدالله كنون(2): " لما عاد الى المغرب كان مملوء الوطاب بالمعارف فليس بهِ من حاجة الى دراسة زائدة "، فقد قضى شطراً مهماً من عمره باحثاً ومنقباً بين البلدان وعاملاً على تقدم العلم والمعرفة الإنسانية والحضارة بعد ان اخذ العلم على ايدي علماء اجلاء من المغرب والمشرق, وذلك من خلال تأليفه للمصنفات العلمية في مختلف المجالات, ولاسيما علم الجغرافية الذي استغرق منه خمسة عشر عاماً في تأليفه لكتاب " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق", فضلاً عن وضعه لأول خريطة عالمية صحيحة مبنية على الأصول العلمية والحقائق الفنية الثابتة لذلك العهد، هذا غير صنعه مجسم لكرة الارض من الفضة, وغيرها من الانجازات العلمية في مجال التأليف(3) .

4. **الأجازات العلمية:** تعد الاجازة احدى الثمرات المهمة للرحلات فهي شهادة تؤهل حاملها التصدي لتدريس العلوم المجاز بها، بعد ان يعطي العالم المجيز الى احد طلابه المجاز لهم, اذن لتدريس كتاب معين, أو روية حديث, فيكتب بناءٍ على ذلك

---

(1) ابن عسكر, اعلام مالقة, ص193.

(2) ذكريات مشاهير رجال المغرب, ج1, ص211.

(3) ينظر: كنون, ذكريات مشاهير المغرب, ج1, ص211, 215, كنون, النبوغ المغربي, ج1, ص156؛ الادريسي, ج1, ص139؛ السملالي, اعلام بمن حل مراكش, ج4, ص115- 116؛ Waern, Mediaeval Sicily aspects, p. 74-75; Zaimeche, Sicily, p. 17.

الاجازة العلمية[1], وبعد ان يحصل الطالب على هذهِ الشهادة يتأهل بموجبها للقب الشيخ أو الأستاذ في العلوم التي اجيز بها[2] .

وقد عرف علماء اللغة الأجازة بأنها: اعطاء الأذن, وبهذا المعنى اشار الفيروزابادي[3] بقوله: " طلب الإجازة أي الإذن "، وكذلك الزبيدي[4] بقوله: " استجاز رجل رجلا: طلب الإجازة، أي طلب الإذن في مروياته ومسموعاته " .

اما اصطلاحاً: هي ان يأذن ثقة من الثقاة لغيره بأن يروي عنهم الحديث, أو الكتب سواء كانت تلك الكتب من مصنفاته أم كانت رواية له بالأسناد عن أحد شيوخه[5] .

بداية لم تكن تعطى الاجازة العلمية الا في علم الحديث, ثم اصبحت فيما بعد تعطى في مختلف فنون العلم[6]، فضلاً عن ذلك فإن هذهِ الشهادة لم تكن تمنح للمجيز الا بعد شعور صحيح بقدرته على تدريسها, ويتم ذلك الاختيار من خلال ملازمة المجيز لأستاذه مدة قد تصل الى شهور عدة وقد تكون سنين في بعض الاحيان, يرافق خلالها الطلاب شيخه ويدخل في اختبارات ومناقشات لجميع القضايا المشتملة للمادة المجازة مع فهم واتقان ومعالجة لتلك العلوم[7] .

([1]) النحلاوي, عبد الرحمن, اصول التربية الاسلامية واساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع, دار الفكر, ط25و (بيروت, 2007م), ص137- 138.

([2]) ابو القاسم, عبد الله, تاريخ الجزائر الثقافي, طبع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, (الجزائر, 1980), ج2, ص41- 42؛ النحلاوي, اصول التربية الاسلامية, ص137- 138.

([3]) القاموس المحيط، ص507، فصل الحاء .

([4]) تاج العروس، ج15، ص86، مادة (جوز) .

([5]) الحجي, عبد الرحمن علي، تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامي حتى سقوط غرناطة، دار القلم، (دمشق، 2010م), ج2, ص144؛ فياض, عبد الله, الاجازات العلمية عند المسلمين, مطبعة الارشاد, (بغداد, 1967م), ص21.

([6]) الحجي, تاريخ الاندلس, ج2, ص144.

([7]) ابو القاسم, تاريخ الجزائر, ص41- 42؛ النحلاوي, اصول التربية الاسلامية, ص137- 138.

والاجازة تكون نوعان شفوية, وتحريرية[1]، وحرص علماء آل البيت العلوي خلال رحلاتهم ان يحصلوا على النوعين بهدف المحافظة على سند التعليم في بلاد المغرب، فقد كان لعلماء المغرب حفاوة كبيرة بالإجازة, وعدها بعضهم من الطرق العلمية القوية لاسيما في الرواية, ونجد لبعض علمائهم من المصنفين اقوالاً مأثورة في الاجازة, كقول المحدث عيسى بن مسكين (ت: 295هـ/905م): " الاجازة قوية وهي رأس مال كبير, وجائز ان يقول حدثني فلان واخبرني فلان "[2] .

ومن علماء آل البيت العلوي الذين اهلتهم علميتهم للحصول على الاجازة من شيوخهم الشريف ابو زكريا يحيى الزواوي فهو من العلماء الافذاذ الذي طاف بلدان عدة في سبيل العلم, ولاحظ شيوخه تمكنه العلمي حتى اجازه بكتب عديدة, فقد اجازه الفقيه ابو طاهر اسماعيل بن مكي الزهري[3] (ت: 581هـ/1185م) في كتاب (الموطأ), واجازة الشيخ مخلوف بن جارة[4] (ت: 583هـ/1187م) في كتاب

([1]) البهائي, محمد حسين, الوجيز في الدراية –ضمن مجموعة رسالة عين الميزان, تحقيق: محمد حسين كاشف الغطاء, (بيروت, د.ت), ص180؛ فياض, الاجازات العلمية عند المسلين, ص21.

([2]) شواط, ج1, ص322 هامش (8).

([3]) هو إسماعيل بن مكي بن اسماعيل بن عيسى بن عوف الزهري، يكنى بـ (ابو الطاهر) الاسكندري المالكي، صدر الاسلام في زمانه سمع على ابي عبد الله الرازي، وتفقه على ابي بكر الطرطوشي، وقصده السلطان صلاح الدّين وسمع منه (الموطأ) توفي عن عمر ست وتسعون سنة؛ ينظر: ابن المستوفي، المبارك بن أحمد بن المبارك، (ت: 637هـ/1240م)، تاريخ إربل، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، دار الرشيد للنشر، (بغداد، 1980م)، ج2، ص851؛ الفاسي، محمد بن أحمد بن علي، (ت: 832هـ/ 1428م)، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1990م)، ج1، ص474؛ ابن عماد، شذرات الذهب، ج6، ص441 .

([4]) هو مخلوف بن علي بن جارة، يكنى بـ (أبو القاسم)، مغربي الاصل ثم الإسكندراني الوطن، أحد الأئمة المالكية الكبار، تفقّه عليه أهل ثغر الاسكندرية ومن قدم اليها زمانا طويلا؛ ينظر: ابن نقطة، إكمال الإكمال، ج2، ص4؛ ابن عماد، شذرات الذهب، ج6، ص254 .

(المصابيح)[1], وكتباً اخرى عديدة اجازة وسماعاً, واجازه الحافظ ابو طاهر السلفي[2] (ت: 576هـ/1180م) بكتاب (أعجاز القران) للخطابي[3] (ت: 388هـ/ 998م)، قرأ

([1]) لقد ورد هذا العنوان (المصابيح) مبهم فلم يوضح اي الكتاب المعني الذي اجيز به الشريف، لكن بالعودة الى كتب الفهارس وجدنا ان هناك كتبا كثيرة حملت المصابيح اسماً لها وفي العموم معظمها كان في الحديث والتفسير وهذا ماكان عليه الشريف، منها كتاب (مصابيح الهدى) لعبد الملك بن سليمان بن هارون القرطبي (ت: 238هـ/853م)، وكتاب (مشكاة المصابيح في الحديث، الذي اسماه مصابيح السنة)، لابي محمد البغوي (ت: 510هـ/1116م)، وكتاب (مصابيح الكتاب) لمحمد النحوي (ت: 320هـ/932م)، وكتاب (المصابيح في الحديث ورواته) لمحمد بن علي بن بابويه القمي (ت: 318هـ/930م)، وغيرها كثير؛ ينظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، (ت: 1067هـ/1657م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، 1941م)، ج2، ص1698، 1703؛ فانديك، ادوارد كرنيليوس، (ت: 1313هـ/1895م)، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية، تحقي: محمد علي الببلاوي، نشر: مطبعة التأليف الهلال، (مصر، 1896م)، ص130؛ البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم، (ت: 1399هـ/1920م)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، تحقيق: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، د.ت)، ج4، ص490 .

([2]) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة يكنى بـ (أبو طاهر)، اصله من أصبهان استوطن الاسكندرية بعد رحلة طويلة في طلب العلم، فهو عالم محدث من الحفاظ المكثرين، له كتب وتعاليق وأمالي كثيرة، منها (معجم مشيخة أصبهان) و (معجم شيوخ بغداد) و (معجم السفر) وغيرها؛ ينظر: ابن نقطة، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، نشر: دار الكتب العلمية، (بيروت، 1988م)، ص176؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج21، ص7- 37 .

([3]) هو حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب الخطابي، يكنى بـ (أبو سليمان)، اصله من بلاد كابل من أهل بست، لذا عرف بـ (البستي)، ولد سنة (319هـ/931م)، من العلماء المبرزين محدثا فقيها أديبا شاعرا لغويا، له عدة مصنفات منها (معالم السنن)، في شرح سنن أبي داود، و (بيان إعجاز القرآن)، (إصلاح غلط المحدثين)،وغيرها؛ ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، (ت: 626هـ/1229م)، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، 1993م)، ج3، ص1205؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2، ص214 .

المذهب رواية ودراية عن الامام ابن بكرة الكركني[(1)], وعن ابو القاسم بن فيرة الشاطبي[(2)] (ت:590هـ/1194م)، واجيز من الفقيهان الحضرميان[(3)] كتاب (شهاب الاخبار في الحكم والامثال والاداب من الاحاديث النبوية) لابن سلامة القضاعي[(4)] (ت: 454هـ/1062م), وغيرهم من العلماء في مختلف العلوم[(5)] .

([1]) لم اقف على ترجمة له فيما بين يدي من مصادر، الا ما ذكره الغبريني اثناء ترجمة الشريف الزواوي، بان اسمه ابو عبد الله ابن ابي بكرة الكركني وهو احد ائمة العلم والشيوخ الذين يؤخذ عليهم علوم الرواية والدراية، واظاف المحقق معلقاً حول نسبته بقوله: " لعله القرقني نسبة الى جزيرة قرقنة التي تبعد عن صفاقس بنحو خمسة عشر ميلاً "؛ ينظر: الغبريني، عنوان الدراية، ص131 .

([2]) هو القاسم بن فِيرُّه بن خلف بن أحمد الرعينيّ، يكنى بـ (أبو محمد) اندلسي الاصل من اهل شاطبة لذا عرف بـ (الشاطبي)، ولد سنة (538هـ/1144م)، عالما فقيها فاضلا في النحو والقراءة وعلم التفسير مع كونه ضريراً، وهو صاحب قصيدة (حرز الأماني)، وهي في القرآت تعرف بـ (الشاطبية)، جاء الى مصر وبقي فيها الى حين وفاته؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج5، ص2216؛ القفطي، انباه الرواة، ج4، ص160 .

([3]) وهما الفقيهان الاخوان الفقيه ابو العباس الحضرمي، واخاه ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحضرمي، مالكي المذهب تولى منصب قاضي الاسكندرية، روى عن الشيخ محمد بن احمد الرازي وغيره، (ت: 589هـ)؛ ينظر: الغبريني، عنوان الدراية، ص131 .

([4]) هو محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون بن إبراهيم بن محمد بن مسلم القضاعي، يكنى بـ (أبو عبد الله)، شافعي المذهب، فقيه ومؤرخ ومفسر، يتمتع بمكانة عالية عند السلطات تولى عدة مناصب ادرية فقد عمل كاتبا للوزارة بمصر ايام الفاطميين، كما تولى القضاء لفترة من الزمن، وارسل بسفارة الى القسطنطينية وقد اقام هناك قليلا، له عدة مصنفات منها (تفسير القرآن)، (الشهاب في المواعظ والآداب)، و(مناقب الشافعيّ وأخباره)، و(الإنباء عن الأنبياء)، و(خطط مصر)، وغيرها كثير؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج53، ص167؛ ابن كثير، طبقات الشافعيين، تحقيق: أحمد عمر هاشم ومحمد زينهم محمد عزب، نشر: مكتبة الثقافة الدينية، (ت: د.م، 1993م)، ص435 .

(8) الغيريني, عنوان الدراية, ص130- 131- 132.

كما نال الشريف جابر بن احمد الحسني الاذن بالجلوس لرواية الحديث والعناية بفنونه وطرقه، بعد ان حصل على اجازات من مشايخ اهل الحديث بذلك[1].

واجيز الشريف عبد الرحمن بن عبد الله الحسني بكتاب (صحيح مسلم) لفظاً وسماعاً عن ابي الحسن بن قطرال[2] (ت:651هـ/1253م)، الذي حدثه به سماعا ولفظا عن ابي عبد الله بن سعادة[3](ت: 565هـ/1170م)، وسماعاً لأكثره عن ابو الفتوح ابن فاخر[4] (ت:636هـ/1238م)، واجيز بكتاب (صحيح البخاري), سماعاً عن ابي مروان الباجي بقراءة ابن فاخر, وكتاب (الموطأ) في الفقه المالكي، وكتاب

([1]) ابن الابار, التكملة لكتاب الصلة, ج1, ص201, نويهض, معجم اعلام الجزائر, ص68.

([2]) هو علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن يوسف الأنصاري، اندلس من اهل قرطبة مالكي، ولد سنة (563هـ/1167م)، علامة فقيه يمتاز بالبلاغة مشاركا بعدة فنون، تولى منصب القضاء لمدينة شاطبة مرتين، كما تولى خطبتها، وولي قضاء أبذة، ثم قضاء قرطبة، ثم سبتة، ثم قضاء فاس، فكان من رجال الكمال علما وعملا، توفي عن عمر ثمانية وثمانون عاما؛ ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج23، ص304؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج21، ص141 .

([3]) هو محمد بن يوسف بن سعادة، يكنى بـ (أبو عبد الله)، ولد بمرسية سنة (496هـ/1103م) وتعلم بها، عالم اندلسي فقيه متفنن في مختلف العلوم، فيه ميل إلى التصوف تولى الخطابة في مرسية، كما تولى قضاء شاطبة، وأقرأ وسمع منه أبو الحسن بن هذيل وهو أكبر منه، وصنف كتاب (شجرة الوهم المترقية إلى ذروة الفهم)؛ ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج20، ص508؛ عبد الحي الكتاني، محمد بن عبد الكبير بن محمد، (ت:1382هـ/1962م)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، 1982م)، ج2، ص1030 .

([4]) هو فاخر بن عمر بن فاخر العبدري، مغربي الاصل من اهل مدينة فاس انتقل الى الاندلس وسكن اشبيلية، كان من العلماء المبرزين فقيها محدثاً حافظا زاهدا متصوفا عارف باصول الفقه نحويا بارزا؛ ينظر: ابن الشاط، قاسم بن عبد الله، (ت: 723هـ/1323م)، برنامج شيوخ ابن ابو الربيع السبتي، تحقيق: عبد العزيز الاهواني، نشر: مجلة معهد المخطوطات العربية، (د.م، 1955م)، مج1، ج2، ص252؛ السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: المكتبة العصرية، (بيروت، د.ت)، ج2، ص244 .

(الاحكام الصغرى) لعبد الحق الاشبيلي[1](ت:581هـ/1185م)، وكتب له خط بالإجازة سنة (682هـ/1283م) [2] .

وعلى نحو ذلك حظي الشريف يوسف بن موسى الحسني بالإجازة في علم الحديث سنة (686هـ/1287م)، بعد رحلته الى المشرق التي اخذ بها علوم الحديث وسمع صحيح البخاري، وقد تمكن بتلك الاجازة من ان يكون مهيئ للأخذ عنه في العلوم التي كسبها فجلس لنشر العلوم الدينية بجامع باب السلسلة في فاس، فانتفع به خلق كثير[3] .

كما اجاز الشيخ الامام ابي الحسن ابن القطان[4] (ت:628هـ/1230م)، الشريف ابو القاسم بن عبد الرحمن الحسني الحديث والقراءة بعد ان سمع عليه سنة (682هـ/1283م) [1] .

([1]) هو عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد الازدي، يكنى بـ (أبو محمد)، ويعر بـ (ابن الخراط)، ولد سنة (510هـ/ 1116م)، اندلسي الاصل من اهل مدينة اشبيلية ،كان احد كبار علماء الاندلس فقيها حافظا عالما بالحديث وعلله ورجاله، مشاركا في الأدب وقول الشعر، له عدة مصنفات منها: (الجامع الكبير) و(المعتلّ من الحديث) و(غريب القرآن والحديث) و(الأحكام الشرعية) وه على ثلاثة كتب، كبرى وصغرى ووسطى؛ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج18، ص39؛ الكتاني، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، د.مط ، (كراجي، 1960م)، ص145 .

الزركلي، الاعلام، ج3، ص281 .

([2]) ابن القاضي, درة الحجال, ج3, ص74- 75؛ عبد الحي, الدرر النفيس, ص؛ السملالي, الاعلام بمن حل مراكش, ج8, ص90- 91.

([3]) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص554؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص344؛ التنبتكي، نيل الابتهاج، ج2، ص627؛ التنبتكي، كفاية المحتاج، ج2، ص674 .

([4]) وهو علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى بن إبراهيم الحميري الكتامي، يكنى بـ (ابو الحسن)، ولد سنة (562هـ/1167م)، من علماء المغرب البارزين احفظ اهل زمانه للحديث النبوي الشريف، عارفهم برجاله واكثرهم عناية بالرواية رأس طلبة العلم بمراكش، كما عمل على تدريسه، وله في ذلك عدة مصنفات منها كتاب (الوهم والإيهام، فيما وقع من الخلل في الأحكام الكبرى لعبد الحق)، كما تولى قضاء سجلماسة الى حين وفاته؛ ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ،

ولم يقتصر تحصيل الاشراف للإجازة خلال رحلاتهم فقط بالعلوم الدينية, اذ اجيز الشريف علي بن محمد الحسني بعلوم العربية وكانت له اليد الطولى بذلك, وكتب له خط بالإجازة سنة (688هـ/1289م) [2] .

كما كان هناك من علماء آل البيت العلوي من بلغ الرتبة العلمية العالية التي منحته حق اعطاء الاجازة لغيره من طلبة العلم, فقد اجاز الشريف عبد السلام بن مشيش الحسني تلميذه ابو الحسن الشاذلي اجازة عامة في كل ما لديه من علوم اثناء رحلته اليه بتونس[3]، واجاز الشريف ابو الحسن الشاذلي, علمه لتلميذه ابو العباس احمد المرسي, الذي رافقه الى حين وفاته[4] .

ونلحظ ان عدداً من الاشراف اجازوا مؤلفاتهم وعلومهم لطلاب العلم الذي التقوا بهم في المدن التي مروا بها اثناء رحلاتهم, وتلك التي استقروا بها لمدة من الزمن, فهذا الشريف محمد بن محمد الادريسي الذي اجاد بالعديد من فنون العلم روى عنه ابن بشرون الصقلي[5] (ت: بعد561هـ/1166م)، انهِ لقيه في صقلية وروى عنه

ج4، ص132؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج21، ص200؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج22، ص47 .

([1]) السملالي, الاعلام, ج1، ص378 .

([2]) ابن القاضي, درة الحجال, ج3, ص242 .

([3]) ينظر: ابن الصباغ, درة الاسرار, ص25– 26؛ ابن عجيبة, شرح صلاة القطب, ص11–12؛ النبهاني, جامع كرامات الاولياء, ج2, ص168؛ التليدي, المطرب, ص94– 95؛ محمود, القطب الشهيد, 35؛ الادريسي, الليهوي, حصى السلام, ص437, مصابيح البشرية, ص126؛ غريب, ابو الحسن, ص14–15؛ كنون, النبوغ المغربي, ج1, ص152.

([4]) ينظر: ابن الصباغ, درة الاسرار, ص31, الادريسي, مصابيح البشرية, ص127؛ محمود, المدرسة

([5]) وهو عثمان بن عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن عبد الرزاق بن جعفر بن بشرون الأزدي، من اهل صقلية، كان عالما أديبا، له كتاب اسمة (المختار في النظم والنثر لأفاضل أهل العصر)، نقل عنه المؤرخ العماد الأصفهاني في كتابه (الخريدة)؛ ينظر: ابن بسام، علي بن بسام، (ت: 542هـ/1147م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، نشر: الدار العربية للكتاب، (تونس، د.ت)، ج3، ص523؛ الزركلي، الاعلام، ج4، ص208– 209 .

معظم ما اثبته في كتابه (ادب الاندلسين)[1], وهذا دليل على ما كان يتمتع بهِ علماء آل البيت العلوي من علم ومعرفة .

وبذلك يتبين لنا ما لرحلة الاشراف من اثر مهم في التطور الثقافي للبلاد فهي من اهم الوسائل التي مكنتهم من تحصيل العلم واشاعته بين الناس لينتفعوا بهِ ويواكبوا حركة تطور العلوم في المشرق, كما انها كانت السبب في دخول المصنفات العلمية على ايدي الاشراف, فضلاً عن صقل قدراتهم العلمية في التأليف وتسجيل ما اطلعوا عليه من مصنفات جغرافية مهمة كانت منطلقا لازدهار الحياة العلمية فيما بعد، فضلا عن تحصيلهم للإجازات العلمية التي كانت احد الاسباب المهمة التي اسهمت في انتشار الكتب بين مختلف البلدان, وتناولها رواية وتدريساً في غياب مؤلفها, وكانت شموليتها لمختلف العلوم من اهم عوامل التبادل الثقافي التي تمكن عن طريقها طلبة العلم في المغرب من الاطلاع على علوم البلدان الاخرى والافادة منها، فانعكس التحصيل الذاتي الذي حصل عليه الاشراف خلال رحلاتهم قد انعكس بالخير والمنفعة لطلاب العلم فضلاً عن ازدهار وارتفاع المستوى الثقافي في البلاد عموماً .

يجدر بنا قبل ان نغادر موضوع اثر الرحلات العلمية ان نشير الى احدى المقولات المأثورة في انتشار العلم بين الحواضر، اذ قيل: " العلم كحبة قمح نتج بالمدينة، وصفى ببغداد، وطحن بالقيروان، وغربل بقرطبة، واكل بفاس "[2]، لا يمكن لاي تعليق ان يصف ما تحمله هذا المقولة الرائعة من معاني، الا ننا نرى اذا كان نصيب المغرب من العلم الطحن فلابأس به فهو نصيب غير مبخوس، فلولا جهدهم هذا ما قدم لقمة سائغة لباقي مدنه، ليأسسوا بذلك حضارة عريقة ما زالت اثارها باقية لغاية الان .

([1]) كنون, ذكريات مشاهير رجال المغرب, ج1, ص226.

(3) التازي، جامع القرويين، مج1، ص150 .

المبحث الثاني

دورهم الثقافي من خلال المجالس العلمية

تعد المجالس العلمية واحدة من اهم العوامل المساعدة في تطور الحياة الثقافية, لما تقوم بهِ من دور مهم في التعليم اذ درست في هذهِ المجالس مختلف العلوم الدينية والادبية والطبيعية, فضلاً عن المناقشة والجدل والمناظرة كما لم تخلوا تلك المجالس من المذاكرة, وسوف اقوم بدراسة ذلك من خلال المادة المتوفرة للدراسة على النحو الآتي :

اولاً: المجالس العلمية العامة

تعددت المجالس العلمية لعلماء آل البيت العلوي في المغرب وتنوعت فهناك مجالس عقدها علماء الأدارسة من الامراء وغالباً ما كانوا يشاركون فيها، لما تمتعوا به من ثقافة ودراية واسعة في مختلف الفنون ولاسيما الادبية، كمجالس الامير الشريف يحيى بن ادريس بن عمر الحسني (ت: 332هـ/943م)، وكان اعلى امراء بني ادريس شأناً وحالاً وعلماً، لم يبلغ احداً من الشرفاء ما بلغه من العلم والدراية فقيهاً حافظاً للحديث، فصيح ذو بلاغة وبيان(1)، اذ كان مجلسه حافلاً بالعلماء والفقهاء تكلموا بين يديه بالعلم، وحضر الناس الى مجالسه من كل مكان من المغرب والاندلس وغيرها للإفادة من محاورات العلماء العلمية الدائرة بين العلماء، فيحسن اليهم جميعاً وكانت مجالسه تحوي على الكتاب والنساخ والوراقين لتسجيل ونسخ ما يدور فيها(2) .

ومنها مجالس الامير الشريف احمد بن القاسم الحسني، فقد كان عالماً فقيها ديناً حافظاً للسير عالماً بتواريخ الملوك وايام الناس وقبائل العرب، عارفا بالأنساب، اديباً، كانت مجالسه عامرة برجال العلم والادب لا تخلوا من وجود الشعراء، اذ كان

---

(1) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص80؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص21؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص237 .

(2) البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب دار الكتاب الاسلامي، (القاهرة، د.ت)، ص132؛ البكري، المسالك والممالك، ج2، ص816؛ التازي، جامع القرويين، مج1، ص153 .

يعقد المجالس لينشد فيها الشعراء قصائدهم وفي مقدمتهم الشاعر بكر بن حماد التاهرتي[1] (ت:296هـ/908م)، واذن له بإنشاد الشعر بين يديه وعقد له عدة مجالس بحضوره تشجيعاً للعلم والادب[2]، ومما قاله فيه مادحاً[3] .

ان السـماحة والمـروءة والنـدى	جمعـوا لأحمـد مـن بنـي القاسـم
واذا تفـاخرت القبائـل وانتمـت	فـافخر بفضـل محمـد وبفـاطم
وبجعفـر الطيـار فـي درج العلـى	وعلـي العضـب الحسـام الصـارم
انـي المشـتاق اليـك وانمـا	يسـمو العقـاب اذا سـما بقـوادم
فابعـث الـي بمركـب اسـمو بـه	علـي اكـون عليـه اول قـادم
واعلـم بأنـك لـن تنـال محبـة	الا بـبعض ملابـس ودراهـم

وفي ذلك ما روي عن الامير الشريف احمد بن ابراهيم بن محمد الحسني (332هـ/944م)، كان اكثر امراء بني ادريس اتصالا واهتماما بمجالس العلماء ورجال الافتاء[4]، وصفه البكري[5] بقوله: " كان عالمهم يحفظ السير والتواريخ، وكان نسابة عاقلاً حليماً، وكان مبجلا بعلمه " .

([1]) وهو بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي التاهرتي، ويكنى بـ (أبا عبد الرحمن)، كان رجلاً صالحاً فقيهاً، فاضلاً، جليلاً عالماً، ثقة مأموناً ثبتاً صدوقاً شاعراً فصيحاً، ولد بمدينة (تاهرت) سنة (200هـ/815م)، وبها تلقى دروسه الأولى على مشاهير علمائها وجلة من فقهائها وكبار محدثيها وذلك إلى أن بلغ السابعة عشر من عمره ، ثم غادر تاهرت مولياً وجهه نحو أفريقية والمشرق، سمع بالقيروان من كبار العلماء منهم الفقيه سحنون بن سعيد، وكان يقول كثيراً من الشعر في الزهد ؛ ينظر: المالكي، رياض النفوس، ج2، ص23؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص153؛ ابن الدباغ، معالم الإيمان، ج2، ص155- 156؛ شاوش، محمد بن رمضان، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد الشاهرتي، المطبعة العلوية، (مستغام، 1385هـ)، ص44 .

([2]) البكري، المغرب، ص130؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص87؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص290؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص251؛ منصور، اعلام المغرب، ج2، ص247.

([3]) حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، ص132 .

([4]) البكري، المغرب، ص 129-130؛ التازي، جامع القرويين، مج1، ص145 .

([5]) البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص 129-130 .

ولم تكن تلك المجالس وقفاً على الامراء الأدارسة، فقد اجتمع في مجلس الامير المستنصر بالله الحفصي الكثير من العلماء والادباء في مختلف الفنون العلمية، وعقدت المجالس للتحاور والنقاشات الجادة الهادفة، وقد تصل اليه سيرة احد العلماء فيسعى لإحضاره الى مجلسه للإفادة منه والاستفادة عليه، وخير دليل على ذلك المجلس الثقافي الذي دعي الشريف الفقيه ابو العباس الجدلي لحضوره فور وصوله من المشرق، واحضر بين يديه بعض الطلبة وجملة من العلماء والفقهاء واهل الادب, ومن بينهم كان ابو الحسن المروزي[1]، وهو من فضلاء الاطباء, فتحاوروا وتدارسوا في عدة مواضيع, وكان من جملتها عن نوع من الحناء راه الشريف في الهند خلال احدى رحلاته اليها، وروي انه اذا خضب بها الشخص يقيم ثلاثين سنة لا يحتاج الى ان يخضب مره اخرى, فدار نقاش بين الحاضرين حوله فاعترض الطبيب ابو الحسن المروزي على ذلك, معللاً ان وجود مثل هذا النوع من الحناء يعني انه سوف يمنع النمو وهذا لا يمكن ان يحدث, وقد ايده الخليفة بقولهِ، وطال الكلام والنقاش بين العلماء حول واتفقوا على تاجيل الحديث عنه لوقت اخر, وان يكتب فيها كل من له علم بالموضوع, وقد كتب الشريف فيها كتاباً[2] .

مما سبق يتبين لنا اهمية هذهِ المجالس واثرها على الحياة الثقافية, فقد كانت مجالس الامراء من الاشراف الأدارسة وغيرهم ملتقى لرجال العلم بمختلف صنوفه ومركزاً للنشاط الثقافي لطلبة العلم الذي حضروه تلك المجالس للافادة من مناقشات العلماء ومناظراتهم، لاسيما اذا كانوا الامراء هم علماء اشراف ذوي علم ونسب عظيم كما انها لم تقتصر على ذلك بل تعدته الى تأليف المصنفات العلمية .

والى جانب مجالس الامراء كان لعلماء وادباء آل البيت العلوي مجالس في مختلف مجالات العلم، فقد تكون للحديث، أو الفقه، أو علم العقائد، أو اصول الدين, وغيرها, كمجالس الشيخ ابو محمد عبد الله الشريف الذي حضر له خواص من الطلبة التمسوا منه العلم والبركة وانتفعوا من علومه[3] .

([1]) لم اقف على ترجمته فيما بين يدي من مصادر, لاسيما ما يخص طبقات الاطباء والحكماء.

([2]) الغبريني, عنوان الدراية, ص183.

([3]) الغبريني, عنوان الدراية, ص195.

ومن الاشراف من كانت مجالسه العلمية منتشرة في بلاد عدة فقصده الطلبة للأخذ منه كالشريف ابو زكريا يحيى الزواوي، فقد كان له مجلس ببجاية تمكن من خلاله نشر العلم والمعرفة, وروي انه كان يعقد مجلس في كل ناحية ويقصده عدد كبير من الطلاب للافادة من علمه(1) .

كما عقد الشريف ابو القاسم بن عبد الرحمن الحسني مجالس علمية عدة واصبح تلامذته من كبار علماء العصر آنذاك(2) .

ومثلها مجالس الشريف ابو الحسن علي الشاذلي التي عقدها في تونس والقيروان, وقصده طلاب العلم للنهل من علومه ويتجمهرون حوله اينما جلس حتى ان بعضهم خرجوا معه اثناء سفره في سبيل ان لا يفوتهم شيء منه والانتفاع من علومه وحضور مجالسه(3)، ويبدوا ان الشريف كان يقوم بتحديد ميعاداً ثابتاً لعقده المجالس، وفي ذلك ما اشار اليه ابن الصباغ(4) قائلاً: " كان يعمل كل ليلة ميعاداً يأتي اليه الناس من البلدان يستمعون كلامه " .

ونظراً لما تمتع به الشريف من علم ومعرفة واسعة كان مجلسه اشبه ما يكون بمدرسة عليا، التقي بها جل العلماء للتحاور والنقاش في مختلف القضايا العلمية، فحضر مجلسه اكابر العلماء امثال ابن الحاجب(5) (ت:646هـ/1249م)، وابن عبد

---

(1) ابن الزيات, التشوف, ص428, الغبريني, عنوان الدراية، ص127.

(2) ابن القاضي, درة الكحال, ج3, ص74؛ السملالي, الاعلام بمن حل مراكش, ج1, ص378؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج1, ص282.

(3) ينظر: ابن عطاء، لطائف المنن، ص78، 79، 88؛ ابن الصباغ، درة الاسرار، ص32-33؛ الكوهن، طبقات الشاذلية الكبرى، ص39؛ محمود، المدرسة الشاذلية، ص 17-19 .

(4) درة الاسرار، ص35 .

(5) وهو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس ابن الحاجب يكنى بـ (أبو عمرو)، مصري الاصل ولد في مدينة اسنا من الصعيد سنة (570هـ/1174م)، ونشأ في القاهرة رحل الى دمشق سكن بها علامة مقرئ فقيه اصولي، كردي الاصل الانه يعد احد كبار علماء العربية، من تصانيفه كتاب (الكافية)، و(الشافية) وهما في النحو الصرف، وغيرها؛ ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج22، ص264- 265؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج19، ص321- 322 .

السلام عز الدين[1] (ت:660هـ/1262م)، وعبد العظيم المنذري[2] (656هـ/ 1258م)، وغيرهم[3]، وقد اثنى العلماء على مجالسه تلك بقولهم للشريف: " ما على وجه الارض مجلس ابهى في علم الحقائق من مجلسك "[4] .

وسعى الشريف لاغتنام فرصة وجود العلماء بين يديه لإفادة الطلبة الذين كانوا دائمي التردد لتلك المجالس للافادة من المناظرات والمناقشات الدائرة بين العلماء فكان يردد ناصحاً ومرشدا لهم: " اذا جالست العلماء فلا تحدثهم الا بالعلوم المنقولة والروايات الصحيحة, اما ان تفيدهم واما ان تستفيد منهم وذلك غاية الربح, واذا جالست العباد والزهاد فأجلس معهم على بساط الزهد والعبادة وحل لهم ما استمرؤوه, وسهل عليهم ما استوعروه, وذوقهم من المعرفة مالم يذوقوه, واذا جالست الصديقين ففارق ما تعلم تظفر بالعلم المكنون "[5] .

([1]) وهو عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي، الملقب بـ (سلطان العلماء)، من اهل دمشق ولد سنة (557هـ/1181م)، من فقهاء الشافعية المجهدين، رحل الى بغداد سنة (599هـ/1203م)، بقي بها شهرا، ثم عاد إلى دمشق، تولى التدريس والخطابة بزاوية الغزالي، ثم بالجامع الأموي، من مصنفاته كتاب (التفسير الكبير)، و(الإلمام في أدلة الاحكام)، وغيرها، توفي بالقاهرة؛ ينظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج8، ص209؛ ابن كثير، طبقات الشافعيين، ص783 .

([2]) وهو زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري، يكنى بـ (أبو محمد)، اصله من الشام ولد بمصر سنة (581هـ/1185م)، عالما حافظا للحديث عارفاً بالعربية، مؤرخ له عدة مصنفات منها كتاب (الترغيب والترهيب)، و (التكملة لوفيات النقلة)، و (أربعون حديثا)، وغيرها، توفي بمصر؛ ينظر: ابن صلاح، فوات الوفيات، ج2، ص336؛ الصفدي، الوفي بالوفيات، ج19، ص10 .

([3]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص35؛ الفاسي، طبقات الشاذلية، ص40؛ شرح الزبيدي على حزب البر، ص4 .

([4]) ابن عطاء، لطائف المنن، ص79؛ ابن الصباغ، درة الاسرار، ص35؛ الفاسي، طبقات الشاذلية، ص40 .

([5]) اليافعي, مرآة الجنان, ج4, ص110؛ الشافعي, الطبقات الكبرى, ج4, ص5؛ الكوهن, طبقات الشاذلية, ص24.

ان ما ذكرته اعلاه لم يكن اكثر من امثلة عن المجالس العلمية التي كان عقدها الاشراف, والا فكافة علماء آل البيت كانت لهم مجالس علمية, كما انها تنوعت في محتواها العلمي لإتقانهم اغلب العلوم, الا اني اقتصرت على ذلك منعاً للتكرار بين الفصول لاسيما ان اغلبها سوف تذكر في الفصل الرابع .

ثانياً: المجالس العلمية الخاصة

لقد كانت هذهِ المجالس مخصصة لبعض الاشخاص دون غيرهم, فأن معظم الاشراف كانوا متصوفة, وهذا جعلهم يتجهون الى التفريق بين العلم بمعناه العام وبين المعرفة بمعناها الخاص, اذ يعد المتصوفة العلم مباح للجميع بوسائله العادية الأكتسابية, فهو منسوب الى الانسان وهو ما عقد له المجالس العامة, اما المعرفة فهي مقصورة على فئة خاصة وهي هبة إلاهية لا يصلها الا القليل, والاساس في تحقيق هذهِ المعرفة هو ازالة الحواجز التي تحول بين الأنسان وبين ادراك حقائق الأشياء[1], وهذا لا يتحقق الا بثلاثة أوجهه وهي :

1. تحصيل جميع العلوم واخذ الحظ الاوفر من اكثرها .
2. الرياضة الصادقة والمراقبة الصحيحة, فأن النبي (ρ) اشار الى هذهِ الحقيقة فقال: " من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم "[2], وقال (ρ): « من أخلص لله العبادة أربعين يوما، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه »[3] .

([1]) جلودي, سارة بنت عبد المحسن بن عبد الله, نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الاسلام, دار المنارة للنشر والتوزيع, (جدة, 1991م), ص191- 193.

([2]) ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، (ت:795هـ/1393م)، جامع العلوم والحكم، دار المعرفة، (بيروت، 1408هـ)، ص242 .

([3]) المروزي، الزهد والرقائق، ص359، رقم (759)؛ ابن ابي شيبة، المصنف، ج7، ص80، رقم (34344) .

3. التفكير فإن النفس اذا تعلمت وارتاضت بالعلم, ثم تتفكر في معلوماتها بشروط التفكر, يصبح عالماً كاملاً عاقلاً ملهماً ومؤيداً[1], كما قال (ρ) « تفكر ساعة خير من قيام ليلة »[2] .

من هذا المنطلق لاحظ بعض علماء الأشراف ان هناك عدداً من تلامذتهم من هم بحاجة الى الوصول للمعرفة بعد ان اكتسابهم للعلم الذي يؤهلهم لذلك, لذا خصوهم بالعناية والاهتمام وجعلوهم ملازمين لهم في معظم اوقاتهم ومن هؤلاء العلماء القطب الشريف عبد السلام بن مشيش الحسني الذي كان دائم الدعاء بأن يهيئ الله له من ينقل ما لديه من علم ومعرفة الى المشرق, ومن دعائه في ذلك قوله: " اسمع ندائي بما سمعت بهِ نداء عبدك زكريا "[3], الى ان سخر الله له احد الطلاب النجباء وهو الشريف ابو الحسن علي الشاذلي الذي جال البلدان غرباً وشرقاً في سبيل اكتساب العلم, فوجد بهِ الشريف ابن مشيش ضالته المنشودة فخصه بالاهتمام والعلم والمعرفة, وبقي التلميذ الى جانب شيخه يتأسى بسلوكياته ويراه عن قرب ويستمع الى نصائحه ويحفظ علمه ومعرفته ويضعها نصب عينيه[4], الى ان تمكن الشيخ الشريف ابن مشيش من غرس بذور علمه ومعرفته والسلوكيات الصحيحة للقطب المرتقب الذي سوف ينقل العلوم والمعارف من المغرب الى المشرق وبالعكس, الى ان اصبح على قدر تحمل المسؤولية رسم له الشريف ابن مشيش طريقه ليحمل هذهِ الامانة العلمية من بلاد المغرب الى بلاد المشرق، فحمل

([1]) الغزالي, محمد بن محمد, (ت: 505هـ/1111م), القصور العوالي الرسالة الدنية, تحقيق: محمد مصطفى ابو العلا, نشر: مكتبة الجندي, (القاهرة, د.ت), ج1, ص122؛ جلودي, نظرية الاتصال, ص193.

([2]) ابن ابي شيبة، المصنف، ج7، ص190، رقم (35223)؛ ابن حنبل، الزهد، تحقيق: يحيى بن محمد سوس، دار ابن رجب، ط3، (د.م، 2003م)، ص262، رقم (750).

([3]) اللهيوي, حصى السلام, ص437؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص126.

([4]) ينظر: ابن الصباغ, درة الاسرار, ص25- 26؛ ابن عجيبة, شرح صلاة القطب, ص11-12؛ النبهاني, جامع كرامات الاولياء, ج2, ص168؛ التليدي, المطرب, ص94- 95؛ محمود, القطب الشهيد, 35؛ الادريسي, الليهوي, حصن السلام, ص437, مصابيح البشرية, ص126؛ غريب, ابو الحسن, ص14-15؛ كنون, النبوغ المغربي, ج1, ص152.

الشريف ابو الحسن علي الشاذلي الرسالة الصوفية واتجه الى شاذلة بالقرب من تونس وقضى بها شطراً من الزمن ونشر فيها من العلم الكثير نفع بهِ الناس واصبح له مريدون كثر, ومن ثم اتجه بعدها الى المشرق فدخل مصر وظهر هناك علمه حتى اصبح قطب الزمان آنذاك قصده اهل العلم من كل صوب وحدب ليغترفوا من علمه, واسس الطريقة الشاذلية التي انتشرت في المغرب والمشرق على السواء[1], وطريقته هذه تنسب الى شيخه الشريف عبد السلام بن مشيش, والشريف ابن مشيش اخذها عن الشيخ عبد الرحمن المدني ثم واحداً عن واحد الى الامام الحسن بن علي بن ابي طالب (∃)[2].

كما خص الشريف ابو الحسن علي الشاذلي احد تلامذته بما خصه بهِ شيخه الشريف ابن مشيش الحسني, وذلك بعد عودته من المشرق الى تونس في رحلته الثانية، اذ حضر مجلسه احد التلاميذ القادمين اليه من الاندلس وهو ابو العباس احمد بن عمر الاندلسي، والتقى به في تونس سنة (640هـ/1242م) فوجد بهِ الشريف من الذكاء والنباهة ما يميزه عن اقرانه, فالتزمه الشريف واخذه الى جانبه ورباه على الاصول العلمية الصحيحة[3], حتى انه كان يقول: " ما ردني لتونس الا هذا الشاب "[4], تعبيراً عن حبه له واعجابه بعلمه وما يمتلكه من قدرة على الحفظ والتعلم, فأصطحبه معه في رحلته الاخيرة الى مصر, ولم يفترق عنه حتى وفاته سنة (656هـ/1258م), فكان ابو العباس الذي اصبح يعرف بمصر بـ(ابو العباس المرسي) خليفة الشريف الشاذلي بالعلم[5]، وكان يقول في علمهم وطريقتهم: "

([1]) ابن الصباغ, درة الاسرار, ص25– 26؛ ابن عجيبة, شرح صلاة القطب, ص11–12؛ محمود, القطب الشهيد, 35؛ الادريسي, الليهوي, حصن السلام, ص437, مصابيح البشرية, ص126؛ غريب, ابو الحسن, ص14–15؛ كنون, النبوغ المغربي, ج1, ص152.

([2]) ابن عطاء، لطائف المنن, ص8.

([3]) ابن الصباغ, درة الاسرار, ص31, الادريسي, مصابيح البشرية, ص127؛ محمود, المدرسة الشاذلية، ص 45 .

([4]) ابن الصباغ, درة الاسرار, ص31؛ محمود, المدرسة الشاذلية, ص45.

([5]) ابن الصباغ, درة الاسرار, ص31, الكوهن، طبقات الشاذلية، ص51؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص127؛ محمود, المدرسة الشاذلية، ص 45 .

طريقتنا هذهِ لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة بل واحد عن واحد الى الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو اول الاقطاب "[1] .

كما كان للفقيه ابو محمد عبد الله الشريف مجالس خاصة يحضر له بها خواص من الطلبة يلتمسون منه المنفعة العلمية والمعرفة العالية ويلتمسون بركته، فيجدون منه المنفعة ويجنون منه احسن الجنى[2] .

مما سبق يتضح لنا مدى اهمية عقد هذهِ المجالس, فقد اصبح كل من الشريف الشاذلي, وابو العباس المرسي من كبار العلماء وتتلمذ على يدهم اهل العلم, وافادوا الثقافة الاسلامية بثراء علمي زاخر في مختلف الجوانب العلمية من تعليم وتأليف وتأسيس مدارس وغيرها نتيجة عناية واهتمام شيوخهم بهم .

ثالثاً: مجالس المناظرة

لغة: المناظرة مصدر (ناظر), و(التناظر) الترويض في الامر, و(ناظره) صار نظيرا له، وناظر فلانٌ بفلان جملة نظيره, و(تناظرا) تقابلا, و(المناظرة): ان تناظر اخاك في امرا اذا نظرتما فيه معا تأتيانه[3].

واصطلاحا: هو ابطال قول الخصم بما يدل على بطلانه، واثبات الحق بالدليل[4] وقيل: هي المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وابطال قول الاخر, مع رغبة كل منهما في إظهار الحق, اي

---

(1) ابن عطاء, لطائف المنن, ص88.

(2) الغبريني، عنوان الدراية، ص195 .

(3) ابن منظور, لسان العرب, ج5, ص215, مادة (نظر)؛ الفيروز ابادي, القاموس المحيط, ص484, مادة (النظرة)؛ الزبيدي, تاج العروس, ج14, ص249, مادة (نظر).

(4) البريكان, ابراهيم بن محمد بن عبد الله, تعريف الخلف بمنهج السلف, دار ابن الجوزي, (بيروت،1997م), ص210.

مشاركتهما بالنظر الذي هو يؤدي إلى علم واغلب الظن ليظهر الصواب[1]، والاصل في مشروعيتها قوله تعالى: **(وَجَادِلْهم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)**[2] .

اما الغاية من المناظرة " فقد وضعت لكشف الحق, وافادة العالم الاذكى العلم لمن دونه وتنبيه الاغفل الاضعف "[3]، أي: أن القصد منها النصح واظهار الحق وليس للمغالبة، وفي هذا قال ابن الجوزي[4]: " ان المجادلة انما وضعت ليستبين الصواب وقد كان مقصود السلف المناصحة بإظهار الحق وقد كانوا ينتقلون من دليل إلى دليل واذا خفي على احدهم شيء ينبهه الاخر لأن المقصود كان اظهار الحق ".

كان لعلماء آل البيت العلوي اثر كبير في الحياة الثقافية من خلال عقدهم المجالس للنقاش والتحاور العلمي, وقد برز في ميدان المناظرة علماء كثير تميزوا بقدراتهم العلمية في المناظرة كالفقيه ابو العباس الشريف فهو من علماء آل البيت العلوي المشهورين بالطرق الجدلية والرد على المخالفين من اهل البدع[5]، اذ كان عالماً بجدل على طريقة ابو حامد العميدي[6] (ت:615هـ/1218م)، الفقيه الحنفي وهو اماماً في فن الجدل والخلاف له عدة مصنفات بهذا الباب[7]، وقد كان الشريف عالماً بجدل العميد محكماً له وباحثا فيه[8] .

([1]) الشنقطي, محمد الامين بن محمد المختار (ت:1393هـ/1973م), اداب البحث والمناظرة, تحقيق: سعود بن عبد العزيز, دار عالم الفوائد, (جدة، د.ت), ص139.

([2]) سورة النحل, اية 125.

([3]) الزرقاني, محمد بن عبد الباقي (ت:1122هـ/1710م), شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية, دار الكتب العلمية,(بيروت،1996م), مج7, ص470.

([4]) تلبيس ابليس, ص108؛ وينظر: السدحان, معالم في طريق طلب العلم, ص239-240.

([5]) الغبريني، عنوان الدراية، ص184 .

([6]) وهو ركن الدين محمد بن محمد بن محمد العميدي، ويكنى بـ (أبو حامد)، من اهل سمرقند كان فقيه إمام في فن الخلاف والجدل من مؤلفاته كتاب (النفائس)، وكتاب (الطريقة العميدية) وغيرها، وتوفي في بخارى؛ ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج4، ص257؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج22، ص76؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص214 .

([7]) أبو العون، محمد بن احمد بن سالم، (ت:1188هـ/1774م)، لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين، ط2، (دمشق،1982م)، ج1، ص23؛ التميمي، محمد بن خليفة، مقالة التعطيل والجعد بن درهم، دار اضواء السلف، (الرياض،1418هـ)، ص78.

([8]) الغبريني، عنوان الدراية، ص184 .

وكانت هذه المناظرات تعقد في مجالس العلماء وفي احيانٍ اخرى في مجلس الامير وبحضوره كما كان يشارك فيها, وغالباً ما تدور حول القضايا الهامة المتعلقة بالعلوم الدينية وما يتفرع عنها, فضلا عن الظروف السياسية التي اضفت افكاراً جديدة ساعدت على ظهور المناظرة والجدل, ومن تلك المناظرات التي برز بها دور الاشراف هي ما يتعلق بـ (الاختلافات المذهبية)، فقد كان المذهب المالكي يتمتع بالسيادة في بلاد المغرب على مستوى الطبقة الحاكمة والطبقة العامة الى ان ظهر المذهب الظاهري[1] في بلاد الاندلس في النصف الثاني من القرن(5هـ/11م)، ثم اصبح المذهب الرسمي للمغرب والاندلس معاً في ايام دولة الموحدين، وقد عرف المذهب الظاهري بتصانيفه وآرائه التي تناقض المذهب المالكي، لاسيما فيما يتعلق بمسألة (القياس) في الفقه المالكي الامر الذي قوبل بمعارضة شديدة من قبل المالكية فلم يدخروا وسيلة في سبيل الرد عليهم سواء في التأليف لكتب الردود، او بالمناظرات العلمية، وعادة ما تكون تلك المجالس بين يدي الامراء والعامة معتمدين على ما تميز به المذهب المالكي من حظوة لدى العامة[2]، ولم يكن علماء آل البيت العلوي المالكية بعيدين على مثل هكذا مجالس, ولاسيما وانهم معروفين بعلمهم الواسع وشدة بأسهم فلم يكونوا يخافوا في الحق لومة لائم[3], حريصين على مواجهة الفكرة بالفكرة والحجة بالحجة اذ نجد ان هناك عالماً بارزاً من آل البيت العلوي وهو الشيخ الفقيه ابو زكريا يحيى الزواوي الحسني وهو من فقهاء المالكية عمل على الحد

([1]) وهو مذهب قائم على الأخذ بظواهر نصوص الكتاب والسنة، ورفض التأويل والقياس والرأي، اسس هذا المذهي داود بن علي بن خلف الأصبهاني، المتوفى سنة (270هـ/883م)، وظهر بعده أبو محمد بن حزم القرطبي (ت: 456هـ/1064م) فحمل لواء المذهب وجادل عنه أشد المجادلة، فهو من حمل لواء المذهب الظاهري أصولاً وفروعاً ولولاه لما عرف هذا المذهب؛ ينظر: الكتاني، ابي محمد بن علي، وصف المحلى، د.مط، (الرياض، 1997م)، ص607.

([2]) ينظر: عبد الخالق، عادل عبد العزيز غيث، الصراع المذهبي بين المالكية والظاهرية في الاندلس وموقف ملوك الطوائف حياله ابن حزم الظاهري انمذجا، المجلة الليبية العالمية جامعة بنغازي كلية التربية المرج، العدد الثاني، مارس 2015م، ص2-3 .

([3]) كنون, النبوغ المغربي، ج1, ص123.

من انتشار مذهب الظاهرية عن طريق الرد عليهم من خلال مجالس المناظرة، وصنف كتاباً اطلق عليه اسم: (حجة الايام وقدوة الانام) في الرد على ابن حزم الاندلسي[1] (ت: 456هـ/1064م), امام الظاهرية في الاندلس والمغرب[2] .

مما اثار غضب الناس المؤيدين للظاهرية, فرفعوا القضية للخليفة[3] بمراكش, فعقد مجلس للنظر في ذلك, ولبعد المسافة ما بين مراكش وبجاية التي استقر فيها الشريف ابو زكريا الزواوي, ارسل من ينوب عنه لحضور مجلس المناظرة الذي اعده الخليفة, وهو الفقيه الشريف الفقيه عبد الكريم بن عبد الواحد الحسني، الذي واجه مخالفيه بالحجج والادلة العلمية، وخرج من مجلس المناظرة مبروراً مشكوراً منتصراً على من خالفه, وفي ذلك قال الغبريني[4]: " ولما كان من امر الفقيه ابي زكريا

([1]) وهو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، يكنى بـ (أبو محمد)، ولد بقرطبة سنة (384هـ/ 994م)، احد علماء الاندلس المعروفين على المذهب الظاهري وقد تبعه الكثير من اهل الاندلس، يقال لهم " الحزمية "، توفي في بلاد الاندلس؛ ينظر: ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن جعفر، (ت: 475هـ/1082م)، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1990م)، ج2, ص451؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء, ج18, ص184- 198؛ الزركلي, الاعلام, ج4, ص255 .

([2]) كنون, النبوغ المغربي, ج1, ص123؛ النجار, عبد المجيد, المهدي بن تومرت ابو عبد الله محمد بن عبدالله المغربي السوسي (ت: 524هـ/1129م) حياته واراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية واثره بالغرب, دار الغرب الاسلامي, (القاهر،1983م), ص473- 475.

([3]) لم تذكر المصادر التي دونت هذه الحادثة من هو الخليفة المقصود, لكن بالعودة الى كتب التاريخ ومقارنتها مع وفاة الشيخ الفقيه الزواوي (611هـ/1214م), ربما يكون احد ملوك الدولة الموحدية الذين حكموا في تلك الفترة وهم كل من محمد الناصر (595هـ/1199م), وابو يعقوب يوسف المستنصر (611هـ/1214م).

([4]) احمد بن احمد بن عبدالله, (ت:714هـ/1314م), عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابقة ببجاية, تحقيق: عادل نويهض, منشورات دار الافاق الجديدة, ط2, (بيروت, 1979م), ص274- 284؛ وينظر: ؛ كنون, النبوغ المغربي, ج1, ص123- 124؛ السملالي، الاعلام، ج8، ص170؛ النجار, المهدي بن تومرت, ص374- 375؛ بو لطيف، خضر، الفقه والتاريخ في الغرب الاسلامي مقاربات منهجية، رؤية للتوزيع والنشر، (القاهرة، 2013م)، ص194 .

الزواوي في شأن ابن حزم ما قد اشتهر, وتعصب له الناس ورفعوا القضية للخليفة بمراكش اقتضى نظر الفقيه ابي زكريا (τ), ان يتوجه عنه الفقيه ابو محمد عبد الكريم لمراكش فتوجه وحمل تأليف الفقيه ورده على ابن حزم المسمى (حجة الامام وقدوة الانام), ولما وصل حضرة مراكش استحضره امير المؤمنين بين يديه بمحضر الفقهاء وعرض تأليف الفقيه عليهم, وكان الفقيه ابو محمد عبد الكريم هو النائب في الحديث, فأحسن واجاد واطلع امير المؤمنين ومن حضر من الفقهاء على كلام الفقيه (τ) وما دله على فضله ودينه وعلمه, فكان من قول الخليفة بترك هذا الرجل على اختياره, فأن شاء لعن وان شاء سكت, وانقلب ابو محمد عبد الكريم وهو المبرور, وسعيه المشكور رضي الله عنه وارضاه " .

يتبين لنا ان الحادثة اعلاه مثلت الخلاف الذي كان قائماً بين المالكية والظاهرية, ولكن من الناحية الاخرى نجد انها قد اوضحت مدى ما كان عليه علماء لآل البيت العلوي من امكانيات علمية عالية في المناظرة مكنتهم من الانتصار على مخالفيهم بالحجج والادلة الصحيحة، ورفعت من قدرهم عند الخليفة رغم مخالفته لهم بالمذهب .

ومن تلك المناظرات ما اشار اليها ابن الصباغ عن عقد مناظرة بين الشريف ابو الحسن علي الشاذلي وعدد من المعتزلة[1] في بعض العلوم، ولما عرف عن الشريف من معرفته بطرائق الاستدلال بالقران الكريم واثبات الحجة بما يقوله بالدليل والبرهان في الرد على المخالفين تمكن من التفوق عليهم[2] .

الا انهم لم يستسلموا فدار النقاش بعد ذلك حول مذهبهم الذي اختلفوا فيه عن باقي المذاهب ولاسيما المذهب المالكي الذي كان ينتمي اليه الشريف ابو الحسن

([1]) وهم اصحاب واصل بن عطاء الغزالي (ت:131هـ/749م)، وقد عرفوا بالمعتزلة لاعتزالهم اجماع علماء المسلمين، في قولهم ان الفاسق من امة الاسلام لامؤمن ولا كافر، وقد اصبح هذا الاسم يطلق بمرور الزمن على كل من ينتمي الى قولهم، واسسوا بذلك مدرسة كلامية واسعة؛ ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص38؛ الجرجاني، التعريفات، 222 .

([2]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص42؛ المزيدي، احمد فريد، قطب المشرق والمغرب سيدي ابو الحسن الشاذلي قدس الله سره، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2017م)، ص28- 29 .

الشاذلي في عدة مسائل واهمها هي حكم (مرتكب الكبيرة)[1]، اذ يعد المالكية مرتكب الكبيرة مؤمناً فاسقاً، فكبيرته لا تخرجه من الايمان، ولا تدخله الى الكفر بل يجازى على قدر كبيرته، اما المعتزلة عدوه فاسقاً لا مؤمناً ولا كافراً مخلداً في النار الا ان عذابه يكون مخفف عما يقاسيه الكافر المطلق[2]، فناظرهم الشريف في ذلك موضحا لهم بالحق والسنة كل ما يتعلق بأمور مذهبهم، واثناء نقاشهم دخل عليهم رجلاً، ولم يسبق له ان التقى بالشريف، فبادر بسؤاله عن اسمه، وبلده، وما يستحله، فأجابه عما سأل، مضيفا ان شغله كتاب الله عز وجل، فسأله الشريف ان يقرأ عليهم ايه من القران الكريم، فقرأ قوله تعالى:(**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (79) إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (80) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (81) وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (82) وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (83) حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (84) وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ**)[3]، فأبتهج الشريف وتهلل وجهه بما سمع، اذ جاءت الآيات الكريمة رداً على موضوع المناظرة، فأشار اليهم ان لا حجة لهم بما يدعون قوله في مذهبهم بعد كلام الله عز وجل، فأذعنوا لحجة الشريف وختم

([1]) ان الكبائر نوعان بأجماع علماء المسلمين، النوع الاول: كبيرة الشرك وتدعى بالكبيرة المطلقة فهي اكبر الكبائر ويكون صاحبها مخلداً في النار باجماع المسلمين، النوع الثاني: فهي ما دون الشرك وهذه الكبار تسعة وهي: قتل النفس، الزنا، عقوق الوالدين، شهادة الزور، السحر، اكل مال الحرام، اكل الربا، التولي يوم الزحف، قذف المحصنات الغافلات المؤمنات، ينظر: الاذرعي، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي، (ت:792هـ/1390م)، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق: أحمد محمد شاكر، نشر: وكالة الطباعة والترجمة، (دمشق، د.ت)، ص206 –208 .

([2]) التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، (ت:791هـ/1389م)، شرح العقائد النسفية، (القاهرة، د.ت)، ص412؛ الاذرعي، شرح الطحاوية، ص206 –208؛ عبد الحميد، عرفان، دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية، مطبعة الرشاد، (بغداد، 1967م)، 94 –95 .

([3]) سورة النمل، اية (79– 85) .

المجلس بعد ان اقلعوا عن مذهبهم وتابوا بين يدي الشريف وعادوا الى الحق والسنة[1] .

كما كان الشريف كثير الجلوس للمناظرة روي انه كثيرا ما يعد للمناظرة مع كونه ضريرا[2]، لا سيما في العلوم الشرعية، يقول ابن الصباغ[3]: " وقد اشتغل بالعلوم الشرعية منذ صغره حتى تمكن من اتقانها وصار يناظر عليها "، فضلا عن اعداده لمجالس المناظرة في العلوم الظاهرة اذ كان متضلعاً بها جامعاً لفنونها من تفسير وحديث ونحو واصول واداب[4] .

وللشريف من العلوم ما جعله يتفوق على كل من ناظره على سبيل الجدل، وافاد منه كل من ناظره للعلم والفائدة، قال عنه السيوطي[5] واصفا علمه: " كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة وعلوم جمه، وجاء في هذا الطريق بالعجب العجاب وشرح من علم الحقيقة والاطناب " .

تعد المناظرة واحدة من اهم طرائق التعلم التي لا تأخذ الا من العالم الراسخ في العلم، لذا يقال العالم او الشيخ جلس للمناظرة عليه في علم كذا، او في كتاب كذا، وهذا النوع من المناظرات هو مرادف للمناظرة الجدلية[6]، وهو ما كانت عليه اغلب مجالس الشريف ابو الحسن الشاذلي اذ يقرأ ويشرح ويناظر تلامذته على عدة

([1]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص42؛ المزيدي، قطب المشرق والمغرب، ص28- 29 .

([2]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص5؛ المناوي، الكواكب الدرية، ج2، ص470؛ الكوهن, طبقات الشاذلية، ص39 .

([3]) درة الاسرار, ص5؛ وينظر: الفاسي, طبقات الشاذلية، ص39 .

([4]) ابن عطاء، لطائف المنن، ص75؛ ابن الصباغ، درة الاسرار, ص5؛ اليافعي، مراة الجنان، ج4، ص111؛ الشعراني، الطبقات الكبرى ج4، ص4؛ الكوهن, طبقات الشاذلية، ص22؛ التليدي، المطرب، ص122.

([5]) حسن المحاضرة، ج1، ص520 .

([6]) شقور، المناظرات والانشادات، ص103 .

كتب منها: كتاب (ختم الاولياء) للحكيم الترمذي[1] (ت: نحو 320هـ/932م)، وكتاب (المواقف والمخاطبات) لمحمد النفري[2] (ت: 354هـ/965م)، وكتاب (قوت القلوب) لأبو طالب المكي[3] (ت:386هـ/996م)، وكذلك كتاب (الاحياء) للغزالي[4]

([1]) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذي ، يكنى بـ (أبو عبد الله)، من أهل مدينة ترمذ، من علماء الحديث وأصول الدين، باحث متصوف، نفي من مدينته بسبب تصنيفه كتابا خالف فيه ما عليه أهلها، فشهدوا عليه بالكفر، من مصنفاته كتاب (نوادر الأصول في أحاديث الرسول)، و (الفروق)، و(الرياضة وأدب النفس)، (المسائل المكنونة) وغيرها؛ ينظر: السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، (ت:771هـ/1370م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، (بيروت، 1413هـ)، ج2، ص245؛ الادنة وي، احمد بن محمد، (ت: ق11هـ/17م)، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، نشر: مكتبة العلوم والحكم، (السعودية، 1997م)، ص56؛ الزركلي، الاعلام، ج6، ص272 –273.

([2]) هو محمد بن عبد الجبار بن الحسن، يكنى بـ (أبو عبد الله)، عراقي الاصل من اهل بلدة (نفّر) تقع بين الكوفة والبصرة، عرف نسبة اليها بـ (النفري)، عالم فقيه متصوف، من مصنفاته كتاب (المواقف)، و(المخاطبات)، وغيرها؛ ينظر: الشعراني، الطبقات الكبرى، ج1، ص171؛ الزركلي، الاعلام، ج6، ص184 .

([3]) هو محمد بن علي بن عطية الحارثي، عراقي الاصل نشأ وتعلم واشتهر بمكة، عالم، فقيه، وواعظ، متصوف زاهد، رحل من مكة إلى البصرة فاتهم هناك بالاعتزال، تركها وسكن بغداد وكانت له بها مجالس وعظ ، له مصنفات منها: (قوت القلوب)، و(علم القلوب)، و(أربعون حديثا)، توفي ببغداد؛ ينظر: الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، (ت:463هـ/ 1073م)، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، 2002م)، ج4، ص151؛ ابن حجر، لسان الميزان، ج5، ص300 .

([4]) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن إسماعيل أبو حامد الطوسي، يكنى بـ (أبو حامد)، ولد سنة (450هـ/1058م)، بخراسان فيلسوف، متصوف، كثير التصنيف اذ تبلغ كتبه مئتى كتاب، منها؛ ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج55، ص240؛ ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله، (ت:571هـ/1175م)، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت، 1995م)، ج55، ص240 .

(ت: 505هـ/1111م)، وهي من اكثر الكتب التي يصعب فهمها فهي تعبر عن حالات روحية عالية، كما تعد عنصر من عناصر الطرق الصوفية[1] .

ولأهمية المناظرة في الحياة العلمية عدها الشريف من الشروط الواجب توفرها في الطالب الذي يريد ان ينضم الى طريقته، اذ لا يمكن لاحدهم الدخول للطريقة الا بعد تبحره في علوم الشريعة والاتها بحيث يملك القدرة العلمية التي تمكنه ان يقطع العلماء في مجالس المناظرة بالحجج الواضحة[2] .

كما كانت لهم مناظرات مع اهل الكفر من الملحدين، والملحد: هو الشخص الذي ينكر وجود الخالق (I)، قائم على مذهب فلسفي يدعي بأن لا وجود لله عز وجل، وان الكون انما وجد بمحض الصدفة، والمادة أزلية خالدة أبدية ولا يوجد مخلوقات انما هي طبيعة كونية تتجدد بفعل قوانين المادة التي هي الخالقة وهي المخلوقة، وستنتهي ايضا بفعل المادة[3]، وقد اطلق الحق (I) على من انكر وجود الله بالدهرية، قال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ** ﴾[4]، وقد اجاد العلماء بالرد عليهم متخذين من قوله تعالى: ﴿ **فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا** ﴾[5]، دليل مشروعية لمناظرتهم والرد عليهم، اذ جاءت هذه الآية الكريمة توجيها من الله (Y) لنبيه الكريم (ρ)، في محاورة بعض نماذج الكفر والنفاق ووجوب جهادهم بالحجة والدليل بلا كلل ولا فتور[6]، ومن علماء آل البيت العلوي من سلك طريق

([1]) التمسماني, الامام مولاي عبد السلام بن مشيش وترجمته بعض اقواله، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2013م)، ص58 .

([2]) اليافعي، مراة الجنان، ج4، ص107، 111؛ التمسماني, الامام مولاي عبد السلام بن مشيش، ص58 .

([3]) الجهني، مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة، نشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والطباعة والتوزيع، ط4، (الرياض، 1420هـ)، مج2، ص803 .

([4]) سورة الجاثية، اية (24) .

([5]) سورة الفرقان، اية (52) .

([6]) ابن ابي حاتم، تفسير القران، ج8، ص2707 .

الرد على اهل الحاد وعرف بتصديه لهم الفقيه ابو محمد عبد الله الشريف وهو من علماء الكلام وعلوم الدين، قوي الحجة في الرد على الملحدين بالأدلة والبراهين، يقول الغبريني[1] في ذلك: كان ذو " فكر مطاع، يميط شبه الملحدين، ويثبت صور الحق بواضح البراهين " .

فقد كانت الاهداف المرجوة والغاية الاساسية من عقد مجالس المناظرة هي الدرس والافادة العلمية، الا ان مجالس الاشراف قد شهدت مناظرات اخرى عكستها طبيعة الظروف السياسية للبلاد، حيث اتخذوا من المناظرات طريقة للدفاع عن العقيدة الاسلامية والوقوف بوجه اهل البدع، فقد قام الشريف عبد السلام بن مشيش بمناظرة المدعي ابن ابي الطواجن في مسألة ادعائه النبوة بعد خروجه ثائرا على سلطة الوحدين في المغرب، وقد حمل عليه بالقول والعلم حملات شعواء، اثبت من خلال زيفه وكذبه[2] .

مما سبق يتضح اهمية مجالس المناظرة واثرها في الحياة الثقافية، فعن طريق المجالس اضيفت كتب مهمة في الرد على المخالفين هذا غير الدروس العلمية المستفادة منها، فمن خلال المناظرة اكتسب المتناظرين فوائد استثنائية في مختلف المجالات ولاسيما التعلم اذ يتمكن الطالب من خلال هذه المجالس ان يحظى بمهارات عالية في البحث العلمي عن طريق معرفتهم استخدام الحجج والادلة الصحيحة في الوقت المناسب، فتصقل مهاراتهم في فنون الرد ويصبح لديهم اسلوب خطابي جذاب ومقنع للطرف المناظر، وهذه الاساليب لا يمكنهم تعلمها في اي مجلس اخر .

رابعاً: مجالس المذاكرة

([1]) عنوان الدراية، ص195 .

([2]) محمود، القطب الشهيد، ص34 .

لغةً: ذَكَرَ يَذْكر وذُكْراً وذكرى وتَذكاراً, فهو ذاكِر, والمفعول مذكور, و(الذكر) ذكره يذكِره ذكْرْاً وذكراً[1]، يقال: ذِكراً وذُكْراً, في الكسر له معنيان: احدهما: التلفظ بالشيء, والثاني: احضاره في الذهن بحيث لا يغيب عنه وهو ضد النسيان وبالضم للمعنى الثاني لا غير[2]، وللذال والكاف والراء اصلان: فالمذكر التي ولدت ذكرا ... والاصل الاخر: ذكرت الشيء خلاف نسيته, ثم حمل عليه الذكر باللسان, ويقولون: اجعله منك ذُكْراً –بضم الذال – أي لا تنسه[3] .

اما اصطلاحاً: فهي المجالس التي يجتمع بها المحدثون لا لقصد الرواية والسماع وانما لقصد مراجعة محفوظهم, او لأفادة بعضهم بعضا[4].

وقيل: هي مطارحات علمية ومساجلات حديثية يعرض فيها الجلساء من حفاظ الحديث وطلبته لذكر فوائد الحديث, وغرائب الاسانيد, وخفي التعليلات, ويسأل بعضهم بعضا عن ذلك ويفيد الواحد منهم الاخر ما غاب عنه[5].

وقد كان لعلماء آل البيت العلوي نصيب وافرٌ في عقد مجالس المذاكرة لقدرتهم العالية على الحفظ الجيد حتى وصفوا به فكثيرا ما يرد في تراجمهم عبارات تدلل على قدرتهم على الحفظ فهو الركيزة المعتمد عليها لنقل السنة النبوية وتبليغ الشريعة وبذلك عقدوا لمذكراتهم عدة مجالس, ومن تلك الإشارات قولهم: " كان فقيهاً

([1]) ابن منظور, لسان العرب, ج4, ص308, مادة (ذكر)؛ عمر، أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، نشر: عالم الكتب، (بيروت، 2008م), ج1, ص813, مادة (ذ ك ر) .

([2]) ابن منظور, لسان العرب, ج4, ص308, مادة (ذكر)؛ أبو البقاء، الكليات، ص456, مادة (الذكر) .

([3]) ابن فارس, معجم مقاييس اللغة, ج2, ص358, مادة (ذكر)؛ القماش, بدر محمد, المذاكرة عند المحدثين, مجلة الجامعة الاسلامية, (د.م، د.ت)، العدد 130, ص201 .

([4]) الذهبي, شرح موافظة الذهبي لتوضيح وتحرير المسائل المضمنة في كتاب الموافظة, شرح: حاتم بن عارف العوني, دار ابن الجوزي, (بيروت، 2004م), ص170 .

([5]) ابن البيع, محمد بن عبد الله بن حمدوية، (ت:405هـ/1015م), معرفة علوم الحديث, تحقيق: السيد معظم حسين, دار الكتب العلمية, ط2, (بيروت،1977م), ص140-141.

حافظاً "[1], و " كان شديد الفهم كثير الحفظ "[2], و " كان فقيهاً حافظاً للحديث ذا فصاحة وبيان "[3], و " حافظاً للحديث عارف برجاله "[4], و" كان فقيهاً اماماً عالماً محصلاً مستبحراً ... كثير الحفظ "[5], ومنها ايضاً ما قيل عن الشريف ابو عمران موسى الحسني: " كان من احفظ زمانه بالفقه والاثر"[6], وقد ورد عن عقد مجلس مذاكرة له في مدينة فاس بكتاب (صحيح البخاري) فأجاد بذلك, كما عقد له مذاكرة في القيروان على كتاب (سيبويه) في ثلاث مواضع منه, فقرأ في كل موضع منه ما يقدر بثلاثة احزاب عرضاً عن ظهر غيب[7] .

وكان الشريف ابو الحسن علي بن خليل المسفر الحسني شيخاً جليل القدر حكيماً, مصنفاً في مختلف العلوم[8], ورد انه كان له القدرة على المذاكرة في كل زمان واي مجلس ولم يمنعه من ذلك التقدم بالعمر, اذ لقيه الشيخ محي الدين بن عربي[9] (ت:638هـ/1240م) في سبتة وعقد معه مجلس للمذاكرة وهو في سن

([1]) ابن ابي زرع, الانيس المطرب, ص80.

([2]) ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج1و ص315؛ وينظر: السملالي, الاعلام بمن حل مراكشو ج4, ص229.

([3]) الناصري, الاستقصا, ج1, ص237.

([4]) ابن الابار, التكملة لكتاب الصلة, ج1, ص201؛ وينظر: نويهض, معجم اعلام الجزائر, ص68.

([5]) ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج1, ص125؛ وينظر: التنبكتي, نيل الابتهاج, ج1, ص379؛ السملالي, الاعلام, ج4, ص229.

([6]) ابن القاضي, درة الحجال, ج3, ص3.

([7]) ابن القاضي, درة الحجال, ج3, ص3-4.

([8]) كنون, ذكريات مشاهير رجال المغرب, ج1, ص277؛ كنون, النبوغ المغربي, ج1, ص156.

([9]) وهو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الاندلسي، يكنى بـ (أبو بكر)، ويعرف . (محي الدين ابن عربي)، ولد سنة (560هـ/1165م)، بمدينة مرسية سمع بها من ابن بشكوال، وسمع ببغداد ومكة ودمشق، له تصانيف عديدة في التصوف منها كتاب (الفتوحات المكية) و(فصوص الحكم) و(مشاهد الأسرار القدسية)؛ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص134؛ درنيقة، معجم اعلام، ص377؛ الزركلي، الاعلام، ج6، ص281 .

الشيخوخة[1], وهذا دليل قدرته العالية في الحفظ التي كانت تختلف درجتها بين العلماء على مراتب متفاوتة ويظهر ذلك من خلال قدرتهم على القراءة في المجالس, ومن ذلك ما روي عن الشريف ابو زكريا يحيى الزواوي انه قرأ في مجلس واحد كتاب المسند الصحيح من احاديث الرسول (ρ), وكتاب الامام البخاري معاً[2] .

ومن علماء آل البيت العلوي الذين عرف عنهم كثرة الحفظ في مختلف فنون العلم الشريف ابو الحسن علي الشاذلي, فلم يكن يحضر مجلس الا وتطرقوا خلاله للمذاكرة للإفادة منه, مما جعله عرضة للتساؤل عن ما لديه من قدرة عالية على الحفظ التي جعلته يقوى على كل مجلس للمذاكرة, فإجابهم بقوله: " والله لقد تسألوني المسألة لا يكون عندي لها جواب فأرى الجواب مسطراً في الدواة والحصير والحائط"[3], وهذا دليل على ما يمتلكه من قوة ذاكرة حتى تجعله يقرأ ما في عقله على أنه مدون امام عينه .

واحياناً تخرج بعض هذه المجالس عن الهدف الرئيسي لها لعقده وهو الافادة العلمية لأهداف شخصية، كالمجلس الذي عقده القاضي ابن البراء بتونس للشريف ابو الحسن علي الشاذلي بعد ان شاهد التفاف الناس حوله فخاف على منصبه من الشريف –كما ذكرنا سابقا– لذا اراد تسقيطه بين الناس من خلال المذاكرة، الا ان الشريف تمكن من اثبات قوة حفظه في جميع المجالس[4] .

كما عقد له مجلس مذاكرة اخر بحضور سلطان حاضرة مدينة تونس ابو زكريا يحيى الحفصي على اثر سعاية القاضي ضده وامتحن الشريف من قبل علماء حاضرة تونس بعدة علوم كان الهدف منها معرفة حقيقة التهم الموجهة اليه من قبل ابن البراء، الا ان الشريف كان على درجة عالية من الحفظ لمختلف العلوم التي

([1]) كنون، النبوغ المغربي, ج1, ص156.

([2]) الغبريني, عنوان الدراية, ص129.

([3]) ابن عطاء, لطائف المنن, ص76؛ التليدي, المطرب, ص124.

([4]) محمود، المدرسة الشاذلية، ص38؛ غريب، ابو الحسن الشاذلي، ص17 –18.

وجهت لـه حتـى تعجـب السـلطان والعلمـاء مـن قـوة حفظـه[1]، قـال فـي ذلـك ابـن الصبـاغ[2]: " وتحـدثوا معـه فـي العلـوم كلهـا فأفـاض علـيهم بعلـوم أسكتهم بهـا، فمـا استطاعوا أن يجاوبوه عنها من العلوم الموهوبـة، والشيخ يتكلم معهم بـالعلوم المكتسبة ويشاركهم فيها " .

كما كـان يتم عن طريـق المذاكرة اختبـار وتحديد درجـة العلـم التـي قد بلغهـا العـالم, وفـي مثل ذلـك مـا روي عن عقد مجلس للمذاكرة فـي (رسـالة القشيري), وقد حضر المجلس كبار العلماء آنذاك كالشيخ عز الدين بن عبد السلام, والشيخ محي الدين بن سراقة والشيخ محي الدين اللخمي والشريف ابو الحسن علي الشاذلي, وبادر جميع من حضر للقراءة والكلام في موضـع المذاكرة, الا الشريف ابو الحسن وجلس صـامتا ادبـاً منـه للعلمـاء الحاضـرين، ومـا ان فرغـوا مـن مـذاكرتهم، سـألوه ان يسـمعوا منـه, فأجابهم بأنهم سادات الوقت وكبراؤه وبأنهم اجادوا الحـديث بمـا يكفـي, غيـر انهـم لم يقبلـوا الا ان يسمعوا منـه, فسكت الشريف, ثم قرأ عليهم, وتكلم بـالأسرار العجيبـة والعلـوم الجليـة, فلمـا رآى الشـيخ عـز الـدين قـوة حفظـه وقدرتـه العلميـة علـى الشـرح والتفسير والتكلم بمختلف العلوم, وثب قائمـاً علـى قدميه وخرج مـن صـدرِ الخيمـة[3], قائلاً: " اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله "[4] .

مما سبق يتبين مدى مقدرة علماء آل البيت العلوي العلمية التـي جعلت منهم صرحاً للعلم والمعرفة قصدها الطلبة للنهل من علومهم .

([1]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص28؛ محمود، المدرسة الشاذلية، ص40؛ غريب، ابو الحسن الشاذلي، ص17 -18. .

([2]) درة الاسرار، ص28؛ وينظر: محمود، المدرسة الشاذلية، ص39 .

([3]) ابـن عطـاء, لطـائف المـنن, ص76؛ السـيوطي حسـن المحاضـرة, ج1, ص108- 109؛ التليدي, المطرب, ص124.

([4]) ابن عطاء, لطائف المنن, ص76؛ التليدي, المطرب, ص124.

الفصل الرابع

اثر ودور ال البيت العلوي في الحياة العلمية

لقد كان لعلماء آل البيت العلوي اسهامات كبيرة في ازدهار الحياة العلمية في بلاد المغرب بصورة واضحة ومميزة من خلال مشاركتهم في جل العلوم الإنسانية، لاسيما العلوم الدينية من علوم القرآن والحديث والفقه والاصول والتصوف التي برعوا فيها وغيرها من العلوم الانسانية كعلوم اللغة والعربية والنحو الادب وعلم التاريخ والجغرافية، هذا فضلاً عن اشتغالهم بالعلوم الطبيعية كالطب والصيدلة والكيمياء، فإن اسهاماتهم بهذه العلوم كانت اضافة جديدة في ازدهار نشاط الحياة العلمية في البلاد، اذ لا يمكن دراسة ثقافة اي بلد دون التطرق الى العلوم التي اتقنها علمائها ومعرفة مراكزها العلمية، وسوف أقوم بالتعريف بهذه العلوم وبيان علماء آل البيت العلوي الذين عملوا بها على ضوء الفترة الزمنية المحددة للدراسة على النحو الاتي :

المبحث الاول

اثرهم في مجال العلوم الدينية

لقد عني علماء آل البيت العلوي عناية فائقة بالعلوم الدينية وظهر فيهم علماء مشهورين برعوا في هذه العلوم وصنفوا التصانيف الكثيرة، وفي مقدمتها علوم القرآن الكريم وعلم الحديث النبوي الشريف وعلم الفقه وأصوله وما تفرع عنها من علوم .

اولاً: علوم القرآن الكريم

لقد كان وما زال القران الكريم المصدر الاول للعلم، وقد برز جمع كبير من العلماء الذين اهتموا بدراسته وتدريسه على مر العصور متمثلين بقول النبي (ρ): « خَيْرُكُمْ مَنْ عَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَه »[1]، اذ يعد هذا الحديث الشريف دافعاً قوياً لتحفيز المسلمين على تعلم القران الكريم، والغوص في اسرار علومه الذي به تملئ القلوب بشراً ويبعث القرائح عبيراً ويحي القلوب بأوراده لهذا اسماه الله (I) روحاً لأنه يؤدي الى حياة الابد ولولا الروح لمات الجسد وقد تفرعت عن دراسة القرآن الكريم علوم عدة كالقراءات[2] وتجويدها[3] واحكامه،

([1]) البخاري، الصحيح، ج6، ص192، رقم (5027)؛ الترمذي، الجامع الكبير، ج5، ص25، رقم (2909) .

([2]) هو علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريقة ادائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله؛ ينظر: ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية،(بيروت،1999م)، ص9؛ القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة في طريقي الشاطبية والدرة– القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، دار الكتاب العربي،(بيروت، د. ت)، ص7؛ السندي، عبد القيوم عبد الغفور، صفحات في علوم القراءات، المكتبة الآمدية،(د. م,1415هـ)، ص9.

(3) يعرف التجويد هو اعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها، ورد الحرف من حروف المعجم الى مخرجه وأصله والحاقه بنظيره وشكله واشباع لفظه، وتمكن النطق به على حال صيغته وهيئته من غير اسراف ولا تعسف، ولا افراط ولا تكلف؛ ينظر: أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان (ت:444هـ/1052م)، التجديد في اتقان التجويد، تحقيق: غانم قدوري حمد، دار الانبار، (بغداد،1988م)، ص70؛ ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: علي حسين البواب، نشر: مكتبة المعارف، (الرياض،1985م)، ص47 .

والناسخ والمنسوخ[1]، والتفسير[2]، واعجاز القرآن، وغيرها من العلوم الاخرى المتفرعة عنه، وقد فهرسها العلماء الى سبع واربعين نوعاً من العلوم[3] .

وقد عني علماء آل البيت العلوي بصورة كبيرة بعلوم القران ولاسيما علم القراءات السبعة والبحث في الفاظ القران الكريم، ومنشأ هذا العلم هو اختلاف اللهجات بين الناس وكيفية تلفظ الحروف، فضلاً عن الاختلاف في طرق الاداء[4], وقد قرأ الصحابة عن الرسول (ρ) سبعة احرف, واشتهرت عنهم الى غيرهم, فاختصت تلك القراءات بأصحابها الذين اشتهروا برواياتها من بين القراء الاخرين فأصبحت هذه القراءات أصولاً للقراءة وذاعت بين المسلمين[5]، وعرفوا بالأمانة ودقة الضبط والعدل والصلاح .

وأشهر هؤلاء القراء السبعة الذين عرفت قراءتهم بالسبعة المتواترة المقطوع بصحتها وثوبت سندها الى النبي (ρ) هم: عبد الله بن عامر[6](ت:118هـ/736م)،

---

(1) هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر، فالحكم المرفوع يسمى (المنسوخ)، والدليل الرافع يسمى(الناسخ) فعملية النسخ تقتضي منسوخاً وهو الحكم الذي كان مقرراً سابقاً وتقتضي ناسخاً، وهو الدليل الاحق؛ ينظر: ابن قتادة، قتادة بن دعامة بن عزيز(ت:117هـ/735م)، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: حاتم صالح الضمان، مؤسسة الرسالة، ط3،(بيروت،1998م)، ص6.

(2) هو علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والاسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وامرها ونهيها، وعبرها وامثالها؛ ينظر: السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، الهيئة المصرية العامة، (القاهرة،1974م)، ج4، ص194.

(3) السيوطي، الاتقان في علوم القران, ج1, ص24– 27.

(4) ابن خلدون, المقدمة, ج2, ص173– 174؛ البشري, الحياة العلمية, ص192؛ القطان, مناع خليل, مباحث في علوم القران, نشر مكتبة المعارف, (الرياض, 1981م), ص172.

(5) ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص173–174؛ البشري، الحياة العلمية، ص183.

(6) بن زيه أبو عمران اليمجي الشامي احد القراء السبعة، ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك ولد في البلقاء في قرية رحاب سنة (8هـ/629م) وانتقل الى دمشق، بعد فتحها، وتوفي فيها؛ أبو عمرو الداني، التيسير في القراءات السبع، تحقيق: اوتوتريزل، دار الكتاب العربي، ط2،(بيروت،1984م)، ص5؛ الزركلي، الاعلام، ج4، ص95.

وعبد الله بن كثير[1] (ت:120هـ/737م)، وعاصم بن أبي النجود (ت:127هـ/744م)، وأبو عمرو بن العلاء[2] (ت:154هـ/770م) وقيل: (156هـ/772م) وحمزة بن حبيب[3] (ت:156هـ/772م)، وعلي بن حمزة الكسائي[4] (ت:189هـ/804م)، ونافع المدني[5] (ت199هـ/814م) .

([1]) الداري المكي، أبو معبد احد القراء السبعة، كان قاضي الجماعة بمكة وكانت حرفته العطارة، ويسمون العطار (دارياً) فعرف (بالداري) وهو فارسي الاصل، ولد في مكة سنة(45هـ/665م)، وتوفي فيها؛ أبو عمرو الداني، التيسير في القراءات، ص4؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، مج3، ص41.

([2]) وهو زبان بن عمار التميمي المازني، البصري، أبو عمرو ويلقب أبوه بالعلاء، من ائمة اللغة والادب، واحد القراء السبعة، ولد بمكة سنة (70هـ/689م) ونشأ بالبصرة، توفي فيها؛ صلاح الدين، فوات الوفيات، ج2، ص28؛ السيوطي، المزهر في علوم اللغة وانواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية،(بيروت، 1998م)، ج2، ص357-358 .

([3]) ابن عمارة بن اسماعيل التيمي، الزيات، احد القراء السبعة، كان من موالي التيم فنسب اليهم، كان عالماً بالقراءات ولد سنة (80هـ/699م)، قال عنه الثوري، ما قرأ حمزة حرفاً من كتاب الله إلا بأثر؛ ينظر: الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، (بيروت، د.ت)، ج1، ص605؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج13، ص105 .

([4]) ابن عبد الله الاسدي بالولاء، الكوفي أبو الحسن الكسائي، امام في اللغة والنحو والقراءة، من أهل الكوفة، ولد في احدى قراها، وتعلم بها وله تصانيف منها (معاني القرآن) و(المصادر) و(الحروف) و(القراءات) وغيرها؛ ينظر: الانباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله (ت:577هـ/1182م)، نزهة الالباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار الزرقاء، ط3، (الاردن ،1985م)، ص85؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مج3، ص295؛ ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج17، ص275.

([5]) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم، الليثي بالولاء المدني احد القراء السبعة المشهورين، أصله من اصبهان واشتهر بالمدينة وانتهت إليه رياسة القراءة فيها واقرأ الناس نيفاً وسبعين سنة؛ ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية، ج2، ص330؛ الزركلي، الأعلام، ج8، ص5.

وقد برزت قبيلة بني عروس وهم من الاشراف الحسنين العلميين بكثرة حفظة القران الكريم وقرائه، ومنهم كان الشريف عبد السلام بن مشيش الذي حفظ القران بالروايات السبع ورتله في سن مبكر لم يتجاوز الثانية عشر عاماً[1] .

ومن الاشراف الذي عملوا على دراسة القران الكريم وتضلعوا بعلومه حتى عدوا من كبار علماء عصرهم الشريف احمد بن محمد الحسني فقد كان من اشهر اهل سبتة في علوم القران من الائمة المجودين لكتاب الله **(Y)** وقارئاً بالقراءات وابصرهم بها, حافظاً لمعانيها[2], وقد لقن هذه العلوم الى العديد من تلاميذه اذ كان قائماً على تعليم علوم القران المختلفة خير قيام, ومجالسه العلمية حافلة بالتلاميذ الذين لم يتوانوا عن ترك اي فرصة للأخذ من فيض علمه, وبذلك يصفه السبتي[3] بقوله: هو" الشيخ الاستاذ المقرئ الشريف الاشرف الصالح المعظم" .

كما كان الشريف ابو القاسم بن عبد الرحمن الحسني من العلماء البارزين في علم القراءات اخذها عن الشيخ ابو الحسن ابن القطان وله اجازة بذلك[4] .

ومن الاشراف الذين تفننوا في دراسة القران الكريم وتدريسه واجادوا فيها الشريف الفقيه ابو زكريا يحيى الزواوي كان عالماً بالقراءات ومفسراً لكلام الله (Y), جلس للأقراء ببجاية, وكانت مجالسه حافلة بالناس للاستماع لقراءته وقد رتب له ميعاداً للتفسير والاقراء بعد صلاة الظهر ويأتي اليه الناس من كل صوب وحدب لسماع عذوبة تلاوته, وحسن تفسيره, وعادة ما تزداد الحشود على مجالسه في شهر رمضان[5] .

([1]) الادريسي, المصابيح البشرية, ص123؛ التليدي، المطرب بمشاهير اولياء المغرب، العمراني, الجواهر الباهرة, ص138.

([2]) السبتي, محمد بن القائم, (ت: ق8هـ/14م), اختصار الاخبار عما كان بثغر سبتة من سني الأثار, تحقيق: عبد الوهاب بن منصور, د.مط, ط2, (الرباط, 1983م), ص15؛ ابن القاضي, درة الحجال، ج1, ص28؛ منصور, اعلام المغرب العربي, ج4, ص287- 288.

([3]) اختصار الاخبار, ص15؛ وينظر: منصور, اعلام المغرب العربي, ص4, ص288.

([4]) السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج1، ص378 .

([5]) ابن الزيات, التشوق, 447؛ الغيريني, عنوان الدراية, ص128.

وكذلك كان الشريف ابي عبد الله محمد بن امغار الذي اسهم في نشاط الدراسات القرانية من خلال تدريسه لعلم القراءات، اذ كان احد كبار علماء عصره بها مجيداً بفنونها وقد تتلمذ عليه الكثير واصبح تلامذته من كبار العلماء مثل الشيخ ابو محمد صالح الماجري[1] .

كما ظهر علماء اجادوا في مختلف علومه اكتساباً وعطاءاً وتأليفاً, كالشريف ادريس بن ادريس الحسني روي انه كان عالماً عاملاً بكتاب الله سبحانه وتعالى قائماً بحدوده[2]، ومثله كان الشريف محمد بن يوسف الدرقاوي عالماً عاملاً حافظاً للقران الكريم روي عنه كان يختم القران الكريم كل يوم[3] .

وممن اشتهر ببراعته بعلوم القران الشريف ابو الحسن علي الشاذلي فهو اهم من اسهم في انتشار فنونه من خلال التدريس، اذ عقد مجالس لأقراء وتفسير القران الكريم فكتظت مجالسه بالناس وطلبة العلم[4], ومن بين الكتب التي يقرأها عليهم في التفسير هو كتاب (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) للأمام ابن عطية الغرناطي[5] (ت:542هـ/1148م) وهو من الكتب التي اثني عليها اهل العلم وعده من اجل ما صنف في علم التفسير وافضل ما تعرض للتنقيح فيه والتحرير[6] .

([1]) القشتالي، احمد بن ابراهيم بن يحيى، تحفة المغترب ببلاد المغرب لمن له من الاخوان في كرامات الشيخ ابي مروان، تحقيق: فرناندو دي لارنخا، د.مط، (مدريد،1974م)، ص20 .

([2]) ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج1, ص161؛ اللهيوي, حصن السلام, ص171؛ العمراني, الجواهر الباهرة, ص131؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج1, ص259.

([3]) الفاسي المغربي, طبقات الشاذلية, ص187؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص225؛

([4]) الفاسي المغربي, طبقات الشاذلية, ص39.

([5]) وهو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عبد الرؤوف بن عبد الله بن تمام بن عطية بن مالك بن عطية بن خالد بن خفاف بن غالب بن عطية الغرناطي، يكنى بـ (ابو محمد)، فقيه ومفسر عارف بالأحكام والحديث وأديب نحوي شاعر بليغ، له عدة مصنفات، كما تولى قضاء مدينة المرية، وتوفي بلورقة؛ ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص389؛ ابن الأبار، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، نشر: مكتبة الثقافة الدينية، (مصر، 2000م)، ص263 .

([6]) الادنة وي، احمد بن محمد، (ت: ق11هـ/ 17م)، طبقات المفسرين، تحقيق: سليمان بن صالح، مكتبة العلوم والحكم، (السعودية،1997م)، ص176 .

ثانياً: علم الحديث

عرّف علم الحديث بأنه: علم بقوانين يعرف بها احوال السند والمتن[1]، وعرفه ابن حجر[2] بنحوه إلا انه قال: (الراوي والمروي) بدلاً من (السند والمتن)، وقال: " اولى التعاريف لعلم الحديث: معرفة القواعد التي يتوصل بها الى معرفة حال الراوي والمروي " .

فإن السنة هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، ولم يكن شيء اوجب بعد كتابة القرآن وتدوينه، من كتابة حديث الرسول (ρ) وتدوينه، فهو النعمة التي خص الله سبحانه وتعالى بها المسلمين دون سائر أهل الملل فوفقهم لصيانة حديث نبيهم (ρ) وهداهم لوضع قواعد المصطلح على منهج علمي غايته حفظ الحديث النبوي من الخلط فيه او الدس والافتراء عليه، وقد تفرع عنه عدة علوم منها علم رجال الحديث، وعلم غريب الحديث، وعلم مختلف الحديث ومشكله، وعلم ناسخ الحديث ومنسوخه، وعلم علل الحديث.

وان معرفة الحديث وروايته بالمغرب قد عرف منذ عهد الصحابة الذين دخلوها في الفتح فقد روي ان الجيش الذي خرج الى المغرب مع عبد الله بن أبي سرح[3]

([1]) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت:911هـ/1505م)، تدريب الرواي في شرح تقريب النووي، تحقيق: أبو قتيبة نظر بن محمد الفاريأبي، دار طيبة،(د.م، د.ت)، ج1، ص26؛ القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، (ت:1332هـ/1014م)، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)، ص75؛ أبو شهبة، محمد بن محمد بن سويلم، الوسيط في علوم مصطلح الحديث، دار الفكر العربي، (بيروت، د.ت)، ص25.

([2]) النكت على كتاب ابن الصلاح، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الاسلامية،(المدينة المنورة،1983م)، ج1، 225؛ وينظر: ابن عوض الله، أبو معاذ طارق، تقريب علم الحديث منهج دراسي يجمع بين اصالة القديم وجدة الحديث، دار الكوثر،(د.م، د. ت)، ص24.

([3]) القرشي العامري، ابو يحيى، اسلم قبل الفتح وهاجر وكان اخاً لعثمان بن عفان في الرضاعة، كان يكتب الوحي للرسول (ρ)، ثم فتن وخرج عن المدينة، فهدر دمه الرسول (ρ) يوم فتح مكة، فجاء عثمان الى النبي(ρ) فاستأمنه فامنه، فشهد فتح مصر، ثم ولاه عثمان غزو افريقية سنة (27هـ/647م) ونزل قرب القيروان ثم سار الى سبيطلة، واعتزل الفتنة بعد مقتل الخليفة عثمان (τ)، وتوفي في عسقلان، وقيل: في افريقية؛ ينظر: البغوي، عبد الله بن محمد (ت:317هـ/929م)، معجم الصحابة، تحقيق محمد الامين بن محمود، دار البيان، (الكويت، د.ت)، ج3، ص23-25؛ ابن قانع، ابي الحسين عبد الباقي (ت:351هـ/962م)، معجم الصحابة، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، (د.م، د.ت)، مج2، ص136؛ ابن الدباغ، معالم الإيمان، ج1، ص140-142.

(ت:37هـ/657م)، كان عدده عشرين الفاً اكثرهم من الصحابة[1]، كما دخلوا مع معاوية بن حُديج السكوني[2] (ت:52هـ/672م)، ومع رويفع بن ثابت الأنصاري[3]، (ت:47هـ/667م)، ودخل مع عقبة بن نافع الفهري[4] (ت:63هـ/683م) خمسة وعشرون صحابياً[5] .

وكذلك الحال بالنسبة للتابعين فقد اوردت التراجم المغربية عدداً لا بأس به من التابعين القادمين من المشرق وعد منهم أبو العرب[6] اثنين وعشرين تابعاً، في حين

([1]) ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله، (ت:257هـ/871م)، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، (د.م، 1415هـ)، ص232؛ أبو العرب، طبقات علماء أفريقية، ص14؛ ابن الدباغ، معالم الإيمان، ج1، ص64؛ شواط، مدرسة، ج1، ص25.

([2]) ابن جفنة بن قتيرة بن حارثة بن عبد شمس ألسكوني الكندي، شهد فتح مصر، وغزا افريقية ثلاث مرات ونزل القيروان وحفر آبار وعرفت فيما بعد بـ (آبار حُديج)، وقيل غزا الحبشة مع عبد الله بن ابي سرح؛ ينظر: ابن يونس، عبد الرحمن بن احمد، (ت:347هـ/958م)، تاريخ ابن يونس، تحقيق: عبد الفتاح فتحي، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)، ق1، ص477-478؛ النووي، تهذيب الاسماء واللغات، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت) ،ج2، ق1، ص101؛ ابن الدباغ، معالم الإيمان، ج1، ص142-143 .

([3]) ابن سكن بن عدي بن حارثة بن عمر بن زيد مناة بن عدي بن عمر بن مالك بن النجار الانصاري، سكن مصر، واختط بها داراً، وأمره معاوية على طرابلس سنة (46هـ/666م)، ودخل أفريقية سنة (47هـ/667م)، ويقال إنه مات بالشام وقيل ببرقة وقبره فيها؛ ينظر: ابن الدباغ، معالم الإيمان، ج1، ص130-132؛ الزركلي، الاعلام، ج3، ص36.

([4]) ابن عبد القيس بن لقيط الفهري القرشي، ولد على عهد الرسول (ρ) وهو فاتح افريقية، وباني القيروان سنة (50هـ/670م) لم يزل بها الى سنة (62هـ/681م)، فغزا قوماً من البربر، فاستشهد هناك؛ ينظر: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد، (ت:463هـ/1071م)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، دار الجيل، (بيروت، 1992م)، ج3، ص1075؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص220؛ الأثري، أكرم بن محمد زيادة، المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير الطبري، تحقيق: علي حسين عبد الحميد، الدار الاثرية، (الاردن، د.ت)، ج1، ص382.

([5]) ينظر: المالكي، رياض النفوس، ج1، ص28؛ ابن الدباغ، معالم الإيمان، ج3، ص118،71،42 .

([6]) طبقات علماء أفريقية، ص18-25

ذكر ابن الدباغ[1] اربع وعشرين، وذكر المالكي[2] سبعة وعشرين ممن استوطن البلاد المغربية، وأضاف عشرا ممن بارحها[3]، وواصل هؤلاء الفقهاء مهمتهم التي جاءوا من اجلها في نشر الكتاب والسنة المنقولة بالرواية أمداً طويلاً، وانتفع خلق كثير من أهل البلاد[4] بالفقيه اسماعيل بن عبيد الانصاري[5]، واسلم عامة البربر على يد الفقيه اسماعيل بن أبي المهاجر[6]، فتخرج على ايديهم كبار المحدثين والفقهاء[7] .

ثم عرف العلماء المغاربة الرحلة وقد بينا أنفاً ما اكتسبه العلماء الاشراف اثناء رحلاتهم من سماع الحديث وتدريسه وروايته وتدوينه وما ادخلوا الى بلادهم من

([1]) معالم الإيمان، ج1، ص168-195.

([2]) رياض النفوس، ج1، ص99-138.

([3]) رياض النفوس، ج1، ص141-150.

([4]) ابن الدباغ، معالم الإيمان، ج1، ص176.

([5]) وهو إسماعيل بن عبيد الله الأنصاري أحد العشرة التابعين الذين بعثهم الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت:101هـ/719م) سنة (100هـ/718م)، ليفقهوا اهل افريقية، ويحكم بينهم بكتاب الله (Y)، وسمي بـ (تاجر الله)، لأنه جعل ثلث كسبه لله عز وجل يصرفه في وجه الخير، توفي في غزوة صقلية وهو معانق للمصحف سنة (107هـ/1301م)؛ ينظر: أبو العرب، طبقات علماء أفريقية وتونس، ص20-21؛ المالكي، رياض النفوس، ج1، ص106؛ ابن الدباغ، معالم الإيمان، ج1، ص176 .

([6]) وهو إسماعيل بن أبي المهاجر المخزومي، ويكنى بـ (أبا عبد الحميد)، كان فقيهاً، صالحاً، فاضلاً، زاهداً، ولد سنة(81هـ/700م)، استعمله الخليفة عمر بن عبد العزيز على أهل أفريقية ليحكم بينهم ويفقههم في الدين سنة (99هـ/717م)، توفي سنة (131هـ/748م)، وقيل: سنة (132هـ/749م)؛ ينظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص241؛ ابن يونس، تاريخ ابن يونس، ج2، ص38؛ التجيبي، سليمان بن خلف بن سعد، (ت:474هـ/1081م)، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، تحقيق: أبو لبابة حسين، دار اللواء للنشر والتوزيع، (الرياض،1986م)، ج1، ص370.

([6]) ابن يونس، تاريخ ابن يونس، ص37؛ المالكي، رياض النفوس، ج1، ص115؛ ابن الدباغ، معالم الإيمان، ج1، ص184 .

([7]) ابن الدباغ، معالم الإيمان، ج1، ص176، 183، 184، 191.

مؤلفات ولاسيما في الحديث النبوي الشريف، وانصرف معظم فقهاء المغرب الى مذهب الامام مالك الذي يلائم اهتمامهم بالحديث المبني اساسا على حديث أهل المدينة[1] .

ومن علماء آل البيت العلوي الذين اشتغلوا واشتهروا بعلم الحديث وعدوا من كبار محدثي عصرهم هو الشريف يوسف بن موسى بن عيسى الحسني الذي كان ذا أثر عميق في اغلب مجالات العلوم الشرعية لاسيما الحديث النبوي الشريف فقد كان حافظاً للحديث[2]، وكما عرفنا في حديثنا عن الرحلات العلمية من تلقيه علوم الحديث على يدي سراج الدين ابن مبارك الزبيري الذي روى عنه (صحيح البخاري)، والمعمر ابي الوقت، والسرخسي، والبربري، والبخاري محمد بن اسماعيل، هذا غير حمله لعلوم الحديث عن ابي عمرو بن الصلاح، وهم من اهم رجال الحديث في المغرب والمشرق آنذاك، وكان ثقة في حديثه فجلس يعلم الناس العلم ويحدثهم على سنة رسول الله (ρ)، فأخذ عنه خلق كثير[3] .

(1) ولتقدمه على غيره من المذاهب التي سلكت المنهج نفسه، فإن مذهب مالك المبني اساساً على احاديث الصفوة من الصحابة والتابعين هو ما يسعى المغاربة في الوصول إليه وهذا اغلب ماورد في تراجمهم؛ ينظر: ابن انس، الموطأ ، ص216؛ هذا فضلا على طريقة رواية الحديث التي اخذوا بها وهي طريقة اصحاب الحديث وقد سموا اصحاب الحديث لان عنايتهم كانت بتحصيل الاحاديث، ونقل الاخبار، وبناء الاحكام على النصوص ولايرجعون الى القياس الجلي والخفي ما وجدوا خبرا او أثراً؛ ينظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، (ت:548هـ/1153م)، الملل والنحل، مؤسسة الحلبي،(د.م، د.ت)، ج2، ص11؛ شواط، مدرسة، ج1، ص177؛ كما ان الحديث من المواد التي يتلقاها الطالب في الكتاتيب ولما يتخرج يكون الموطا اول ما يدرس من المصنفات، حتى ان منهم ما يحفظه وهو دون الخامسة عشر من عمره، وبذلك يكون مؤسساً على الحديث الشريف لا على القياس والاستدلال؛ ينظر: عياض، ترتيب المدارك، ج5، ص303؛ شواط، مدرسة، ج1، ص177.

(2) التنبتكي، نيل الابتهاج، ج2، ص627؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج3، 344-345؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، 554 .

(3) التنبتكي، كفاية المحتاج، ج2، 674 -675؛ التنبتكي، نيل الابتهاج، ج2، ص627 ؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج3، 344-345؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، 554 .

ومن الاشراف الذين برزت مكانتهم في علم الحديث الشريف محمد بن عبد الله الحسيني الذي كان اوحد عصره فصاحة مشاركاً في جميع العلوم الدينية والدنيوية[1]، وعمل على أخذ الحديث النبوي الشريف وعلومه واتقانه والتضلع فيه بطرق شتى اذ تفرغ للعلم وسماع الحديث فروى عن ابن جبير، وابن الرمانة، حتى اصبح رواية للحديث النبوي، حافظاً لمتونه، بصيراً بعلله، عارفاً برجاله، مشرفاً على طبقاتهم وتواريخهم[2]، اذ اعتني بهذا الشأن اتم عناية فجلس لتدريسه ببلده، فاخذ عنه عدد كبير من طلبة العلم من بينهم: ابو الحسن ابن القطان (ت:628هـ/1230م)، وأجهد نفسه في البحث في كتب الحديث لكبار ائمة علم الحديث ومحدثيهم آنذاك، فأضاف اليها من الاحاديث التي قد غفل عنها مؤلفيها الكثير، ككتاب (الاحكام الكبرى) لعبد الحق الإشبيلي (ت:581هـ/1185م) وهو احد الكتب الحديثية المهمة التي يذكر بها المؤلف الاحاديث بأسانيدها، ويعد هذا الكتاب من اكثر الكتب التي استدرك عليها الشريف الحسيني احاديثاً كثيرة رأى انها اولى بالذكر مما اورده المؤلف في هذا الكتاب[3]، وهذا يدل على حسن نظره وقدرته وتضلعه العلمي في علم الحديث .

وكما عرفنا أنفاً فإن أهل المغرب كانوا ينصرفون الى الحديث النبوي الشريف اكثر من الرأي والاستدلال لذا نجد جل علمائهم من المحدثين، ومن هؤلاء العلماء كان الشريف محمد بن عيسى المومناني الذي عرف بسعة علومه مستبحراً بها،

([1]) الغرناطي، صلة الصلة، مج3، ص10؛ ابن الاحمر، الذخيرة السنية، ص48؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص164؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج18، ص549 .

([2]) ابن الابار، التكملة، ج2، ص162؛ ابن الاحمر، الذخيرة السنية، ص48؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص164؛ المنوني، محمد، العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين، دار المغرب للتاليف والطباعة والترجمة والنشر، (الرباط، 1977م)، ص48؛ النجار، المهدي بن تومرت، ص482؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج18، ص5549 .

([3]) ابن الابار، التكملة، ج2، ص162؛ ابن الاحمر، الذخيرة السنية، ص48؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص164؛ المنوني، محمد، العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين، دار المغرب للتاليف والطباعة والترجمة والنشر، (الرباط، 1977م)، ص48؛ النجار، المهدي بن تومرت، ص482؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج18، ص5549 .

ولاسيما علم الحديث اذ كان كثير الحفظ له شديد الفهم بمختلف فروعه عالماً بأسانيده وتخريجه[1] .

وشارك الشريف جابر بن احمد الحسني في علوم الحديث واشتهر بانصرافه الى ذلك وكان من كبار المحدثين في عصره واخذ علوم الحديث عن ابي خير الاشبيلي، اذ كان ذكياً حافظاً للحديث محباً لتحصيله من افواه الرجال، عارفاً برجاله وله اجازات من اهل الحديث بروايته مع العناية بفنه وطرقه، وجلس لتدريسه في المغرب والاندلس واخذ عنه خلق كثير[2] .

وعلى نحو ذلك كان الشريف ابو عمران موسى الحسني كان احفظ اهل زمانه للحديث والاثر، فجلس بفاس يقرأ عليهم كتاب البخاري[3]، ومثله كان الشريف عبد الله محمد بن سليمان الحسني حتى عرف بين المؤرخين بـ (عبد الله المحدث)[4]، كما كان الشريف يحيى بن ادريس الحسني فقيها حافظا للحديث[5] .

ومن الاشراف الذين برزت مكانتهم العلمية بشكل ظاهر للعيان وجلي لاسيما في الحديث النبوي الشريف من طريق مشاركتهم في تدريس علومه، الشريف ابو زكريا يحيى الحسني الذي اخذ الحديث عن كبار علماء العصر، ومن ثم رحل الى المشرق فسمع الحديث على اشهر علماء الحديث اذ روى عن الفقيهان ابو عبد الله وابو العباس الاخوان، كتاب (شهاب الاخبار في الحكم والامثال والآداب من الاحاديث النبوية)[6] للفقيه ابو زيد بن سلامة (ت:454هـ/1062م)، فكانت مجالسه الحديثية حافلة بالناس واهل العلم يستمعون اليه ويأخذون عنه، ولم يقطع تلك

---

(1) ابن عسكر، اعلام مالقة، ص193؛ الغرناطي، صلة الصلة، مج3، ص13؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص215 ؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص229.

(2) ابن الابار، التكملة، ج1، ص201؛ نويهض، معجم اعلام الجزائر، ص68 .

(3) ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص3 .

(4) الزياني، تحفة الحادي، ص54 .

(5) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص80؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص21؛ الحلبي، الدر النفيس، ص493؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص237 .

(6) ابن الزيات، التشوف، ص447؛ الغبريني، عنوان الدراية، 172 -129 .

المجالس الى اخر يوم في حياته اذ روي انه رتب مجلساً لسماع حديث الرسول (ρ)، بعد صلاة الظهر سنة (611هـ/1214م) فازدحم عليه الناس من كل مكان مما أضطره الى نصب كرسيه في مكان مرتفع ليصل صوته الى الجميع وقرأ كتاب (المسند الصحيح) للبخاري، وقبل ان ينهي مجلسه اغشي عليه فحمل الى زاويته وبقى هناك والناس من حوله يدعون ويتضرعون الى الله برحمة له الى ان توفي(1) .

ومن الاشراف المجتهدين العاملين البارزين في الحديث وعلومه الفقيه ابو العباس الشريف وعرف بـ (المحدث) لسعة علومه الحديثية(2)، وكذلك الشريف محمد بن وهب الكتاني اذ كان من العلماء والمحدثين الذين يبصرون المسائل ومعاني الاحكام(3) .

ومن محدثي العصر المشهورين الشريف ابو القاسم بن عبد الرحمن الحسني، الذي شارك في نشاط دراسة علوم الحديث عن طريق تدريسه، وكان من الحفاظ المعدودين والفقهاء المبرزين وله عناية بالحديث، اذ افرد نفسه للتدريس فأنتفع بعلمه خلقاً كثير، وروى عنه تلميذه الشريف عبد الرحمن بن عبد الله الحسني كتاب (الاحكام الصغرى) لعبد الحق الاشبيلي، فضلا عن ما أتصل إسناده من حديث الامام مالك بن انس في كتابه (الموطأ) (4) ، فكان من كبار محدثي عصره بارعا متضلعاً في علومه المختلفة واشتهر بها فسمع (صحيح مسلم) عن ابي القاسم بن قطرال بمراكش الذي حدثه به عن عبد الله ابن سعادة سماعاً لجميعه من لفظه، وسماعاً لأكثره عن ابن الفخار، ولم يفته سماع (صحيح البخاري) الذي ارتحل لسماعه بسبتة عن ابي مروان الباجي بقراءة ابي الفتوح ابن فاخر(5)، وهذا دليل على

---

(1) ابن الزيات، التشوف، ص447؛ الغبريني، عنوان الدراية، 172 .

(2) الغبريني، عنوان الدراية، ص183 .

(3) ابن بشكوال، الصلة، مج2، ص183 .

(4) ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص74؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج1، ص378؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج1، ص282 .

(5) ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص74؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج8، ص90؛ الحلبي، الدر النفيس، ص ؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج1، ص282 .

القدرة العلمية العالية التي امتلكها الاشراف في حقل دراسة الحديث اذ لم يدخر الشريف فرصة لسماع الحديث من افواه الرجال في اي بلد كان يشد رحاله اليه ليستمع الى ما لديهم من الاحاديث .

ومنهم ايضاً الشريف جعفر بن عبد العزيز الحسني فقد كان من المحدثين المشهورين سمع (سنن ابن ماجة) بأكمله عن ابن باقا[1] (ت:603هـ/1206م) بقراءة ابن النجار[2] (ت: 643هـ/1245م) بسماعه من ابي زرعة طاهر بن محمد المقدسي[3] (ت:566هـ/1171م) وذلك سنة (622هـ/1225)، سوى جزئيين وهما الاول والعاشر[4]، وقد اخرج عنه احاديث من السنن، كما سمع عن ابن اباقا ايضاً (مسند الشافعي)، واكثر (سنن النسائي)[5] .

([1]) وهو صفي الدين عبد العزيز بن أحمد بن عمر بن عمر بن سالم بن محمد بن باقا، يكنى بـ (ابو بكر)، بغدادي الاصل ولد سنة (555هـ/1160م)، حنبلي المذهب راوية مسند حافظاً لكتاب الله، سمع من كبار العلماء امثال أبي زرعة المقدسي الذي اخذ عنه عدة كتب، وأبي بكر بن النقور، وعلي بن عساكر البطائحي وغيرهم، وروي عنه عدد كبير من الاعلام؛ ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج22، ص351 .

([2]) وهو محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن بن هبة الله ابن النجار، يكنى بـ (أبو عبد الله)، ولد سنة (578هـ/1182م) احد العلماء الكبار في الحديث، والادب، والتاريخ، رحل في طلب العلم الى عدة بلاد كالحجاز والشام والجزيرة وهمذان وأصبهان وهراة ونيسابور واربل وغيرها، له عدة مصنفات منها كتاب (المتفق والمفترق في نسبة رجال الحديث إلى الآباء والبلدان)، وكتاب (جنة الناظرين في معرفة التابعين)، وكتاب (العقد الفائق في عيون أخبار الدنيا ومحاسن تواريخ الخلائق)؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج6، ص2644؛ ابن المستوفي، المبارك بن احمد (ت:637هـ/1239م)، تاريخ اربل، تحقيق: سامي بن سيد خماس، دار الرشيد للنشر،(العراق،1980م)، ج2، ص620 .

([3]) وهو طاهر بن محمد بن طاهر بن علي المقدسي الهمذاني ويكنى بـ (أبو زرعة)، ولد بالري سنة (481هـ/1088م)، من العلماء الحديث والحفاظ الكبار، سمع عن العديد من علماء العصر فأخذ عن أبوه وعن عبد الرحمن بن حمد الدوني وعبدوس بن عبد الله، وسمع ببغداد عن أبي القاسم بن بيان وغيرهم كثير، وتوفي بهمذان؛ ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج15، ص205؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج2، ص503 .

([4]) الذهبي، معجم الشيوخ الكبير، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، نشر: مكتبة الصديق، (السعودية، 1988م)، ج1، ص204؛ الفاسي، ذيل التقييد، ج1، ص497 .

([5]) الفاسي، ذيل التقييد، ج1، ص497 .

كما كان الشريف أبا الحسن علي الشاذلي محدثاً مشهوراً، حافظاً للسنة عالماً بعلوم الحديث وقد افاض الدراسات الاسلامية بفيض من المؤلفات منها في علم الحديث كتاب (في اثنان واربعون حديثاً نبوياً)، وقد وقعت بين يدي إثناء البحث على نسخة من مخطوطة الكتاب في احدى المكتبات[1] .

ومن الاشراف الذين عدوا من طبقة المحدثين لمعرفتهم بعلوم الحديث النبوي الشريف وتفننهم به، الشريف احمد بن محمد العمراني الذي غلب عليه علم الحديث وحفظه، فقد كان محدثاً راوية ذو مكانة عالية في مختلف العلوم الدينية[2] .

ومن رواة الحديث المبرزين الذين اشتهروا بحفظهم الحديث ومعرفتهم بإسناده الشريف ادريس بن ادريس الحسني فقد كان من العلماء الكبار عالما بكتاب الله قائماً بحدوده رواية للحديث[3] .

ثالثاً: علم العقائد

جاء المعنى اللغوي للعقيدة بأنها: " ما يدين الإنسان به وله عقيدة حسنة سالمة من الشك "[4]، كما جاءت بأنها: " الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، وفي الدين: ما يقصد به الاعتقاد دون العمل كعقيدة وجود الله وبعثه الرسل "[5] .

اما اصطلاحاً: فهي الامور والحقائق التي يجب على القلب التصديق بها، وعلى النفس الاطمئنان لها، وان تكون يقيناً ثابتاً لا يخالطه ريب ولا يمازجه شك[6] .

([1]) المخطوطة بعنوان (كتاب فيه اثنان واربعون حديثا نبويا)، في مكتبة المركزية للمملكة العربية السعودية للمخطوطات، الرياض، الرقم التسلسلي (67349)، رقم الحفظ: (1423).

([2]) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص76؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص136؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص16؛ الجزنائي، جنى زهرة الاس، ص61؛ منصور، اعلام المغرب، ج4، ص259 .

([3]) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص161؛ اللهيوي، حصن السلام، ص271؛ العمراني، الجواهر الباهرة، ص131 .

([4]) الفيومي، المصباح المنير، ج2، ص421، مادة: (ع ق د) .

([5]) مصطفى، إبراهيم واحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ج2، ص614، باب (العين)؛ أبو جيب، سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر، (دمشق، 1988م)، ص256، باب (حرف العين) .

([6]) ضميرية، عثمان جمعة، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، تحقيق: عبد الله بن عبد الكريم العبادي، نشر: مكتبة السوادي للتوزيع، ط2، (د.م، 1996م)، ص212 .

وقد سمي بعلم العقائد لأنه قائم على التكفل بالبحث عن كل ما يتعلق بـ (العقائد الدينية)، واثباتها بالأدلة اليقينية، والدفاع عنها ضد العقائد والافكار المخالفة لها[1] .

اما الاصول الاعتقادية: فهي كل ما يتعلق به اثبات العقائد الدينية المتعلقة بالله وصفاته وافعاله وما يتفرع عنها والغاية منها اقامة الحجة على المعاندين وازالة شبهات المبطلين وحفظ قواعد الدين الحنيف[2] .

وعرف العلم الذي يبحث في اصول الاعتقاد بعلم (اصول الدين): وهو " علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبهة "[3] .

لقد تلقى اهل المغرب عقيدتهم منذ فجر الاسلام على يد من دخلها من الصحابة والتابعين، لذا كانت عقيدة صافية على المذهب الحق معتمدين على الكتاب والسنه وحرصوا على عدم الخوض في المسائل العقائدية في بداية الامر الا ان هذا الحرص لم يدم طويلا بسبب ظهور الكثير من الفرق المبتدعة الذين عملوا على اثارة مسائل تتعلق بأصول الدين[4]، ومن القضايا العقائدية التي اثيرت في المغرب: (مسألة الايمان)[5]،

([1]) الدوري، قحطان، ورشيد عليان، اصول الدين الاسلامي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، (الاردن، 2002م)، ص15 .

([2]) الدوري، اصول الدين، ص14 .

([3]) الايجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، (ت:756هـ/1355م)، المواقف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، (بيروت، 1997م)، ج1، ص31 .

([4]) ينظر: الناصري، الاستقصا، ج1، ص136؛ شواط، مدرسة الحديث، ج1، ص184-85 .

([5]) اصل مسألة الايمان هو الاختلاف فيمن يقع عليه اسم, الايمان, وحقيقتها كانت من افكار المرجئية (وهي احدى الفرق التي ظهرت في العصر الاموي), وكانت مسألة الايمان من المسائل المهمة ولا يستبعد ان قلنا انها اول مسائل الاختلاف في هذه الامة وقع فيها النزاع, ويعبر عنها العلماء بمسألة (الاسماء والاحكام) بمعنى اسم العبد في الدنيا هل هو مؤمن ام كافر او ناقص الايمان...؟ وحكمه في الاخرة هو من اهل الجنة ام من اهل النار ام ممن يدخل النار ثم يخرج منها ويخلد في الجنة؛ ينظر: النسفي, ابي المعين ميمون، (ت:508هـ/114م), تبصرة الادلة في اصول الدين, تحقيق: محمد الانور حامد عيسى, المكتبة الازهرية للتراث, (القاهرة، 1432م), ج2, ص1075-1102؛ ابن تيمية، الفرقان بين الحق والباطل, تحقيق: خليل الميس, دار القلم, (بيروت، د.ت), ص36-54؛ والايمان, تحقيق: محمد ناصر الدين الالباني, المكتب الاسلامي, ط5, (عمان,1996م) ,ص101, 136,233؛ ابن ابي العز, محمد بن علاء الدين علي، (ت:792هـ/1390م), شرح العقيدة الطحاوية, تحقيق: احمد شاكر, نشر وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد, (د.م, 1418هـ), ص459؛ الشبل, علي بن عبد العزيز بن علي, مسألة الايمان دراسة تأصيلية, د. مط, (الرياض، 1422هـ), ص7-12

و(مسألة خلق القران) [1]، وغيرها[2]، بما اوجب على العلماء الخوض في مسائل العقيدة واصول الدين والتبحر بها ليتمكنوا من الرد عليهم وظهر عدد من علماء آل البيت العلوي الذين تضلعوا بعلم العقيدة واصول الدين فقد كان الفقيه ابو العباس الشريف من علماء العقيدة المشهورين واسهم في نشاط الدراسات العقائدية من خلال مشاركته بتأليفه كتاب في اصول الدين اسماه (مقال محكم الايراد عرٍ عن الانتقاد)[3] .

تميز عددٍ من الاشراف بإتقانهم لمسائل الخلاف، فكان لهم دور مهم ورائد في اصول الدين كالشريف محمد بن طاهر الحسيني فهو من علماء عصره الفضلاء له

([1]) ان مسألة خلق القرآن ظهرت نتيجة لأفكار واقوال متعددة خالفت النبوة ووافقت الظلال والابتداع وكانت تلك الافكار فيما يخص الله سبحانه وتعالى واسمائه وصفاته فاظهروا القول بتعطيل صفات الله (Y) ، ومن هنا نفوا صفة الكلام عن الله (Y) وقالوا ان الله اذا اراد ان يتكلم خلق الكلام في محل ما يكون هو المتكلم وقد قادهم قولهم إلى إلى القول بان القرآن مخلوق، ويرجع اصل لقول بخلق القرآن إلى فكرة يهودية اراد بها اصحابها الطعن في ذات الله واسمائه؛ ينظر: ابن ميمون، عبد العزيز بن يحيى بن مسلم، (ت:240هـ/854م)، الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن ، تحقيق: علي بن محمد بن ناصر، مكتبة العلوم والحكم، ط2، (المدينة المنورة، 1423هـ)، ص15-16؛ البخاري، خلق افعال العباد، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار المعارف، (السعودية، د.ت)، ص29؛ الرازي، هبة الله بن الحسين بن منصور، (ت:418هـ/1027م)، شرح اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: احمد بن عد بن حمدان، دار طيبة، ط8، (السعودية، 2003م)، ص425؛ ابن تيمية، مجموعة الرسائل والمسائل، تحقيق: محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي، (د.م، د.ت)، ج3، ص20؛ أبو العون، محمد بن احمد بن سالم، (ت:1188هـ/ 1774م)، لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، مؤسسة الخافقين، ط2، (دمشق، 1982م)، ج1، ص23؛ التميمي، مقالة التعطيل، ص78.

([2]) المالكي, رياض النفوس, ج1, ص181؛ عياض, ترتيب المدارك, ج3, ص106.

([3]) الغبريني، عنوان الدراية، ص184 .

مشاركات في جميع العلوم الدينية[1]، ولاسيما علم اصول الدين وما يتعلق بها من مسائل الخلاف والجدل، وجلس لتدريسها واخذها عنه اهل المغرب[2] .

كما كان الفقيه ابو محمد الشريف من العلماء الذين برز دورهم في حقل الدراسات العقائدية من خلال تدريسه لعلم اصول الدين وله به معرفة تامة، وحضر مجالسه الطلبة من كل بقاع المغرب [3] ، ومن كتب الاصول التي كان قام عليها خير قيام كتاب (الارشاد)[4] لأمام الحرمين الجويني[5] (ت: 478هـ/1085م)، فوجد

([1]) الغرناطي، صلة الصلة، مج3، ص10؛ ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص48؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص164 .

([2]) ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص48؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص64 .

([3]) الغبريني، عنوان الدراية، ص195 .

([4]) لم يذكر المؤرخون الذين ترجموا للشريف اسم الكتاب الذي اتقنه في علم العقائد كاملا بل اكتفوا بذكرهم (كتاب الارشاد) للأمام الجويني(ت:409هـ/1018م)، ومن خلال البحث في مؤلفات الامام تبين ان له كتابين في علم العقائد يحملان اسم (الارشاد) وهما كتاب (الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد)، وكتاب (الارشاد في علم الكلام)؛ ينظر: الوادي آشي، أحمد بن علي، (ت:938هـ/1031م)، ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي أشي، تحقيق: عبد الله العمراني، دار الغرب الاسلامي، (بيروت، 1403هـ)، ص540؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص1؛ الطويل، السيد رزق الطويل، مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، نشر: المكتبة الأزهرية للتراث، ط2، (القاهرة، د.ت)، ص116.

([5]) وهو ركن الدين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، يكنى بـ (أبو المعالي)، ويلقب بـ (إمام الحرمين)، من اهل نيسابور ولد بناحية جوين سنة (419هـ/1028م)، فعرف نسبة اليها بالجويني، عالماً فذاً من أصحاب الشافعي بلغ درجة الاجتهاد شهد له بعلمه جميع العباد فهو امام الفقهاء شرقاً وغرباً، رحل في طلب العلم الى بغداد، ثم الى مكة فبقي بها أربع سنين، وبعدها ذهب إلى المدينة فأصبح مفتياً هناك وعمل في التدريس هناك جامعا لمختلف طرق المذاهب، عاد بعدها إلى نيسابور، فاستقبله الوزير نظام الملك بما يليق بعالم كبير مثله وبنى له المدرسة النظامية، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء، له العديد من المصنفات في مختلف العلوم الدينية مثل كتاب (غياث الأمم والتياث الظلم)، وكتاب (العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية)، وكتاب (البرهان)، وكتاب (نهاية المطلب في دراية المذهب) وغيرها كثير؛ ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج16، ص43؛ تقي الدين، ابراهيم بن محمد بن الازهر، (ت: 641هـ/1217م)، المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق: خالد حيدر، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، (بيروت، 1414هـ)، ص361؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج18، ص468؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج19، ص116؛ الزركلي، الاعلام، ج4، ص160 .

الطلبة عنده المنفعة التي يسعوا اليها[1]، فضلا عن مناظراته العقائدية مع الملحدين واهل البدع التي اثبت من خلالها قدرته العلمية في علم العقائد ومعرفته التامة بطرائق الاستلال بالقران الكريم الذي هو اساس العقائد من خلال رده عليهم، يقول الغبريني[2] في ذلك: " وله في علم العقائد باع وساع وفكر مطاع يميط شبه الملحدين، ويثبت صور الحق بواضح البراهين " .

وعرف الشريف احمد بن راشد العمراني بـ (الاصولي)[3] بين علماء عصره لعلمه الواسع بأصول الدين، فقد كان " امام عصره في علم اصول الدين والاعتقادات "[4] .

كما قيل عن الشريف عبد النور العمراني بأنه: " كان ذا معرفة تامة بالفقه ومشاركاً بأصوله واصول الدين "[5]، ومثله كان الشريف ابو زكريا يحيى الحسني فقيهاً عالماً بالأصلين (اصول الدين واصول الفقه) مشاركاً بها حفظاً واتقاناً[6] .

رابعاً: علم الفقه

يعد علم الفقه من اهم العلوم الشرعية لمعرفة الاحكام المستقاة من كتاب الله (Y) وسنة نبيه (ρ) وما نصه الشارع الحكيم لمعرفتها من الادلة الشرعية، فاذا استخرجت تلك الادلة قيل لها فقه[7]، ويجدر بنا قبل أن ننتقل للحديث عن هؤلاء الفقهاء الاشراف أن نشير إشارة سريعة إلى تعريف الفقه والفقيه .

---

(1) الغبريني، عنوان الدراية، ص195 .

(2) عنوان الدراية، ص195 .

(3) ينظر: الجزنائي، جنى زهرة الاس، ص61 .

(4) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص76؛ وينظر: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص137؛ الجزنائي، جنى زهرة الاس، ص61؛ منصور، اعلام المغرب العربي، ج4، ص57 .

(5) التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، ص286؛ وينظر: التنبتكي، كفاية المحتاج، ج1، ص403 .

(6) الغبريني، عنوان الدراية، ص130 .

(7) ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص185.

الفقه لغةً: هو العلم والفهم والفطنة والإدراك[1]، وقد ورد قوله تعالى: في معنى الفهم ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ **وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ**﴾[4].

اما اصطلاحاً: فهو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية[5]، ورد قوله تعالى في هذا المعنى: ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾[6]، فالمراد بالفقه في الدين في الآية الكريمة هو فهم الاحكام الشرعية وتعلمها[7]، وبهذا معنى قول النبي (ρ): « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ »[8] .

([1]) ابن فارس، مجمل اللغة، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط2،(بيروت،1986م)، ج1، ص703؛ ابن سيدة، المحكم المحيط، ج4، ص128؛ مصطفى، إبراهيم (وآخرون)، المعجم الوسيط دار الدعوة، (د.م، د.ت)، ج2، ص698 .

([2]) سورة النساء، آية (78).

([3]) سورة طه، آية (27–28).

([4]) سورة هود، آية (91) .

([5]) الجرجاني، التعريفات، ص168؛ السلمي، عياض بن ناجي، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله، دار التدمرية، (الرياض،1426هـ)، ص11؛ محمد، عبد الكريم بن علي، المهذب في علم أصول الفقه المقارن (تحرير المسائلة ودراساتها دراسة نظرية تطبيقية)، مكتبة الرشيد، (الرياض ،1420هـ)، ج1، ص18؛ شلبي، محمد مصطفى، المدخل في الفقه الاسلامي تعريفه وتاريخه ومذاهبه نظرية الملكية والعقد، دار الجامعة، (بيروت، 1985هـ)، ص32.

([6]) سورة التوبة، آية (122) .

([7]) واصل، نصر فريد محمد، المدخل الوسيط لدراسة الشريعة الإسلامية والفقه والتشريع، المكتبة التوفيقية، ط2، (القاهرة، د.ت)، ص20.

([8]) ابن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث، ج6، ص240،(كتاب: الفرائض)، باب (الفقه في الدين)، رقم(31045)؛ ابن راهويه، اسحاق بن إبراهيم بن مخلد، (ت:238هـ/853م)، المسند، تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق، مكتبة الإيمان، (المدينة المنورة،1412هـ)، ج1، ص440.

والمراد بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة في هذا التعريف خطابات الشارع الحكيم المتعلقة بأفعال العباد الحسية من فعل أو ترك، والمتضمنة بيان تصرفات الناس من الصحة والفساد والبطلان والوقوف والنفاذ واللزوم[1] .

والأحكام الفقهية بناء على ذلك لا تشمل أحكام العقائد ولا الأحكام التي تتعلق بالأخلاق[2]، وعلم الله سبحانه وتعالى بالأشياء لا يسمى فقهاً وإنما يسمى اكتشافا لأنه ليس عن اجتهاد وإنما بطريقة الوحي[3] .

والفقيه: بناءٍ على ما تقدم فهو من له ملكة خاصة وقدرة على استنباط الأحكام الشرعية، فعلى هذا يصح أن نقول هذا مجتهداً ونقصد به فقيه، كما نقول: إنه فقيه ونريد بذلك مجتهد في الأحكام الشرعية[4] .

لقد كان اعتماد الفقه بالمغرب في بادئ الامر على الرواية اذ " كان المغاربة في صدر الاسلام، ... على مذهب جمهور السلف "[5] وعرفوا الدين الاسلامي على ايدي الصحابة والتابعين –كما بينا سابقاً– لكن سرعان ما دخلت مذاهب فقهية[6] الى المغرب ولقت ترحيبا عند البعض الذين اخذوا بها وعملوا على دراستها والتأليف والتعليق عليها، الا ان ذلك الترحيب لم يكن من العامة[7]، وربما يعود السبب الى ذلك هو اعتماد تلك المذاهب على الرأي، وهو خلاف ما يفضله المغاربة باعتمادهم على الحديث اكثر من الرأي، فاندثرت ولم يكثر الآخذون بها .

لقد كان بداية المذهب الاكثر اعتمادا هو المذهب الحنفي[8] ثم بعد ذلك المذهب المالكي وبتقاصد الأيام والسنين أخذ المذهب الحنفي ينحسر انتشاره في البلاد على حساب اتساع المذهب المالكي وذلك لقلة أتباع المذهب الحنفي وعزوف

([1]) واصل، المدخل الوسيط، ص20.

([2]) واصل، المدخل الوسيط، ص20؛ عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار الفضيلة، (القاهرة، د.ت)، ج3، ص49–50.

([3]) واصل، المدخل الوسيط، ص20

([4]) الجرجاني، التعريفات، ص168؛ واصل، المدخل الوسيط، ص21.

([5]) الناصري، الاستقصا، ج1، ص192.

([6]) وتلك المذاهب هي مذهب عبد الرحمن الاوزاعي، والمذهب الحنفي، والمذهب المالكي، كما ظهر المذهب الاشعري؛ ينظر: الناصري، الاستقصا، ج1، ص192–198.

([7]) الناصري، الاستقصا، ج1، ص192.

([8]) عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص65؛ الناصري، الاستقصاء، ج1، ص192.

الناس وعدولهم عنه الى المذهب المالكي لكثرة الآخذون به، فكثرت المذاهب وكثر اسباب النزاع بين الناس[1] .

وحفلت بلاد المغرب بالكثير من علماء آل البيت العلوي الذين شاركوا في نشاط الدراسات الفقهية تدريساً وتأليفاً في البلاد كالفقيه الشريف ابو زكريا يحيى الزواوي الذي اسهم في الدراسات الفقهية عن طريق التدريس فجلس يعلم الناس الفقه المالكي وعلومه فقد اخذ الفقه عن عدد من علماء الفقه البارزين آنذاك كالفقيه الشيخ اسماعيل بن عوف الزهري[2] (ت:581هـ/1186م) الذي ورى عنه كتاب (الموطأ) ويعد رأس المذهب المالكي، والقاضي ابو سعيد ابن جارة[3] (ت:583هـ/1187م) الذي روى عنه كتاب (مصابيح الهدى) وهو احد الكتب الفقهية المهمة لعالم الاندلس وفقيهها عبد الملك الالبيري القرطبي[4] (ت:238هـ/853م)، وقرأ المذهب المالكي

(1) الناصري، الاستقصا، ج1، ص192.

(2)إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف بن يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حميد الزهري الاسكندراني، يكنى بـ (ابو طاهر) ولد سنة (475هـ/1082م)، مالكي المذهب وقد برع فيه وتخرج على يديه الكثيرون، تفقه على ابي بكر الطرطوشي وسمع منه ومن ابي عبد الله الرازي، كما قصده السلطان صلاح الدين وسمع منه الموطأ، وقد اثنى عليه معظم المؤرخون، توفي بالاسكندرية؛ ينظر: ابن المستوفي، تاريخ اربل، ج1، ص376؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج21، ص112 .

(3) وهو مخلوف بن علي بن جاره مغربي الاصل، ثم الاسكندراني الموطن، المالكي المذهب أحد الأئمة الكبار تفقه عليه أهل الاسكندرية زمانا طويلاً؛ ينظر: ابن عماد، شذرات الذهب، ج4، ص323 .

(4) وهو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جلهمة ابن العباس بن مرداس السلمي الإلبيري القرطبي، يكنى بـ (أبو مروان) مالكي المذهب أصله من طليطلة، ولد في إلبيرة سنة (174هـ/790م)، وسكن قرطبة، احد علماء الاندلس الكبار متصرفا في فنون العلم حافظا الفقه، اماماً في النحو والأدب فقد كان نحويا عروضيا شاعرا، عالماً بالتاريخ حافظا للأخبار والأنساب، له العديد من التأليف روي انها تزيد على ألف مصنف، منها كتاب (حروب الإسلام)، وكتاب (طبقات الفقهاء والتابعين)، وكتاب (طبقات المحدثين) وكتاب (تفسير موطأ مالك) وغيرها كثير، خرج الى مصر، ثم عاد إلى الأندلس فتوفي بقرطبة؛ ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج2، ص609؛ الزركلي، الاعلام، ج4، ص157 .

رواية ودراية عن الامام ابو عبد الله ابن بكرة الكركن[1]، وابو القاسم بن وفيرة الشاطبي[2] (ت:590هـ/1194م) وغيرهم، فكان لا ترد عليه مسالة الا اجاب عليها[3] .

الشريف مالكيا متعصباً لمذهبه مما جعله يدخل في مواجهه مع بقية المذاهب الاخرى ولاسيما اصحاب المذهب الظاهري –كما ذكرنا انفاً– وجلس لمواجهتهم والرد عليهم في شتى الطرائق سواء كان عن طريق المناظرات العلمية او المواجهات الكلامية، اذ روى انه كان يجمع في مجلسه المختلفين في الفقه، ويغري بينهم بقصد الفائدة ويبين لهم عن الاختلاف في المسائل المتنازع عليها، كما الف كتاب في الفقه المالكي للرد على اصحاب المذهب الظاهري اسماه (حجة الايام وقدوة الانام)[4]، وبذلك يكون اضاف نشاطاً على التأليف في الدراسات الفقهية .

([1]) لم اقف على ترجمة له فيما بين يدي من كتب التراجم والتاريخ، الا ما اشار اليه الغبريني بأن الشريف ابو زكريا يحيى الزواوي قرأ عليه المذهب المالكي رواية ودراية، وبذلك نصل الى احد علماء المذهب المالكي وشيوخه الكبار الذين جلس لتدريس المذهب فأخذ عنه الشريف وغيره، كما انه كان من اهل القرن (6هـ/12م)، كون الشريف الزواوي قد توفي سنة (611هـ/1214م)؛ ينظر: الغبريني، عنوان الدراية، ص131؛ وقد علق محقق الكتاب على ذلك مشيراً الى ان اصله ربما يعود الى جزيرة قرقنة التي تبعد عن صفاقس بنحو خمسة عشر ميلاً، لذ لقب بـ (الكركني)؛ ينظر: الغبريني، عنوان الدراية، ص131، هامش رقم (1) .

([2]) وهو القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي، يكنى بـ (أبو محمد)، اندلسي الاصل ولد بشاطبة سنة (538/1144م) فاضلا عالماً في النحو والقراءة وعلم التفسير واللغة، قرأ الناس عليه واستفادوا منه له عدة مؤلفات منها كتاب (حرز الأماني)، وقصيدة في القرات تعرف بـ (الشاطبية) وغيرها، توفي بمصر؛ ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص2216؛ القفطي، انباه الرواة، ج4، ص160 .

([3]) ابن الزيات، التشوف، ص447؛ الغبريني، عنوان الدراية، ص128 –131 .

([4]) الغبريني، عنوان الدراية، ص243 – 248؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج8، ص170 .

واسهم الشريف عبد الكريم بن عبد الواحد الحسني في النشاط الفقهي فهو احد اصحاب الشريف ابو زكريا الزواوي، الذي وصفه الغبريني[1] بقوله: " الشيخ الفقيه الصالح الفاضل المدرس ... كان من اهل العلم والفضل والوجاهة والنزاهة "، وهو من حمل كتاب الشريف ابو زكريا للرد على الظاهرية في مجلس الخليفة بمراكش بحضور عدد كبير من الفقهاء، وقد اجاد الشريف عبد الكريم بالدفاع عن ما حمله الكتاب وابرز قدرته الفقهية واللغوية مما اثار اعجاب الخليفة والفقهاء الحاضرين فعاد منتصرا بقضيته رافعاً رايته الفقهية عالياً بشهادة جمع غفير من فقهاء عصره[2] .

كما اسهم الفقيه الشريف ابو القاسم بن عبد الرحمن بن سعيد الحسني في نشاط الدراسات الفقهية من خلال تدريسه لكتب المذهب المالكي فقد جلس لتدريس الموطأ وسمع منه عدداً كبيراً من العلماء منهم على سبيل المثال لا الحصر الشريف عبد الرحمن بن عبد الله الحسني فقد اخذ عنه مختلف العلوم الدينية، وفي الفقه درس عليه (موطأ) الامام مالك[3]، فأصبح هذا الشريف احد الفقهاء المشهود لهم بالعلم والنباهة في مختلف فنون العلم ولاسيما الفقه المالكي[4] .

واسهم ايضاً الفقيه ابو محمد عبد الله الشريف الذي وصفه الغبريني[5]: بـ " الفقيه المعتبر "، في رفد الدراسات الفقهية من خلال اسهامه في التدريس وله مجالس علمية لتدريس مختلف العلوم الدينية ومنها علم الفقه فحضر اليه الطلبة من كل

([1]) عنوان الدراية، ص243؛ وينظر: القرافي، بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر، (ت:1008هـ/1600م)، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق: علي عمر، نشر: مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة،2004م)، ص139 –140؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج8، ص170.

([2]) الغبريني، عنوان الدراية، ص243 –248؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج8، ص170 .

([3]) ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص74؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج1، ص378؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج1، ص282 .

([4]) ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص74؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج8، ص89– 90؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج1، ص282 .

([5]) عنوان الدراية، ص195 .

صوب التمسوا المنفعة من علمه، ووجدوا ما سعوا اليه من المنفعة العلمية ويجنون احسن الجنى من ثمرت علمه[1].

ومن الاشراف الذين أثروا الدراسات الفقهية بجهود عظيمة الأثر بعيدة الغور من خلال اسهامهم في التأليف، فضلا على التشجيع والحث على النشاط الفقهي، الشريف يوسف بن موسى بن عيسى الحسني وهو احد الفقهاء الكبار في المغرب صنف كتابين في الفقه وهما شرح (للرسالة الفقهية) وهي رسالة في الفقه المالكي للشيخ ابي محمد بن ابي زيد القيرواني، وهو امام المالكية في وقته وعلى يده استقر المذهب في المغرب حتى لقب بـ (مالك الصغير)[2] فهو الذي لخص المذهب وملأت البلاد بمؤلفاته[3]، اسماهما الشريف بـ (الافادة الكبرى، والصغرى)، مال فيهما الى سرد الاثر وذكر فيهما غرائب من الفقه[4] .

كما كان الفقيه الشريف عبد النور بن محمد العمراني واحداً من اشهر علماء عصره لاسيما في علم الفقه اذ كان ذا معرفة تامة فيه فهو من اهل الافتاء اعتمد عليه الناس في الفتوى وله فتاوى منقول بعضها في كتاب (المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى اهل افريقية والاندلس والمغرب)، وله نشاط فقهي عن طريق التدريس اذ كان آية فيه ولاسيما ما يخص المسائل الفقهية[5] .

([1]) الغبريني، عنوان الدراية، ص195 .

([2]) الشيرازي، إبراهيم بن علي، (ت:476هـ/1083م)، طبقات الفقهاء، تحقيق: أحسان عباس، دار الرائد العربي، (بيروت،1970م)، ص160؛ عياض، ترتيب المدارك، ج6، ص216؛ ابن الدباغ، معالم الإيمان، ج2، ص112؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، 27 .

([3]) عياض، ترتيب المدراك، ج6، ص216؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج17، ص10؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج17، ص131؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص332؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت،1413هـ)، ج4، ص202؛ ابن عماد، شذرات الذهب، مج7، ص477.

([4]) التنبتكي، كفاية المحتاج، ج2، 674 –675؛ التنبتكي، نيل الابتهاج، ج2، ص627؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص554؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج3، 344–345؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، 554 .

([5]) الونشريسي، المعيار المعرب، ج1، ص589– 591؛ التنبتكي، نيل الابتهاج، ج2، ص286؛ التنبتكي، كفاية المحتاج، ج2، ص304؛ الحلبي، الدر النفيس، ج2، ص492؛ الكتاني، الدواهي المدهية، ص100؛ الزياني، جمهرة التيجان، 94؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج6، ص202 .

ولم يقتصر نشاطه في الدراسات الفقهية على ذلك اذ وضع شروحاً (للمدونة)[1]، التي تعد الاساس للمذهب المالكي في المغرب وهي عبارة عن اسئلة واجوبة عن المسائل الفقهية التي وردت عن الامام مالك، وجمعها الفقيه سحنون بن سعيد الذي كان له دور كبير في نشر المذهب بعد الفقيه اسد بن الفرات الذي ادخل (الاسدية)[2] وهي اساس المدونة اذ اعاد الفقيه سحنون سماع الاسدية على الفقيه ابن القاسم[3] (ت:191هـ/806م) في المشرق، وسار على نمط الفقيه اسد بن الفرات في تدوينها فجمع كل ما قيل من المسائل المختلف فيها وتعدد الاقاويل والاراء، ورجع بها الى الفقيه ابن القاسم الذي عده سحنون المصدر الاول لفقه المذهب المالكي لكثرة سماعه من مالك بن انس[4] .

([1]) التنبتكي، نيل الابتهاج، ج2، ص286؛ التنبتكي، كفاية المحتاج، ج2، ص304؛ الحلبي، الدر النفيس، ج2، ص492؛ الكتاني، الدواهي المدهية، ص100؛ الزياني، جمهرة التيجان، 94؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج6، ص202 .

([2]) وهي عبارة عن مسائل فقهية مجردة على المذهب الحنفي، فاظهر تلك المسائل على ابن القاسم وتلقى عنه احكامها بالمذهب المالكي وتحتوي الاسدية على ما مجموعه ست وثلاثون الف مسألة فقهية؛ ينظر: المالكي، رياض النفوس، ج1، ص255؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص156؛ ابن الدباغ، معالم الايمن، ج2، ص4؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج10، ص350؛ الحجوي، محمد بن الحسن بن العربي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي، دار الكتب العلمية،(بيروت،1995م)، ج3، ص112.

([3]) وهو عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي، يكنى بـ (أبو عبد الله)، ويعرف بـ (ابن القاسم)، من اهل مصر ولد سنة (132هـ/750م)، من علماء الفقه الكبار الذين جمعوا ما بين الزهد والعلم، تفقه على الإمام مالك بن انس، ويعتبر راس المذهب المالكي بعده له تأليف اسماه (المدونة) يعد من اجل كتب المالكية اذ رواه عن الامام مالك مباشرة يتكون من ستة عشر جزءا، توفي بمصر؛ ينظر: ابن يونس، التاريخ، ج1، ص312؛ ابن عبد البر، الأنتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنفية (7)، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)، ص50؛ الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص150 .

([4]) عزب، محمد زينهم، الأمام سحنون، تحقيق: حسين مؤنس، دار الفرحاني، (القاهرة, د.ت)، ص182.

فوضع عليها من الشروح والاختصارات والتعاليق ما لم يكن لغيرها من كتب المذهب، ثم عاد بها الى البلاد كاملة منقحة مزيدة، وقد عرفت بـ (المدونة)[1] او (المدونة الكبرى)[2] فأصبحت مدونته من امهات الكتب[3] في الفقه المالكي[4]، فكان الشريف عبد النور العمراني من بين الفقهاء الذين وضعوا الشروح عليها[5] .

وعلى هذا النحو كان الشريف عيسى بن معنصر الحسني فهو احد الفقهاء الكبار في المغرب وبرز نشاطه الفقهي من خلال الافتاء فهو مفتي اهل فاس اعتمد عليه الناس في الفتوى وله مسائل فقهية ونوازل كثيرة، وهو شيخ الفقهاء في وقته لم يكن احدا افقه منه[6]، قال عنه ابن القاضي[7]: " الفقيه الامام المفتي المدرس الصالح كان فقيهاً اماماً كاد ان يبلغ درجة الاجتهاد، وكان علماء جميع الامصار يعترفون له بالعلم، وحسبك من سعة علمه ان الامام القاضي عياض ابن موسى ينقل

([1]) الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص157؛ الذهبي، دول الاسلام، تحقيق: حسن اسماعيل مروة، دار صادر ،(بيروت،1999م)، ج1، ص212؛ البغدادي، اسماعيل بن محمد امين بن مير سيلم، هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار احياء التراث العربي، (بيروت،1951م)، ج1، ص569.

([2]) طبعت باسم (المدونة الكبرى) في دار الكتب العلمية، بيروت، سنة (1994م) .

([3]) امهات الكتب في الفقه اربعة هي المدونة لسحنون، والموازية لمحمد بن المواز ، والواضحة لابن حبيب، والعتبية للعتبي؛ سحنون، بن سعيد التنوخي، المدونة الكبرى للامام مالك بن انس المتوفي سنة 179هـ، دار الكتب العلمية، (بيروت،1994م)، مقدمة المحقق ص106.

([4]) الحجوي، الفكر السامي، ج2، ص118.

([5]) الونشريسي، المعيار المعرب، ج1، ص589- 591؛ التنبتكي، نيل الابتهاج، ج2، ص286؛ التنبتكي، كفاية المحتاج، ج2، ص304؛ الحلبي، الدر النفيس، ج2، ص492؛ الكتاني، الدواهي المدهية، ص100؛ الزياني، جمهرة التيجان، 94؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج6، ص202 .

([6]) التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، ص290؛ التنبتكي، كفاية المحتاج، ج1، ص309؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص500؛ الطعمي، تكملة جامع الكرامات، ص332 .

([7]) جذوة الاقتباس، ج2، ص500؛ وينظر: التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، ص290؛ التنبتكي، كفاية المحتاج، ج1، ص309؛ التازي، جامع القرويين، ج1، 165؛ الطعمي، تكملة جامع الكرامات، ص332 .

مسألة فقهية ويقول: قاله عيسى المومناني فقيه اهل فاس "، وانتفع به الناس كثيراً اذ افرد نفسه للتدريس حتى وصفه المؤرخون بـ (المدرس)[1]، فأفاد بذلك النشاط الفقهي كثيراً .

ثم جاء بعد الفقيه الشريف عيسى بن معنصر الحسني فقهاء اجلاء كان لهم أثر محمود في تقدم الدراسات الفقهية وفي مقدمتهم ابنه الشريف محمد بن عيسى الحسني فهو من مشاهير علماء المذهب وحامل لواء أبيه في الافتاء فقد كان اماماً في الفقه، لم يكن في عصره احدٌ اجمع منه لفنون العلم، اذ كان يدعى بـ (الامام) لسعة علومه[2]، يقول عنه ابن القاضي[3]: " كان فقيهاً اماماً عالماً محصلاً مستبحراً من اهل الراي والنجدة مقدماً في الفتيا شديد الفهم كثير الحفظ عارفاً بالفقه وبأصوله وفروعه وبالحديث " .

برع علماء المغرب من الاشراف في الجمع بين مختلف العلوم ولاسيما علمي (الحديث والفقه)، واستنبطوا الاحكام الشرعية من الحديث الشريف، لان الفقه- كما عرفنا سابقاً- هو معرفة الاحكام الشرعية التي طريقتها الاجتهاد[4]، والفقيه: هو العالم الذي يعمل على استنباط الاحكام الشرعية من ادلتها التفصيلية[5]، لذا غلب عليهم تسمية الفقيه اكثر من المحدث، ومن هؤلاء الفقهاء الذين جمعوا بين العلمين الشريف

([1]) التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، ص290؛ التنبتكي، كفاية المحتاج، ج1، ص309؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص500؛ التازي، جامع القرويين، ج1، 165؛ الطعمي، تكملة جامع الكرامات، ص332 .

([2]) ابن عسكر، اعلام مالقة، ص192 -193؛ الغرناطي، صلة الصلة، مج3، ص13؛ التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، ص379؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص215؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص229 .

([3]) جذوة الاقتباس، ج1، ص215؛ وينظر: التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، ص379؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص229 .

([4]) الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، تحقيق: عادل بن يوسف الغزي، دار ابن الجوزي، ط2، (السعودية،1421هـ)، ج1، ص191.

([5]) ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص185.

جابر بن احمد الحسني وهو من فقهاء المالكية حافظاً للحديث عارفاً برجاله[1]، وكذلك الشريف يحيى بن ادريس الحسني اذ كان فقيهاً حافظاً للحديث لم يبلغ احداً من علماء عصره مبلغه في الفقه والحديث[2] .

وهذا يعني ان كل عالم يبلغ درجة الاجتهاد في علمه التي تمكنه من الاستنباط هو فقيه، وذلك يفسر لنا السبب في ان اغلب من تولي المناصب الادارية كانوا من الفقهاء لان الاجتهاد في العلم هو الشرط الاساس لكل منصب، اذ تولى منصب القضاء كل من الفقيه محمد بن عيسى الحسني[3]، والفقيه ابو عبد الله الشريف[4]، والفقيه عبد العزيز العمراني[5]، وغيرهم كثير سبق وان اشرنا اليهم[6]، كما تولى منصب الكاتب كل من الفقيه ابو عبد الله محمد العمراني[7]، والفقيه محمد بن ابراهيم الحسيني[8] .

واسهمت احدى الاسرة الشريفة من الفرع الحسيني وهم الاشراف (الصقليين) بدور كبير في نشاط الدراسات الفقهية وتطورها فبرز منهم سلسلة من الفقهاء عملوا على تدريس الفقه وعلومه فتتلمذ على ايديهم عدد كبير من الطلبة، فكان الفقيه عبد

---

(1) ابن الابار، التكملة، ج1، ص201؛ نويهض، معجم اعلام الجزائر، ص68 .

(2) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص80؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص21؛ الحلبي، الدر النفيس، ص439؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص237.

(3) ابن عسكر، اعلام مالقة، ص192 –193؛ الغرناطي، صلة الصلة، مج3، ص13؛ التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، ص379؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص215؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص229 .

(4) ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، 86؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص298 .

(5) ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، 86؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص298؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج8، ص403.

(6) ينظر: الفصل الثاني، المبحث الاول (منصب القضاء) .

(7) ابن الاحمر، الذخيرة السنية، ص87؛ ابن الاحمر، روضة النسرين، 1ص19؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص299؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص458 .

(8) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص201 .

الله بن طاهر الحسيني واحداً من اشهر فقهاء هذه الاسرة خيراً ناسكاً[1]، مدحه السملالي[2] بقوله: " كان ... فقيهاً اماماً صالحاً "، ونظيره كان اخاه الفقيه محمد بن طاهر يصفه ابن الاحمر[3] بقوله: " الشيخ الفقيه الامام الصالح قاضي الجماعة "، ومنهم ايضاً الفقيه محمد بن عبد الله الحسيني[4]، والفقيه الصالح طاهر ابن الفقيه محمد بن علي ابن الفقيه يحيى ابن الفقيه محمد ابن الفقيه علي ابن الفقيه الحسين ابن الشيخ الامام الفقيه الكاتب طاهر الصقلي الحسيني[5] .

كما اسهم الفقيه ابو العباس الشريف بالنشاط الفقهي عن طريق المناظرة والجدل وقصده الناس للفقه والمناظرة فهو فقيه وعالم بالجدل محكماً له باحثاً على طريقته، فشجع الشريف بذلك على انتشار الدراسات الفقهية عن طريق المناظرة[6]، وبذلك ساعد على ازدهار النشاط الفقهي بين المختلفين في المسائل الفقهية من اصحاب المذاهب الحنفية والمالكية .

ومن الفقهاء الاشراف الذين ذكرهم المؤرخين من ضمن علماء عصرهم النابغين بعلم الفقه وفروعه الشريف احمد بن القاسم الحسني، مما قيل بحقه: كان فقيهاً عالما فاضلا ورعاً نابغاً في علوم الفقه[7]، وعلى نحوه كان الفقيه الشريف احمد بن محمد

([1]) ابن الاحمر، بيوتات فاس الكبرى، ص17 .

([2]) الاعلام بمن حل مراكش، ج8، ص202 .

([3]) بيوتات فاس الكبرى، ص17؛ وينظر: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص200 .

([4]) ابن الاحمر، بيوتات فاس الكبرى، ص17؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص200.

([5]) ابن الاحمر، بيوتات فاس الكبرى، ص17 .

([6]) الغبريني، عنوان الدراية، ص183– 184 .

([7]) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص87؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص290؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص111؛ الحلبي، الدر النفيس، ص494؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص201؛ الزركلي، الاعلام، ج1، ص197؛ منصور، اعلام المغرب، ج2، ص301؛ الفضالة، الجوهر العفيف، ص.

العمراني[1]، والفقيه المالكي عمارة بن يحيى الحسني[2]، ويصف الكتاني[3] الفقيه علي بن موسى الحسني بقوله: " كان من اهل الفقه والنباهة، والظهور والوجاهة، علامة ماهراً وطوداً شامخاً باهراً " .

خامساً: علم اصول الفقه

أصول الفقه: هو مركب مضاف، فـ (الأصول) مضاف، والمضاف إليه هو (الفقه) ولن نعرف المضاف قبل معرفة المضاف اليه[4]، والمضاف إليه اي الفقه والمضاف (الأصول) وهو جمع أصل وفي اللغة هو عبارة عما يفتقر اليه، ولا يفتقر هو الى غيره، وفي الشرع: هو عبارة عما يبني عليه غيره، ولا يبني هو على غيره لان أصل الشيء ما تعلق به وعرف منه، اما بالاستخراج أو بالتنبيه فسميت لهذا بـ (أصول الفقه) لان ما يتوصل الى العلم بغيرها فتكون أصلاً له [5] .

ويعرف علم أصول الفقه عند الأصوليين: هو ما يبني عليه الفقه وعرف: بأنه إدراك القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية[6]، ولقي اهتماما من قبل البعض من العلماء كعلم مستقل يتدارس ويؤلف

([1]) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص76؛ ابن الاحمر، بيوتات فاس الكبرى، 17؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص137؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص16؛ منصور، اعلام المغرب العربي، ج4، ص259 .

([2]) الغبريني، عنوان الدراية، ص45؛ نويهض، معجم اعلام الجزائر، ص241 .

([3]) الشرب المختصر، ص127؛ وينظر: الكتاني النبذة اليسيرة، ص173؛ السجلماسي، اتحاف اعلام الناس، ج5، ص527؛ ابن الحاج، نظم الدر والال، ص68 .

([4]) الآمدي، سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد، (ت:631هـ/1234م)، الإحكام في اصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، (بيروت، د. ت)، ج1، ص4.

([5]) أبو يعلي، محمد بن الحسين بن محمد، (ت:458هـ/1066م)، العدة في اصول الفقه، تحقيق: احمد بن علي، د.مط، ط2، (د. م، 1990م)، ج1، ص70.

[6] ينظر: ابن أمير حاج، شمس الدين محمد بن محمد، (ت:879هـ/1474م)، التقرير والتحبير، دار الكتب العلمية، ط2، (بيروت،1982م)، ج1، ص26؛ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (ت: 1250هـ/1834م)، إرشاد الفحول الى تحقيق الحق في علم الأصول، تحقيق: احمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، (بيروت،1999م)، ج1، ص18.

فيه، فإن نشأة اصول الفقه مع علم الفقه وان كان الفقه دونَّ قبله لأنه حيث يوجد فقه يكون حتما منهاج للاستنباط، وحيث كان المنهاج يكون حتما لا مجال اصول الفقه[1] .

ومن الفقهاء الاشراف الذين كان لهم دورا رائدا في مجال علم اصول الفقه نذكر منهم الشريف محمد بن عيسى المومناني فقد عرف بسعة علمه بين أهل عصره عارفاً بعلم الفقه واصوله وفروعه[2] .

كما كان الشريف أبو زكريا يحيى الزواوي من العلماء الذين سعوا لكسب علوم الفقه واصوله، اذ اخذ الاصول اثناء رحلته الى المشرق عن الامام الاصولي ابو طالب احمد بن رجا اللخمي[3] (ت: 578هـ/1182م)، حفظاً واتقاناً فكان استاذا في الاصول، وقد افرد نفسه للتدريس فإخذها عنه خلق كثير وانتفع به الناس[4] .

وشهد هذا العلم شيئاً من الازدهار في عهد الشريف احمد بن محمد العمراني الذي برع فيه حتى عرف بين المؤرخين بـ (الاصولي)[5]، فقد كان امام عصره في اصول الفقه[6] .

وعلى نحو ذلك كان الشريف محمد بن عبد الله الحسيني فقد كان عالماً فاضلاً اوحد عصره فصاحة مشاركاً في جميع العلوم الدينية والدنيوية عالماً بأصول الفقه ومسائل الخلاف[7] .

([1]) أبو زهرة، محمد، اصول الفقه، دار الفكر العربي، (القاهرة،1377هـ)، ص11.

([2]) التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، ص379؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص215؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص229 .

([3]) وهو أحمد بن المسلم بن رجاء اللخمي، ويكنى بـ (ابو طالب)، ويعرف بـ (أحمد اللخمي) من علماء الإسكندرية، اصولي ومحدث عارفاً بالفقه وعلم الكلام متقناً لهما، توفي في شهر رمضان؛ ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج21، ص95؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج13، ص239.

([4]) ابن الزيات، التشوف، ص447؛ الغبريني، عنوان الدراية، ص128، 130 .

([5]) الجزجاني، جنى الاس، ص61 .

([6]) ابن الاحمر، الذخيرة السنية، ص48؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص164 .

([7]) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص76؛ ابن الاحمر، بيوتات فاس الكبرى، 17؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص137؛ منصور، اعلام المغرب العربي، ج4، ص259 .

وذكر عن الشريف عبد النور بن محمد العمراني كان ذا معرفة تامة بالفقه عالماً بفنون العلم ومشاركاً في اصول الفقه[1] .

سادساً: التصوف

اختلف العلماء في تعريفهم للصوفية والتصوف, اختلافا كبيراً قلما وجد له مثيل[2], وذكر بعض العلماء ان تلك التعريفات وصلت الى الالفين[3]، الا ان تعريف ابن خلدون[4] يبدو هو التعريف الاشمل لمعنى التصوف بقوله: " هو من العلوم الشرعية الحادثة في الملة.... واصلها العكوف على العبادة, والانقطاع الى الله تعالى والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها, والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه, والانفراد عن الخلق والخلوة للعبادة " .

وعلى الرغم من ان كلمة التصوف والصوفية لم ترد في القرآن الكريم[5], الا انه عرف كحركة دينية انتشرت في العالم الاسلامي في القرن (3هـ/9م), كنزعات فردية تدعو الى الزهد ومحاسبة النفس والتورع عن المحرمات وتهذيب الأخلاق كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري[6] ، ويعدون انفسهم ورثة النبي () في تلك

([1]) التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، ص286؛ التنبتكي، كفاية المحتاج، ج1، ص304؛ الكتاني، الدواهي المحرقة، ص100؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج6، ص202 .

([2]) ينظر: الكلاباذي, محمد بن أبي اسحاق ابراهيم (ت:380هـ/990م), التعرف لمذهب أهل التصوف, دار الكتب العلمية,(بيروت، د.ت), ص19-20؛ ابن خلدون, المقدمة, ج2، ص225؛ وينظر ايضا: الرقب, صالح- ومحمود الشوبكي, دراسات في التصوف والفلسفة الاسلامية, نشر: الجامعة الاسلامية, (غزة،1427هـ), ص3.

([3]) ينظر: اقوال العلماء عند: ظهير, احسان الهي, التصوف المنشأ والمصدر, نشر ادارة ترجمان السنة, (باكستان،1406هـ), ص36-37 .

([4]) المقدمة, ص122؛ عيسى, عبد القاهر, حقائق عن التصوف, د.مط, (حلب،1381هـ), ص13.

([5]) السهروردي, شهاب الدين عبد القادر، (ت:632هـ/1235م), عوارف المصارف, دار الكتاب العربي, (بيروت،1385هـ), ص18 .

([6]) الرقب, دراسات في التصوف, ص3.

الافعال ويسعون الى تطبيقها في المجتمع[1] ، ثم تطورت تلك النزاعات بعد ذلك حتى صارت طرق مميزة معروفة باسم الصوفية او المتصوفة[2] .

والطرق الصوفية التي انتشرت في المغرب كانت تعتمد على شيخ معين له مريدون (طلاب)، وله اوراده الخاصة وهؤلاء المريدون يعقدون خلوة لهم في الزوايا[3] والربط والاماكن المخصصة[4] لهم يتدارسون العلم فيها ويذكرون الله[5] .

وظهر عدد من اعلام الاشراف الذين سلكوا مسلك المتصوفة والزهاد وشاركوا في نشاط الحركة الصوفية وازدهارها ومنهم الشريف عبد السلام بن مشيش الحسني شيخ مشايخ الصوفية[6]، كان عالماً فقيهاً عابداً متصوفاً صادقاً احد الائمة العارفين واكابر المرشدين والكاملين, بنى قواعد التصوف على القران الكريم والسنة النبوية الشريفة متمسكاً وعاملاً بهما ولم ينحرف عن جادة الشريعة[7], وهذا هو اساس التصوف فهو تطور طبيعي لعناصر متاصلة من القران الكريم والسنة النبوية[8]، وهما قطب الرحى الذي يدور حولهما التصوف عند القطب الشريف والغاية التي

([1]) Al-Tawil Muhannad, The Importance of Sufi Traditions to Jerzy Grotowski's Practice, University of Kent, 2017, p. 165 .

([2]) الرقب, دراسات في التصوف, ص3.

([3]) هي مكان تجمع المريدين لأجل أداء العبادات، كالصلاة، وتلاوة القرآن الكريم، وحفظ الحديث النبوي الشريف، وإقامة الدروس الدينية؛ ينظر: الكتاني، نور الهدى، الادب الصوفي في المغرب والاندلس في عهد الموحدين، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2008م)، ص45 .

([4]) David The new cambridge medieval history, V c. p 634, 635 .

([5]) غريب، ابو الحسن الشاذلي، ص13 .

([6]) التليدي، المطرب، ص90 .

([7]) كوهن، طبقات الشاذلية، ص59 – 60؛ النبهاني، جامع كرامات الاولياء، ج2، ص167؛ التليدي، المطرب، ص 91– 93؛ محمود، قطبا المغرب سيدي عبد السلام ابن بشيش، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، د.ت)، ص27؛ محمود، القطب الشهيد، ص15 – 16؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج21، ص7161 .

([8]) Browne, Edward, Literary History of Persia, London, T. F. Unwin, 1902,vol. 1, p. 418–419. Snouck-Hurgronje, Christiaan, Verspreide Geschriften, Bonn and Leipzig, K. Schroeder, 1923–1927,p. 476 .

يصل بها المؤمن الى مقام الصدقين، فقال: " عبادة الصديقين عشرون: كلوا، واشربوا، والبسوا، وانكحوا، واسكنوا، وضعوا كل شيء حيث أمركم الله، ولا تسرفوا، واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، واشكروه، وعليكم بكف الاذى، وبذل الندى، فإنها نصف العقل، والنصف الثاني: أداء الفريضة، واجتناب المحارم، والرضا بالقضاء، وان عبادة الله التفكر في امر الله، والتفقه في دين الله، وعين العبادة الزهد في الدنيا، ورأسها التوكل على الله، فهذه عبادة الاصحاء المؤمنين، وان كنتم مرضى فاستشفوا، واسترقوا بالعلماء، واختاروا منهم الاتقياء الهداة المتوكلين على الله "[1] .

وعلى الرغم من ان الشريف لم يترك مؤلفات تناسب مقامه الصوفي شأنه في ذلك شأن علماء التصوف الكبار امثاله، الا انه تتلمذ على يديه كبار علماء التصوف الذين حملوا علمه الى مختلف البلدان[2]، فضلا عن صلاته وهي من اعظم اثاره في التصوف المعروفة بـ (الصلاة المشيشية)، التي استفتحها بقوله: " اللهم صل على من منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم، فأعجز الخلائق، وله تضاءلت الفهوم، فلم يدركه منا سابق ولا لاحق ... "[3]، وهي بالرغم من قصرها الا انها تعكس حباً عميقاً للنبي (ρ) فهي جوهرة طريقته الفريدة، ولهذه الصلاة مقام رفيع عند المتصوفة فقد جمع الشريف من خلالها بين الادب الرفيع والمعنى الاخلاقي والطهارة والاخذ بظاهر السنة في الاقوال والافعال واداء الفرائض[4]، التي يجب ان يتحلى بها المتصوف، وعنها قال العشاب[5]: هي " نص فريد من بين التصليات التي سجلها أدب التصوف منذ أواخر القرن السادس

([1]) محمود، القطب الشهيد، ص15 – 16 .

([2]) ابن كوهن، طبقات الشاذلية، ص60 .

([3]) ابن زكري الفاسي، محمد بن عبد الرحمن، (ت:1144هـ/1731م)، الالمام والاعلام بنفثة من بحور علم ما تضمنته صلاة القطب مولانا عبد السلام، تحقيق: هشام بن محمد بن حجير الحسني، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2010م)، ص100 .

([4]) الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج21، ص7161 .

([5]) عبد الصمد، القطب الرباني مولاي عبد السلام بن مشيش، دار العلم للملايين، (بيروت، ص92 – 93 .

الهجري حتى الآن ....، في عباراته المنتقاة ومعانيه الراقية تنساب فيه العبارات في رقة وعذوبة محملة بدفق الإيمان وصفاء المحبة التي ما إن تخالطها الروح وتستعذبها المسامع حتى تحلق بصاحبها في أجواء من السمو وملكوت الجمال ....، لأنه صادر عن عالم عارف وبليغ أريب " .

كما قال عنها الشيخ العارف محمد المرون[1]: " الصلاة المشيشية فيها التجريد والتفريد والتوجّه والانسلاخ من الشوائب والتعلقات الدنيوية والأخروية، لأن صاحبها كان له قلب مفرد فيه توحيد مجرد وغرق في بحر الوحدة، ولها ازجار وتصريفات " .

وشرحها العديد من علماء التصوف والعارفين وفسروها بتفاسير عديدة ومتنوعة منها ما جاء في الذات، واخرى في الصفات، وبعضها في الاسماء، وايضاً في الافعال، ... وغيرها من التفاسير التي حارت بها عقول العلماء، ووصفت عند المتصوفة بـ (سيدة الصلوات)[2] .

ومن هذه الشروح كتاب (النفحات القدسية من الحضرة العباسية في شرح الصلاه المشيشيه) للخروبي[3] (ت:963هـ/1556م)، و(شرح الصلاة المشيشية) للكواش[4](ت:1218هـ/1803 م)، وكتاب (شرح الصلاة المشيشية)، وكتاب (الإلمام

([1]) محمد بن احمد بن محمد، شموس الانوار ومعادن الاسرار على صلاة القطب الاكبر مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه وقدس سره، تحقيق: محمد بن محمد المهدي التمسماني، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2008م)، ص57 .

([2]) المرون، شموس الانوار، ص57 .

([3]) وهو محمد بن علي الخروبي، يكنى بـ (ابو عبد الله) ويعرف بـ (الخروبي او السفاقسي)، من علماء الجزائر واحد كبار فقهائها مالكي المذهب، اديب بليغ وخطيباً فصيحاً،مفسر ومحدث، توفي بالجزائر، له العديد من المصنفات منها كتاب (الحكم الكبرى) في التفسير؛ ينظر: الزركلي، الاعلام، ج6، ص270؛ خدوسي، موسوعة العلماء، ج1، ص753؛ نويهض، معجم اعلام الجزائر، ج1، ص267 .

([4]) وهو صالح بن حسن الكواش، من اهل تونس ولد سنة (1137ه/1725م)، عرف بـ (الكواش) نسبة الى حرفة ابيه (كواشا) اي فراناً في اصطلاح أهل تونس، تعلم ودرس في تونس بجامع الزيتونة؛ ينظر: الورثلاني، الحسين بن محمد، (ت: 1193ه/1779م)، شرح نظم النورية في التوحيد، تحقيق: البشير برمان، دار الكتب العلمية، (بيروت،2012م)، ص175؛ الزركلي، الاعلام، ج3، ص190 .

والإعلام) وهو ايضاً في شرح الصلاة للفقيه ابن زكري (ت:1144هـ/1731م)[1] وغيرهم كثير من العلماء والمتصوفين .

كما كان الشريف ابو الحسن الشاذلي ممن ينتحل التصوف وصف بأنه: " حجة المتصوفين، وعلم المهتدين "[2]، فهو المجدد للطرق الصوفية في القرن (7هـ/ 13م)، والمحور الذي تدور عليه طرق التصوف في العالم الاسلامي[3]، فقد سعى الشريف الى تعلم العلوم الشرعية منذ صغره وانتهج التصوف وجد واجتهد به حتى تمكن من اتقانها وصار يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة[4] .

ولم يخرج الشريف الشاذلي ومدرسته الصوفية عن اطار الكتاب والسنة، فهو تلميذ الشريف ابن مشيش ولن يخرج التلميذ عن ما رسمه شيخه، لذا لم يتأثر بالنظريات الفلسفية التي أدخلت الى التصوف اموراً غريبة جعلته اقرب الى النظريات الفلسفية[5]، وعرف التصوف بأنه: " تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية "[6]، ويقول: " للتصوف أربع صفات: التخلق بأخلاق الله، وحسن المجاورة لأوامر الله، وترك الانتصار للنفس حياءً من الله، وملازمة البساط بصدق الفناء مع الله "[7] .

([1]) وهو محمد بن عبد الرحمن بن زكري، يكنى بـ (أبو عبد الله)، من اهل فارس احد فقهاء المالكية الكبار له عدة مؤلفات منها: كتاب (حاشية على الجامع الصحيح للبخاري)، وكتاب (المهمات المفيدة في شرح النظم المسمى بالفريدة)، وغيرها؛ ينظر: مخلوف، محمد بن محمد بن عمر (ت:1360هـ)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، ط2،(بيروت، 2010م)، ص335؛ الزركلي، الاعلام، ج6، ص197 .

([2]) ابن عطاء، لطائف المنن، ص75 .

([3]) التليدي، المطرب، ص125 .

([4]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص5 .

([5]) غريب، ابو الحسن، ص43 – 49 .

([6]) غريب، ابو الحسن، ص55 .

([7]) الجالودي، عليان، التحولات الفكرية في العالم الاسلامي اعلام وفكر وتحركات وافكار من القرن العاشر الى الثاني عشر للهجرة، نشر: المعهد العالي للفكر الاسلامي، (الاردن، 2014م)، ص406 .

تقوم طريقته الصوفية طريقتان الأولى: التبرك وقد اخذها عن الشيخ الولي محمد بن حزام بن علي بن حزام، والثانية هي طريقة ارادة وقد اخذها عن الامام القطب عبد السلام بن مشيش الحسني, فكانت طريقتهُ مشتملة على السلوك والمجاهدة والعناية, والادب والقرب والرعاية, وتشيد بالعلمين الظاهر والباطن من سائر اطرافها وقرنت بصفات الكمال شريعة وحقيقة[1]، وتتركز على خمسة أصول هي: تقوى الله في السر والعلانية، واتباع السُنة في الأفعال والأقوال، والإعراض عن الخلق في الاقبال والأدبار، والرضا عن الله في القليل والكثير، والرجوع إلى الله تعالى في السَراء والضراء[2] .

وبرز اثره في النشاط الصوفي تدريساً وتأليفاً من خلال عقده للمجالس والقاء الدروس على المريدين[3]، ومن مؤلفاته الصوفية المهمة التي لا غنى للمتصوفة عنها هي مجموعة من الاحزاب والاوراد والادعية وقد جمع العلماء هذه الاحزاب وشرحها في عدة كتب منها كتاب (اوارد الطريقة الشاذلية للقطب الغوث الفرد الامام ابي الحسن الشاذلي واعيان مشايخ طريقة رضي الله عنهم اجمعين)[4] واحتوى على مجموعة كبيرة من الاحزاب وهي: (حزب البحر، وحزب النور، وحزب الشيخ، وحزب النصر، ومجموعة من الادعية والاوراد للشريف الشاذلي)، وهي عبارة عن ادعية وآيات قرآنية .

([1]) الكتاني، سلوة الانفس, ج1, ص78؛ الكوهن، الطريقة الشاذلية، ص54 .

([2]) النقشبندي، جامع الاصول، ص10 .

([3]) المناوي، طبقات الصوفية، ج2، ص470-471 .

([4]) جمعها: نوح حاميم كلر، وطبعت من قبل دار الزاهد للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م .

ومنها ايضاً كتاب (مجموعة الاحزاب) [1] وهو في التصوف والأوراد، وجمع الأوراد والأحزاب الشاذليه وكثير من حقائق التصوف وكثير من اللطائف القلبية الملكوتية والأسرار الروحية الجبروتية وغير ذلك، وقد كتب بصيغة الدعاء[2] .

وكتاب (النفحة العلية في اوراد الشاذلية)[3] وضم هذا العديد من الاحزاب والاوراد والادعية للشريف منها: (حزب الطمس، وحزب التوسل، وحزب الشكوى، وحزب الحمد، وحزب الدائرة، وحزب الفلاح، وحزب الاخفا، وحزب الحفيظة)، وغيرها كثير من الاحزاب والصلوات، ولهذه الاحزاب اثار وخواص روحية ومادية اعتاد قراءتها الصوفية ولاسيما الشاذلية[4]، وغيرها من المؤلفات التي عنيت بجمع احزاب الشريف وطبعها ليسهل تواجدها بين المتصوفة ليتمكنوا من قراءتها والاطلاع عليها .

ومن مؤلفات الشريف الشاذلي في التصوف ايضاً كتاب (السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل)[5]، يتناول هذا الكتاب تفسير المقصود بكلمة حسبي الله ونعم الوكيل وبيان أبزر ما ذكر في هذه الكلمة ومكانها عند الله سبحانه وتعالى وهو ان أرفع المراتب وأكثرها قوة حين يدعو لمظلوم على ظالمه ويقول فيه حسبي الله ونعم الوكيل, ويجب على الإنسان ان يختار الوقت المناسب واذا كان له حق ومصرح الدعاء فيه[6] .

([1]) طبعت عدة مرات منها: طبعت الاستانة، واخرى تحت عنوان مجموعة الأحزاب الشاذلية للقطب أبي الحسن الشاذلي ولسائر شيوخ الطريقة العلية، جمعها العارف ضياء الدين احمد بن مصطفى النقشبندي الخالدي، (ت:1311هـ/1894م)، ضبطها واعتنى بها الدكتور عاصم ابراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي سنة (1289هـ/1872م)، دار الكتب العلمية بيروت .

([2]) النقشبندي، مجموعة الاحزاب الشاذلية، مقدمة المحقق ص6 .

([3]) جمعها: عبد القادر زكي، وطبعت من قبل مطبعة النيل، القاهرة، سنة (1321هـ/1903م).

([4]) التليدي، المطرب، ص126 .

([5]) طبع بتحقيق: محمد فهمي حسين الزهيري، بمطبعة الشرق، (القاهرة، 2008م) .

([6]) الشاذلي، خواص حسبنا الله، مقدمة المحقق ص8 .

ولـه ايضـاً كتـاب (رسـالة الامـين لينجـذب لـرب العـالمين)[1] وهـو فـي آداب التصـوف يبحـث الكتـاب فـي اصـول وآداب وطـرق للوصـول الـى الله سبحانه وتعالـى وما يحتاج اليه المريد السالك في طريق التصوف الوصول الى معرفة الله تعالى ومن الاصـول التـي لـيس للعـارف والمريـد غنـى عنهـا مـن معرفـة امـر الطريـق فـي مقـام المعرفـة والسـلوك والتحقيـق وغايـة آداب البـدايات والتوسـط والنهايـات فـي الوصـول لحضـرة التحقـق بالأسماء والصـفات فقد نطـق بهـا الشـريف لتكـون اصـولا لكـل مريـد وعارف في بحر الحقيقة[2]، وله كتاب (الجواهر المصونة واللالي المكنونة)[3] .

وقـد وقـع بـين يـدي خـلال البحـث فـي فهـارس مكاتـب المخطوطـات علـى مجموعـة من مؤلفات الشريف في التصوف، منهـا: كتاب (مطـالع الانوار ومظـاهر الاسـرار)[4]، وكتـاب (الاخـوة)[5]، وكتـاب (وظيفـة الاسـتغفار)[6]، وكتـاب (المواهـب السنيه والفتوحات الربانيه في شرح ابيات القصيده الدمياطيه)[7]، وكتاب (تأليف في احـوال المتصـوفه)[8]، وكتـاب (نزهـة القلـوب وبغيـة المطلـوب)[9]، وكتـاب (كتـاب

(1) طبع تحت عنوان (رسالة الامين في الوصول الى رب العالمين ويلية الوصيا للقطب الفرد سيدي ابي الحسن الشاذلي قدس الله سره)، تحقيق: احمد ريد المزيدي، نشر: دار الحقيقة للبحث العلمي، القاهرة، 2008م .

(2) الشاذلي، رسالة الامين، مقدمة المحقق ص4 .

(3) مطبوع، نشر: المطبعة الثقافية 1992م ، وطبعة ثانية من المكتبة العلمية والفلكية بيروت.

(4) مكتبة: جامعه ليبزج، المانيا، الرقم التسلسلي:(33920)، رقم الحفظ: (236) .

(5) يوجد منها نسختين :

الاولـى: فـي مكتبـة: المتحـف البريطـاني، لنـدن، الـرقم التسلسـلي: (33882)، رقـم الحفـظ: (1436).

والثانيـة: فـي مكتبـة: مركـز الملـك فيصـل للبحـوث والدراسـات الاسـلامية، الريـاض،)، والـرقم التسلسلي: (120197)، رقم الحفظ: (ب 17868) .

(6) مكتبة: العبدلية بجامع الزيتونة، تونس، الرقم التسلسلي: (33921)، رقم الحفظ: (235/3).

(7) مكتبة: المكتبة، قطر، الرقم التسلسلي: (77651)، رقم الحفظ: (78) .

(8) مكتبة: خزانه القرويين، فاس، الرقم التسلسلي: (85997)، رقم الحفظ: (723) .

(9) مكتبة: شستربيتي، دبلن، الرقم التسلسلي: (51086)، رقم الحفظ: (3168/1) .

صلوات على النبي عليه السلام)[1]، وكتاب (المنتقى في كلام اهل التقى)[2]، وكتاب (المجموع في المعرفه على مراد الربوبيه)[3]، وكتاب (رسالة في التصوف)[4] .

ومن علماء آل البيت العلوي المتصوفة ايضاً الشريف ابو زكريا يحيى الزواوي كان من العباد الزهاد الصالحين شديد الخوف من الله (I) اخذ التصوف من كبار علماء بلده ثم رحل صوب المشرق والتقى هناك بالفضلاء والمتصوفة واخذ عنهم[5]، وقد ذكره صاحب كتاب (التشوف الى رجال التصوف) وعده احد الزهاد والمتصوفة الكبار في عصره[6] .

ومنهم الشريف المتصوف احمد بن محمد الحسني فهو من العلماء المتميزين، واهل الكرامات المعروفين، واحد الفقهاء الكبار مشاركاً في جميع العلوم الشرعية واحد المتصوفين واهل الافتاء البارزين في عصره[7] .

وعلى نحو ذلك كان الشريف محمد بن علي العمراني زاهدا عابدا كبير الشأن غلب عليه التصوف وهو من اصحاب الكرامات[8] .

([1]) مكتبة: دار الكتب الوطنية، تونس، الرقم التسلسلي: 99218، رقم الحفظ: رقم التسلسل 4519 .

([2]) يوجد منها نسختين:

الاولى: في مكتبة: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، الرقم التسلسلي: 111917، رقم الحفظ: 2258–ف .

الثانية: اسم المكتبة: مكتبه الفاتيكان، الفاتيكان، الرقم التسلسلي: 115927، رقم الحفظ: 1/573 .

([3]) مكتبة: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، الرقم التسلسلي: 119628، رقم الحفظ: ب 17331 .

([4]) يوجد منها نسختين :

الاولى: في اسم المكتبة: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، الرقم التسلسلي: 120204، رقم الحفظ: ب 17868–17869 .

الثانية: في اسم المكتبة: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرسلض، الرقم التسلسلي: 125135، رقم الحفظ: ب 40829.

([5]) ابن الزيات، التشوف، ص428؛ الغبريني، عنوان الدراية، ص127 .

([6]) ابن الزيات، ص428 .

([7]) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص135 .

([8]) ابن الزيات، التشوف الى رجال التصوف، ص446؛ الطعمي، تكملة جامع الكرامات، ص376 .

المبحث الثاني

اثرهم في مجال العلوم الانسانية والطبيعية

اولا: علو اللغة العربية والادب

تعد علوم اللغة العربية هي الاساس في معظم البلدان الاسلامية لأنها لغة القران الكريم، وبلاد المغرب احد هذه البلدان التي عنيت بشكل خاص بعلوم اللغة وفنونها منذ الفترة الاولى لدخول الاسلام اليها، اذ وجد قادة الفتح الاسلامي ان السبيل الوحيد الذي يحفز اهل البلاد من البربر للدخول الى الاسلام عن قناعة وفهم هو ان يسير التعريب بخطى ثابتة الى جانب التقدم العسكري، وبالفعل نجحوا في تحقيق هدفهم نجاحاً باهراً[1]، وتطور الادب في المغرب وانجبت مدنها عدداً كبيراً من النحويين، واللغويين، والادباء، والشعراء، كان من بينهم من ينتمي الى آل البيت العلوي الذين اتقنوا مختلف فنون العلم، وسوف ابين ذلك على النحو الاتي :

1. اللغة والنحو

يعرف علم اللغة: بانه علم يهدف الى بيان الموضوعات اللغوية، بعد ما وصلت اليه ملكة اللسان العربي من الفساد في الحركات المسماة عند النحويين بـ (الاعراب)، وازداد ذلك الفساد نتيجة الاحتكاك بالعجم ومخالطتهم حتى وصل الى اللفظ فأصبح كثيراً من كلام العرب يستعمل في غير موضوعه، فوجد ائمة اللسان الى ضرورة حفظ اللغة العربية وموضوعاتها، فلجأوا الى التدوين وتأليف الكتب في ذلك[2] .

وعرف ايضاً:- بانه العلم الذي يبحث في اللغة ويتخذها موضوعاً له فيدرسها من النواحي الوصفية، والتاريخية، والمقارنة، ويدرس العلاقات الكائنة بين اللغات المختلفة او بين مجموعة من هذه اللغات ويدرس وظائف اللغة واساليبها المتعددة وعلاقتها بالنظم الاجتماعية المتعددة[3] .

---

(1) ينظر: بونار، رابح، المغرب العربي تاريخيه وثقافته، نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، (الجزائر،1981)، ص22، 23؛ شواط، مدرسة، ج1، ص192.

(2) ينظر: ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص370 .

(3) عبد التواب، رمضان، المدخل الى علم اللغة ومنهاج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، ط3، (القاهرة ،1417هـ)، ص7.

وقد اسهم علماء آل البيت العلوي في علم اللغة والنحو وظهر الكثير من الاشراف اللغويين، ويجب قبل الخوض في ذكرهم ان نبين ان مصطلحي (العربية) و(علم العربية) التي وردت في تراجم الاشراف في المغرب، جاءت بمعنى (النحو) فاذا كان المشارقة كتبوا (النحو واللغة) فإن المغاربة كتبوا (العربية واللغة) أي بمعنى النحو واللغة[1] .

والنحو: " هو انتحاء سمت كلام العرب من تصرفه من اعراب وغيره كالتثنية والجمع والتصغير والتكسير والاضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهل ها في الفصاحة فينطق بها وان لم يكن منهم وان شذ بعضهم عنها رد به اليها"[2].

ومن أولئك الاشراف اللغويين والنحويين الشريف ادريس بن ادريس الحسني فقد كان من اهل اللغة والنحو فصيحاً بليغاً[3] .

وقيل عن الشريف عمارة بن يحيى الحسني كان فقيهاً له علم وادب[4] متقدماً في علم العربية[5] عالماً بها[6] .

ولم يقتصر أثر الاشراف باللغة العربية والنحو على التأثر والتشبع بها فقط دون تحقيق اهداف علمية او اغراض تربوية فيها بل نجدهم انتقلوا الى المشاركة في نشاط الدراسات العربية عن طريق الاقراء والتدريس اذ اشغل الشريف ابو عمران موسى الحسني نفسه بدراسة وتدريس النحو وغيرها من العلوم، ولاسيما كتب سيبويه (180هـ/ 796م) وانتفع به الناس[7] .

([1]) حجازي، محمد فهمي، علم اللغة العربية، دار غريب، (د. م: د. ت)، ص62-63.
([2]) ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت:392هـ/1002م)، الخصائص، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، (القاهرة، د. ت)، ج1، ص35.
([3]) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص161؛ اللهيوي، حصن السلام، ص271؛ العمراني، الجواهر الباهرة، ص131 .
([4]) الغبريني، عنوان الدراية، ص45 .
([5]) الغبريني، عنوان الدراية، ص45؛ نويهض، معجم اعلام الجزائر، ص241 .
([6]) كحالة، معجم المؤلفين، ج7، ص269 .
([7]) ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص3 .

وكان الشريف جابر بن احمد الحسني يعد من كبار علماء عصره في اللغة والنحو[1]، ومثله الشريف احمد بن محمد العمراني فهو من العلماء المشاركين في العربية وعلومها[2] .

وكذلك كان الشريف علي بن محمد عالماً بالنحو وعلم لسان العرب، قال عنه ابن القاضي[3]: " وكانت له اليد الطولى في العربية "، ووضعت له خطة للإجازة بعلوم العربية والنحو[4] .

2. الأدب

عرف ابن خلدون[5] الادب: أنه " الإجادة في فني المنظوم والمنثور على اساليب العرب ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة من شعر عالي الطبقة وسجع متساوٍ في الاجادة، ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة، يستقرئ منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية، مع ذكر بعض من ايام العرب يفهم به ما يقع في اشعارهم منها... ثم انهم إذا أرادوا رصدَّ هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ اشعار العرب واخبارها والاخذ من كل علم بطرف، يريدون من علوم اللسان او العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث، إذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب " .

فمن البديهي ان يمتد النشاط العلمي لعلماء آل البيت العلوي الى حقل الدراسات الادبية، لاسيما بعد ان اثبتوا قدراتهم في جل ميادين المعرفة الدينية، ومن خلال تتبعنا لمختلف نواحي حياتهم نجدهم كانوا يتمتعون بقدرة ادبية عالية وذلك من خلال حرصهم على استقامة الفاظهم، وتناسق مفرداتهم، مما يدل على مدى نشاطهم الادبي الذي اشتمل مختلف مناحي الادب من شعر ونثر فني ادبي رائق .

---

(1) ابن الابار، التكملة، ج1، ص201؛ نويهض، معجم اعلام الجزائر، ص68 .

(2) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص137؛ منصور، اعلام المغرب العربي، ج4، ص259 .

(3) درة الحجال، ج3، ص232 .

(4) ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص232 .

(5) المقدمة، ج2، ص376 .

وكان الادب من بين العلوم التي نالت حظاً وافراً لدى علماء آل البيت العلوي اذ ظهر منهم ادباء وشعراء اجلاء عنوا بتدوين المأثور من الشعر والنثر وروايته واختباره ونقده، ومن اولئك الادباء الشريف احمد بن القاسم الحسني كان عالماً اديباً، لم يكن احداً يوازيه بشهرته العلمية من بين ادباء عصره[1]، وقيل عن الشريف محمد بن ادريس الحسني انه كان ذا ادب رائق وعلم واسع[2]، في حين وصف الشريف جابر بن احمد التلمساني بأنه كان اديب لغوي، وذو جد واجتهاد وايثار[3]، اما الشريف اسماعيل بن حمزة الحسني فقد ذكر بأنه من كبار ادباء عصره[4] .

وسوف اتناول موضوع الادب من خلال الحديث عن فرعيه الشعر والنثر، معتمدة في ذلك على المادة المتوفرة للفترة الزمنية المحددة للدراسة .

أ. النثر

النثر: هو الاسلوب المتبع في التعبير ويكون النثر لغة مكتوبة أو منطوقة منطوياً على معنى وخاضعا لأصول اللغة من دون ان يستعين بالبناء القائم على التفعيلة او الروي الموحد مما هو معروف في فن الشعر، كما يرتفع النثر الى ما فوق مستوى التأليف العادي باستخدام السجع[5]، والجناس[6]،

---

(1) ينظر: البكري، المغرب، ص130؛ منصور، اعلام المغرب العربي، ج2، ص247 .

(2) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص88 .

(3) ابن الابار، التكملة، ج1، ص201؛ نويهض، معجم اعلام الجزائر، ص68 .

(4) ابن بشكوال، الصلة، مج1، ص126 .

(5) وهو ان تتوافق الفاصلتين في الكلام المنثور على حرف واحد، كقوله تعالى: {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً {1}فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً {2} فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً {3} فَأثر نَ بِه نَقْعاً {4} فَوَسَطْنَ بِه جَمْعاً} سورة العاديات، اية 1-5؛ ضياء الدين، نصر الله بن محمد، (ت:637هـ/1240م)، المثل السائر في اداب الكاتب والشاعر، تحقيق: احمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، (القاهرة، د. ت)، ج1، ص210.

(6) وهو نوعان الاول يتماثل ركناه ويتفقا لفظاً ويختلفا معنى من غير تفاوت في تصحيح تركيبهما واختلاف حركتهما، سواء كانا اسمين او فعلين او اسم وفعل، ويعرف (بالجناس التام)، اما النوع الثاني فهو(الجناس غير التام) وهو ما اختلف فيه اللفظان في اختلاف تركيبهما أوحركتها، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله، (ت:837هـ/1433م)، خزانة الادب وغاية الارب، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، (بيروت،2004م)، ج1، ص74، 86.

والطباق[1] وغيرها من فنون البلاغة[2] .

والنثر نوعان وهما (النثر الفني، والنثر التأليفي)، ومن خلال تتبع مسيرة الادباء من علماء آل البيت العلوي تبين لنا اهتمامهم بالنوع الاول

وهو ما يعرف بـ (النثر الفني): وهو احد اساليب كتابة الاخوانيات، والرسائل الديوانية، وكذلك الوصايا، والحكم، والخطب وغير ذلك من انواع النثر الفني المتنوعة[3] .

ومن ألوان النثر الفني الذي عرفه الاشراف هو (الخطابة)[4] سواء كانت سياسية أم دينية فإن ما تحمله تلك الخطب التي كان ادباء الاشراف يلقونها على مسامع الناس من عذوبة في الكلام والتناسق في السياق تركت في انفسهم أثراً كبيراً حفزهم على المسير الى ما يهدف إليه الشريف من خطبته، ومنها تلك المقتطفات للخطبة التي القاها جد الاشراف في المغرب ادريس بن عبد الله الكامل الحسني بعد وصوله

([1]) هو ان تجمع بين ضدين مختلفين، كالايراد والاصدار، والليل والنهار، والسواد والبياض، وهو على نوعين ايجاب: وهو ما لم يختلف فيه الضدان ايجابا وسلباً، والسلب هو ما اختلف فيه الضدان ايجاباً او سلباً؛ النويري، احمد بن عبد الوهاب بن محمد، (ت:733هـ/1333م)، نهاية الارب في فنون الادب، دار الكتب والوثائق القومية،(القاهرة،1423هـ)، ج7، ص98-101؛ الجارم، علي ومصطفى امين، البلاغة الواضحة، تحقيق: علي بن نايف الشحوذ، د.مط، (د.م، 1428هـ)، ص226-228.

([2]) عتيق، عبد العزيز، الادب الاندلسي، دار النهضة، ط2، (بيروت، 1407هـ)، ص431 .

([3]) مجهول، الموسوعة العربية المسيرة، دار احياء التراث الاسلامي،(بيروت،1407هـ)، ج2، ص1823؛ عسيري، مريزن سعيد، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، مكتبة الطالب الجامعي، (مكة المكرمة،1985م)، ص379.

([4]) وهي فن من فنون الكلام غايته اقناع السامعين واستمالتهم والتأثير فيهم، بصواب قضية ابخطأ أخرى، وبلوغ موضع الاهتمام بعقولهم، وموضع التأثير في وجدانهم، فهي تتواخى الجانب الوجداني في الدرجة الاولى، فهي تقوم على التأثير؛ الشنطي، محمد صالح، فن التحرير العربي وضوابطه وأنماطه، دار الأندلس، ط5، (السعودية،2001م)، ص225؛ موسى، اشرف محمد، الخطابة وفن الالقاء، مكتبة الخانجي، (القاهرة، د.ت)، ص7؛ الشايب، احمد، الاسلوب، مكتبة النهضة المصرية، ط12،(القاهرة ،2003م)، ص116.

الى المغرب فصعد المنبر وقال: " وقد خانت جبابرة في الافاق شرقاً وغرباً، واظهروا الفساد وامتلأت الارض ظلماً وجوراً، ... واعلموا معاشر البربر اني اتيتكم وانا المظلوم الملهوف، والطريد الشريد، الخائف الموتور، الذي كثر اوتره وقل ناصره، وقتل اخوته وابوه وجده واهلوه "[1]، فإن هذه المقتطفات على قصرها إلا انها واضحة العبارة، متينة السبك، وعذبة الالفاظ، فضلاً على ما تحمله من فنوناً بلاغية كالمحسنات البديعية الجميلة منها السجع بقوله: (غرباً) و(جوراً)، (ناصره)، و(اهلوه)، والطباق كقوله: (شرقاً وغرباً)، (ظلماً وجوراً) .

أما الخطبة التي القاها ابنه الشريف ادريس بن ادريس الحسني الذي عرف بأدبه فقد كان عالماً اديباً بليغاً فصيح اللسان، ناظماً وناثراً[2]، فصعد المنبر وقال: " الحمد لله، احمده واستعين به واستغفره واتوكل عليه ... ايها الناس، إنا قد ولينا هذا الامر، الذي يضاعف للمحسنين فيه الاجر، وللمسيء الوزر، فنحن والحمد لله على قصد جميل، فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا، فأن ما تطلبونه من اقامة الحق انما تجدوه عندنا "[3]، فإن هذه الخطبة فضلاً على القضايا السياسية التي تثيرها من معاقبة المسيء، ومكافأة الموالي، وتمجيد لدولتهم، نجد فيها عناية كبيرة بالتذوق الادبي، فضلا على انها تحمل معظم خصائص الخطابة كافتتاحها بالحمد، وتضمينها للعلوم البديعية من المحسنات اللفظية كالسجع، والمحسنات المعنوية والاسلوب الحكيم واختيار الالفاظ الفصيحة ذات الجرس والرنوق الموسيقي، فضلاً على اسلوب المجاز اذ وصف دولتهم وسياستها بكلمات معدودة اذ قال: " فنحن والحمد لله على قصد جميل "، ولحقها بحاجة الناس للعدل والحق مؤكداً ان هذا ما سيجدونه عندهم، ثم دعاهم الى بيعتهم والتمسك بطاعتهم، بهذا الاسلوب البلاغي

---

(1) الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج1، ص261 .

(2) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص16؛ السجلماسي، اتحاف اعلام الناس، ج2، ص28.

(3) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص28؛ وينظر: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص16؛ الجزجاني، جنى زهرة الاس، 16 –17؛ اللهيوي، حصن السلام، ص256؛ السجلماسي، اتحاف اعلام الناس، ج2، ص28 .

الرائـع وتلـك الالفـاظ ذات الرونـق اللطيـف تمكـن مـن ان يحصـد اعجـاب النـاس بفصاحته ونبله، المقرونة بقوة جأشه وثبوت جنانه على صغر سنه فما ان نزل حتى سارع الناس لبيعته، وهذا ما اكد عليه المؤرخين[1] .

ومن الخطب الدينية التي حملت فنوناً بلاغية ومحسنات لفظية، ما روي عن الشريف ابو الحسن علي الشاذلي عن الخطبة التي حث بها الناس على مجاهدة النفس والسير على طريق الصلاح والحق، اذ يقول: " اذا ثقل الذكر على لسانك، وكثر اللغو في مقامك، وانبسطت الجوارح في شهوتك، وانسد باب الفكرة في مصالحتك، فاعلم ان ذلك من عظيم اوزارك، او لكمون ارادة النفاق في قلبك، وليس لك طريق الا طريق الاصلاح، والاعتصام بالله، والاخلاص في دين الله تعالى، الم تسمع قوله تعالى: ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[2] "[3]، حملت تلك الاسطر معظم الفنون البلاغية الواجب توفرها في الخطابة، اذ تضمنت نصوصاً للقران الكريم، ومحسنات لفظية بلاغية من اقتباس وسجع وجناس .

ومن الوان النثر الفني التي عرفها الاشراف هي (الحكمة) اي تضمين النثر الحكم المأثورة لما لذلك من وقع في النفوس وحفظها في الأذهان، فإن اقوال الحكمة الجيدة كثيرا ما كان الاشراف ينطقون بها ومن ذلك ما روي عن الشريف عبد السلام بن مشيش الحسني كقوله: " الفرائض مشهورة، والمحرمات معلومة، فكن للفرائض حافظاً، وللمعاصي رافضاً "[4]، وقوله: " اذا خرج لك مخرج الرضا فكن شاكراً، واذا خرج لك مخرج السخط فكن صابراً "[5]، وكان يقول: " ورفض الدنيا قطب تدور عليه

([1]) ينظر: ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص16؛ الجزجاني، جنى زهرة الاس، 16 –17؛ اللهيوي، حصن السلام، ص256؛ السجلماسي، اتحاف اعلام الناس، ج2، ص28 .

([2]) سورة النساء، اية (146) .

([3]) الكوهن، طبقات الشاذلية الكبرى، ص23 .

([4]) ابن عجيبه، شرح صلاة القطب، ص14؛ وينظر: التليدي، المطرب، ص100 .

([5]) التليدي، المطرب، ص100؛ كنون، وينظر: النبوغ المغربي، ج1، ص151 .

الخيرات، واصل جامع لأنواع الكرامات "[1]، فإن ذلك التناسق في الالفاظ ووضوح الفكرة المنشودة من الحكمة لم تخلو من المسحة الادبية، وعلوم بديعية انيقة كالسجع بقوله: (مشهورة) و(معلومة)، وقوله: (حافظاً) و(رافضاً)، هذا فضلا على ما تحمله من محسنات بديعية جميلة كالطباق بقوله: (شاكراً) و(صابراً) .

ولم يقتصر الامر في هذا اللون النثري على الحكمة فقد كان (للنصح والارشاد) التي ينطق بها ادباء الاشراف له اثراً كبيراً في نفوس الناس لما تحمله من تعبير ادبي جميل ومتناسق وخصائص بلاغية عالية، ومنها نصح الشريف ابن مشيش لتلميذه الشريف ابو الحسن الشاذلي بقوله: " الله الله والناس تنزه لسانك عن ذكرهم، وقلبك عن التماثيل من قبلهم، وعليك بحفظ الجوارح واداء الفرائض، وقد تمت ولاية الله عليك، ولا تذكرهم الا بواجب حق الله عليك، وقد تم ورعك عليهم، وقل: اللهم ارحمني من ذكرهم، ومن العوارض من قبلهم، ونجني من شرهم، وغنني بخيرك عن خيرهم، وتولني بالخصوصية من بينهم، انك على كل شيء قدير "[2]، وقوله ايضاً: " يا ابا الحسن اهرب من خير الناس، اكثر من ان تهرب من شرهم، فأن خيرهم يصيبك في قلبك، وشرهم يصيبك في بدنك، ولان تصاب في بدنك خيراً من ان تصاب في قلبك، ولعدوا تصل به الى ربك خيراً من حبيب يقطعك عن ربك "[3]، ان القارئ لتلك النصائح بنظرة ادبية يجد انها لم تخلُ ابداً من الخصائص الادبية والبلاغية الرائعة من السجع والاجناس والطباق، كقوله: (شرهم) و(خيرهم)، وقوله: (قلبك) و(بدنك) و(ربك) وغيرها من المفردات البلاغية، فضلا على انها جاءت تحث على الوعي والوعظ والتأدب، هذا اضافة الى الفاظها العذبة المتناسقة التي تدخل السرور الى سامعها وقارئها .

([1]) ابن عجيبه، شرح صلاة القطب، ص14؛ وينظر: التليدي، المطرب، ص100؛ كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص151 .

([2]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص23؛ وينظر: ابن عجيبه، شرح صلاة القطب، ص14؛ التليدي، المطرب، ص95؛ غريب، ابو الحسن، ص16 .

([3]) ابن عجيبه، شرح صلاة القطب، ص14؛ وينظر: التليدي، المطرب، ص100؛ غريب، ابو الحسن، ص16 . .

ولم يكن هذا الون النثري حصراً على الشريف ابن مشيش بل تعداه الى غيره من الاشراف كتلميذه الشريف ابو الحسن الشاذلي اذ كان من الذين نطقوا بالحكمة والقول المأثور، وزادوا تفنناً به فمن حكمه التي ينصح بها بترك حب الدنيا وملذاتها قوله: " اطلق نعيم الدنيا ... فالمال يطغي، والطعام يقسي، والكلام يلهي، والمنام ينسي "[1]، وكذلك قوله: " من تحقق الوجود فني عن كل موجود، ومن كان بالوجود ثبت له كل موجود "، ومن اقواله: " لا ترقى قبل ان يرقى بك "[2]، جمعت تلك الاقوال معظم الخصائص النثرية البديعة كالسجع وحسن التعليل، وغيرها من المحسنات البديعية الاخرى مع قلة الفاظها وقصر عبارتها فضلاً على كثرة معانيها .

ب. الشعر

عرفه ابن خلدون[3] بقوله: هو" الكلام الموزون المقفى, ومعناه الذي تتكون اوزانه كلها على روي واحد وهو القافية ... اذ اساليب الشعر تباح فيها اللوذعية وخلط الجد بالهزل والاطناب في الاوصاف وضرب الامثال وكثرة التشبيهات والاستعارات ".

حفلت بلاد المغرب بأعداد غفيرة من الادباء وفحول الشعراء والمتذوقين له ولعل المتصفح لكتب التراجم المغربية سوف يثير انتباهه اعداد العلماء الشعراء اذ لا يوجد عالم قد تخصص بفن من فنون العلم دون ان يكون قائلا للشعر او حافظاً له[4], وهؤلاء هم الذين عملوا على ارواء الحركة الشعرية بشعرهم المتعددة المعاني والاغراض كالغزل والزهد والتصوف والمدح والهجاء والرثاء، وغيرها .

---

(1) المناوي، الكواكب الدرية، ج2، ص480 .

(2) الكوهن، طبقات الشاذلية الكبرى، ص31 .

(3) المقدمة, ج2، ص393؛ وينظر: الاهدل, محمد عبد الرحمن شميلة, الشعر في ضوء الشريعة الاسلامية, الجامعة الاسلامية, (د. م،1977م), ص149.

(4) ينظر مثلا: معالم الإيمان لابن الدباغ؛ وطبقات علماء أفريقية لأبو العرب؛ وطبقات علماء أفريقية للخشني؛ ورياض النفوس للمالكي؛ وترتيب المدارك للقاضي عياض.

ومن علماء آل البيت العلوي الشعراء الذين اجادوا بقول الشعر الشريف محمد بن محمد الادريسي اذ كان شاعرا بليغاً ظريفاً[1]، وصف بأنه حاذق زمانه، وسابق ميدانه في توليد المعاني وتجويدها, فقد كان شعره متعدد الاغراض والاهداف فيه المدح والعتب والحزن والاسى والشوق[2], ومن شعره في الغربة، التي يصف به حاله في يأس وعدم رضا لكثرة تنقله بين البلدان وختمها بإقامته في صقلية بجوار ملك نصراني في وقت كان فيه الحرب قائمة بين المسلمين والنصارى، فيقول[3]:

ليـــت شـــعري ايـــن قبـــري ... ضـــاع فـــي الغربـــة عمـــري

لـــم ادع للعـــين مـــا تشـــ ... ـــتاق فـــي بـــر وبحـــر

وخبـــــرت النــــاس والارض ... لــــــدي خيـــــر وشـــــر

لـــم اجـــد جـــاراً ولا داراً ... كمـــا فـــي طـــي صـــدري

فكــــأني لــــم أسِــــرْ ... بميــــــت او بفقيــــــر

ومن شعره ما جاء لغرض الحكمة قوله[4]:

دعنـــي اجـــل مـــا بـــدت لـــي ... ســـــفينة او مطيـــــة

لا بـــد يقطـــع ســـيري ... امنيـــــة او منيـــــة

ولـم يقتصـر شـعر الشـريف الادريسـي علـى ذلـك، بـل نجـد لـه كـذلك قصـائد ومقطوعـات شـعرية فـي اغـراض اخـرى مـن مـدح, وعتـب, وهـي لا تقـل جـودة عـن سابقتها فكلها لطيفة العبارة لينة التراكيب وسهلة الالفاظ, ومن شعره في العتب, نجد

(1) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص139؛ كنون، مشاهير رجال المغرب، ج1، ص227؛ الزركلي، الاعلام، ج7، ص24؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج11، صص236؛
Waern, Mediaeval Sicily aspects, p. 74-75; Zaimeche, Sicily, p. 17

(2) كنون، مشاهير رجال المغرب، ج1، ص227 .

(3) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص139؛ كنون، مشاهير رجال المغرب، ج1، ص227 .

(4) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص139؛ كنون، مشاهير رجال المغرب، ج1، ص227 .

له ابيات يشتكي بها من اهل المشرق بعد عودته منهم خائب الامل، اذ لم يظفر بما كان يصبوا اليه من التقدير اللائق باعتباره احد نوابغ المغرب الكبار، فيقول :

ان عيباً على المشارق ان ارجع عنها الى ذيول المغارب
وعجيب يضيعُ فيها غريب بعدما جاء فكره بالغرائب
ويقاسي الظمَا خلا أناس قسموا بينهم هدايا السحاب

وله شعر في غرض المدح يقول فيه(1):

ومن قبل ان امشي على قدم المنى سعى قلمي في المدح سعياً على الرأس

ومن شعره في الوصف قوله(2):

وليل كصدر اخي غمة قطعناه حتى بلغنا النجاح
وبدر السماء بدا في النجوم كما لاح في الناس بدر السماح

يتبن لنا مما سبق ذكره ان شعره كان يتميز بالجودة ووضوح المعنى، فضلا عن لطفه ورقته في ترجمة مشاعره وانطباعه، كما ان الفاظه كانت بسيطة سلسة بعيدة عن التكلف وقريبة من افهام الناس متميزة بسهولة التعبير بحيث ينقاد الى فهمه الخاص والعام بدون كثير عناء .

ومن الاشراف الذين كان لهم مشاركة في النشاط الادبي وعملوا على اغناء جانب الشعر بما تميزوا به من شعر رائق وادب عظيم الاديب الشريف عبد الرحمن بن عبد الله الحسني اذ ذكرت له المصادر مجموعة اشعار لأغراض متعددة وقد اجاد بها جمعياً, ومنها قوله في مذهبه(3) :

أيا سائلي عن مذهبي ان مذهبي تجنب خلق الله كل التجنب
وصدق وصبر دائم وقناعة واخلاص ود للصديق المهذب

---

(1) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص139؛ كنون، مشاهير رجال المغرب، ج1، ص227 .

(2) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص139؛ كنون، مشاهير رجال المغرب، ج1، ص227 .

(3) ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص76؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش من الاعلام، ج8، ص91؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج1، ص282 .

وسادسه ترك الجدال بأسره وسابعه الا أبوح بمذهبي

وقد بلغ درجة عالية من الفحولة بالشعر حتى اصبح يعارض ويرد على بعض قصائد الشعراء في حال وجد ما يمكن الرد عليه، وله في ذلك قصيدة يعارض فيها قصيدة للشاعر ابو الحسن الرعيني[1] (ت:666هـ/1268م)، يقول فيها[2] :

لقل لومي لما ان ارى ولهي وكف لما رآني كاسف البال
وقال لي اجديد ثوب عمرك هذا فقلت له يا صاح بل بالي
سربلت ثوب الصبا مذ رق عن بدلي وكم تسربلت منه سربال
دعني ارو ماء اماني من رمقى علي ابل بذاك الماء بلبالي
يحق لي ان احلى بالضنا جسدي وان اديم لوادي الدمع سيالي

وثمة اديباً اخر من الاشراف اوتي نظم الشعر فأجاد فيه وهو الشريف علي بن خليل المسفر فقد كان كثير الايثار شاعراً فصيحاً، يتميز شعره بصبغة علمية دينية فلسفية ممزوجة بالتصوف لم يتحدد بغرض معين ولم يربوا لهدف واحد غلب عليه

([1]) وهو علي بن محمد بن علي الرعيني، يكنى بـ (أبو الحسن)، اندلسي الاصل ولد بإشبيلية سنة (592هـ/1196م) ودرس بها، كان ابوه يعمل فخاراً لذا كان يقال له ابن الفخار، وهو من كبار العلماء اديباً وشاعراً، وكاتباً مجيداً، واحد فقهاء المذهب المالكي المشهورين، له عدة مؤلفات منها كتاب (الإيراد لنبذة المستفاد من الرواية والإسناد بلقاء حملة العلم في البلاد على طريق الاقتصار والاقتصاد) وهو برنامج بشيوخه، وقد تولى القضاء مدينة في مورو (Moron) قرب إشبيلية سنة (615هـ/1218م) كما عمل كاتباً، وبقي يتنقل في الأعمال الديوانية بين غرناطة وإشبيلية ومرسية الى ان توفي بمراكش؛ ينظر: ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين (ت:799هـ/1397م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: مأمون بن محي الدين، دار الكتب العلمية،(بيروت،1417هـ)، ص331؛ الزركلي، الاعلام، ج4، ص333.

([2]) ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص76؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش من الاعلام، ج8، ص91؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج1، ص282 .

الزهد والوعظ والرثاء وكثر ذكر الموت[1], وله في ذلك قصيدة رائعة حول (فلسفة الموت)[2] جمع فيها بين الفلسفة والأدب والتصوف، تحدث بها بأسلوب بلاغي فلسفي فتان، يناقش فيها موضوع الانتقال من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة، قال[3] :

قُلْ لأخوان رأوني ميّتاً	فبكوني ورثوني حَزَنَا
أعلى الغائب مني حزنكم	أم على الحاضر معكم هاهنا
أتظنّون بأنّي ميْتكم	لستُ ذاك الميت والله أنا
أنا في الصور وهذا جسدي	كان لبسي وقميصي زمنا
أنا كنزٌ وحجابي طلسم	من تراب قد تهيّا للفنا
أنا در قد حواني صدف	طرت عنه فتخلى رهنا
أنا عصفور وهذا قفصي	كان سجني فألِفتُ السجنا
أشكر الله الذي خلصني	وبنى لي في المعالي ركنا
كنت قبل اليوم ميتا بينكم	فحييت وخلعت الكفنا
فأنا اليوم أناجي ملأً	وأرى الله جهاراً علنا
عاكفٌ في اللوح أقرأ وأرى	كل ما كان ويأتي ودنا
وطعامي وشرابي واحد	وهو رمز فافهموه حسناً
ليس خمراً سائغاً أو عسلاً	لا ولا ماءً ولكن لبنا
هو مشروب رسول الله إذ فطرنا	إذ كان يسري فطره مع فطرنا
فافهموا السر ففيه نبأ	أي معنىً تحت لفظي كمنا
فاهدموا بيتي ورضوا قفصي	وذروا الطلسم بعدي وثنا

([1]) ينظر: ابن العربي، محاضرة الابرار، مج1، ص224؛ كنون، ذكريات، مشاهير المغرب، ج1، ص276 –277؛ كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص156 .

([2]) لقد نسب بعض المؤرخين هذه القصيدة للغزالي (ت:505هـ/1111م)، وقد ناقش صحة ذلك عدد من العلماء واكدوا بالأدلة انها للشريف ابو الحسن المسفري، للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن العربي، محاضرة الابرار، مج1، ص224 –225؛ كنون، ذكريات، مشاهير المغرب، ج1، ص276 – 288 .

([3]) ابن العربي، محاضرة الابرار، مج1، ص224 –225؛ كنون، ذكريات، مشاهير المغرب، ج1، ص287 – 288؛ الزركلي، الاعلام، ج4، ص285 .

وقميصـــــي مزّقـــوه رممــــاً ودعـــوا الكــل دفينـــا بيننـــا
قـــد ترحلـــت وخلفـــتكم لسـت أرضـى داركـم لـي وطنـا
حـــيُ ذي الـــدارِ نـؤوم مغـرق فـــإذا مـــات أطـــار الوســـنا
لا تظنـــوا المـــوت موتـــاً إنــــه لحيـــاةٌ وهـــو غايـــات المنـــى
لا تـــرعكم هجمـــة المـــوت فمـــا هــــي إلا نقلـــة مـــن هاهنـــا
فـــاخلعوا الأجســـاد عـــن أنفســـكم تبصـــروا الحـــقّ عيانـــاً بيّنـــا
وخـــذوا الـــزاد جميعـــا لا تتـــوا لـــيس بالعاقـــل منـــا مـــن ونـــى
حســـنوا الظـــن بـــربٍ راحـــمٍ شـــاكرٍ للســـعي وتـــأتوا أمنـــا
مـــــا أرى نفســــــيَ إلا أنـــــتم واعتقـــادي أنكـــم أنـــتم أنـــا
عنصـــر الأنفـــسُ منـــا واحـــدٌ وكـــذا الجســـمُ جميعـــاً عمنـــا
فمتـــى مـــا كـــان خيـــر فلنـــا ومتـــى مـــا كـــان شـــر فبنـــا
فــــــــارحموني ترحمـــــــــوا أنفسـكم واعلمـوا أنكـمُ فـي إثرنـا
أســـــأل الله لنفســـــي رحمـــــةً رحـــــم الله كريمـــــاً أمنـــــا
وعلـــيكم مـــن ســـلامي صـــيب وســــــلام الله بــــــدأ وثنـــــى
أبـــد الـــدهر إلـــى يـــوم يـــرى بعضـــنا بعضـــا لرحـــب وهنـــا

فإن ما تقدم من أبيات شعرية يدل على ما يتحلى به الشاعر من امكانيات ادبية عالية مكنته من اخراج قصيدة على سبك قوي متين, وهو يقوم برسم صورة رائعة يتمكن من خلالها القارئ أن يدرك حسا ومعنى أن الموت جزء لا يتجزأ من الحياة، ويجب على كل انسان أن لا يترفع عليه، وان يعرف ان ما حياة القرار لا ما بعد الموت التي لن يرافقك بها الا الايمان والعلم والاعمال الصالحة .

ومن قوله ايضا في الزهد[1]:

يـــا أيهـــا المبتلـــى بـــذمي قـــد علـــم الله مـــا تقـــول
فـــالقول إن خـــف فـــي لســـاني أخـــافني وزنـــه الثقيـــل
وحـــافظ كاتـــب شـــهيد يكتـــب عنـــي الـــذي أقـــول

([1]) ابن العربي، محاضرة الابرار، مج1، ص224 –225؛ كنون، ذكريات، مشاهير المغرب، ج1، ص276 –277 .

مــن حاســب الــنفس كــل حــين لـــــم يتهـــــاون بمـــــا يقـــــول

واجـاد ادبـاء آل البيـت العلـوي فـي لـون اخـر مـن الـوان الشـعر الا وهـو (الموشحات) وهو احد الالوان الشعرية الجميلة التي تميز بها اهل المغرب والاندلس، وعرف بأنـه: كـلام منظـوم مـوزون، يختلـف عن الـوان الشعر الاخرى بتنـوع الاوزان والقـوافي، ويكـون اللحـن فيـه تابعـاً للـنظم، اذ يمكـن ان يسـبق نظـم الكلمـات وضـع اللحن، وبذلك تكون صياغة الكلمات على لحن موجود مسابقاً، فضـلا عن امكانيـة الجمع ما بين الفصحى والعامية مما يضيف اليه رونقاً جميل(1) .

ومـن الاشـراف الـذين اوتـوا الموهبـة الشـعرية فـي هـذا البـاب ولمعـوا بـه الشـريف عمارة بن يحيى الحسني فقد كان احد فحول الشعر في المغرب فهو من المتقدمين فـي فنـون علـم العربيـة والادب، اشـتهر بقصـائده وبموشـحاته التـي كانـت فـي غايـة الحسـن والابـداع ضـرب النـاس بـه المثـل، اذ روي ان كثيـراً مـا اسـتعاروا بعـض مـن موشـحاته لحـل خلافـاتهم، فيقـول احـدهم للأخـر: " وأغنـي لـك موشـحاً لعمـارة "(2)، ولعلمه الواسع في الادب نجد ان مؤلفاته في العلوم الاخرى قد صبغت بصبغة ادبية، فقد كان له تأليف في علم الفرائض منظوم، فضـلا عن ذلك لـه ديوان شعر(3)، ومن شعره ما كتبه لاحد ولاة الموحدين يستعطفه ويستشفع عليه بجده رسول (ρ)، ليخرجه من معتقله – كما ذكرنا سابقاً –، فأرسل له يقول(4) :

---

(1) ابـن مهران، الصـناعتين، تحقيـق: علـي محمـد البجـاوي ومحمـد أبـو الفضـل إبراهيم، نشـر: المكتبة العنصرية، (بيروت، 1419هـ)، ص382؛ هبـة الله، ابن جعفر بن سناء الملك الكاتب، (ت: 608هـ/1211م)، دار الطراز في عمل الموشحات، دار الفكر، 1977م، ص32؛ عباسة، محمـد، الموشـحات والازجـال الاندلسـية واثرهـا فـي شـعر التروبـادور، دار ام الكتـاب، (الجزائـر، 2012م)، ص47 .

(2) الغبرينـي، عنـوان الدرايـة، ص45؛ نـويهض، معجـم اعـلام الجزائـر، ص241 ؛ خدوسـي، موسوعة العلماء والادباء، ص152.

(3) الغبرينـي، عنـوان الدرايـة، ص45؛نـويهض، معجـم اعـلام الجزائـر، ص241؛ كحالـة، معجـم المؤلفين، ج7، ص269 .

(4) الغبريني، عنوان الدراية، ص47 .

سلام كعرف المندل الرطب في الجمر	والا كما هب النسيم على الزهر
فلله در مقلتين بعبرة	تعبر فوق الخد عن كامن السر
وقد راعني ايماض برق بذي الغضا	كما ابتسم الزنجي عن بهج الثغر
بدا لي ان الليل اورى زناده	ولا نار الا نور برق له يسري
ونار با كبادي اكابد حرها	وقلب سليم قلب في لظى جمر
وما طائر فوق الغصون مسرح	كمن بات مقصوص الجناحين في وكر
فلم انس توديع البنين مصفداً	واصغرهم يجري وادمعه تجري
ابا زيد اني بالحسين وسيلتي	وجدي شفيع الناس في موقف الحشر

ولم يقتصر هذا الفن الجميل على الشعراء الاشراف فقط، بل كان للنساء الشريفات دور بارز ومهم في ذلك، فقد برزت احدى العالمات الشريفات وهي الشريفة عائشة ابنة الشريف عمارة بن طاهر الحسني اذ سارت على خطى ابيها فكانت اديبة ربيبة، ذات فصاحة وبلاغة، وشاعرة متمكنة في مختلف الون الشعر واغراضه روي بأنها كان لها ظرائف الاخبار، ومستحسنات الاشعار، فضلا عن ذلك كانت ذات خط حسن اذ كتبت كتاب (يتيمة الدهر) للثعالبي[1](350هـ/691م)، ثمانية اجزاء بخطها، وفي خاتمة كل سفر منه تكتب قطعة شعر من نظم والدها[2]، وفي ذلك

([1]) وهو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ويكنى بـ(أبو منصور) من اهل نيسابور ولد سنة (350هـ/961م)، كان احد كبار أئمة اللغة العربية والأدب والتاريخ ونبغ فيها، عمل فراءٍ يخيط جلود الثعالب، لذا عرف بالثعالبي، واشتغل بالأدب والتاريخ، له العديد من المصنفات منها كتاب (فقه اللغة)، وكتاب (سحر البلاغة) وغيرها كثير؛ ينظر: كمال الدين الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله، (ت: 577هـ/1181م)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، نشر: مكتبة المنار، ط3، (الأردن، 1985م)، ص256؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج17، ص437 .

([2]) الغبريني، عنوان الدراية، ص47 – 48؛ كحالة، عمر بن رضا بن محمد، اعلام النساء في عالمي العرب والاسلام، ج3، ص182 –183؛ نويهض، معجم اعلام الجزائر، ص366 – 377؛ الناجي، سحر، الداء والدواء في اخبار النساء، دار الحضارة للنشر والتوزيع، (الرياض، 2005م)، ص16 .

يقول ابيها واصفاً جودة خطها وحسنه، بقوله: " وتكتب القطعة بخطها وهي نسخة عتيقة ما رأيت أحسن منها ولا اصح، ولقد رأيت منه نسخاً كثيرة منتقدة الا هذه النسخة، ولقد يجب ان تكون هذه النسخة اصلا لهذا الكتاب حيث كان، ويقع التصحيح منها "[1]، ومن شعرها ما انشدته لنفسها قائلة :

اخـــــذوا قلبـــــي وســـــاروا   واشـــــتياقي أودعـــــوني
لا اعـــــد ان لـــــم يعـــــودوا   فاعـــــذروني او دعـــــوني[2]

ونتيجة لما كانت تملكه من امكانية ادبية عالية بعثت بهذه الابيات الى الشاعر ابن الفكون[3] توفي اوائل القرن (7هـ/14م)، وهو شاعر عصره آنذاك في المغرب الاوسط تسئله معارضتهما، او الزيادة عليهم، فبعث معتذراً عن الجواب قائلاً لها: " ان الاقتصار عليهما هو الاصوب "[4]، وهذا يدلل على ما كانت تتمتع به هذه الاديبة الشاعرة من فنون بلاغية ادبية رائقة، ومن نظمها أيضا قولها[5] :

صـــدني عـــن حـــلاوة التشـــييع   اجتنـــابي مـــرارة التوديـــع
لـــم يقـــم خيـــر ذا بوحشـــة هـــذا   فرأيـــت الصـــواب تـــرك الجميـــع

(1) الغبريني، عنوان الدراية، ص47 –48 .

(2) الغبريني، عنوان الدراية، ص 47؛ كحالة، اعلام النساء، ج3، ص182 .

(3) وهو علي بن الحسن بن فكون، اصله من قسنيطينة، من الفقهاء الكبار، والكتاب البارعين، واحد الادباء البارزين الذين امتازوا بالادب المستظرف، غزير النظم والنثر جيد الشعر، له رحلة نظمها في سفره من قسنيطينة الى مراكش؛ ينظر: الغبريني، الاعلام، ص334 .

(4) الغبريني، عنوان الدراية، ص 48؛ كحالة، اعلام النساء، ج3، ص183 .

(5) الغبريني، عنوان الدراية، ص47 –48 .

كما اجادت في لون اخر من الشعر وهو (المداعبة)، وقد كتبت في هذا الغرض بعد ان تقدم لخطبتها رجلاً من الاشراف كان اصلع، فلم تجبه على طلبه، فقالت في ذلك الموقف عدة ابيات تداعب بها صاحبتها من الفتيات، تقول فيها[1] :

عـــذيري مـــن عاشـــق اصـــلع   قبـــــيح الاشــــارة والمنــــزع
يـــروم الـــزواج بمـــا لـــواتي   يـــروم بـــه الصـــفع لـــم يصـــفع
بـــرأس حـــويج الـــى كيـــة   ووجـــه فقيـــر الـــى برقـــع

ومن الاشراف الذين شاركوا في النشاط الشعري الشريف ابراهيم بن ادريس الحسني اذ كان ينظم الشعر ويحسن القول به وصف بأنه: كان " شاعر اديب، حسن الشعر، خبيث الهجاء "[2]، واشعاره تشهد له بذلك اذ امتازت بعذوبة الالفاظ وتعدد الاغراض والاهداف ما بين الهجاء والمدح والعتب, فضلاً عن جمال المعنى, وله في الهجاء قصيدة طويلة يخاطب بها المروانيين بقرطبة على اثر المحنة التي اصابت الاشراف في الاندلس على يد ابن ابي عامر بعد ان تغلب على هشام المؤيد واستبد في الامر دونه، واخرج الاشراف من البلاد، قال فيها متعجباً[3] :

فيمـــا أرى عجـــب لمـــن يتعجـــب   جلـــت مصـــيبتنا وضـــاق المـــذهب
إنـــي لأكـــذب مقلتـــي فيمـــا أرى   حتـــى أقـــول غلطـــت فيمـــا أحســـب
أيكـــون حيـــا مـــن أميـــة واحـــد   ويســـوس هـــذا الملـــك هـــذا الأحـــدب
تمشـــى عســـاكرهم حـــوالي هـــودج   أعـــواده فـــيهن قـــرد أشـــهب
ابنـــى أميـــة أيـــن أقمـــار الـــدجى   مـــنكم ومـــا لوجوههـــا تتغيـــب

([1]) الغبريني، عنوان الدراية، ص 48؛ كحالة، اعلام النساء، ج3، ص183 .

([2]) الضبي، بغية الملتمس، ج1، ص262؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص226؛ منصور، اعلام المغرب العربي، ج1، ص34 .

([3]) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص227؛ منصور، اعلام المغرب العربي، ج1، ص34؛ ابو طعمة، ياسر، محمد بن ابي عامر المعافري في الشعر الاندلسي خلال القرن الرابع الهجري، دار الكتاب الثقافي، (الاردن، د.ت)، ص38؛ حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، ص130 .

كما برع في نظم فن المدح وكتب قصيدة طويلة مدح بها مؤيد الدولة هذيل بن خلف بن رزين، صاحب القلاع وهجا اخر غيره في درجها، اذ قال فيها[1] :

للبين ي تعذيب نفسي مذهب ولنائبات الدهر عندي مطلب
أما ديون الحادثات فإنها تأتي لوقت صادق لا تكذب
والبين مغرى كيده بأولى النهى طبعا تطبع والطبيعة أغلب

ومنها...

أيقنت أني للرزايا مطعم ودمى لوافدة المكاره مشرب
فأنا من الآفات عِرضٌ سالمٌ وجوانح تكوى وعقل يذهب

ومن امراء الادارسة الذين امتازوا بغزارة شعرهم ونظمهم الجيد الامير الشريف ادريس بن ادريس الحسني اذ كان شاعراً مجيداً فصيحاً بليغ اللسان[2]، اذ عرف الاشراف الادارسة معظم ابواب الشعر التقليدية، غير ان الشعر السياسي كان طاغياً على الابواب الاخرى نظراً للصراعات التي كانت قائمة في ايامهم[3]، فكان للعامل السياسي دور في اثراء ملكته الشعرية، ولاسيما بعد ان كشف العباسيين محاربتهم لأشراف المغرب، فقد واصل واليهم على افريقية ابراهيم بن الاغلب[4](261-289هـ/874-901م)، العمل على اثارة الفتن وتدبير المكائد للإيقاع بهم، وتمكن من

([1]) الحميدي، جذوة المقتبس، ص152 – 153؛ الضبي، بغية الملتمس، ج1، ص262؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص227؛ منصور، اعلام المغرب العربي، ج1، ص35؛

([2]) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص25؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص161؛ السجلماسي، اتحاف اعلام الناس، ج2، ص27؛ اللهيوي، حصن السلام، ص271 .

([3]) حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، ص130 .

([4]) وهو ابراهيم بن احمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب بن تميم الأغلب القيروأني، احد امراء بني الأغلب ولي القيروان، كان ملكاً حازماً صارماً ابتنى الحصون والمحارس، توفي غازياً بصقلية سنة (289هـ/901م)؛ ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج13, ص487.

استمالة احد قادته وهو بهلول بن عبد الواحد[1] وأنظم الى ابن الاغلب[2]، فكتب له الشريف ابياتاً يعاتب بها قائده على خيانته له، قائلا[3] :

أبهلـول قـد حملـت نفسـك خطـة تبـــدلت منهـــا عولـــة برشـــاد
اضـــلك ابـــراهيم عـــن بعـــد داره فأصـــبحت منقـــاداً بغيـــر قيـــاد
كأنـك لـم تسـمع بمكـر أبـن اغلـبِ غــدا اخــذا بالسـيف كـل بــلاد
ومـن دون مـا منتـك نفسـك خاليـاً ومنـــاك ابـــراهيم شـــوك قتـــاد

كما برع في لون اخر من الشعر وهو الشكوى، فيقول معبراً عن شوقه وحنينه الى آل البيت[4] :

لـــو مـــد صـــبري النـــاس كلهـــم لكل من روعتي او ضل في جزعي
بـــان الاحبـــة فاســـتبدلت بعـــدهم همـــاً مقيمـــاً وشـــملاً غيـــر مجتمـــع
كـــأنني حـــين يجـــري الهـــم ذكـــرهم علـــى ضـــميري مجبـــول علـــى الفـــزع
تـــأوي همـــومي اذا حركـــت ذكـــرهم الـــى جـــوانح جســـم دائـــم الهلـــع

ومـنهم ايضـاً الاميـر الشـريف القاسـم بـن ادريـس الحسـني الـذي بـرع فـي نظـم الشعر، وله مقطوعات شعرية وقصائد تدلل على شاعريته الجيدة المتمكنة، اذ صنعها واجاد فيها على معاني اهل النسك وطرائق الزهاد، ومن ذلك قصيدة كتبها الى اخيه

---

(1) وهو بهلول بن عبد الواحد المدغري، بربري كان رئيساً في قومه؛ ينظر: ابن الاثير، الكامل فـي التـاريخ، ج5، ص319؛ ابـن الابـار، الحلـة السيراء، ص111، ابـن خلـدون، العبـر، ج6، ص157؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص220 .

(2) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص27؛ السجلماسي، اتحاف اعلام الناس، ج2، ص29؛ اللهيوي، حصن السلام، ص272 .

(3) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص27؛ السجلماسي، اتحاف اعلام الناس، ج2، ص29؛ الناصـري، الاستقصـا، ج1، ص220؛ كنـون، ذكريـات مشـاهير المغـرب، ج1، ص1048؛ اللهيوي، حصن السلام، ص272؛ حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، ص130 .

(4) ينظـر: الصـفدي، الـوافي بالوفيـات، ج8، ص205؛ حركـات، المغـرب عبـر التـاريخ، ج1، ص131 .

الامير محمد اعتذر بها عن عدم امتثاله لأمره بمحاربة اخيهما الشريف عيسى، يقول فيها[1]:

ســـأترك للراغـــب الغـــرب نهبـــا	وإن كنـت فـي الغـرب قـيلا ونـدبا
وأســمو إلـــى الشــرق فـــي همـــة	يعـــز بهـــا رتبـــا مـــن أحبـــا
وأتـــرك عيســـى علـــى رأيـــه	يعـــالج فـــي الغـــرب همـــا وكربـــا
ولـــو كـــان قلبـــي عـــن قلبـــه	لكنـــت لـــه فـــي القرابـــة قلبـــا
وإن أحـــدث الـــدهر مـــن ريبـــه	شـــقاقا علينـــا وأحـــدث حربـــا
فـــإني أرى البعـــد ســـترا لنـــا	يجـــدد شـــوقا لـــدينا وحبـــا
ولـــم نجـــن قطعـــا لأرحامنـــا	نلاقـــي بـــه آخـــر الـــدهر عتبـــا
وتبقـــى العـــداوة فـــي عقبنـــا	وأكـــرم بـــه حـــين نعقـــب عقبـــا
وأوفـــق مـــن ذاك جـــوب الفـــلاة	وقطـــع المخـــارم نقبـــا فنقبـــا

اختار الشريف اسلوباً بلاغياً دقيق ولطيف المعنى قريباً على قلوب الناس وافكارهم، ممزوجاً بخلق عالي يدلل فيه على حبه لأخيه مع ما يحمله من حرارة العاطفة ولوعة الاسى على ما اصابهم، فيذكر نفسه واخواه الى ما يربطهم من صلة رحم ويدعوه الى تحلي بأخلاق المؤمنين ويبن له انه سوف يخسر به حب اخيه وتكون سنة بين ابنائهم من بعدهم ان استمر العداء بينهما .

2. علم التاريخ

وهو فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين, والتوقيت, وموضوعه: الانسان, والزمان ومسائله: احوالها المفصلة للجزئيات تحت دائرة الاحوال العارضة الموجودة للانسان, وفي الزمان[2] .

ومما لاشك فيه ان علم التاريخ له عناية, واهتمام كبيرين في الحياة الحضارية لدوره الكبير في تسجيل الوقائع, وحفظ العلوم والمعارف من الفناء, وفي ذلك المعنى

([1]) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص132؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص203 .

([2]) السخاوي, الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، مؤسسة الرسالة، (بيروت،1086م), ص19.

قال المؤرخ المسعودي[1]: " ولولا تقييد العلماء خواطرهم على الدهر, لبطل اول العلم, وضاع اخره, اذا كان كل علم من الاخبار يستخرج, وكل حكمة منها تستنبط, والفقه منها يستشار, واصحاب القياس عليها يبنون, وأهل المقالات بها يحتجون, ومعرفة الناس منها تؤخذ وامثال الحكماء فيها توجد, ومكارم الاخلاق, ومعاليها منها تقتبس, واداب سياسة الملك والحزم منها تلتمس, وكل غريبة منها تعرف, وكل عجيبة منها تستطرق, وهو علم يستمتع بسماعه العالم والجاهل, ويستعذب موقعه الاحمق والعاقل, ويأنس بمكانه وينزع إليه الخاصي والعامي, ويميل الى روايته العربي والاعجمي " .

على نحو ما شارك علماء آل البيت العلوي في مختلف العلوم وتركوا أثرهم الواضح في ازدهار الحياة العلمية من البديهي ان تكون لهم مشاركة في ميدان علم التاريخ وعلى ضوء الفترة الزمنية المحددة للدراسة نجد ان هناك اثنان منهم قد عنوا بالتاريخ وسير العرب والملوك وهما الشريف ادريس بن ادريس الحسني فقد كان احد مؤرخي عصره من اعلم الناس بالتاريخ، عارفاً بأيام العرب وسير الملوك وسياستها[2] .

والشريف احمد بن القاسم الحسني فقد كان " عالماً ورعاً حافظاً للسير وعالماً بتواريخ الملوك وايام الناس وانساب قبائل العرب والبربر "[3] .

3. علم الجغرافية

شهد ميدان الجغرافية نشاطاً كبيراً تمثل بالجهود الجغرافية المبذولة من قبل احد ابرز علماء الجغرافية وهو الشريف محمد بن محمد الادريسي، فأن من خلال دراسة كتب التراجم لعلماء آل البيت العلوي في المغرب خلال المدة الزمنية المحددة

---

(1) علي بن الحسين بن علي، (ت:346هـ/957م), مروج الذهب ومعادن الجوهر, تحقيق: كمال حسن مرعي, المكتبة العصرية, (بيروت،2004م), ج2, ص53.

(2) كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب، جـ ذ، ص1406؛ العمراني، الجواهر الباهرة، ص131؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج1، ص259 .

(3) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص87؛ الفضالة، الجوهر العفيف، ص .

للدراسة لاحظنا ان ليس هناك من علماء الاشراف من اختص بعلم الجغرافية الا عالماً واحد وهو الشريف الادريسي، وفي الحقيقة لو لم يوجد غيره في هذا العلم عامة لكان كافياً فقد عمل الشريف الادريسي على تأليف كتب ورسم خرائط وصناعة مجسم للكرة الارضية كانت اساس لكل من يريد ان يتبحر في علم الجغرافية .

فقد كان اول عالم جغرافي متخصص بهذا الفن بشكل خاص في التاريخ، اذ وهب نفسه لهذا العلم واخراج فيه مالم يخرجه قبله، ورفع بذلك الجغرافية الى مصاف العلوم الكبرى[1]، فكان من ابرز من ساهم بنشاط الدراسات الجغرافية فألف للمصنفات التي عدة امهات لكتب الجغرافية ويأتي في مقدمتها: كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)[2] وقد طبع هذا الكتاب المهم في عدة طبعات اول طبعة كانت تحمل اسم (نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق)[3]،

([1]) مؤنس، تاريخ الجغرافية، صص167 .

([2]) توجد للكتاب عدة نسخ مخطوطة في مكاتب مختلفة منها :

1. نسخة في مكتبة بودليانا، أكسفورد، تحت رقم (884/1 (7) , 131/2 (3)) .

2. نسخة في مكتبة ايا صوفيا، إسطنبول، تحت رقم (3663)، تسلسل (35211).

3. نسخة في مكتبة كوبرلي، اسطنبول، تحت رقم (955) .

4. نسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، السعودية، تحت رقم (02537)، تسلسل (6049) .

5. نسخة في مكتبة مكتبه الاوقاف، الموصل، تحت رقم (53, 93) .

6. نسخة في مكتبة دار الكتب المصريه، تحت رقم (6/66 (265)) .

7. نسخة في مكتبة المكتبه الوطنيه، باريس، تحت رقم (2/2221) .

8. نسخة في مكتبة الكويت، الكويت، تحت رقم (296) .

9. نسخة في مكتبة مكتبه المخطوطات، الكويت، تحت رقم (1062 م ك) .

10. نسخة في مكتبة معهد المخطوطات العربيه، القاهرة، تحت رقم (3) .

11. نسخة في مكتبة معهد احياء المخطوطات العربيه، القاهرة، تحت رقم (60) .

([3]) وهي أقدم طبعة على الإطلاق، صدرت هذه الطبعة العربية في مدينة (ميديشتي) في روما سنة 1592م، وهي طبعة مكتملة نسبياً، لكن يشوبها أخطاء كثيرة، اعتنى بها عدد كثير من المستشرقين؛ ينظر: نصار، سالم، موسوعة عباقرة الاسلام، دار اسامة للنشر والتوزيع، (د.م، 2004م)، ص84؛ مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص228؛ البدوي، موسوعة المستشرقين، ص551.

ثم طبعت أجزاء متفرقة منه في عدد من البلدان[1]، أما الطبعة الاخيرة فقد حملت اسم (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)[2]، ويعرف ايضاً بـ (كتاب روجر)، او (الكتاب الروجري)[3]، نسبة الى ملك صقلية روجر الثاني الذي رغب بتأليف كتاب جغرافي جديد يقف به على حقيقة العالم بشكل مطابق للخريطة، ويضاف اليها احوال البلاد والارضي في اماكنها المختلفة وبقاعها العديدة وصورها وبحارها وجبالها وكل ما تحمله من معالم، فأرسل بطلب الشريف الادريسي الذي عرف بعلمه الواسع لتحقيق هدفه[4] .

فتصدى الشريف الادريسي لذلك معتمداً على ما يملكه من اطلاع واسع على معظم الكتب الجغرافية التي كتبت حتى القرن (4هـ/10م)، وقد اشار في مقدمة الكتاب باعتماده على أثني عشر كتاباً جغرافياً، كما قام باختيار نخبة من الرجال

---

(1) ينظر: فانديك، ادوارد كرنيليوس، (ت:1313هـ/1895م)، اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، أشهر التآليف العربية في المطابع الشرقية والغربية، تحقيق: السيد محمد علي الببلاوي، نشر: مطبعة التأليف الهلال، (مصر،1896م)، ص52 .

(2) طبعت بواسطة (عالم الكتب) في بيروت سنة 1989م، وتتكون من مجلدين .

(3) Ronart, Stephan and Nandy, Concise Encyclopaedia of Arabic Civilisation, Djambatan, Amsterdam, 1966, p. 174.

(4) الشريف الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، مقدمة المحقق ص1؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج1، ص138؛ كنون, ذكريات مشاهير رجال المغرب, ج1, ص212، 218؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج11، ص236؛ مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص225؛ حسن، الشريف الادريسي، ص71–72؛ مقبل، فهمي توفيق محمد، مأثر العلماء العرب المسلمين على الحضارة الاوربية الفكر الجغرافي نموذجاً، دار المامون للنشر والتوزيع، (عمان، 2012م)، ص65–68؛ ابو ارشيد، ارشيد يوسف، الحضارة الاسلامية نظم علوم فنون، العبيكان للنشر، (د.م، 2005م)، ص280؛

Kimble, George Herbert Tinley, Geography in the Middle Ages, Methuen Co Ltd, London, 1938, p. 56; Zaimeche, Sicily, P.13; Waern, Mediaeval Sicily aspects, P.47-48 .

الاذكياء وبثهم في البلدان بصحبتهم الرسامون ليجمعوا له بعض المعلومات عن المناطق البعيدة ولاسيما الاوربية منها ويصوروا له ما يشاهدونه مباشرة(1) .

فجاء الكتاب متضمناً كل ما عرفه الأقدمون من معلومات واضاف اليها من علمه وذكائه، وما رآه ورصده في أسفاره ورحلاته(2)، فبدأ يرسم في ذهنه تصور جديد لجغرافية الارض فاخذ خلاصة علم اليونان وزبدة آراء الفلكين، واخذ من مدرسة المسالكيين فكرة عمل الخرائط والاطالس باعتبارها اساس الجغرافية(3)، متبعاً بذلك منهجاً جديد مختلفاً عن غيره من علماء الجغرافية الذين سبقوه اذ مزج بين الخرائط والكتابة واصفاً العالم ككل واحد وبدأ بتقسيمه الى سبعة اقاليم وكل اقليم يضم عشر اقسام رئيسية ثم اخذ برسم خريطة لكل قسم، بطريقة اكثر دقة من الخرائط السابقة فقام بتحديد اتجاهات مجرى الأنهار والبحيرات وتثبيت اماكن المرتفعات، موضحاً الحدود العامة للدول الرئيسية باستخدام خطوط العرض والخطوط الأفقية على الخريطة، فتمكن بذلك ان يصل الى القمة في علم الجغرافية في الشرق والغرب على السواء(4)، فقد اصبح كتابه الذي استغرق تأليفه خمسة عشر عاماً المرجع الاول لكل عالم في هذا الفن، وقد انتهى من تأليفه سنة (548هـ/1154م)(5) .

---

(1) الشريف الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، مقدمة المحقق ص6-7؛ مؤنس، تاريخ الجغرافين، ص210؛ نصار، موسوعة عباقرة الاسلام، ص83 .

(2) مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص195-198، 222-225؛ حسن، الشريف الادريسي، ص71-72 .

(3) مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص224-225 .

(4) كنون, ذكريات مشاهير رجال المغرب, ج1, ص216-217؛ مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص195-198، 222-225؛ حسن، الشريف الادريسي، ص71-72 .

(5) الشريف الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، مقدمة المحقق ص2؛ كنون, ذكريات مشاهير رجال المغرب, ج1, ص216، 218؛

Dunlop, D. M, Arab Civilisation to AD 1500, Longman, Librarie du Liban, London , 1971. p. 171; Waern, Mediaeval Sicily aspects, P.47-48; Kimble, Geography in the Middle Ages, P.57 .

ومن مؤلفاته الجغرافية ايضاً كتاب (روض الانس ونزهة النفس)، او ما يعرف بـ (المسالك والممالك)، الذي الفه للملك غليوم الاول، ولم يعثر الا على مخطوط مختصراً منه يتكون من (162) ورقة من القطع الكبيرة مسطرتها (16) سطراً في الصفحة، تحت عنوانان جاء الاول باسم (انس المهج وروض الفرج)، والثاني هو (روض الفرج ونزهة المهج)[1]، وعرف هذا الكتاب المختصر بـ (الادريسي الصغير) تميزاً له عن كتاب نزهة المشتاق الذي عرف بـ (الادريسي الكبير)، وقد اهتم عدد من الباحثين في دراسة هذا الكتاب وتدقيقه ومقارنته بالنزهة وتبين بذلك اوجه الشبه والاختلاف بين الكتابين، ويحتوي هذا الكتاب على اطلس وخرائط لمختلف البلدان، وذكر في نهاية الكتاب انه انتهى من تأليفه سنة (588هـ/1192م)[2] .

ومن اسهامات الشريف الادريسي الجغرافية غير التأليف هو رسمه خريطة العالم معتمداً بذلك على خريطة بطلميوس واضعاً عليها العديد من التعديلات والاضافات[3] اذ زاد عليه بالدقة والارتفاع في مستوى الاداء من رسم الشواطئ والانهار، وتحديد درجات الطول والعرض، ومطابقة الواقع بالخريطة[4]، وشملت الخريطة على عدة خرائط فرعية ومصورات جغرافية، وقد نحت هذه الخريطة على أسطوانة من الفضة، فوضع خرائط لكل اقاليم العالم[5]، غير عن الخريطة العامة وقد

---

(1) مكتبة حكيم اوغلو، اسطنبول، تحت رقم (688) .

(2) الشريف الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، مقدمة المحقق ص2؛ كنون, ذكريات مشاهير رجال المغرب, ج1, ص226، مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص194-195؛ حسن، الشريف الادريسي، ص79-81.

(3) مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص205-206؛ حسن، الشريف الادريسي، ص90؛ ميبلي، الدو، العلم عند العرب، دار القلم، (القاهرة، 1962م)، ص46؛ حتي، فيليب، تاريخ العرب، د.مط، (بيروت، 1949م)، ص722؛
Zaimeche, Sicily, P.13; Waern, Mediaeval Sicily aspects, P.47-48 .

(4) حسن، الشريف الادريسي، ص87؛ ميبلي، العلم عند العرب، ص394؛ دائرة المعارف الاسلامية، علماء في الاندلس، مجلة الفيصل، (السعودية، 1990م)، العدد (159)، ص107 .

(5) حسن الشريف الادريسي، ص85؛
Scott, Samuel Parsons, History of the Moorish Empire in Europe, Lippincott Company, Philadelphia, 1904, p. 461-462; Kimble, Geography in the Middle Ages, P.57; Zaimeche, Sicily, P.14; Mediaeval Sicily aspects, P.47-48 .

بلغت هذه الخرائط الخاصة سبعين خريطة[1]، فأضاف بذلك طريقة جديد لرسم الخرائط من كونها اطلس خاص بالبلدان الاسلامية وهو ما يعرف بـ (اطلس الاسلام)، الى (اطلس العالم)[2]، فنالت هذه الخرائط عناية كبيرة في دراسات المستشرقين ورجال البحث العلمي الجغرافي[3] .

ولم تقصر إسهاماته في البحث الجغرافي على التأليف ورسم الخرائط فقط، اذ قام بصنع مجسم لشكل الكرة الأرضية من الفضة للملك روجر الثاني[4] الذي امر بأن يضع تحت تصرف الشريف الادريسي وزن اربع مائة رطل من الفضة لصنع كرة ضخمة تمثل شكل الارض، فقام الشريف ومعه العديد من المتخصصون الذين يعملون بأشرافه بنقش صور الأقاليم السبعة ببلادها واقطارها وخلجانها وبحارها ومجاري مياهها ومواقع الانهار، وما بين كل بلد واخر من الطرقات والاميال والمسافات والمراسي، والجبان والهضاب والسهول والوديان وغيرها من التضاريس المختلفة، بشكل يمثل صورة حية لكل البلدان دون ان يتركوا شيء منها[5]، فكانت

([1]) طوفان، قدري حافظ، العلوم عند العرب، نشر: مكتبة مصر، (القاهرة، 1956م)، ص188؛ احمد، نفيس، جهود المسلمين في الجغرافية، ترجمة: فتحي عثمان، د.مط، (القاهرة، د.ت)، ص143 .

([2]) مؤنس، تاريخ الجغرافية، ص225 .

([3]) حسن الشريف الادريسي، ص86، 90؛

Frances, Carney Gies, article Al-Idrisi And Roger's, print edition of Aramco World ,Saudi , 1977, P.14-19 .

([4]) الشريف الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص؛ ارسلان، شكيب بن حمود بن حسن، الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية وهي معلمة اندلسية تحيط بكل ما جاء من ذلك الفردوس المفقود، دار ومكتبة الحياة، (بيروت، د.ت)، ج1، ص119؛

Udovitch, A. L, Al-Idrisi Dictionary of the Middle Ages, Charles Scribner's Son, New York, vol 6, p. 412.

([5]) الشريف الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص؛ كنون, ذكريات مشاهير رجال المغرب, ج1, ص217؛ حسن، الشريف الادريسي، ص95–103؛ ارسلان، الحلل السندسية، ج1، ص119؛ حسن، زكي محمد، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، د.مط، (القاهرة، 1956م)، ص64؛ العقاد، اثر العرب في الحضارة، ص46؛ الجواري، عبد الله، تقدم العرب في العلوم والصناعات، د.مط، (القاهرة، 1961م)، ص244؛ حتي، تاريخ العرب، ص722؛

Zaimeche, Sicily, P.13; Waern, Mediaeval Sicily aspects, P.47-48; Dunlop, D. M, Arab Civilisation to AD 1500, P.171 .

تلك الكرة ولاتزال موضع الحديث عند كل الباحثين في علم الجغرافية، اذ مثلت مع الخريطة الاساس الذي اعتمد عليه في كروية الارض[1] .

ان ما تقدم يدل على المستوى العلمي والثقافي العالي التي كان يتمتع بها علماء آل البيت العلوي، فقد اضاف الشريف الادريسي تطوراً كبيراً في حقل الدراسات الجغرافية اذ تعد انجازاته فتحاً من الفتوح العلمية في عالم الجغرافية بشكل خاص، وفي الحياة العلمية بشكل عام من خلال تلك المؤلفات القيمة والمجسمات والخرائط المهمة التي اصبحت ركيزة اساسية لطلاب العلم فيما بعد .

ثانياً: العلوم الطبيعية

سبق وان تحدثنا عن أثر علماء آل البيت العلوي في مختلف مجالات الحياة الثقافية وبينا عظيم أعمالهم وتنوعها في مختلف العلوم الانسانية ومن الطبيعي ان يكون لأولئك العلماء البارزين أثر في الدراسات الطبيعية من طب وصيدلة وكيمياء وغيرها من العلوم العقلية في مختلف فنونها، وهذا ما تبين لنا من خلال دراستنا لتراجم هؤلاء الاشراف فقد برز عددا ممن أختص بتلك العلوم الى جانب اشتهارهم بالفقه والحديث والشعر والتاريخ وغيرها من العلوم الاخرى .

ويعد الطب وما يلحق به من ابرز العلوم الطبيعية وقد اسماه ابن خلدون[2] (صناعة الطب) وفيه " تنظر في بدن الانسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والاغذية بعد ان يتبين المرض الذي يخص كل عضو من اعضاء البدن واسباب تلك الامراض " .

ومن الاشراف الذين وردت الاشارة عن أسهاماتهم في العلوم الطبيعية من خلال اشتغالهم بالطب والصيدلة وعلم النبات الشريف محمد بن محمد الادريسي وهو بحق موسعة متكاملة عالماً متعدد المعارف والمهارات، فلم يترك علم لم يبدع به وكان

---

(1) العقاد، محمود، اثر العرب في الحضارة الاوربية، دار المعارف، (القاهرة، 1946م)، ص46؛

Kimble, Geography in the Middle Ages, p.57; Zaimeche, Sicily, p.14 .

(2) المقدمة, ج2، ص268 .

للطب نصيباً من ذلك الابداع[1]، ولاسيما فيما يخص مجال علم الصيدلة الذي عرف سابقاً بـ (علم المفردات)، او (علم العقاقير)، وكان له نصيب كبير فيه اذ بلغ هذا العلم على يديه مبلغاً عالياً من الرقي لعمه بمنافع ومنابت الادوية المنفردة، وصفه ابن ابي اصيبعة[2] بقوله: " كان فاضلا عالما بقوى الأدوية المفردة ومنافعها ومنابتها وأعيانها " .

وقد ساهم في نشاط الدراسات الطبية من خلال تأليفه كتاب في (الجامع لصفات أشتات وضروب انواع المفردات من الاشجار والثمار والحشائش والازهار والحيوانات) وسمي ايضاً بـ (الجامع لصفات اشتات النباتات)، او (الجامع لأشتات المفردات)، أو (الجامع امفردات الادوية والاغذية)، او (الادوية المنفردة)[3]، واثبت خلاله على علمه الواسع في هذا المجال[4]، وينقسم الى جزئين الاول يضم (260)

([1]) ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، مقدمة المحقق ص1–2؛ الصفدي, الوافي بالوفيات, ج1, ص139؛ كحالة, معجم المؤلفين, ج1, ص236؛ السملالي, الاعلام بمن حل مراكش, ج4, ص116؛ كنون, ذكريات مشاهير رجال المغرب, ج1, ص210؛ كنون، النبوغ المغربي, ج1, ص156؛ الفراء, المدخل ، ج1, ص47؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج1, ص279– 280؛ التازي، جامع القرويين، مج1، ص168؛ العامري، محمد بشير حسن، مظاهر الابداع الحضاري في تاريخ الاندلس، دار غيداء للنشر والتوزيع، (الاردن، 2012م)، ص41–44 .

([2]) أحمد بن القاسم بن خليفة، (ت: 668هـ/1270م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، (بيروت، د.ت)، ص501 .

([3]) يوجد للكتاب عدة نسخ مخطوط في مكاتب مختلفة منها:

1. نسخة في مكتبة دار الكتب المصرية، القاهرة تحت رقم (1524) .
2. نسخة في جامعة اسطنبول، القسم العربي، تحت رقم (1343) .
3. نسخة في مكتبة فاتح، اسطنبول، تحت رقم (3610) .
4. نسختان في المجمع العلمي العراقي، قسم المخطوطات الاولى تحت رقم (1236)، والتانية تحت رقم (8764) .

([4]) ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، مقدمة المحقق ص1–2؛ الصفدي, الوافي بالوفيات, ج1, ص139؛ السملالي, الاعلام بمن حل مراكش, ج4, ص116؛ كنون, ذكريات مشاهير رجال المغرب, ج1, ص210؛ كنون، البنوغ المغربي, ج1, ص156؛ الفراء, المدخل، ج1, ص47؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج1, ص279– 280؛ التازي، جامع القرويين، مج1، ص168؛ العامري، مظاهر الابداع، ص41–44؛ العامري، محمد بشير، دراسات حضارية في التاريخ الاندلسي، دار الغيداء، (عمان، 2011م)، ص407 .

نباتاً، والثاني يضم (300) نباتاً[1]، ويعد هذا الكتاب تصحيحاً وتهذيباً على ما ورد من اخطاء عند الاطباء اليونانيين، لاسيما على كتاب (الحشائش) للطبيب اليوناني (دياسقوريدوس)[2] فأضاف الشريف ودقق وصحح كثيراً مما تضمنته كتبهم[3]، وقد ذكر ذلك في مقدمة الكتاب بقوله: " بسم الله الذي احاط بكل شيء علماً، واحصى كل شيء عدداً، وبعد: فأن اناساً من اهل زماننا يدعون ما لا علم لهم به وينتسبون الى معرفة الحشائش والاشجار والمعادن والحيوانات التي هي هيلولى[4] الطب وعمدته، ويزعمون معرفة ما ترجمه الفاضل دياسقوريدوس في كتابه وشرح مبهمه الى ما دونه من سائر الكتب المؤلفة في هذا الفن، ولما رأيت انهم خلطوا وغلطوا صرفت نفسي وأوقفت همي فألفت عند ذلك هذا الكتاب ورتبت جميع اسمائه على نص حروف ابجد هوز "[5] .

وعثر ماكس ميرهوف[6] (ت: 1364هـ/1945م) على مخطوط هذا الكتاب في مكتبة فاتح في اسطنبول[7] عام 1929م، وكان يظن قبل ذلك ان هذا الكتاب مفقود

([1]) العامري، مظاهر الابداع، ص44 .

([2]) وهو ديوسقوريدس فيدانيوس طبيب يوناني درس في عدة بلاد وأصبح احد الاطباء المميزين في الفرقة العسكرية الرومانية وقد جال في اوربا، ثم انتقل الى مصر ودرس هناك وله عدة مصنفات طبية مهمة منها كتاب (الحشائش والأدوية)؛ ينظر:

Anna Contadini. Arab painting Text and Image in Illustated Arabic Manuscripts, Leiden Boston, 2010, p44 .

([3]) العامري، محمد بشير حسن، فصول في ابداعات الطب والصيدلة في الاندلس، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)، ص139؛ السامرائي، عبد الكريم حسين احمد، الصناعات الدوائية الاندلسية، مجلة سر من راى، العدد 11، تكريت، 2008م، ص145 .

([4]) وهو احد الاسماء التي اشتهر بها كتاب الحشائش لدياسقوريدوس، ينظر:

Anna. Arab painting Text and Image in Illustated Arabic Manuscripts ,p44 .

([5]) حسن، الشريف الادريسي، ص83 .

([6]) وهو طبيب العيون الالماني ولد سنة 1874م، في مدينة هلدسيهم الالمانية من اسرة يهودية، وقد بدأ تعليمه في مدارس هانوفر ثم درس الطب في عدة جامعات منها جامهة هيدلبرج، وجامعة برلين، وجامعة اشترسبورج، رحل عن المانيا متجهاً الى مصر بعد ان حاربت النازية اليهود في المانية، فتنازل عن جنسيته الالمانية وتجنس بالمصرية سنة 1933م، وبقي في مصر التي احتل بها مكانة مرموقة لمكانته العلمية الى حين وفاته؛ ينظر: البدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، نشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.ت، بيروت)، ص540-543؛ الزركلي، الاعلام، ج5، ص256؛

Max Meyerhof. Studies in medieval Arabic medicine: theory and practice. Ed. Penelope Johnstone. London :Reprints, 1984, 1984, vol 1, p ix. X. xi

([7]) تحت رقم، 3610؛ ويوجد نسخة اخرى مصورة عنه في دار الكتب المصرية، تحت رقم 1524 .

وتبين انه يتألف من 148 ورقة اي 296 صفحة، مقسمة الى ثلاثة كتب، وذكر الشريف في بداية المخطوط انها تتألف من 1200 نوعاً من الادوية مع وصف كل نوع منها، وذكر خصائصه اسماء كل عقار، اذ امتاز بدقة في رسم اسماء العقارات ووصف خصائصها بطريقة لا نجدها الا عند كبار الاطباء مثل ابن البيطار [1] (ت:646هـ/1248م) الذي اعتمد على كتاب الشريف كثيرا واشار اليه في كتبه، وعلى نحوه كان الطبيب ابن سينا[2] (ت:428هـ/1037م) مما جعل للشريف الادريسي مكاناً مميزاً بين النباتيين والعشابين والاطباء[3] .

([1]) وهو ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي، يكنى بـ (أبو محمد)، ويعرف بـ (ابن البيطار)، ولد بمالقة، عالم في الطب والاعشاب فكان إمام النباتيين ثقة تعلم الطب ساهم في تقدم النشاط الطبي بشكل كبير وتنقل بين البلدان بحثا عن الاعشاب والعلماء والعارفين فيها، فتقدم نحو بلاد الأغارقة (Grece) وأقصى بلاد الروم، حتى اصبح الحجة في معرفة أنواع النبات وتحقيقه وصفاته وأسمائه وأماكنه.، واصبح رئيس العشابين في مصر في ايام الكامل الايوبي وله كتاب في الطب والصيدله اسماه (الأدوية المفردة)، وكتاب (المغني في الأدوية المفردة) وغيرها، توفي في دمشق؛ ينظر: الرزاز الواسطي، أسلم بن سهل بن أسلم، (ت: 292هـ/904م)، تاريخ واسط، تحقيق: كوركيس عواد، نشر: عالم الكتب، (بيروت، 1406هـ)، ص277؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج23، ص256؛ صلاح الدين، فوات الوفيات، ج2، ص159؛ الزركلي، الاعلام، ج4، ص67 .

([2]) وهو شرف الملك الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا، يكنى بـ (أبو علي)، أصله من بلخ، وولد في إحدى قرى بخارى سنة (370هـ/980م)، فكانت فنشأ وتعلم فيها حتى اصبح احد كبار العلماء في الطب والمنطق فعرف بالفيلسوف الرئيس، ساح في البلدان وناظر العلماء، حتى اتسعت شهرته وسعى الحكام اليه لعلمه فتقلد المناصب الادارية المهمة كالوزارة في همذان، الا ان الامر لم يستتب له فثار عليه عسكرها ونهبوا بيته مما فرحل إلى أصفهان، وتفرغ هناك للعلم اذ صنف بها أكثر كتبه، منها كتاب (الشفاء)، وكتاب (المنطق)، وكتاب (المعاد) وغيرها، ثم عاد بعد مدة إلى همذان فمرض في طريق العودة ومات؛ ينظر: ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء، ص437؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2، ص157؛ الزركلي، الاعلام، ج2، ص241 .

([3]) الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، مقدمة المحقق ص2؛ مؤنس، حسين، تاريخ الجغرافية والجغرافين في الاندلس بحث في الملكة العلمية العربية عن طريق علم واحد في بلد عربي واحد، نشر: المطبعة الفنية، ط2، (القاهرة، 1986م)، ص225 –226 ؛ الحجاج، عادل عمر، موسوعة اعلام العرب في علم الحيوان والنبات، دار اسامة للنشر والتوزيع، (عمان، 2005م)، ص89 .

الا ان المخطوط لم يكن يحتوي الا على 610 نوعاً من الادوية مرتبة على حروف المعجم، وهذا يبين بأن هناك ما يعادل نصف الكتاب ضاع من الاصل، ولاسيما وان الاجزاء التي عثر عليها لا تضم الا الابواب الخاصة بأربعة عشر حرفاً مرتبة على الحروف الابجدية[1] .

وله كتاب اخر في مجال علم النباتات والصيدلة اطلق عليه اسم (الصيدلة)[2]، تناول دراسة دراسة عامة عن علم النباتات والصيدلة في بلاد الاندلس، وعثر على نسخة منه في مكتبة فاتح في اسطنبول لكن للأسف لم يكن هذا المخطوط افضل حظاً من سابقه، فأن ما عثر عليه اشمل على الجزء الاول من الكتاب فقط[3] .

وتميز الشريف الادريسي بأشارته الى اسماء النباتات باللغة العربية مع ما يقابلها بعدة لغات اخرى منها السريانية واليونانية والفارسية والهندية والكردية واللاتينية والبربرية، وفرق بين الاصطلاحات البيزنطية (الاغريقية)، وبين الاغريقية القديمة (اليونانية)[4]، حتى عد ذلك من الشروط الواجب توفرها في كتب الادوية المنفردة آنذاك وقانونا متبعاً بين المؤلفين لتعم المنفعة بين الجميع[5] .

([1]) الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، مقدمة المحقق ص2؛ مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافين، ص225 –226 .

([2]) بدوي، موسوعة المستشرقين، ص542 .

([3]) السامرائي، الصناعات الدوائية الاندلسية، ص145 .

([4]) ابو عيبة، طه عبد المقصود عبد الحميد، الحضارة الاسلامية دراسة في تاريخ العلوم الاسلامية نشأتها في المشرق – انتقالها الى الاندلس – دعم الاندلسين لها – تأثيرها على اوربا، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)، ج2، ص937؛ مرحبا، محمد عبد الرحمن، الموجز في تاريخ العلوم عند العرب، (بيروت، 1970م)، ص102؛ السامرائي، الصناعات الدوائية الاندلسية، ص145 .

([5]) ينظر: الانطاكي، داود، (ت:1008هـ/1599)، تذكرة اولى الالباب والجامع للعجب العجاب، (القاهرة،1930م)، ج1، ص18؛براد، ابراهيم، المصطلحات اليونانية والاتينية في كتب الادوية المفردة المغربية والاندلسية من القرن الرابع الى القرن السابع الهجريين (من ق10 الى ق 13م)، مجلة المعجمة، (تونس، 1991م)، العدد (7)، ص32–42 .

كما كان الشريف محمد بن عيسى المومناني من الاشراف الذين عملوا في مجال العلوم الطبيعية، ولكن لم يرد عنه سوى اشارات قليلة تبين انه ذو علم في ذلك لا غير, فلم ترد اية معلومة عن طبيعة عمله او عن اي مؤلفات له، او ماهي العلوم التي برع بها، وغير ذلك من الامور الاخرى اذ ذكر بأنه: " كان يدعى بالأمام لسعة علومه العقلية "[1] .

اما علم الكيمياء فقد ورد ان الشريف ابو الحسن الشاذلي كان في بداية امره يدرس علم الكيمياء ويعمل به ثم تركه بعد ان انخرط في علم التصوف[2] .

([1]) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص215 .

([2]) المناوي، طبقات الصوفية، ج2، ص470-471 .

المبحث الثالث

اثرهم من خلال المؤسسات التعليمية

ازدهرت الحياة العلمية في المغرب منذ الفتوح الاولى سنة (27هـ/647م) ودخول الفاتحين الذين عملوا على نشر الكتاب والسنة قولاً وعملاً, غير ان المراكز العلمية المتمثلة في المدارس المساجد والربط وغيرها, لم تظهر بشكل واضح وتتعمق بها الانشطة العلمية التي الا في مطلع القرن (2هـ/8م)[1]، وسأذكر فيما يلي هذه المراكز واثر علماء آل البيت العلوي في نشر العلم من خلالها على ضوء الفترة الزمنية المحددة للدراسة على النحو الاتي :

اولاً: المساجد

يعد المسجد الاساس الأول للتربية والدعوة والتعليم في الاسلام والمحض الأول الذي انطلقت منه العملية التربوية والتعليمية الاسلامية ممثلا في المسجد النبوي لذا فإن المسجد فضلاً على انه مكان للعبادة اصبح مركزا للتربية والتعليم[2], فهو المؤسسة التعليمية الاولى التي عرفت بالإسلام على يد الرسول (ρ) ففي المسجد خطب في جماعة المسلمين ونظم شؤونهم وعلمهم امور دينهم[3], حتى اصبحت المساجد فيما بعد المركز الاساسي الذي قصده طالب العلم وناشره, فاستقطبت المساجد عددا ليس بالقليل للرواية او الدراية والاستفادة فيما عرض لهم من قضايا ومشكلات تتصل بشؤون حياتهم المتعلقة بالدنيا والاخرة[4] .

وسعى الاشراف منذ دخولهم الى المغرب الى اقامة شرائع الله (I) واقامة الحق، وهذا لا يتحقق الا بأعلاء كلمة الله عالياً لذا اول ما سعى اليه الشريف ادريس بن عبد الله الكامل الحسني بعد دخوله المغرب واستقرار الحال اليه، هو السعي في بناء

([1]) شواط, مدرسة, ج1, ص129.

([2]) الضحيان, عبد الرحمن بن ابراهيم, النظم الاسلامية وحاجة البشرية اليها, دار المأثر للنشر والتوزيع, (المدينة المنورة,1422هـ), ص90.

([3]) عثمان, محمد عبد الستار, المدينة الاسلامية, نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب, (الكويت،1988م), ص210.

([4]) شواط, مدرسة, ج1, ص130.

مدينة ومسجد يكون موضعاً لعبادة الله وتعلم شرائع وسنن الاسلام، فكان يقول عند اختياره لمكان بناء مدينة فاس وهو موضع يقع بين جبلين: " اريد ان اختط بينهما مدينة لسكناي وسكنا اولادي من بعدي، يعبد الله تعالى بها ويتلى كتابه وتقام بها حدوده "[1]، فأول عمل قام به بعد ان اختط المدينة هو بناء الجامع المعروف بجامع الاشياخ، وسار ابنه الشريف ادريس بن ادريس على خطاه فبنى مسجد الشرفاء[2]، فكثرة المساجد فيما بعد واصبحت فضلاً عن دور للعبادة، احد المراكز العلمية المهمة التي اسهمت في رفع مستوى النشاط الثقافي للبلاد .

ومما يدلل على اهمية المساجد كمركز تعليمي مهم في بلاد المغرب هو كثرة احتواء المساجد على اعداد كبيرة من الفقهاء والصالحين ورجال العلم والقضاة في مختلف البلاد المغربية، ولنا في ذلك قول عن الفقيه عبد الله بن غانم الذي انصرف يوما من جامع القيروان الاعظم بعد صلاة الجمعة، وهو الجامع الذي بناه عقبة بن نافع بالقيروان بين عامي (50–55هـ/670ـ674م)[3], فدخل عليه بعض اصحابه, فسأله الفقيه ابن غانم قائلاً: " حضرت اليوم الجامع؟ قال: نعم, قال: كيف رأيت؟ قال: رأيت اصلحك الله سبعين قلنسوة تصلح للقضاء, وثلاثمائة قلنسوة فقيه, فترجع ابن غانم وقال: مات الناس "[4] !!، فقول الفقيه ابن غانم هذا يثير العجب فإن كل هذه الاعداد من اهل العلم والعلماء ويقول: " مات الناس "، اذاً فكم كانت الاعداد التي تكتظ بالمساجد قبل ذلك الوقت؟ .

فقد عقدت في تلك المساجد المجالس وحلقات العلم والتدريس التي حضرها طالبي العلم من مختلف البلدان، ولم تكن تلك المجالس والحلقات تقتصر على علم معين بذاته, بل كانت مجالس علمية متكاملة يلقي بها العالم مختلف الفنون والعلوم من حديث وفقه وتفسير وتاريخ واللغة ونحو وغيرها .

([1]) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص 37 .

([2]) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص 34–47 .

([3]) ينظر: المالكي, رياض النفوس, ج1, ص12؛ ابن الدباغ, معالم الإيمان, ج1, ص44 .

([4]) ابن الدباغ, معالم الإيمان, ج1, ص253.

ومن الاشراف الذين تفرغوا للتعليم في المساجد الشريف يوسف بن موسى الحسني كان معروفا بعلمه واجتهاده لاسيما في العلوم الدينية[1]، فجلس في جامع باب السلسلة في مدينة فاس يعلم الناس ويقرأ الطلبة مدة طويلة, فسعوا اليه من كل مكان فأخذ عنه جمع غفير من الناس[2] .

كما كان للشريف ابو زكريا يحيى الزواوي حلقة للتدريس في احدى جوامع مدينة بجاية يدرس بها علوم الحديث، وعلوم الفقه، وعلوم التفسير، وعلوم التذكير، وغيرها, حضر للسماع عليه عدداً كبيراً من طلاب العلم ما لم يكن لاحد غيره من قبل فيوضع له كرسي ليسمع منه الناس لكثرتهم، وتفقه عليه خلق كثير من اهل بجاية وظهرت عليهم بركته، ولم يقتصر على مسجد واحد اذ لم يكن هناك ناحية من النواحي الا وكان له بها مسجد ينصرف اليه الناس من كل مكان يستمعون اليه، فقد كان الشريف ابو زكريا صورة واضحة للعالم المعلم ونموذجاً للبساطة في التعامل مع الناس والطلبة الذين حضروا حلقاته[3] .

ومن الاشراف الذين اسهموا وبصورة واسعة بواجب التدريس معمرين اوقاتهم بها شاغلين افكارهم بالمساجد والحلقات والمجالس التعليمية, الشريف ابو الحسن علي الشاذلي فقد كان له حلقات علمية في مختلف مساجد تونس فقصده الطلبة من كل مكان للسماع عليه, ولم يقتصر أثره في نشر العلم على مساجد تونس فقد كانت له حلقات علمية في مساجد اخرى منها في القيروان، وحضر مجالسه جمع غفير من الطلبة واهل العلم[4]، وفي ذلك ما يرويه تلميذه الشيخ ابو العباس المرسي قائلاً: " كنت مع الشيخ ابو الحسن بالقيروان ... فذهب الشيخ الى الجامع وذهبت معه فلما

([1]) التنبتكي، نيل الابتهاج، ج2، ص627؛ التنبتكي، كفاية المحتاج، ج2، 265 – 267؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج3، 344؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص554 .

([2]) ابن القاضي، درة الحجال، ج3، 344؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص554 .

([3]) ابن الزيات، التشوف الى رجال التصوف، ص428؛ الغبريني، عنوان الدراية، ص127 – 128 .

([4]) ابن عطاء، لطائف المنن، ص87؛ التليدي، المطرب، ص125 .

دخل الجامع واحرم رأيت الاولياء يتساقطون عليه كما يتساقط الذباب على العسل "[1] .

ولم يقتصر اثر علماء آل البيت العلوي في نشر العلم من خلال المساجد العامة فقط، اذ كان للمساجد الخاصة التي بناها البعض منهم دوراً عظيماً في مسيرة الحياة العلمية وتقدمها, ومن تلك المساجد الخاصة مسجد الشريف اسحاق بن احمد الحسني (ت: اواخر ق: 3هـ/9م)، فقد كان من العلماء العارفين، والاولياء الصالحين معروفاً ببركته وكان مسجده مجاوراً لداره الذي يقع في ناحية باب الفتوح بـ (مصمودة) وانتفع به خلق كثير من اهل البلاد وما زال مزاراً متبرك به الى الان[2] .

ومن الاشراف الذين اسهموا في نشاط الحياة العلمية من خلال بناء المساجد الخاصة الشريف ابي بكر بن علي الحسني الذي بنى مسجدا في قرية الحصن قرب جبل العلم وعرف باسم (مسجد الدلم)، فأصبح مكاناً للعبادة وقراءة القران وتعلمه[3]، ومن ثم اصبح هذا المسجد لابنه الشريف سليمان المعروف بلقب (مشيش) وكان هذا الشريف من الزهاد العارفين والعلماء العاملين[4]، قال فيه صاحب درة المفاخر[5]:

هو الملقب مشيش في العلم   عليه اعظم مزار وحرم

مدشر اغيل به قد دفنا   اعظم به من حرمة ومدفنا

وبعد وفاته بقى هذا المسجد مكاناً للعبادة والعلم حتى اصبح بمرور الزمن احدى المؤسسات العلمية الفعالة في رفع المستوى العلمي والثقافي للبلاد، ولاسيما بعد ان جعل منه الشريف موسى الرضى ابن الشريف سليمان مكاناً خاصاً للعلم

([1]) ابن عطاء، لطائف المنن، ص87؛ وينظر: التليدي، المطرب، ص125 .

([2]) المدرع، محمد، (1174هـ/1760م)، ارجوزة في مشاهير صلحاء فاس، تحقيق: خالد الصقلي، دار الامان للنشر والتوزيع، (الرباط، 2010م)، ص100؛ الكتاني، سلوة الانفس، ج1، ص390 .

([3]) شكر، الاحياء بعد الانساء، ج2، ص158 .

([4]) اللهيوي، حصن السلام، ص300؛ شكر، الاحياء بعد الانساء، ج2، ص160؛ العمراني، الجواهر الباهرة، ص137 .

([5]) الدلائي، مخطوط، ورقة رقم 12 .

والتفقه بالدين فدعا الناس الى ان يعلموا اولادهم به ومما روي في ذلك قوله: " انتقلوا الى مسجد جدي وابي واعملوا فيه فقيهاً، وعلموا فيه اولادكم القران العظيم والله تعالى يوفقكم ويرعاكم ويصلح لكم البلاد والعباد ويجعل فيكم البركة بدوام نرجوه لكل انسان من قراءة القران العظيم "[1] .

وسار الشريف عبد السلام بن مشيش على نهج ابيه وجده في بناء المساجد الخاصة فكان له مسجدان في جبل العلم الاول عرف باسم (قنة الجبل) والذي عرف فيما بعد بـ (مسجد الملائكة) [2]، والمسجد الاخر كان يبعد عنه قليلاً قريباً من موضع يعرف بـ(عين البركة) [3]، وقد اسهمت هذه المساجد في دعم وتقدم الحياة العلمية وانتشارها، على الرغم من انغماس الشريف ابن مشيش في حياة الزهد والتعبد في مغارته في جبل العلم الا ان هذا لا يعني انعزاله عن العالم بصفة مطلقة في خلوته تلك بل على العكس فقد اسهم في تربية جمهور من العلماء والسالكين لطريقته في التصوف في هذه المساجد ومن بينهم تلميذه الشريف ابو الحسن علي الشاذلي الذي رحل اليه وأخذ عنه جل العلوم في الحديث والفقه والتفسير والتصوف وغيرها حتى اصبح احد اكبر العلماء آنذاك[4] .

ومما تقدم يتبين لنا الاثر الكبير الذي تركه الاشراف من خلال بنائهم للمساجد وتدريسهم في ازدهار الحياة العلمية، اذ عدت المساجد آنذاك بمثابة المدارس والجامعات اليوم يقصدها الاساتذة لنشر علمهم ويتقاطر عليها الطلبة من كل ناحية للفائدة .

([1]) شكر، الاحياء بعد الانساء، ج2، ص160 .

([2]) لقد سمي بمسجد الملائكة من قبل العامة لاعتقادهم ان الملائكة هي من بنته، وهذا من شدة حبهم وتبركهم بالشريف ابن مشيش وآل بيته من الاشراف العلميين؛ ينظر: التليدي، المطرب، ص102 .

([3]) ينظر: التليدي، المطرب، ص94 –95؛ اللهيوي، حصن السلام، ص303؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج21، ص7161 .

([4]) التليدي، المطرب، ص102؛ اللهيوي، حصن السلام، ص303 .

ثانياً: المدارس

هناك تضارب كبير جداً بين المؤرخين حول تاريخ تأسيس المدارس كمؤسسة تعليمية في بلاد المغرب، اذ ذهب البعض الى انها بدأت منذ عهد الفتوحات الاسلامية مع عقبة بن نافع، وحسان بن النعمان، وموسى بن نصير، فقد كان الهدف من هذه الفتوحات هو نشر الاسلام وتعاليمه للناس وتفقههم بالدين واصوله، فضلا عن تعلم اللغة العربية وعلومها[1] .

في حين ذهب البعض الاخر الى ان ظهورها كمدرسة نظامية كانت في (ق: 5هـ/ 11م)، في عهد المرابطين مع تأسيس (مدرسة جلو) [2]، تزامناً مع ظهور اول مدرسة في الشرق التي اسسها الوزير نظام الملك[3] (ت:485هـ/1092م)[4] .

([1]) ينظر: كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص27–43؛ حميداوي، جميل، مناهج التعليم في المدارس العتيقة بالمغرب ابان العصر الوسيط، د.مط، (المغرب، 2018م)، ص11 .

([2]) وهي المدرسة التي انشأها وجاج بن زلوا في ضواحي تزنيت في السوس، وهو تلميذ الفقيه ابو عمران الفاسي نزيل القيروان، والتقى به يحيى بن ابراهيم الكدالي رئيس الملثمين بالقيروان واستفاد من علمهم الغزير فطلب ان يبعث معه احد طلابه ليعلم الملثين العلم فارسل معه وجاج بن زلو الذي اسس هذه المدرسة بعد وصوله المغرب؛ ينظر: السوسي، محمد المختار بن علي بن أحمد، (ت:1383هـ/1963م)، سوس العالمة، نشر: مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، (الدار البيضاء، 1984م)، ص17؛ حركات المغرب عبر التاريخ, ج1، ص158 .

([3]) وهو الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، يكنى بـ (أبو علي) ويلقب بـ(قوام الدين ونظام الملك): أصله من طوس ولد سنة (408هـ/1018م)، سمع الحديث وتادب باداب العرب، اتصل بالسلطان ألب أرسلان، فتخذه وزيراً له فأحسن تدبير الامور وبقي في خدمته عشر سنين، وبعد موت ألب أرسلان خلفه ولده ملك شاه الذي تفرغ للصيد والهو فصار الملك للوزير نظام الملك، وأقام على هذا عشرين سنة؛ ينظر: ابن فندمة، ظهير الدين علي بن زيد بن محمد، (ت: 565هـ/1170م)، تاريخ بيهق، دار اقرأ، (دمشق، 1425هـ)، ص182–184؛ تقي الدين، المنتخب، ص200؛ تقي الدين، عثمان بن عبد الرحمن، (ت: 643هـ/1245م)، طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، (بيروت، 1992م)، ج1، ص446؛ الزركلي، الاعلام، ج2، ص202 .

([4]) حركات المغرب عبر التاريخ, ج1، ص158؛ حميداوي، مناهج التعليم، ص10 .

بينما اشار اخرون الى ان بداية تأسيسها كان في القرن (6هـ/12م)، وتحديداً في عهد السلطان يعقوب المنصور الموحدي الذي ينسب اليه تأسيس العديد من المدارس منها مدرسة (المسجد الاعظم) سنة (593هـ/1196م) في مدينة سلا[1] .

في حين هناك من ينفي وجود المدارس قبل (ق:7هـ/13م)[2]، حيث اخذت المدارس في العصر المريني طابعاً نظامياً بشكل ادق وازدهرت ولاقت اهتماما واسعاً من قبل السلاطين، الذين عملوا على بناء العديد من المدارس منها (مدرسة الشماعين) التي بناها السلطان ابو زكريا الحفصي سنة (633هـ/1235م) في مدينة تونس[3] .

ولم يكن تأسيس المدارس حصراً على الدولة، فقد بنى عدداً من العلماء والصالحين وميسورين الحال المدارس وتخصيصها لطلبة العلم[4]، ومن تلك المدارس (المدرس الكتانية) التي تعود نسبتها للشرفاء الكتانيين، تقع بمدينة قسنطينة حيث يوجد بهذه المدينة عدة اضرحة للأشراف الكتانين، منها ضريح القطب الشريف عبد الله بن هادي بن يحيى الكتاني (ت:490هـ/1097م)، واليه تعود نسبة المدرسة الكتانية[5]، ويوجد بهذه المدينة عدة مدارس اخرى للأشراف الكتانين، وقد درس بهذه

([1]) العيني، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، تحقيق: محمد محمد امين، نشر: المؤسسة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة،1987م)، ج1، ص146؛ حركات، المغرب عبر التاريخ, ج1، ص345؛ حميداوي، مناهج التعليم، ص10 .

([2]) القاضي، وداد، المدرسة في المغرب حتى اواخر القرن التاسع الهجري على ضوء كتاب المعيار المعرب للونشريسي، اعمال مؤتمر التربية الاسلامية، د.مط، (بيروت، 1981م)، ص70؛ حميداوي، مناهج التعليم، ص10؛ رشيدة، برادة، التعليم العتيق والبنية التقليدية في المغرب، مجلة علوم التربية، العدد 33 ، الرباط، 2007م ، ص13 .

([3]) ابن الشماع، محمد بن احمد، (كان حياً سنة 861هـ/1456م)،، الادلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: الطاهر بن محمد، الدار العربية للكتاب، (تونس،1984م)، ص56؛ برنشفيك، روبار، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13هـ الى نهاية القرن 15هـ، تعريب: هادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، (بيروت، 1988م)، ج1، ص383 .

([4]) ينظر: برنشفيك، تاريخ افريقية في العهد، ج1، ص383 .

([5]) الكتاني، محمد حمزة، منطق الأواني بفيض تراجم عيون أعيان آل الكتاني، ص14؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج20، ص6747 .

المدرسة ومسجدها العديد من طلبة العلم منهم فقيه المغرب وعالمها المتصوف الكبير أبو مدين شعيب (ت:589هـ/1193م)، وغيره من العلماء البارزين[1] .

ودرس عدد كبير من مشاهير العلماء الكبار في هذه المدارس، ومن خلال دراسة تراجم العلماء من آل البيت العلوي وجدنا اشارات قليلة تدلل عن اشتغالهم بمهنة التدريس لا غير، فلم ترد اية معلومة عن حقيقة عملهم او العلوم التي كانوا يدرسونها، او المدارس التي جلسوا للتدريس فيها، مما حذي بنا على ايرادها كما وردت في المصادر المترجمة لهم، ومن هذه الاشارات هو وصفهم بـ (المدرس)، او (الاستاذ)[2]، بالرغم من ان هذا الوصف عام ويطلق على كل عالم امتهن التدريس سواء في المساجد او الكتاتيب وغيرها من الحلقات العلمية، لكن ما جعلنا ادراجهم ضمن التدريس في المدارس هو ان جميع من اطلق عليهم هذه الالفاظ كانوا من اهل القرون (6-7هـ/12-13م)، اي في فترة ظهور المدارس النظامية وانتشارها في المغرب، اما من سبقهم من علماء في القرون الاولى فقط اكتفى المؤرخون بوصفهم بالشيخ او الفقيه او العالم وغيرها .

ومن اولئك العلماء الذين كان لهم دورٌ في التدريس الشريف محمد بن عبد الله الحسيني كان العالم والفقيه المشارك في جميع العلوم الدينية، وهو رواي للحديث وحافظاً له، عارفاً برجاله مشرفاً على طبقاتهم وتواريخهم، وعمل على تدريسه بفاس في عهد السلطان المنصور الموحدي[3]، ولا يستبعد ان يكون عالماً كبيراً مثله وعمل في التدريس بإحدى المدارس التي اسسها السلطان لا سيما وانه كان من العلماء المقربين عنده .

([1]) الكتاني، منطق الاواني، ص14 .

([2]) ينظر: التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، ص379 ؛ التنبتكي، كفاية المحتاج، ج1، ص304؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص215؛ الزياني، جمهرة التيجان، ص94؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص229 .

([3]) ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص48؛ التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، ص286؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص164؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج18، ص5549؛ المنوفي، العلوم والادب، ص48 .

كما كان الشريف عيسى بن معنصر المومناني من العلماء الذين وصفوا بـ (المدرس)، فهو فقيه واسع المعرفة، متعدد العلوم، ومفتياً مجتهداً، اعترف له جميع علماء الامصار بسعة علمه[1] .

ومنهم ايضاً الشريف محمد بن عيسى المومناني مما قيل فيه: " الفقيه الامام المفتي المدرس "[2]، فقد كان من العلماء المحدثين حافظاً وعارفاً بالفقه واصوله مستبحراً بالعلم شديد الفهم، حتى اطلق عليه لقب (الامام)، لسعة علمة[3]، فضلا عن ذلك فقد كان له من نفائس الكتب والوثائق مالم يكن عند غيره من علماء العصر، فجعلها بمتناول اهل العلم وطلابه فأفاد بلاده بشكل خاص، والحياة الثقافية بشكل عام[4] .

وعلى نحو ذلك وصف الشريف عبد النور بن محمد العمراني بالعلامة المدرس، والاستاذ الكبير كان ذا معرفة تامة بالفقه ومشاركاً في اصول الدين واصول الفقه، اديب وشاعر[5] ، ومثل ذلك وصف الشريف عبد الكريم بن عبد الواحد الحسني بـ " الشيخ الفقيه الصالح الفاضل المدرس "[6] .

([1]) التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، 290؛ التنبتكي، كفاية المحتاج، ج1، ص309؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص500؛ التازي، جامع القرويين، ج1، ص165؛ الطمعي، تكملة جامع الكرامات، ص332 .

([2]) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص215؛ وينظر: السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص229 .

([3]) الغرناطي، صلة الصلة، مج3، ص13؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص215؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص229؛ التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، ص379 .

([4]) ابن عسكر، اعلام مالقة، ص193 .

([5]) التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، ص286؛ التنبتكي، كفاية المحتاج، ج1، ص304؛ الزياني، جمهرة التيجان، ص94 .

([6]) الغبريني، عنوان الدراية، ص247؛ وينظر: التنبتكي، نيل الابتهاج، ج1، ص285؛ التنبتكي، كفاية المحتاج، ج1، ص302؛ القرفي، توشيح الديباج، ص139-140؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج8، ص170.

ولم يختلف عنهم الشريف احمد بن محمد بن محمد الحسني مما قيل عنه: " الشيخ الاستاذ المقرئ الشريف الاشرف الصالح المعظم "[1]، وايضاً الشريف احمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسني فقد كان من العلماء المصنفين الذين عملوا بالتدريس، عارفاً بالفقه والاصول مشاركاً بالعربية[2]، ان العبارات السابقة (المدرس الفاضل، الشيخ الاستاذ، الصالح المعظم) تدلل على قيام الاشراف بمهمة تعليمية تربوية متكاملة سواء في التعليم او الارشاد التربوي للتعليم .

يتضح مما تقدم ان للأشراف دور كبير في نشاط الدراسات التعليمية وذلك من خلال اسهاماتهم في بناء المدارس ودورهم في التدريس، فضلا عن اثرهم في التربية العلمية الصحيحة .

ثالثاً: الربط والزوايا

اشرت فيما تقدم ذكره الى موضوع (الربط) من خلال الحديث عن اثر الفقهاء في الناحية السياسية والعسكرية, مبينة لمعنى الربط واهميتها في حماية المسلمين والدفاع عنهم موضحة أثر الاشراف في الجانب العسكري فيها، اما الاثر الثقافي والعلمي الذي تركه علماء آل البيت العلوي كنتيجة طبيعية حتمية لأقامتهم أوقات طويلة هناك فلم اتطرق لها, وهذا ما سوف اوضحه هنا .

تأتي الربط في المرتبة الثالثة بعد المساجد والمدارس في الاهمية في تسلسل المراكز العلمية الثقافية, ويعد الرباط مدرسة يأويها العلماء والطلبة, اذ كان العلماء يرابطون فيها أوقاتاً طويلة من العام قد تكون شهرا ليدرسوا العلم احتسابا لوجه الله تعالى, ويوجد في كل رباط منها مكتبة مقامة في الجدار على هيئة طاقات بها النسخ الاصلية والفرعية للمؤلفات والتصانيف[3]، وعدت الربط من المراكز العلمية المهمة

---

(1) السبتي، اختصار الاخبار، ص15؛ وينظر: ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص28؛ منصور، اعلام المغرب العبي، ج4، ص288 .

(2) ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص136 .

(3) مرسي, محمد منير، التربية الاسلامية اصولها وتطورها في البلد العربية، عالم الكتب، (بيروت ،2005م), ص303.

المنتشرة في بلاد المغرب[1], حتى عرف قصر زياد وهو احد الربط بساحل أفريقية, بـ (دار مالك) لكثرة من حضره من العلماء والعباد والصالحين من اصحاب الامام مالك وكثرة ما عقد فيه من مجالس علمية[2] .

وقد نافست هذه الربط المساجد لكثرة من كان بها من العلماء وما القى فيها من الدروس حتى " اصبحت تلك القصور معاهد تعليم وتربية وعبادة وتوجيه واستشعر العلماء ان مقامهم فيها يفتح لهم ابوابا من ايصال النفع الى عموم المسلمين من طرق بعيدة عن الذكر والسمعة, مستوفية لعوامل الانتفاع بالعلم فاقبلوا عليها ... واصبح الشيوخ يوصون خريجيهم بتعمير الربط واقامة العبادات وعقد حلق التعليم فيها "[3].

ومن الاشراف الذين اسهموا في نشر العلم عن طريق الربط الشريف عبد السلام بن مشيش الحسني كان عالماً فاضلا عابداً متصوفاً صعد الى مغارة في جبل العلم للتعبد ودراسة العلم والتفقه بالدين، شأنه في ذلك شأن اسلافه من جده الشريف ابو بكر واباه الشريف سليمان، واخاه الشريف موسى الرضى[4]، اذا اتخذوا من الربط مكاناً للعلم والتفكر الروحي، فقد وجد العلماء ان التواجد بين الناس يشغلهم عن طلب العلم والتعبد، لذا لا بد لهم من خلوة مع الله ولله وفي الله (I) هدفها استجمام الروح والتفكر في ملكوت الخالق[5] .

وبرز اثر ذلك الرباط في ازدهار الحياة العلمية من خلال استقبال الشريف لطلاب العلم ومن يقصده للفائدة في تلك المغارة ومسجده الذي يقع بالقرب منها،

([1]) الدمشقي, عبد الرحمن بن حسن، الحضارة الاسلامية اسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الامم, دار القلم,(دمشق، 1998م), ص606.

([2]) عياض, ترتيب المدارك, ج4, ص384.

([3]) ابن عاشور, محمد الفاضل, اعلام الفكر الاسلامي في تاريخ المغرب العربي, مطبعة النجاح, (تونس، د. ت), ص19؛ شواط, مدرسة, ج1, ص155.

([4]) ينظر: اللهيوي، حصن السلام، ص300؛ شكر، الاحياء بعد الانساء، ج2، ص160؛ العمراني، الجواهر الباهرة، ص137 .

([5]) محمود، القطب الشهيد، ص18، 22 .

فعندما اراد الشريف ابو الحسن علي الشاذلي ان يطلب العلم ويصل الى القطب دله العلماء على الشريف ابن مشيش في مغارته على رأس الجبل، وهذا يدلل على انه كان يستقبل كل طالب علم او سائل له[1]، فصعد اليه الشريف الشاذلي وتتلمذ على يديه فوجد عنده من العلم مالم يجده عند علماء المشرق والمغرب، اذ بهره علمه القائم على الكتاب والسنة النبوية المشرفة، ولم يخرج من ذلك الرباط الا بعد ان اصبح يمتلك من العلم ما يمكنه ان يكون احد علماء العصر الكبار آنذاك[2] .

كما اسهم الشريف ابو الحسن علي الشاذلي في ازدهار الحياة العلمية من خلال الربط والزوايا فقد اتخذ من احدى المغارات في تونس القائمة في جبل التوبة، رباطاً له واصبحت تعرف فيما بعد بـ (المغارة الشاذلية)، التي تفرغ بها لتربية المريدين وطلبة العلم فكان يحضر اليه الطلبة من جميع البلاد للأخذ عنه في ذلك الرباط[3] .

واتخذ رباطاً اخر بعد ان خرج من عنده شيخه الشريف ابن مشيش، ويقع هذا الرباط في جبل زغوان وهو احد جبال حاضرة تونس، والهدف منه هو التفرغ للعبادة اولاً، ومكاناً ثابتاً للتفرغ لطلبة العلم والمريدين، فانه لن يصعد اليه الجبل الا من كان يسعى لطلب العلم، وبقى الشيخ يصعد الجبل زمناً طويلاً وقوافل الطلبة والمريدين لم تنقطع ابداً عنه، فكان اذا نزل من رباطه الى المدينة يتجمع الطلبة حوله من كل صوب يستنيروا بعلمه ويأخذوا من فضل بركته[4] .

مما سبق يتبين اهمية تلك الربط في رفع المستوى العلمي للبلاد فقد جعل الشريف من تلك المغارات الموحشة على قمم الجبال مركزاً علمياً منيراً يشع نوره من خلال تفتح بصيرة اولئك الطلاب بالعلم والمعرفة .

([1])ابن الصباغ، درة الاسرار، ص22؛ ابن عجيبة، شرح صلاة القطب، ص12؛ النبهاني، كرامات الاولياء، ج2، ص168؛ التليدي، المطرب، ص94 .

([2]) بوذينة، محمد، ابو الحسن الشاذلي، دار التركي للنشر، (د.م، 1989م)، ص22 .

([3]) بوذينة، ابو الحسن الشاذلي، ص24 – 25 .

([4]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص27؛ محمود، ابو الحسن الشاذلي، ص27؛ بوذينة، ابو الحسن الشاذلي، ص25 .

كما كان الشريف ابو عبد الله العمراني ممن اتخذ من الربط الساحلية مكاناً يعتكف به للعبادة والتهجد ونشر العلم(1) .

اما الزوايا: فهو مصطلح خاص بأهل المغرب لا يستخدمه غيرهم، وتعني مكان خاص يجتمع به المسلمين للعبادة والصلاة وتلاوة القران الكريم، ودراسة الحديث النبوي الشريف، وقراءة اوراد الشيوخ واكابر الصالحين في الليل والنهار(2)، اوجده المتصوفة وعلى راسهم ابو مدين شعيب، ودخل عن طريقهم الى الاندلس(3)، ولم يقتصر على العبادة فقد كان مركزاً لمساعدة الفقراء والمحتاجين، كما يقدمون الطعام للواردين وايوائهم اذا ما دعت الحاجة الى ذلك(4)، بقصد التقرب الى الله (Y) ويسعون ان تكون هذه الاعمال المتقرب بها الى الله من احسن ما يقدمه العبد الى ربه، فتتهذب نفوسهم بهذه العلوم وتتنور قلوبهم، وتنطق الالسنة بالحكم المأثورة(5) .

ومن الاشراف الذين كان عندهم زوايا خاصة بهم الشريف ابو زكريا يحيى الزواوي، فقد كان له زاوية في مدينة بجاية بالقرب من المسجد يجلس بها لتعليم المريدين القران الكريم والحديث النبوي، وكان دائم الجلوس بها لا يخرج منها الا في اوقات اداء عمله، او لصلاة والخطبة في المسجد المجاور لها حتى كانت وفاته بها رحمه الله سنة (611هـ/1214م)(6) .

ومثله كان الاشراف الامغاريون الحسنين فقد كان منهم كبار العلماء والاولياء الصالحين الذين انتشرت زواياهم للذكر والعبادة على نمط زوايا وربط الشريف الشاذلي، في دكالة والسوس الاقصى ومراكش وفاس والدار البيضاء، وغيرها(7) .

---

(1) ابن الزيات، التشوف الى رجال التصوف، ص446 .

(2) الكتاني، المظاهر السامية، ص14؛ الكتاني، الادب الصوفي، ص45 .

(3) David The new cambridge medieval history, V c. p 634 .

(4) ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن، ص413؛ الكتاني، الادب الصوفي، ص46 .

(5) الكتاني، المظاهر السامية، ص15؛ الكتاني، الادب الصوفي، ص45 .

(6) ابن الزيات، التشوف، ص428؛ الغبريني، عنوان الدراية، ص129 .

(7) حشلاف، سلسلة الاصول، ص78؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص253.

الفصل الخامس

دور آل البيت العلوي ومكانتهم في الحياة الاجتماعية

لابد لنا قبل الحديث عن دور آل البيت العلوي ومكانتهم في الحياة الاجتماعية، الوقوف على الوضع الاجتماعي في المغرب خلال المدة الزمنية المحددة للدراسة, ومعرفة العناصر المكونة لذلك المجتمع, ليتسنى لنا معرفة تأثير وتأثر آل البيت العلوي في الحياة الاجتماعية، الا انه لابد من الاشارة انه ليس من الممكن ان اتعرض لجميع دقائق الاوضاع الاجتماعية وما تحمله من جزئيات خلال مدة تزيد على الستة قرون كانت مملوءة بالإحداث، لذا سوف اقتصر على بيان المعطيات العامة للمجتمع بما يحقق الغرض المنشود من هذا الفصل الا وهو دور الاشراف في الحياة الاجتماعية، وما متهنوه من مهن في المجال الاقتصادي ومالها من اثر في المجتمع .

يمكن حصر العناصر المكونة للمجتمع المغربي بالبربر وهم سكان البلاد الاصليون، بأقسامها من البرانس والبتر التي تتكون من العديد من القبائل، والعرب على اختلاف قبائلهم العربية الأصلية من التميميون, والأنصار (الأوس والخزرج), والازد, والقيسيون, وتنوخ, وبنو حرير الكنديون, وكنانة(1), وغيرها من القبائل الاخرى حتى اصبحت بعض المدن المغربية بتجاذب السنين والايام يغلب اعداد العرب على سكانها الاصلين، وهو ما عبر عنه اليعقوبي(2) الذي زار القيروان في اواخر القرن (3هـ/9م) حيث قال: " وفي مدينة القيروان اخلاط من قريش ومن سائر بطون العرب, من مضر وربيعة وقحطان وبما اضاف من العجم من أهل خراسان ومن كان وردها مع عمال بني هاشم من الجند " .

---

(1) زيتون, محمد محمد، القيروان ودورها في الحضارة الاسلامية، دار المنار، (مكة المكرمة،1407م), ص168.

(2) البلدان, ص187؛ وينظر: شواط, مدرسة الحديث, ج1, ص110؛ زيتون, القيروان, ص169.

وكذلك الافارقة، واهل الذمة من (اليهود والنصارى)، والصقالبة، والسودان، والروم الفرنج[1]، فمن الطبيعي ان يكون هناك تمازج بين هذه التركيبة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي, وان يكون فيما بينهم اتفاق ونزاع في مختلف امور الحياة, ولاسيما وان تلك العناصر تتكون من مختلف الملل والنحل .

وتميزت طبيعة الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب بتآلف حيناً والعداوة والخصام حيناً اخر لتعدد عناصر السكان المكونة للمجتمع واختلافها في الدين العقيدة والعادات والتقاليد، وقد شارك في هذه الحياة فضلاً عن تلك العناصر الجند المسلمون الفاتحون منذ بداية الفتح الاسلامي، وقد تطورت هذه العلاقات بعد اعتناق الجند البربر وأسرهم الاسلام وحاربوا جنباً الى جنب مع الجند العربي وقد كثرت وازداد امتزاجها عندما توطدت اقدام المسلمين في البلاد، ففي أثناء دخول الوالي حسان بن النعمان[2] (76-86هـ/695-705م)، مدينة الكاهنة وهزيمتها سنة (83هـ/702م) سعى الى أن يأسس جيشاً قوامه اثنا عشر الف جندي من البربر, يتألفون مع الجند العربي الفاتحين ويمتزجون بهم ويعيشون معهم في حياة اجتماعية تسودها الحرية والمساواة وكان اثر ذلك ان عاشت اسر بربرية في البلاد المغربية واختلطت بأهلها وكان بينهم تعامل ومصاهرة ومشاركة في الحياة الاجتماعية[3] .

([1]) وعن عناصر المجتمع المغربي ينظر: خطاب, محمود شبيب، قادة فتح مغرب، مؤسسة علوم القرآن، (د.م،2003م)، ج1, ص13-21؛ لقبال, موسى، المغرب الإسلامي، نشر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2, (الجزائر،1981م)، ص16-18 .

([2]) ابن عدي بن مغيث بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن الازد, من اولاد ملوك غسان, قائد من رجال السياسة والحرب المعروف بـ (الشيخ الامين) ولي أفريقية وخرج سنة (76هـ/695م) بجيشه متوجها نحو الكاهنة البربرية في قابس وجبل اوراس ودانت له أفريقية كلها, واعتزل الاعمال في اول عهد الوليد بن عبد الملك وتوفي غازيا في ارض الروم بعد سنة (86هـ/705م) ؛ ينظر: ابن عذاري, البيان المغرب, ج1, ص34؛ الناصري, الاستقصا, ج1, ص148-151.

([3]) ابن عذاري, البيان المغرب, ج1, ص38؛ الناصري, الاستقصا, ج1, ص150؛ زيتون, القيروان, ص168.

وقد اسهم اشراف آل البيت العلوي في هذا التمازج والاختلاط الاجتماعي الحاصل في البلاد منذ وصول المولى ادريس بن عبد الله الحسني الى المغرب، فأن اول من بايعه هم البربر اذ وفدت عليه معظم قبائلهم بالبيعة، فخرج بهم وفتح البلاد واسلم اهلها على يديه، والف بينهم باليمن والبركة واسس بهم دولته فكون مجتمعاً كبيراً قائماً على الاسلام والتعاون اثروا به واثر بهم، وبقى ذلك الحب قائماً في نفوس المغاربة اتجاه الاشراف جيلا بعد جيل، فبرزت لهم مكانة عالية لدى المغاربة جعلتهم عنصراً مؤثراً في المجتمع[1]، لا سيما وانهم كانوا علماء واولياء صالحين لذا برزت مكانتهم بصورة واضحة في المجتمع على مر الزمان الا ان ذلك الدور تعمق اكثر بعد تفاقم الازمات الاجتماعية من فقر وكوارث طبيعية كالقحط والجفاف واكتساح الجراد، التي نتج عنها تقهقر في الانتاج الفلاحي وبالتالي ازمة اقتصادية، وتفشي الامراض والاوبئة والمجاعات التي كانت تدوم سنين طويلة، فضلاً عن ما انتشر في البلاد من اختلاسات ومصادرة وتعذيب وتسلط انواع شتى انواع البطش والتنكيل بالعامة من قبل السلاطين ورجال دولتهم[2]، كل هذا رشح الفقهاء والاولياء والعباد والصالحين وفي مقدمتهم الاشراف بأن يلعبوا دوراً اجتماعياً مهماً فوقع على عاتق الوالي جملة من الوظائف كمساهمتهم في نشر القيم المبادئ الاسلامية والقيم الاخلاقية العالية، وايواء الفقراء والمساكين، والدفاع عن حقوقهم امام السلطان ودولته، ومشاركتهم بمختلف مجالات الحياة العامة، وهذا ما سوف نبحث فيه خلال هذا الفصل على النحو التالي :

---

(1) ينظر: الجزجاني، جنى زهرة الاس، ص12-13؛ اللهيوي، حصن السلام، ص245؛ عباس، رضا هادي والخزاعي، كريم عاتي، محاضرات في تاريخ المغرب والاندلس، دار الحوراء، (بغداد، 2014م)، ص44-47.

(2) ينظر: ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص114-115، 168-171، 266-277؛ السمعلي، خديجة، الفكر الصوفي من خلال مناقب ابي سعيد الباجي، نشر: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والابحاث، (الرباط، د.ت)، ص21 .

المبحث الاول

مكانة آل البيت العلوي الاجتماعية ودورهم

في نشأة المجتمع وتقدمه

مما ورد إلينا في تراجم اعلام آل البيت العلوي من العباد والزهاد والمتصوفة وأهل العلم، وحوليات التاريخ من تفاصيل كثيرة توضح دورهم في انتظام المجتمع المغربي من خلال مشاركتهم للناس ودفاعهم عن حقوقهم ضد ظالميهم, وإيجاد الوسيلة لحل النزاعات الدائرة بينهم, وتحفيزهم للارتقاء والتقدم عن طريق زرع القيم الاخلاقية، ويبرز ذلك الدور بصورة واضحة جلية من المكانة المرموقة التي كان الاشراف يتمتعون بها سواء كان من لدن أولي الأمر – كما بينا ذلك سابقا– أم من العلماء أم العامة .

اولاً: مكانتهم الاجتماعية

عرفنا فيما سبق ان معظم رجال آل البيت العلوي ان لم يكن جميعهم كانوا من العلماء والفقهاء والزهاد المتصوفة واهل الفضل والدين وقد لعبة هذه الطبقة في المجتمع جميع الادوار الروحية والدينية والاجتماعية والسياسية(1)، وهذا زاد من رفع مكانتهم بين الناس اذ كسبوا محبة الناس واحترامهم بفضل انتسابهم لآل بيت نبينا الكريم (ρ) حتى اصبحوا يتبركون بوجودهم بينهم لفضل نسبهم، فزادهم العلم مكانة في قلوب العامة لكونهم من الفقهاء ورجال الدين وهذه الطبقة دائماً ما يكون لهم مكانة محترمة في المجتمع لانهم القائمين بأمور الدين كاستنباط الأحكام والفتاوى وإقامة الصلوات، فكان معظم العامة من الناس يجلّون علماء الدين ويحترمونهم " حتى ان المسلمين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه "(2)، تعبيراً عن احترامهم ومحبتهم له، وقد برزت مكانتهم تلك بين الناس لما عرفوا به من تقوى وصلاح حتى ان كبار العلماء كانوا يثنون عليهم بالمدح والقول الحسن الذي شبث الناس بهم اكثر من ذي قبل ولعل العبارات التي اثنى بها العلماء عليهم, خير

---

(1) Ouguir, A.A, Female religious agents in Morocco: Old practices and new perspectives, Amsterdam, 2013, p.4 .

(2) المقري, نفح الطيب, ج1, ص221 .

دليل على المكانة العلمية المرموقة التي وصلوا إليها, فكان الطريق الذي شق لهم مكانتهم في المجتمع, ومن ذلك ما قيل عن عموم الاشراف الكتانيون بأنهم كانوا من العلماء العاملين تواتر العلم والصلاح فيهم طبقة بعد طبقة[1]، فقد كان جدهم الشريف يحيى بن عمران الكتاني ذا عفة ومروءة صالحاً قريباً من الناس فكسب بذلك مكانة عظيمة في قلوبهم، وقد برزت تلك المكانة بصورة واضحة بعد انتقاله الى زواوة فأستقبله اهلها بالإعزاز والاكرام والتعظيم والاحترام، وكانت له المنزلة الفاخرة والمكانة الباهرة، والصيت العظيم، والجاه العميم، فقدموه عليهم فأصبح له ولأولاده النفوذ التام والتصرف العام في شؤونهم فولوه امرتهم ولقبوهم بـ (امراء الناس)[2]، فأن المجتمع هو من يصنع الاولياء الذين هو بحاجة اليهم[3] .

كما كان الشريف عيسى بن معنصر المومناني محترما عند الخاصة والعامة ذو مكانة مرموقة عند علماء عصره في جميع الامصار اذ اعترفوا له بسعة العلم في جل العلوم الدينية ولاسيما في الافتاء[4]، وهذا الإطراء عليه من علماء عصره رفع من مكانته في المجتمع مما جعل الناس يسعون اليه في امور دينهم ودنياهم ينتظرون منه النصح والارشاد والافتاء في امورهم .

وعلى نحو ذلك كان الشريف ابو الحسن علي الشاذلي يتمتع بمكانة مميزة عند الخاصة والعامة، معظماً عند علماء عصره وكبار الاعيان وقد اثنوا عليه كثيراً

---

(1) الكتاني، الدواهي المدهية، ص7 .

(2) ينظر: ابو عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص210- 211؛ حشلاف, سلسلة الاصول, ص55؛ الكتاني, تحفة الاكياس، ص451؛ السجلماسي، اتحاف اعلام الناس، ج4، ص32؛ الادريسي, التنويه والاشارة، ص10؛ الكتاني, الشرب المختصر, ص125- 126؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص108؛ الفضلي, الدرر البهية, ج2, ص108.

(3) ينظر:

J . y . Lillete ,dans les fonctions des saints dans le monde, Rome , 1991, introduction. p 6.

(4) التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، ص290؛ التنبكتي، كفاية المحتاج، ج1، ص309؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص500 .

بالقول الحسن[1] ومن تلك العبارات قول الشيخ ابن دقيق العيد: " ما رأيت اعرف بالله من الشيخ ابي الحسن الشاذلي "[2]، ونجد البعض منهم قد دون ذلك الثناء بقصائد واشعار لطيفة تعبيراً عن حبهم له وبياناً لمكانته العالية وفي ذلك ما قاله الامام البوصيري[3] (696هـ/1296م)[4] :

ما الإمام الشاذلي طريقه ... في الفضل واضحة لعين المهتدي
فانقل ولو قدما على آثاره ... فإذا فعلت فذاك أخذ باليد
أفدي عليا بالوجود وكلنا ... بوجوده من كل سوء نفتدي
قطب الزمان وغوثه وإمامه ... عين الوجود لسان سر الموجد
ساد الرجال فقصرت عن شأنه ... همم المآرب للعلى والسؤدد
...
فقل سلام عليك يا بحر الندى ... الطامي وبحر العلم بل والمرشد

وكتب بعضهم للتعبير عن حبه وعلو مكانته بينهم، وبيان مقامه العالي في قلوبهم، فقيل[5] :

تمسك بحب الشذلي فإنه ... له طرق التسليك في السر والجهر
أبو الحسن السامي على أهل عصره ... كراماته جلت عن الحد والحصر

([1]) ينظر: ابن عطاء، لطائف المنن، ص75-77؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص108؛ الكوهن، طبقات الشاذلية، ص56 .

([2]) ابن عطاء، لطائف المنن، ص75؛ وينظر: الكوهن، طبقات الشاذلية، ص56 .

([3]) وهو محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صهناج بن ملال الصنهاجي يكنى بـ (ابو عبد الله)، ولد سنة (608هـ/1212م)، من الشعراء الكبار، مغربي الاصل من قلعة حماد ينتمي الى قبيلة بني حبنون، سكن مصر في (بوصير) فعرف نسبة اليها بـ (البوصيري)، وقد بقي في مصر الى حين وفاته التي كانت في الإسكندرية؛ ينظر: ابن صلاح، فوات الوفيات، ج3، ص362؛ الزركلي، الاعلام، ج6، ص139 .

([4]) الشافعي، المفاخر العلية، ص9؛ الكوهن، طبقات الشاذلية، ص20 .

([5]) ابن مغيزل، الكواكب الزاهرة، ص180؛ الشافعي، المفاخر العلية، ص10؛ الكوهن، طبقات الشاذلية، ص21 .

فإن تلك المكانة التي تمتع بها الاشراف عند العلماء أكسبتهم مكانة خاصة لدى الناس وبالتالي رسمت لهم مكاناً مميزا في المجتمع, لأن تلك العبارات التي قالها العلماء بحقهم بنيت على اساس العلم الرفيع والدين المتين واتباع الطريق القويم, طريق الحق الذي سار عليه اولئك الاشراف, لذا نجد ان مكانة الشريف الشاذلي لم تقتصر على العلماء فقط اذ اجله الناس واحبوه وتبركوا به وساروا حوله اذا مشى وجلسوا له على الطريق يغتنمون منه دعوة أو موعظة او حكمة او علماً ما[1], فقد كان عالماً كبيراً جليلاً ذو فضل عظيم[2] .

ونلحظ تلك المكانة الاجتماعية بصورة واضحة من مواقف عامة الناس في المحن والملمات التي وقع بها الاشراف، اذ نجدهم يفزعون إليهم في الملمات ويقفون الى جانبهم في محنهم, ومن تلك الصور التي اوضحت مكانة الشريف الشاذلي وبينت حب الناس له في قلوبهم وقوفهم الى جانبه في محنته التي وقع بها مع السلطان ابو زكريا الحفصي بسبب سعاية القاضي ابن البراء –كما ذكرنا سابقاً– فلم يترك الناس الشريف ابداً وساروا معه الى قصر السلطان ولم يبرحوا الباب على الرغم من محاولات العساكر من صرفهم، فقد تجمهر معظم اهل البلاد ينتظرون خروج الشريف من تلك المحنة سالماً، حتى نجد ان القاضي ابن البراء بدء يدخل الخوف والشك في قلب السلطان ليزيد من غيضه على الشريف فقال له: " والله لئن خرج في هذه الساعة ليدخلن عليك أهل تونس ويخرجوك من بين أظهرهم، فانهم مجتمعون على بابك "[3]، وهذا يدلل على ما كان للأشراف عامة وللشريف الشاذلي خاصة من مكانة مرموقة في المجتمع حتى وقف الناس بوجه السلطان ورجال دولته غير مبالين ما قد يصبهم من اذى نتيجة لخروجهم ضده .

([1]) المناوي, الكواكب الدرية، ج2, ص470– 471؛ الكوهن, طبقات الشاذلية, ص24؛ غريب, ابو الحسن, ص17.

([2]) ينظر: ابن الصباغ، درة الاسرار، ص23؛ النبهاني، كرامات الاولياء، ج2، ص168؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص126 .

([3]) ابن الصباغ؛ درة الاسرار، ص28؛ وينظر: محمود، المدرسة الشاذلية، ص40 .

ولعلو مكانته بين الناس وحبهم له نجد ان هناك من فضل الانتقال معه الى اي بلد فبعد خروجه من تونس متجهاً نحو البلاد المصرية خرج معه العديد من الناس واقاموا معه في الاسكندرية، وانتقلوا معه فيما بعد الى القاهرة[1]، ولم تقتصر تلك المكانة الاجتماعية للإشراف على اهل المغرب فقط، فقد وجد من المكانة العالية عند اهل مصر ما يماثل ذلك فكان مكرماً لديهم مسموع الكلمة فانتفعوا ببركتهُ وعلمه كثيراً[2].

ومن الاشراف الذين تمتعوا بمكانة مرموقة في المجتمع محترماً عند الخاصة وعامة الناس وكبار القوم وعلمائها الشريف محمد بن عبد الله الحسيني، اذ كان من الاجواد الكرماء مقرباً الى الناس ومحبباً لديهم، فهو من القضاة الذين عرفوا بعدلهم واحكامهم التي لم تعرف الميل والتحريف، فاكتسب حب الناس وتميز عندهم بفضله وورعه، فمدحه عددٍ كبير من الفقهاء والادباء من اهل المغرب والاندلس، تعبيراً عن حبهم له وعلوا مكانته بينهم[3]، ومن اولئك الفقهاء الذين اثنوا عليه بالمدح القاضي محمد بن نوح الغافقي[4] (ت:610هـ/1214م) فقد كتب له قصيدة طويلة يقول في اولها[5]:

تخيرت فانهض في رضى الله واصعد وحل على التوفيق ماشئت واعقد

([1]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص31؛ وينظر: محمود، المدرسة الشاذلية، ص45 .

([2]) الكوهن, طبقات الشاذلية, ص82.

([3]) ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص48، السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص64 .

([4]) وهو محمد بن أيوب بن محمد بن وهب بن محمد بن نوح بن أيوب بن وهب بن سهل بن إبراهيم الغافقي، يكنى بـ (ابو عبد الله), ويعرف بـ (ابن نوح). اندلسي الاصل من اهل سرقسطة، ولد سنة (350هـ/962م)، ببلنسية، كان من العلماء الراسخين في العلم بارعا في العربية وقول الشعر الجيد، والفقه والأفتاء، وعلم القراءات، قدم الى مالقة وعمل بالتدريس؛ ينظر: ابن عسكر، اعلام مالقة، ص126؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج22، ص18؛ الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، دار الكتب العلمية،(بيروت،1997م)، مج1، ص322؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص171؛ السملالي، الاعلام، ج4، ص158؛ الكرباسي، محمد صادق محمد، المدخل الى الشعر الحسيني، دائرة المعارف الحسينية، (د.م، د.ت)، ج1، ص191 .

([5]) ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص48، السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص164.

حبانـــا فأحيانـــا بماضـــي عزمـــه   علـى الحـق منصـور اللـواء مؤيـد
بـــأروع مـــن آل الحســـين خلالـــه   متـى تتـل كانـت مـن سـناء وسؤدد
فلـو لـم تكـن تلـك الارومـة اصـله   اتتـــه ســـجاياه بأفضـــل محتـــد
هـو فـرع فـي اعـلا السـماء مظـلا   قراراتـــه بيـــت النبـــي محمـــد
فيالــك مــن فخــرين ذاتــي وســالف   اذا لــم يكونــا لامــرىء لــم يمجــد
مضـى امسـه المحمـود واليـوم بعـده   كــريمين لكــن يقصــران عــن الغــد
مــآثر راقــت فــي ســماع ومنظــر   تــرى ابــدا منــه تعــود وتبتــدى
رآه اميـــر المـــؤمنين ولـــم يكـــم   لينظـــر الا عـــن بصـــيرة مهتـــدي
فـــــألقى اليـــــه لا تـــــؤوده   وان وجـدت عبئـاً علـى كـل ايـد

من خلال دراستنا لتراجم الاشراف نلحظ التلاحم الكبير الناشئ بينهم وبين العامة, حتى اصبحوا هم المرجع الديني والدنيوي الذي لجأ إليه الناس في مصائبهم, ورحلوا إليهم في حاجاتهم, وطلبوا مساعدتهم, وكان الاشراف عند حسن ظنهم فوقفوا الى جانبهم وساعدوهم مما زرع بذور المحبة في قلوب العامة حيالهم, وكسبوا بذلك مكانة خاصة لدى الناس ومن اولئك الاشراف الذين تمتعوا بمكانة عالية بين الناس الشريف ابو زكريا يحيى الزواوي فأحب الناس واحترموه كثيراً وبقي مكرماً لديهم وسعوا الى السماع اليه والاخذ بنصائحه ومواعظه في كل وقت، وحاولوا اغتنام كل فرصة للالتقاء به والتحدث اليه والتبرك به وبنسبه الشريف واجلوا علمه المنيف، كما كان قريباً جداً منهم يبادلهم ذلك التقدير والاحترام ويشاركهم في اموره(1)، روي عنه عندما احس بدنو اجله طلب من الناس في اخر مجالسه ان يدعوا له قائلاً: " يا اخواني سألتكم بالله الا ضممتم صبيانكم واولادكم واصاغركم ودعوتم لي، ولا تنسوني فإني جار لكم، ولست انساكم، واكثر من هذا القول "(2)، يتضح من ذلك مدى قرب الشريف من الناس حتى اصبح يشاركهم في ما يشعر به فكان كلامه وكأنه وداع منه للناس، وتعبيراً عن مكانتهم في نفسه .

---

(1) ينظر: ابن الزيات، التشوف، ص428–429؛ الغبريني، عنوان الدراية، ص128–129 .

(2) الغبريني، عنوان الدراية، ص129 .

وقد اتضحت تلك المكانة بصورة جلية في المجتمع عندما شاع خبر وفاته في بجاية يوم الجمعة بعد صلاة العصر سنة (611هـ/1214م)، فقد رجفت البلاد لموته وحزن عليه الناس جميعاً ولم يتخلف واحداً منهم في حضور جنازته الرجال، والنساء، الشيوخ والعجائز، الكبير، والصغير على حدٍ سواء خرجوا مشيعين ومعبرين عن حبهم له ومكانته بينهم فتسابقوا اليه من كل مكان وحشروا اليه من كل ناحية، وارتفعت اصوات صراخهم وتشابكت حتى افزع ذلك جميع نواحي بجاية فجاءوا من كل صوب واحتشدوا امام زاويته التي توفي فيها، وحاول البعض منهم اقتحام الزاوية بقصد التبرك وتوديع الشريف عن قرب، مما حذا بأولي الامر آنذاك بتوجيه نقيباً من كبار الاشراف للحفاظ على جثته الطاهرة من الابتذال ممن يليها من الناس، ولم يخرجوه الى مثواه الاخير الا بعد ان جنى الليل ليهدئ روع الناس قليلاً، فحمل الى روضته وامروا الامناء بتجهيزه، وساروا به الى مثواه الاخير ضحى يوم السبت وصلى الناس عليه على شفير قبره، ولم يبارحوا اماكنهم الى ان انتهوا من دفنه وعزى بعضهم بعض على مصابهم الجليل، واصبح قبره من المزارات المتبرك بها عند الناس(1)، فكان ذلك خير دليل على علو المكانة التي تمتع الاشراف بها في المجتمع، فقد كان رجل علم عالي الهمة جليل القدر معظماً عند الخاصة والعامة على حد سواء .

كما حظي الشريف احمد بن محمد فتحا الحسني بمكانة اجتماعية مرموقة وجالس الناس فكان قريبا منهم معظماً عندهم متبركاً به اينما حل فهو من الاولياء الصالحين المعظمين عند العامة، ومن حبهم له سعى اهل المدن جذبه لسكنى عندهم تبركاً به، الا ان ذلك الحب قد جاوز حدود العقل اذ روي انه بعد وفاته ودفنه ببلدة تمسلمت قام اهل مدينة غزوان بعد سبعة ايام من دفنه بحفر قبره ونقله الى بلادهم ودفنه هناك لتتبرك البلاد واهلها بدفنه بينهم، وبعد ان شعر بذلك اهل مدينة تمسلمت فزعوا من الخبر وثاروا بأجمعهم نحو مدينة غزوان بقصد اعادته اليهم، وزادت المشاحنات بين اهل البلدين، فحال بينهم بعض كبار الاشراف واهله الكرام

---

(1) الغبريني، عنوان الدراية، ص129–130 .

حفاظاً عليه وتركه في مدينة غزوان، واقاموا له ضريح يزوره الناس من كل مكان تبركاً به[1]، على الرغم من غرابة هذه الحادثة وعدم صحة جوازها شرعاً لان نبش القبور من غير سبب شرعي امراً غير جائز[2] لما فيه من هتك لحرمة الميت[3]، الا انها تبين ما تميز به الاشراف عن غيرهم بالحب الوافر والمكانة العالية التي حظى الاشراف بها .

لم تقتصر تلك المكانة العظيمة لآل البيت العلوي على بعض المدن المغربية دون غيرها، فقد تمتعوا بمكانة جليلة عند جميع المغاربة حتى من لم يكن قد سكنها احداً من الاشراف سابقاً، فأن تلك المكانة متأصلة في نفوسهم حباً برسول الله (ρ)، لذا نجد ان بعض المدن التي خلت من سكنى الاشراف سعوا الى احضارهم اليهم تبركاً بهم وفي ذلك ما روي عن انتقال الشريف عبد سلام بن مزوار الحسني من بلده حجر النسر الى سكنى ديار بعض قبائل الهبط التي تقع بالقرب من قلعة حجر النسر، بعد ان أجتمع اهل الفضل والدين من كبار تلك القبائل والطوائف[4] وقرروا التوجه نحو حجر النسر التي كان تزعمها الشريف محمد المزوار بن علي الحسني وهو من اهل الصلاح مقرباً من الناس زهد بالملك والرئاسة، واعرض عن الدنيا ونعيمها، وجلس لخدمة الدين والناس معروفاً بين العامة بالصلاح والدين والخير زاهداً موصوفاُ بالولاية، متبركاً به حياً وميتاً فاصبح قبره مزاراً يسعى اليه الناس

([1]) السبعي، احمد بن الحسن، (ت:1336هـ/1917م)، الدرر السنية في اصل السلالة العمرانية والشغروشنية والسبعية، نشر: المطبعة العصرية، (فاس، د.ت)، ص5 .

([2]) ينظر: النووي، المجموع شرح المهذب، دار الفكر، (بيروت، د.ت)، ج5، ص303؛ عبد اللطيف، محمد بن إبراهيم، فتاوى ورسائل، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، نشر: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، (مكة المكرمة، 1399هـ)، ج3، ص217 .

([3]) الشافعي، شهاب الدين أحمد بن حمزة، (ت: 957هـ/ 1550م)، فتاوى الرملي، جمع: شمس الدين محمد بن أحمد، نشر: المكتبة الإسلامية، (د.م، د.ت)، ج2، ص39 .

([4]) وهم اولاد العافية، وأولاد بوحراث، واولاد الحايك، واولاد النقموش، واولاد الرواص، واولاد سبو، واولاد الكعموش، واولاد العبوري، وغيرهم؛ ينظر: اللهيوي، حصن السلام، ص297 .

للتبرك[1]، فسألوه ان يرسل معهم واحداً من اولاده او اهل بيته للسكنى عندهم تبركاً بأهل بيت النبي (ρ)، فما كان منه الا ان لبى طلبهم، ووقع اختياره على ولده الشريف عبد السلام لما عرف عنه من مكارم الاخلاق وحكمته في التعامل مع المصاعب، وصبره على المكروه، فقد وجد به الشخص المناسب ليحمل اسم آل البيت العلوي ويمثلهم بين الناس، فسار معهم الى بلادهم وقد حمل معه زوجته، ولم يمضي على زواجه الا ايام عدة، لذا عرف وذريته من بعده بين اهل البلاد التي انتقل اليهم بالعروسين، وترجم اهل المغرب حبهم لآل البيت العلوي بصورة رائعة فحملوا الشريف عبد السلام الى بلادهم بحب واحترام كبيرين وسعى كل واحد من كبار القبائل بكسبه اليهم ليحظوا بشرف سكناه عندهم، فاستقر اخيراً عند قبائل اولاد الرواص[2] .

واصبحت له ولذريته من بعده مكانة اجتماعية عظيمة الاثر، فقد كانوا رجال دين وعلم واهل صلاح وولاية ولهم دور بارز في تقويم الناس، لاسيما وانهم تشبثوا بحبهم لنسبهم الشريف وما اتصفوا به من صفات جليلة، فقد كان ابنه الشريف عيسى من عبد السلام الحسني رجلا صالحاً محترماً بين الناس وله مكانة وشعبية كبيرة، لذا تنافست طائفتا قبائل اولاد العافية، واولاد بوحراث للانتقال للسكنى عندهم، فحظيت طائفة اولاد العافية بسكنى الشريف عندهم، فانتقل الى قريتهم فعاش بين اكنافهم معظماً مكرماً لحين وفاته وله ضريح ومزار كبير هناك[3]، فكان وذريته فيما بعد من الذين تميزوا عن غيرهم بالحب الوافر والمكانة العالية فلم يبرح الناس قبورهم تبركاً بهم, وهو ما يبين علو المكانة الاجتماعية التي تمتع بها آل البيت العلوي عند المغاربة .

كما حظي ابنه الشريف بوحرمة بن عيسى الحسني بذات المكانة الاجتماعية والاحترام، فتبرك وتيمنوا الناس به، فسعت اليه طائفة اولاد بوحراث واخذته للسكنى

([1]) ينظر: الزياني، تحفة الحادي، ص60؛ الزياني، جمهرة التيجان، ص92؛ الكتاني، سلوة الانفاس، ج1، ص95 .

([2]) اللهيوي، حصن السلام، ص298؛ العمراني، الجواهر الباهرة، ص135 .

([3]) ينظر: الزياني، جمهرة التيجان، ص92–93؛ اللهيوي، حصن السلام، ص298 .

في قريتهم، فكان كابيه معظماً لديهم مكرماً الى حين وفاته، وله مشهد عظيم لا يقل عن مشهد والده ولعو مكانته الاجتماعية اقيم له موسم سنوي ديني عند ضريحة في منتصف شهر ربيع الاول[1]، ومثله كان نصيب ابنه الشريف علي بن بوحرمة الحسني فحظي بمكانة كبيرة عند الخاصة والعامة محترماً عند الملوك مقدما لديهم مسموع الكلمة من قبل الجميع، وعرف بصلاحه فهو احد كبار العلماء ووجهاء المغرب ومن اعيان اشرافه تميز بالخلق الرفيع والمعاملة الحسنة مع الجميع[2]، وهي تلك صفات الاشراف التي أرغمت الطرف الآخر على احترامهم وبالتالي أكسبتهم تلك المكانة بين الناس حتى بلغوا اعلى درجات التكريم .

وعلى نحو ذلك كان الشريف ابو بكر بن علي الحسني كأبيه ذا مكانة اجتماعية عالية محترماً قريباً من الناس ومشاركاً لهم في مختلف امورهم الحياتية، فأقيم له موسم ديني سنوي في شهر ربيع الاول عند ضريحه الذي اصبح من المزارات المهمة في البلاد[3] .

ومن الامور التي ابرزت مكانة الاشراف عند اهل المغرب هو المحافظة على قبورهم وانشاء العديد من المباني العظيمة لهم وتشرفهم بالاعتناء بتلك القبور حتى نجد بقى البعض منها قائماً الى الان يقصدها الناس للزيارة من كل مكان، كمزار الشريف اسحاق بن احمد الحسني ويعد ضريحه من المزارات المتبرك بها الى الان[4]، ومثله ضريح الشريف عمر بن محمد الحسني الذي يقصده الناس من مختلف البلاد للزيارة وهو قائم متبرك به الى الان[5].

---

(1) الزياني، جمهرة التيجان، ص93؛ اللهيوي، حصن السلام، ص298 –299؛ العمراني، الجواهر الباهرة، ص135–137 .

(2) العمراني، الجواهر الباهرة، ص136 .

(3) الزياني، جمهرة التيجان، ص93؛ اللهيوي، حصن السلام، ص298 –299؛ العمراني، الجواهر الباهرة، ص135–137 .

(4) الكتاني، سلوة الانفاس، ج1، ص390 .

(5) الكتاني، سلوة الانفاس، ج1، ص425 .

اما الشريف عبد السلام بن مشيش فقد كان ومازال ضريحه من اعظم مزارات المغرب من اقصاه الى ادناه، وشدت الرحال لزيارته عبر العصور والاجيال فتأتي الوفود لزيارته من سائر الافاق ومن كل الطبقات عارفين وصوفية وعلماء وفقهاء وادباء ومؤرخين وامراء وعامة رجالاً ونساء كباراً وصغار، للوقوف على اثره والتبرك بزيارته والدعاء عند قبره، ومازال هذا الامر قائماً الى الآن[1]، وما هذا الا دليل على علو مكانته في المجتمع، وفي ذلك يقول القائل[2]:

اطلب بسر ابن مشيش ما تريد   تنلـه وان كان من بعيد

كما كان الشريف عبد الجليل بن يحيى الحسني من الاشراف المتبرك بهم حياً وميتاً، وقبره من المزارات الشهيرة في المغرب[3]، ومثله كان ابنه الشريف عمران بن عبد الجليل الحسني الذي وصف بـ " العارف بالله الصالح "[4]، وكان قبره معروفاً متبركاً بزيارته من قبل العامة[5] .

يتضح لنا مما سبق ان تلك المشاهد والمزارات للإشراف والاهتمام بزيارتها ما هي الا دليل اضافي على علو منزلتهم وجلال قدرهم حتى اصبحت أفئدة الناس تهوى زيارتهم والتبرك بهم .

ثانياً: دورهم في تنشأة المجتمع وتقدمه

بعد إن تبين لنا مكانة آل البيت العلوي في المغرب ولاسيما العلماء فهم صفوة المجتمع وبالتالي فهم يمثلون القدوة لغيرهم من الناس لأنهم ورثة الأنبياء كونهم علماء وفقهاء واهل بيت النبوة, لذا ترتبت عليهم مسؤوليات جسام, فأن العلماء والفقهاء من اكثر الفئات تأثيرا على المجتمع سواء كان تأثيرا إيجابيا او سلبيا ولهذا

---

(1) التليدي، المطرب، ص104 .

(2) الكوهن، طبقات الشاذلية، ص60؛ التمساني, رياض الرقائق, ص461؛ المزيدي، قطب المشرق والمغرب، ص177 .

(3) الكتاني، الشرب المختصر، ص125؛ الكتاني، الدواهي المدهية، ص7 .

(4) الكتاني، الشرب المختصر، ص125 .

(5) الكتاني، الشرب المختصر، ص125؛ الكتاني، الدواهي المدهية، ص7 .

فقد جاء في الاثر عن النبي (ρ) قوله: « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلُحَا صَلُحَتِ الْأُمَّةُ وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَتِ الْأُمَّةُ: السُّلْطَانُ وَالْعُلَمَاءُ »[1] .

وقد تعددت صور الاشراف في الحث على تنشأة مجتمع سليم قائم على اسس دينية صحيحة تسير به قدماً الى مستقبل افضل، وسوف افصلها على النحو التالي :

1. الحث على القيم الاخلاقية

ان مكارم الأخلاق وتعمقها في نفوس الناس كانت من اهم وظائف الأنبياء على أساس ان تزكية النفوس كانت تأتي في مقدمة أولوياتهم، فقد ذكر القرآن الكريم السبب الرئيس وراء مبعث النبي (ρ) إلى الناس وهو هدف اجتماعي نبيل غرضه بناء الانسان على الاخلاق السامية فقال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾[3]، فان تزكية النفوس وتربية الإنسان, وبلورة الأخلاق الحسنة في واقعه الوجداني, هو احد الاهداف المهمة التي بعث النبي (ρ) من اجلها, وهذا ما يتبين من قوله تعالى في تقديم كلمة (التزكية) على (التعليم) لأنها الهدف والغاية النهائية من ذلك البعث, ومصداق هذا ما نجده في قوله (ρ): « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ »[4] .

وقد قام الاشراف بهذا الدور الاجتماعي على افضل ما يكون فأن الغالب عليهم هو حسن السمعة لتمسكهم بالقيم الدينية وحرصهم على القيم الاخلاقية التي تتوافق

([1]) ابن الجنيد, تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر (ت: 414هـ/1023م), الفوائد, تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي, مكتبة الرشيد, ط1, (الرياض،1412هـ), ج2, ص196, رقم (1516)؛ ابن عبد البر, جامع بيان العلم, تحقيق: أبو الاشبال الزهيري, دار ابن الجوزي, (السعودية،1994م), ج1, ص641,رقم (1109).

([2]) سورة الجمعة, اية 2.

([3]) سورة آل عمران, اية 164.

([4]) ابن ابي شيبة، المصنف، ج6، ص324، رقم (31773)؛ ابن حنبل، المسند، ج14، 512، رقم (8952)؛ البيهقي, شعب الايمان, ج10, ص352, رقم (7609) .

مع الشريعة الاسلامية، فقد عملوا على نشر القيم وتعزيزها في النفوس فكانوا هم انفسهم نبراساً يقتدى به وصفوا بمكارم الاخلاق وطيبة النفس والتسامح لذا اقتدى بهم الناس، فقد وصف الشريف محمد بن عيسى المومناني بانه: " كان مشاركاً لاخوانه، نزيه النفس، حسن الخلق والهيئة، صاحب علائق نفيسة، واصول عتيقة "[1] .

يعد القاضي ميزاناً قوي متساوي الكفتين لا يقبل منه عذراً عن الغفلة او السهو او الاهواء فهو قائم بحدود الله بين الناس[2]، لذا كان من يتولى القضاء تقع عليه مسؤوليات جسام يضاعفها مركزه الاجتماعي فلابد ان يكون القاضي قدوة حسنة في كل الامور، وهذا ما كان عليه الشريف محمد بن طاهر الحسيني فقد عرف بعدله واحكامه التي لم تعرف الميل والتحريف، كما كان يعمل على زرع القيم الاخلاقية من خلال تعامله مع الناس، اذ كان حسن المعاملة ولم يكن يقبل الهدية من احد قط من حين ولي القضاء الى ان مات[3]، وذلك لأن تقديم الهدايا هنا جاءت بمعنى محاولة استمالة قلب القاضي الى جانبه ليحكم لصالحه او ليخفف عليه الحكم وهذا لا يجوز، لذا قد منع رسول الله (ρ) عن اخذ الهدية على عمل وفي ذلك روي عنه (ρ) ارسل رجلا لجمع الصدقات فلما جاء اليه قال: " هذا لكم وهذا أهدي لي، فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال: ما بال العامل نبعثه على بعض أعمالنا فيقول: هذا لكم وهذا لي، فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدى إليه أم لا، والذي نفسي بيده لا يأخذ منها شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته، إن كان بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه ثم قال: اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت "[4] .

([1]) الغرناطي، صلة الصلة، مج3، ص13 .

([2]) الهموندي، القضاء والقضاة، ص259 .

([3]) ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص48؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص164.

([4]) الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس، (ت:204هـ/819م)، المسند، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1400هـ)، ص98؛ الحميدي، عبد الله بن الزبير بن عيسى، (ت:219هـ/834م)، المسند، تحقيق: حسن سليم أسد، دار السقا، (دمشق، 1996م)،ج2، ص88؛ النيسابوري، محمد بن إسحاق بن خزيمة، (ت:311هـ/923م)، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، نشر: المكتب الإسلامي، (بيروت، د.ت)، ج4، 53 .

والهدية هنا وقعت بمقام الرشوة[1] وقد لعن النبي (ρ) الراشي والمرتشي بقوله: « لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي »[2]، لذا لا يجوز للقاضي قبولها واذا قبلها عليه ردها إلى اهلها، فإن تعذر عليه فعل ذلك يضعها في بيت مال المسلمين فهي كسب غير مشروع[3]، وقد اكد العلماء ان قبول القاضي للهدية وكانه اكل السحت[4]، لأن اعطاء الهدايا مع توليه القضاء يعني دعوة القاضي الى الميل في الاحكام فلا يجوز قبولها فقد نزلت منزلة الرشوة، وبرفض الشريف للهداية وبيان ذلك للناس حثهم بطريق مباشر او غير مباشر على الامتناع من دفع الرشاوي، كما بين لهم اهمية الحفاظ على القواعد الدينية والالتزام بالقيم الاخلاقية على وفق تلك القواعد.

وعلى نحو ذلك كان الشريف ابو الحسن علي الشاذلي لا يقبل الهدية من اجل انجاز عمل فإذا وعده احداً بهدية لا ينتفع بها فيقول: " ان النفس قد صارت مستشرفة الى حضورها من حين وعد بها "[5]، فكان لا يقبل هدية الا ممن جاء بها معه على غفلة وكانت حلالاً، ويعمل على حث ذلك في النفوس وزرع تلك القيم في

([1]) ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، (ت:620هـ/1223م)، المغني، نشر: مكتبة القاهرة، (القاهرة، د.ت)، ج10، ص68 .

([2]) عبد الرزاق، المصنف، ج8، ص148، رقم (14669)؛ ابي شيبة، المصنف، ج4، ص445، رقم (21969) .

([3]) الشربجي، علي، ومصطفى الخن، ومصطفى البغا، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، (دمشق، 1992م)، ج8، ص194 .

([4]) الجوزجاني، سعيد بن منصور بن شعبة، (ت:227هـ/841م)، التفسير من سنن سعيد بن منصور، تحقيق: سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، (د.م،1997م)، ج4، ص1465؛ المقدسي، عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد، (ت:624هـ/ 1227م)، العدة شرح العمدة، تحقيق: صلاح بن محمد عويضة، دار الكتب العلمية، ط2، (بيروت، 2005م)، ج2، ص225 .

([5]) وكيع، وكيع بن الجراح بن مليح، (ت:197هـ/812م)، الزهد، تحقيق: احمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2010م)، ص31؛ الشعراني، الدر والمع في الزهد والورع، تحقيق: احمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2013م)، ص103 .

المجتمع ويعلمها لطلابه روي عنه قوله يوماً لتلميذه ابو العباس المرسي: " ان اردت ان تكون من اصحابي فلا تسئل احدا شيئاً وان اتاك شيء من غير مسألة فلا تقبله ... وما اتاك من غير مسألة فخذه "[1] .

كما عمل الشريف على زرع القيم الاخلاقية في المجتمع اقتداءٍ بنبينا الكريم (ρ)، والتخلق بأخلاقه فهو فهو نبينا وقدوتنا وقد وصفه الله (I) بقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[2]، فيحث الشريف الناس على قبول الهدايا اقتداءٍ بالنبي (ρ) على ان يأخذ بكيفية القبول للهدية، فانه (ρ) لم يكن يأخذ شيئاً الا ليثيب من يعطيه الهدية ويعوضه عليها[3] .

ومن حثه لتأصيل القيم الاخلاقية في المجتمع دعوته للناس بنشر المحبة والابتعاد على ما يثير الشحناء بينهم ولاسيما فيما يخص الاختلافات العقائدية فقال: " من اداب المجالس للاكابر التخلي عن الاضداد، والميل والمحبة والتخصص لهم، وترك التجسس على عقائدهم "[4] .

كما كان يعمل على بيان اهمية الالتزام بالآداب والاخلاق العامة، فقال: " طالب نفسك بإكرامك للناس، ولا تطالبهم بإكرامهم لك "[5] امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا**﴾[6] يدعونا (I) ان لا نكلف الا انفسنا .

وحث الناس على الابتعاد عن التكبر والركون الى التواضع فهو جوهر السعادة، فقال: " وسم السعادة في رجل عرف الحق فتواضع لأهله وان عمل ما عمل، ووسم الشقاوة في رجل مجد الحق وتكبر على اهله ولو عمل ما عمل "[7]،

([1]) بوذينة، ابو الحسن الشاذلي، ص56 .

([2]) سورة القلم، اية (4) .

([3]) بوذينة، ابو الحسن الشاذلي، ص56 .

([4]) الكوهن، طبقات الشاذلية، ص24 .

([5]) الماوي، الكواكب الدرية، ج2، ص478 .

([6]) سورة النساء، اية (84) .

([7]) الشافعي، المفاخر العلية، ص83؛ وينظر: النقشبندي، احمد بن مصطفى بن عبد الرحمن، (ت:1311هـ/1894م)، جامع الاصول في الاولياء وانواعهم واوصافهم واصول كل طريق

ومما روي عنه في ذلك بانه كان عادٍ مع اصحابه من احدى البساتين في تونس الى المدينة وقبل ان يدخلوا اليها نزل اصحابه من حميرهم وكانت الارض طين، وطلبوا منه ان ينزل معهم فسئلهم عن السبب فقالوا انها المدينة وهم في حياء ان يدخلوها وهم راكبين تواضعاً منهم، فأجابهم قائلاً: " ان الله لا يعذب راحة يصحبها التواضع، ولكن يعذب راحة يصحها التكبر "[1]، ونجد في ذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾[2]، فان القيم الاخلاقية والصفات الحميدة هي الباب التي تدخل صاحبها في رحاب المولى عز وجل وبها يضمن سعادة الدارين .

ومن القيم الاخلاقية التي حث عليها هي الالتزام بالآداب فقال: " اربعة اداب اذا خلا الفقير المتجرد منها فاجعله والتراب سواء: الرحمة للأصاغر، والحرمة للأكابر، والإنصاف من النفس، وترك الانتصاف لها، واربعة اداب اذا خلا الفقير المتسبب بها فلا تعبان به وان كان احدهم اعلم البرية: مجانبة الظلمة، وايثار اهل الاخرة، ومواساة ذوي الفاقة، ومواظبة الخمس في الجماعة "[3] .

ومن اقواله في اداب المجالسة: " اذا جالست العلماء فلا تحدثهم الا بالعلوم المنقولة والروايات الصحيحة, اما ان تفيدهم واما ان تستفيد منهم وذلك غاية الربح منهم, واذا جالست العباد والزهاد فأجلس معهم على بساط الزهد والعبادة وحل لهم ما

ومهمات المريد وشروط الشيخ وكلمات الصوفية واصطلاحهم وانواع التصوف؛ تحقيق: احمد فريد المزيدي، دار الكتب، العلمية، (بيروت، 2010م)، ص73 .

([1]) المناوي، الكواكب الدرية، ج2، ص472؛ وينظر: المناوي، محمد عبد الرحمن الرؤوف، (ت: 1031هـ/ 1622م)، الجواهر الفاخرة في بيان اصل الطريقة الى مغرفة مالك الدنيا والاخرة، تحقيق: عاصم ابراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2010م)، ص95؛ الشافعي، المفاخر العلية، ص83؛ النقشبندي، جامع الاصول، ص73؛

([2]) سورة لقمان، اية (18) .

([3]) الشافعي، المفاخر العلية، ص76؛ وينظر: النقشبندي، جامع الاصول، ص62؛ ابو زيد، فوزي محمد، الشيخ الكامل السيد ابو الحسن الشاذلي (τ)، دار الايمان والحياة، (القاهرة، 2010م)، ص161 .

استمرؤوه, وسهل عليهم ما استوعروه, وذوقهم من المعرفة مالم يذوقوه, واذا جالست الصديقين ففارق ما تعلم تظفر بالعلم المكنون "[1] .

كما وحث الشريف عبد السلام بن مشيش على الحفاظ على القيم الاخلاقية من كل ما يحط بها ولاسيما من الاصحاب، فأن الصاحب له تأثير كبير في نفس صاحبه لذا من الواجب ان يكون الشخص نبيه في التعامل مع الاخرين وان يعمل على كسب من يؤازره من رفع نفسه للأمام وبالتالي المسير بالمجتمع قدماً، وله في ذلك قوله لتلميذه الشريف الشاذلي ناصحاً: " لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فإنه لئيم ولا من تؤثر نفسك عليه فإنه قل ما يدوم، واصحب من إذا ذكر، ذكر الله فالله يغني به إذا شهد، وينوب عنه إذا فقد ذكره نور القلوب ومشاهدته مفاتيح الغيوب "[2]، ومنها ايضاً قوله له: " ولا تصحب الا من تستعين به على طاعة الله "[3]، فنجد ان نصح الشريف هنا قد جاء مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا**﴾[4] .

ودعا الناس الى التحلي بالتواضع واحترام الاخرين والرفق بالنفس والاهل مبيناً ان على الانسان ان يفكر بما يرفع درجته عند الله (I) وما يصغره، خيراً من ان يفكر بما يرفعه ويصغره بعين الخلق فأن حمل الانسان لطعامه في الاسواق، وجمع الحطب لإعداد الطعام وحمله على رأسه، والمشي مع اهل بيته وزوجته الى السوق في حاجة من حوائجها وركوب الحمار خلفها، وغيرها من العادات الحياتية اليومية التي تصغر المرء في اعين الناس لا اعتراض للشرع عليها[5]، فأن الشريف بذلك يحث الناس على التفات الى الشرع فيما يخص الامور الحياتية وان يبتعدوا عن

([1]) اليافعي, مرآة الجنان, ج4, ص110؛ الشافعي, الطبقات الكبرى, ج4, ص5؛ الفاسي المغربي, طبقات الشاذلية, ص24.

([2]) محمود، القطب الشهيد، ص112 .

([3]) ابن عجيبه، شرح صلاة القطب، ص14؛ وينظر: التليدي، المطرب، ص99 .

([4]) سورة الفرقان، اية: (27، 28، 29) .

([5]) الكوهن، طبقات الشاذلية، ص26 .

التفكير بكل ما لا يمت للخلق الديني بصلة، فهو يعمل على تنشأة مجتمع صالح قائم على اسس دينية قويمة .

2. الحث على الصلاة والعبادة

قال تعالى: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾[1], ان الحث على الصلاة والعبادة من اهم ما يقوم به علماء آل البيت العلوي وفقهائهم باعتبارهم رجال الدين وقادة الناس الى الله (Y), فضلاً على المكانة التي استحوذوا عليها في قلوب الناس فجعلت منهم نبراساً يسعى الجميع على الاقتداء به، فقد سعوا بشتى الطرق والوسائل الى تحفيز الناس على الالتزام بشرائع الاسلام, والسير على سنة النبي (ρ) وفي ذلك نجد الشريف ابو الحسن الشاذلي يحث الناس على الصلاة والالتزام بها في اوقاتها الخمسة ويقول: " لا تؤخر طاعات وقت لوقت اخر فتعاقب بفواتها او بفوات غيرها او مثلها جزاء لما ضيعت من ذلك الوقت فأن لكل وقت سهماً "[2] .

وحثهم على الالتزام بتأدية فريضة الصلاة في كل وقت وتحت أي ظرف كان وان احس المرء بأنه اصبح في صلاته تقصير لا يتركها وان يعقد نيته بمحبه الله ورسوله، فقال: " من العمل تأدية الفرض مع محبة الله ورسوله واعتقاد الحق للجماعة فأن « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ »[3]، وان قصر بالعمل "[4]، فأن الصلاة هي الطريق الأكثر مباشرة إلى الله (I) تنقي الذهن ترفع الشخص إلى عظيم المنزلة، وهذا ما اشار اليه النبي (ρ) بقول: « مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ الصَّلاَةُ »[5] .

([1]) سورة البقرة, اية 238.

([2]) الكوهن، طبقات الشاذلية، ص25؛ وينظر: محمود، المدرسة الشاذلية، ص90 .

([3]) الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد، (ت:385هـ/995م)، الإلزامات والتتبع، تحقيق: مقبل بن هادي الوداعي، دار الكتب العلمية، ط2، (بيروت، 1985م)، ص171، رقم (44) .

([4]) المناوي، الكواكب الدرية، ج2، ص472 .

([5]) ابن حنبل، المسند، ج23، ص29، رقم (14662)؛ الترمذي، السنن، ج1، ص55، رقم(4).

كما حث الاشراف الناس على الالتزام بشرائع الاسلام واحكامه وشرحوا لهم سننه القويمة وارشدهم الى عبادة الله دون ما سواه، قال الشريف عبد السلام بن مشيش في حث الناس على عبادة الله (Y) والتوجه اليه في كل امورهم: " حب الله قطب تدور عليه الخيرات، واصل جامع لأنواع الكرامات، ومصدر ذلك كله اربعة: صدق الورع، وحسن النية، واخلاص العمل، ومحبة العلم "[1] .

ومثله كان الشريف ابو الحسن الشاذلي فقد كان مرشداً ومعلماً وحاثاً على عبادة الله (Y)، ودعا الناس الى العمل بالكتاب والسنة والابتعاد عن ما يعارضهما[2]، وحثهم على الاستغفار في كل وقت وان لم يكن هناك ذنب، اقتداءٍ بنبينا الكريم (ρ) فيقول: " اعتبر باستغفار النبي (ρ) بعد البشارة واليقين بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهذا معصوم لم يقترف ذنباً قط وتقدس عن ذلك فما ظنك بمن لا يخلو عن العيب والذنب في وقت من الاوقات "[3]، فقد كان الاشراف يغنمون كل فرصة لحث الناس على العمل لله (Y), وعبادته سبحانه .

وارشدهم على التوجه الى الله (I) بالأعمال الصالحة المفروضة عليهم فبها يضمن العبد الاخرة، ويحثهم على المداومة في ذكر الله (Y) فقال: " فرغ لسانك للذكر، وقلبك للتفكر، وبدنك لمتابعة الامر، وانت اذا من الصالحين "[4] .

3. الوعظ والتذكير والارشاد

قال ابن منظور[5]: " الوعظ والعِظة والعَظة والمواعظة (هي) النصح والتذكرة بالعواقب ... واتعظ هو قبول الموعظة حين يذكر الخير ونحوه "، وبالوعظ والارشاد يستدل الناس على مواطن الخير والصلاح, وقد امر الله Y عباده بالسعي وراء جمع كلمة المسلمين على الحق بالحكمة والموعظة ومن ذلك قوله تعالى: **(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ**

([1]) محمود، المدرسة الشاذلية، ص28 .

([2]) الكوهن، الطبقات الشاذلية، ص22 .

([3]) الكوهن، الطبقات الشاذلية، ص22 .

([4]) الشافعي، المفاخر العلية، ص68 .

([5]) لسان العرب, ج7, ص466, مادة (وعظ) .

رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)[1], وقوله تعالى: **(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)**[2].

ليس هناك افضل من العلماء والفقهاء ورجال الدين يمثل هذا الجانب المهم من جوانب الاصلاح الاجتماعي, ودعوة الناس للعمل الصالح عن طريق وعظهم وارشادهم بالحكمة والجدال الحسن، لاسيما ان كان هؤلاء الفقهاء هم من آل البيت العلوي فهم اهل بيت نبينا الكريم وهو اصل ومنبع الخلق العظيم، وكانوا على قدر كبير من الاحترام عند اهل المغرب لذا كانوا خير من قام بهذا الجانب الاجتماعي المهم، ومن اولئك الاشراف الذين اولوا اهتمامهم للوعظ وارشاد الناس الى السبيل الصحيح الشريف ابو زكريا يحيى الزواوي، فقد كان حسن الموعظة ناصحاً ومرشداً، روي انه عقد المجالس للناس في علوم التذكير وارشدهم الى الطريق القويم، وكان الغالب على مجالسه هو الخوف فما يمر له مجلس الا وذكر الناس بالنار والاغلال والسعير حتى تكاد تفيض قلوب الحاضرين في مجلسه[3]، وروي ان احد الحاضرين في تلك مجالس التي اعدت للوعظ قال له بعد ان بدء الشريف بذكر النار واهوال يوم القيامة: " شوقنا الى الجنة وما اعد الله فيها لأهلها، فصاح ابو زكريا: اما تسمعون قول هذا الانسان متى خرجنا من النار؟ حتى نذكر الجنة وما فيها! ... وما زال يعيد هذا الكلام ويصيح الى ان اغشي عليه "[4]، فقد رأى ان هذا الطريق هو احسن الطرق في الدعاء الى الله تعالى، اذ وجد ان بعض الخلق لا يتجهون الى الله (I) الا بالخوف ولأجل ذلك جاءت بعض احكام الشريعة تخويفاً من العقاب والنار[5] .

ومثله كان الشريف محمد بن عبد الله الحسيني واعظاً حسناً اتصف بصفات نادرة قلما نجدها عند غيره فقد كان عالماً بشتى العلوم مقرباً من الناس محمود السيرة

([1]) سورة النحل, اية 125.

([2]) سورة البقرة, اية 269.

([3]) الغبريني، عنوان الدراية، ص128 .

([4]) ابن الزيات، التشوف الى رجال التصوف، ص429 .

([5]) الكتاني، الشرب المختصر، ص125 .

مشكور الاحوال صادعاً بالحق وقور المجلس، له اسلوب لطيف فاستطاع بذلك ان يجذب الناس بوعظه، فكانت حلقاته التي عقدها بفاس للوعظ والتذكير تغص بعدد كبير من الناس بمختلف طبقاتهم للاستماع الى وعظه والاخذ بقوله فأنتفع به العامة[1] .

واتصف الشريف عمران بن عبد الجليل الحسني بالتواضع والصلاح من اهل الخير والفضل والنجاح عارفاً بالله, مما جعل الناس ينجذبون إليه ويتبركون به, ويقصدونه لاستشارته فكان لهم راشداً وواعظاً[2] .

ولم يترك الاشراف طريقاً الا وسلكوه في سبيل وعظ الناس وارشادهم للصواب فقد اتخذ الشريف علي بن خليل المسفر من الشعر طريقاً للوعظ والنصح فهو من الادباء المبدعين واحد فحول الشعر، حيث عرف شعره بالزهد والمواعظ والتذكير، فكان الوعظ هو المسيطر على ادبه، فتميز شعره بصبغة علمية دينية فلسفية[3]، ومن شعره في الوعظ والارشاد الذي يذكر به الموت واهواله في قصيدة طويلة[4] منها قوله[5]:

لا تظنوا الموت موتاً إنه   لحياةٌ وهو غايات المنى
لا ترعكم هجمة الموت فما   هي إلا نقلة من هاهنا
فاخلعوا الأجساد عن أنفسكم   تبصروا الحقّ عياناً بيّنا
وخذوا الزاد جميعا لا تنوا   ليس بالعاقل منا من ونى
حسنوا الظن بربٍ راحمٍ   شاكرٍ للسعي وتأتوا أمنا

([1]) ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص48؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص166؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج18، ص5550 .

([2]) الغبريني، عنوان الدراية، ص128 .

([3]) شاوش, الدر الوقاد, ص56, 57.

([4]) سبق وان ذكرت القصيدة في الفصل الرابع في موضوع الشعر .

([5]) ابن العربي، محاضرة الابرار، مج1، ص224 –225؛ كنون، ذكريات، مشاهير المغرب، ج1، ص287 – 288؛ الزركلي، الاعلام، ج4، ص285 .

ومن الاشراف الواعظين والعلماء الصالحين الناصحين والمرشدين الى طريق الحق والصلاح الشريف عبد السلام بن مشيش الحسني فهو من العلماء العاملين واكابر المرشدين الكاملين، غلب عليه الزهد والتفكير والنصح والارشاد واعظاً ومذكراً[1]، وله في الوعظ والارشاد حكم وخطب واقوال كثيرة منها قوله: " لا تنقل قدميك الا حيث ترجو ثواب الله، ولا تجلس الا حيث تأمن غالباً معصية الله، ولا تصحب الا من تستعين به على طاعة الله "[2]، ومنها ايضاً قوله: " الزم الطهارة من الشرك، كلما احدثت تطهرت من دنس حب الدنيا، كلما ملت الى شهوة اصلحت بالتوبة ما افسدت بالهوى "[3] .

ونجد من الاشراف من كرس وقته وجهده كي يعظ الناس ويرشدهم كالشريف ابو الحسن علي الشاذلي فلم يكن له مجلس او حلقة او خطبة تخلو من الوعظ, فقد كان محبباً الى الناس قريباً منهم، قصده الجميع للنصح والارشاد حتى بلغ من حب الناس له وايمانهم بما قاله لهم وارشدهم إليهم, ان يجلسوا له على الطريق ليغتنموا منه دعوة او موعظة[4]، ومن مواعظه قوله ناصحاً ومرشداً في التوكل على الله: " اذا ثقل الذكر على لسانك، وكثر اللغو من مقالك، وانبسطت الجوارح في شهواتك، وانسد باب الفكرة في مصالحك، فاعلم ان ذلك من عظيم اوزارك، او لكمون ارادة النفاق في قلبك، وليس لك طريق الا التوبة والاصلاح والاعتصام بالله، والاخلاص في دين الله تعالى الم تسمع قوله تعالى: ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[5]، ولم يقل مع المؤمنين، فتأمل هذا القول ان كنت فقيهاً "[6] .

([1]) النبهاني، جامع كرامات الاولياء، ج2، ص167 .

([2]) ابن عجيبه، شرح صلاة القطب، ص14؛ وينظر: التليدي، المطرب، ص99؛ شكر، الاحياء بعد الانساء، ص175 .

([3]) ابن عطاء، لطائف المنن، ص61 .

([4]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص42؛ المزيدي، قطب المشرق والمغرب، ص28– 29

([5]) سورة النساء، اية (146) .

([6]) محمود، المدرسة الشاذلية، ص113 .

4. الحث على القناعة

القناعة لغة: مصدر قنع, بالكسر, يقنع قنوعا وقناعة اذا رضي, وقنع بالفتح, يقنع قنوعا اذا سأل, والقنوع: الرضا باليسير من العطاء. وقد يكون بمعنى الرضا, والقانع بمعنى الراضي, وهو من الاضداد وسميت قناعة لأنه لا يقبل على الشيء الذي له راضيا[1].

أما اصطلاحا: "هي السكون عند عدم المألوفات. وقيل: الاكتفاء بالبلغة, وقيل: سكون الجأش عند ادنى المعاش. وقيل: الوقوف عند الكفاية"[2]، وقيل القناعة: "هي الرضا بما اعطى الله"[3]، وقيل: هي الرضا بما دون الكفاية, وترك التشوف الى المفقود, والاستغناء بالموجود[4].

شارك الاشراف بحكم مكانتهم الاجتماعية, في نشر القيم الاخلاقية بين الناس – كما ذكرت انفاً – من حث على الصلاة, والامر بالمعرف النهي عن المنكر، والوعظ وارشاد الناس الى العمل الصالح, وكذلك القناعة فان القناعة من اهم ما يجب ان يتحلى به الانسان قال تعالى: ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[5]، حث الاشراف الناس على القناعة والرضا بما كتبه لهم الله من الرزق والولد, وان لا يعتدوا على حقوق غيرهم بفعل او قول, ومن اولئك الاشراف الشريف عبد السلام بن مشيش، فقد حض على القناعة, ورغب الناس فيها، ومن اقواله في الحث على القناعة والرضا والتوكل على

([1]) ابن منظور, لسان العرب, ج8, ص298, مادة (قنع).

([2]) الحدادي, زين الدين محمد عبد الرؤوف (ت: 1031هـ/ 1622م), التوقيف على مهمات التعاريف, نشر: عالم الكتب، (القاهرة،1990م), ص275.

([3]) عياض, مشارق الانوار, ج2, ص187, مادة (ق. ن. ع).

([4]) السيوطي, معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم, تحقيق: محمد إبراهيم عبادة, نشر: مكتبة الاداب, (القاهرة،2004م), ص217.

([5]) سورة الزخرف, اية 32.

الله (I) قوله: " اربع من كن فيه احتاج الخلق اليه، وهو غنى عن كل شيء وهو: المحبة لله، والغنى بالله، والصدق، واليقين "[1] .

وله في الحث على القناعة والزهد في الدنيا قوله: " عليك بالزهد في الدنيا، والتوكل على الله، فإن الزهد أصل في الاعمال، والتوكل رأس في الاحوال، واشهد بالله واعتصم به في الاقوال والافعال والاخلاق والاحوال "[2] .

وكان هو نفسه مثلا يضرب بالقناعة والرضا بما كتب الله (I) له من الرزق، راضياً مطمئناً بالأنس بالله (I) وحده، ومن صور القناعة والرضا انه كان يدعوا الله (Y) بالسحر ان يبعده عن كل شيء الا الله قائلاً: " اللهم ان قوماً سألوك ان تسخر لهم خلقك فسخرت لهم خلقك فرضوا بذلك منك، اللهم واني أسألك اعوجاج الخلق علي، حتى لا يكون ملجأ الا اليك "[3]، أي بحر من القناعة والرضا بالله (I) والتوكل عليه اغترف منه هذا الشريف حتى دعا بهذا الدعاء الذي يحمل كل معاني الايمان والرضى لله (Y) وحده .

ومن الاشراف الذين حثوا الناس على القناعة والرضا بقضاء الله، والتوكل عليه في دقائق الامور الشريف ابو الحسن علي الشاذلي فقد كان يروي عن القناعة القصص ويشرح لهم ذلك من القران الكريم وضرب الامثال للناس مبيناً لهم منزلة القناعة واهميتها في الحياة التي يجب على كل انسان ان يتحلى بها، ومن ذلك فقال: " خصلة واحدة تحبط الاعمال ولا ينتبه لها كثيراً من الناس وهي: سخط العبد على قضاء الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾[4] "[5] ، فيقول ان أجل مواهب الله (I) هي: " الرضا بمواقع القضاء، والصبر

([1]) محمود، القطب الشهيد، ص111 .

([2]) محمود، القطب الشهيد، ص128 .

([3]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص25؛ وينظر: ابن عجيبة، شرح الصلاة المشيشية، ص12؛ محمود، القطب الشهيد، ص26 .

([4]) سورة محمد، اية (9) .

([5]) محمود، المدرسة الشاذلية، ص110 .

عند نزول البلاء، والتوكل على الله عند الشدائد، والرجوع اليه عند النوائب "[1]، مبيناً للناس ان من خرجت منه هذه الخصال الاربعة برضا وقناعة ومجاهدة للنفس واتباع لرسول الله والائمة، فقد صحت ولايته لله ورسوله وللمؤمنين لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾[2].

المبحث الثاني

دورهم في الحياة العامة

لم يقتصر دور الاشراف واثرهم في الحياة الاجتماعية على الحث والإرشاد وتنشأة مجتمع صالح, بل شاركوا الناس حياتهم وعاشوا معهم أفراحهم ووقفوا الى جنبهم بأحزانهم وعمدوا الى مساعدتهم، ودافعوا عن حقوقهم, وذلك لما امتلكه

([1]) محمود، المدرسة الشاذلية، ص111 .

([2]) سورة المائدة، اية (56) .

الاشراف من مكانة لدى الخواص والعوام في المجتمع جعلت الناس قريبين منهم يحبونهم ويبحثون عنهم فيلتفون حولهم ويستضيئون بعلمهم .

1. مشاركتهم للناس افراحهم واحزانهم

مشاعر الإنسان من أغلى ما يملك, فقد اهتم علماء النفس بهذا الموضوع أيما اهتمام وأكدوا على اهمية مداراة المشاعر وتغير حالاتها لما له من تأثير على المجتمع, لكن اهتمامهم ذلك لا يقارن بمثل ما جاء به الاسلام من مراعاة المشاعر والاحاسيس التي اعتبرها جزءً من الانسان وسلط عليها الضوء بصورة مباشرة وغير مباشرة، وقد اهتم العلماء من الاشراف بهذا الجانب المهم وحرصوا على مشاركة الناس في امور حياتهم اليومية والاهتمام بتفاصيلها ومساندتهم بالسراء والضراء .

ومن أولئك العلماء الشريف ابو الحسن علي الشاذلي كما عرفنا سابقاً فأنه كان قريباً جداً من الناس دائم السؤال عنهم وعن احوالهم متفقداً فقيرهم وغنيهم وشاركهم افراحهم وصبرهم في مصائبهم، ومن ذلك ما روي عن خروجه ايام المواسم الروحية والمناسبات الدينية بأبهى الصور وتفاعل معهم، محاولا على قدر الامكان لفت انظارهم اليه وجذبهم نحوه فسار في ركبه والناس من حوله فرحين به بينهم وشاركهم احاديثهم، لم يكن الشريف يهدف من ذلك الحصول على الشهرة فقد كان معروفاً ذو مكانة عالية لدى الجميع، الا انه هدف من ذلك لفت انظارهم وارواحهم الى المواسم الدينية وادخال البهجة الى قلوبهم[1] .

كان الشريف الشاذلي ورعاً متواضعاً شاركهم حياتهم واحاديث السمر اللطيف ويستمع الى حديثهم فيبدو اعجابه به احياناً ويشاركهم فيه احياناً اخرى، وفي ذلك ما روي أن رجلين كانا مشيا قريباً من دابة الشريف كعادتهم بالمشي حوله وتحدثا في بعض الامور، فقال أحدهما للآخر معاتباً: " يا فلان: رأيت فلانا يسئ معك العشرة وأنت تحسن اليه؟ فقال له: هذا من بلدي، وأنا اقول كما قال الشاعر[2]:

([1]) المناوي، الكواكب الدرية، ج2، ص470-471؛ محمود، المدرسة الشاذلية، 54 .

([2]) ذكر صاحب المفاخر العلية ان الشاعر هو (مجنون ليلى)؛ ينظر: الشافعي، المفاخر العلية، ص30؛ ومجنون ليلى هو قيس بن الملوح بن مزاحم العامري شاعر غزل من أهل نجد توفي

رأى المجنون في البيداء كلبا   فجر له من الاحان ذيلا
فلاموه على ما كان منه   وقالوا كم أنلت الكلب نيلا
فقال دعوا الملامة أن عيني   رأته مرة في حي ليلى"[1]

فسمع الشريف الرجلين فأعجب بحديثهم، فأخرج رأسه من ركبه وقال للرجل: أعد يا بني ما قلت، فأعاد الرجل ما قاله، فتحركت نفس الشريف لمقاله[2] وأخذ يردد البيت الأخير:

دعوا الملامة أن عيني   رأته مرة في حي ليلى

ثم اعطاه غفارة[3] زبيبية اللون كمكافأة له، ففرح الرجل بذلك كثيراً وضمها اليه، فسأله احد الناس ان يشتريها منه فرفض الرجل ورد عليه قائلا: " والله لو اعطيتني ملئها ذهب ما بعتها به، هذه والله ذخيرة حصلت عندي، لإجعلنها في كفني والله "[4] .

كما كان الشريف دائم السؤال على الناس يشاركهم جميع حالاتهم ويقف الى جانبهم في احزانهم وربما عمد الى غسل موتاهم ويخرج للصلاة على عليهم ويمد يد العون لهم ليخفف ما وقع بهم من الملمات[5] .

يتضح مما سبق مدى الترابط الجميل والحب العميق الذي كان ربط الشريف بالعامة، فشاركهم في جميع مفاصل الحياة ولم يترك أي فرصة وان كانت عارضة دون ان ينتهزها لإدخال السرور في قلب الناس ومشاركتهم افراحهم، ولم ينسَ امر

سنة (68هـ /688م)؛ ينظر: صلاح الدين، فوات الوفيات، ج3، ص208؛ الزركلي، الاعلام، ج5، ص208 .

([1]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص32–33؛ الشافعي، المفاخر العلية، ص 30–31 .

([2]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص32–33؛ الشافعي، المفاخر العلية، ص 30–31 .

([3]) وهي عبارة عن قطعة صغيرة من الجلد او القماش تلبس على الراس قبل القلنسوة؛ ينظر: ابن سيدة، المحكم المحيط الأعظم، ج5، ص500، مادة (غ ف ر)؛ ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص26، (فصل الغين المعجمة) .

([4]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص32–33؛ الشافعي، المفاخر العلية، ص 30–31 .

([5]) ينظر: ابن الصباغ، درة الاسرار، ص41؛ الشافعي، المفاخر العلية، ص47–48 .

المكافأة فهو اسلوب رصين لجذب قلوب الناس اليه ليجعلوا منه قدوة يتسابق الجميع للاقتداء بها، كما انه دليل على وحدة المجتمع .

2. مساعدتهم للفقراء والمحتاجين

من تعاليم ديننا الاسلامي العطف والتكافل وبذل الصدقات للفقراء والمحتاجين, قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ**﴾[1] كما قال تعالى: ﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[2], فان تقديم المساعدة للفقراء والمحتاجين من المال والمأوى والملبس والطعام وكل ما يفرج كربهم ويُزيل همهم هو واجب على كل مسلم فالمسلم اخو المسلم قال نبينا الكريم محمد (ρ): « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » [3].

وكان للأشراف الاثر الاكبر والفضل الأسمى في العمل بمبادئ التشريع الإسلامي وبيان احكامه فهم آل بيت النبوة وعاملين على تطبيق مبادئ الرسالة الاسلامية فضلا عن ذلك فهم رجال علم ودين فكان لهم إسهامات كثيرة في هذا الجانب فهم خير من عمل على احكام الشارع الحكيم في مساعدة الفقراء والمحتاجين وبذل الصدقات لهم، فقد كان الشريف محمد بن يوسف الدرقاوي عالماً عاملاً من اهل الفضل والنسك زاهداً كثير الصدقة للناس[4] .

فلم يغفل الاشراف عن امر الفقراء واعانتهم, تلبية لقوله تعالى: (**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي**

---

(1) سورة البقرة, اية 267.

(2) سورة البقرة, اية 271.

(3) ابن حنبل, مسند الامام احمد, ج9, ص463, رقم (5646)؛ البخاري, صحيح البخاري,ج3, ص128, رقم (2442)؛ مسلم, صحيح مسلم, ج4, ص1996, رقم (2580).

(4) التمسماني، سلسلة اعيان من شيوخ الشاذلية، ص48 .

السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ[1]، وهذا ما نلاحظه من خلال دراسة تراجمهم فقلما نجد احداً منهم لم يوصف بالكرم والسخاء وبذل الصدقات ومساعدته للفقراء والمحتاجين، فقد كان الشريف مسعود الحسني سمحاً كثير العطف على الفقراء والمساكين دائم المساعدة لهم والتصديق عليهم، قال عنه السملالي[2]: " كان رجلاً تقياً سخياً يضرب بسخائه المثل "، ومثله كان الشريف ابو العباس الحسني الجوطي صالحاً زاهداً ورعاً كريماً انتفع به الناس[3] .

ونجد البعض منهم قد وصفهم المؤرخون بالكرم والسخاء لجودهم ومساعدتهم للفقراء كالشريف عبد الله بن طاهر الحسيني قال عنه ابن الاحمر[4]: " كان صالحاً خيراً ناسكاً "، كما عرف الشريف يحيى بن محمد الحسني بـ " فضله وعدله وامانته ومحبته للفقراء والمساكين والغرباء "[5]، وعلى نحو ذلك وصف الشريف محمد بن طاهر الحسيني بأنه: " احد الاجواد الكرماء "[6]، فقد عمد الاشراف على مساعدة الفقراء والمحتاجين لا يردون سائلاً مهما كان حالهم، على الرغم من ان اغلبهم كانوا فقراء الا انهم لم ينسوا امر الفقراء واعانتهم اتباعاً لقوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**﴾[7] .

فكانت تلك احد الاسباب التي بلغ بها الاشراف محبة الناس فان مساعدة المحتاجين ووقوفهم الى جنبهم في الملمات القت في قلوب الناس محبتهم فلم يمتنع الاشراف عن المساعدة لأي شخص كان في حاجة إليهم، وفي ذلك ما جاء عن الشريف ابو زكريا يحيى الزواوي بانه كان كثير العطف على الفقراء والمساكين

---

(1) سورة آل عمران, اية 133-134.

(2) الاعلام بمن حل مراكش من الاعلام، ج4، ص269 .

(3) ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص47 .

(4) بيوتات فاس الكبرى، ص17 .

(5) الكتاني، سلوة الانفس، ج1، ص91 .

(6) ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص48؛ وينظر: السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص164 .

(7) سورة الليل, اية 5-7.

ويعمل على مساعدتهم على الرغم من انه لم يكن ميسور الحال، روي عنه عندما اصابة بجاية مجاعة شديدة واصبح الناس في عوز وفقر، توجه الى عامل المدينة فكترى منه احد الفنادق بنحو ثلاثمائة دينار، وعمد بعدها الى اعيان المدينة واحدا واحد يسألهم ان يعطوه كلاً على قدر استطاعته لمعونة الفقراء والمساكين، فاجتمع عنده مال كثير فدفع للعامل المبلغ لكراء الفندق، ثم خرج الى الطرق يجول المدينة فكلما مر بمسكين دفع له بعض المال الذي يكفيه، ثم يطلب منه الذهاب الى فندق معين، وبعد ان اجتمع جميع الفقراء والمساكين بالفندق اشترى لهم من اللباس ما يدفع عنهم البرد، ووفر لهم من الطعام ما يغنيهم عن سؤال الناس، وجعل عليهم رجلاً يقوم بتلبية حاجتهم، واستمر على هذه الحالة في اعالة الفقراء الى ان انتهت الازمة في العام التالي[1]، ان ما قام به الشريف كان تلبية لقوله تعالى: **(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ)**[2] .

ومن الاشراف من وضع نفسه وماله خدمةً للمسلمين والمحتاجين عملاً بآيات الذكر الحكيم التي حثت الميسورين على إبداء أموالهم للفقراء والمساكين، كالشريف ابو الحسن علي الشاذلي فقد كان عطوفاً على الفقراء والمساكين[3] دائم الاحسان لهم فكان اذا ركب يمشي الفقراء بين يديه ومن خلفه[4]، ومما روي عنه انه جاءه رجلٌ كان مسؤول عن مساعدة الفقراء والمحتاجين، وقد مات البعير الذي كان يحمل عليه الطعام لهم فشكى له الاقلال وعرض عليه بالسؤال ان يساعده، قائلا: " يا سيدي مات لنا بعير وبقى حمله على الارض ... والله يا سيدي ما عندي هذه الساعة لا صفراء ولا بيضاء "[5]، فأمره الشريف بالجلوس ثم قال له: " ادخل يدك وخذ ما في جيبي فأدخلها واخرجها مملوءة ذهباً ... ثم قال له: اشتر جملاً وما تحتاج اليه من

([1]) ابن الزيات، التشوف الى رجال التصوف، ص429 .

([2]) سورة آل عمران, اية 133-134.

([3]) غريب، ابو الحسن الشاذلي، ص21 .

([4]) الكوهن، طبقات الشاذلية الكبرى، ص39 .

([5]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص38؛ الشافعي، المفاخر العلية، ص35؛ المزيدي، قطب المشرق والمغرب، ص27 .

ازودة الفقراء "[1]، وهذا يدلل مدى كرمه وسخاءه ومعروفه في مساعدة المحتاجين وعطفه عليهم في سبيل رفع كربهم وادخال السرور الى انفسهم عملاً بقول النبي محمد (ρ):« أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ وَمَنَ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامِ »[2].

ومما جاء عنه ايضاً ان رجلاً غريب جاء الى احد مجالس المناظرة فأعجب الشريف الشاذلي به وبحفظه لكلام الله فسئله الشريف ان يطلب منه ما شاء اكراماً له، فطلب منه كسوة، وان يدله على استاذ يتعلم منه، وان يدعو له، فلبى الشريف طلباته وكساه كسوة جيدة واكرمه على احسن حال[3]، فقد اتبع الشريف قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ**﴾[4].

ان التضامن الاجتماعي الذي كان قائماً بين الاشراف والعامة في المجتمع المغربي كبيراً والامثلة عليه لا تحصى حتى نجد ان ذلك اصبح هاجساً عند البعض منهم فأصبحوا دائمي التفكير فيه خوفاً من يقعوا في البخل وهناك من يحتاج الى مساعدتهم، كالشريف عبد الرحمن بن يوسف الحسني اذ وردت عنه قضية اوضحت مدى سخائه واتباعه لأحكام الله (I) وخوفه من منه، روي بانه رأى الرسول (ρ) في المنام فطلب منه ان يراه كل ليلة، فرد عليه بان هذا لا يمكن فهو (ρ) مطلوب في المشرق والمغرب، فشكى الشريف حاله للنبي (ρ) فقال له: " البخل اضر بك "، ومر من امامهم رجلا كان من الاولياء من اهل المغرب وكان جواداً كريماً يصل به الحال ان يتصدق بثيابه ويستتر بالأبواب اذا ما اضطر الى ذلك فسئل الشريف الرسول

([1]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص38؛ الشافعي، المفاخر العلية، ص35 .

([2]) الطبراني, المعجم الكبير, ج12, ص453, رقم (13646).

([3]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص42؛ الشافعي، المفاخر العلية، ص44؛ المزيدي، قطب المشرق والمغرب، ص28– 29.

([4]) سورة الضحى, اية (10) .

(ρ) عن حال هذا الرجل، فقال له (ρ) ان " البخل اضر به "، فتحير الشريف كيف ان يكون بخيلا وهو على هذه الحالة من الجود والكرم فطلب من النبي (ρ) ان يوضح له ما هو هذا البخل الذي يقصده فقال (ρ) له: " لأقولن لك قولاً لم ينقله لكم علماؤكم اذا حضر لاحدكم خاطر بالعطاء ثم عقبه خاطر آخر بالمنع، فالتردد في الخاطر الاول بخل "[1] .

ان هذا التفكير الدائم بالناس يوضح صورة جميلة من صور التكافل الاجتماعي بين الاشراف والمحتاجين، فقد اهتموا بإمرهم الى ابعد الحدود, ولم يضعوا في حسبانهم أي امر اخر من امور الدنيا امتثالاً لقوله (I): **(الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)**[2] .

هكذا تفقد الاشراف امور الفقراء وقدموا لهم المساعدة, ووضعوا ما يملكون في أعانتهم ويواسونهم بما أنعم الله عليهم من نعمة الحال ورغد العيش فهم اعلم الناس بأجر ذلك وما يخلفه الله (I) من خير في الدنيا والاخرة وفي ذلك ما روي عن الشريف ابو القاسم بن حمود الحسني كان من اهل العمل الصالح يسعى لفعل الخير، محباً لأهله، كثير الصدقات للفقراء والمنقطعين من الحجاج واهل السبيل، ويعمل على فداء الاسرى ومناقبه في ذلك كثير[3]، فطبق شرع الله (Y) واحيا سنة نبيه (ρ) حيث قال: « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ، أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهُمَّ، أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا »[4] .

وعلى نحو ذلك كان الاشراف الامغاريون الحسنيون دائمي السؤال عن احوال الناس، ويعملون على مساعدتهم واعانتهم في امور دنياهم تلبية للشارع الحكيم، حتى نجد ان السلاطين اوكلوهم بأمر الناس على رايهم ومشورتهم لثقتهم بصدق نيتهم في العمل المسند اليهم، اذ كتب الأمير أبي الكمال تميم بن زيري اليفرني سنة

([1]) ابن الزيات، التشوف الى رجال التصوف، ص465 .

([2]) سورة البقرة, اية 267.

([3]) ابن جبير، الرحلة، ص314 .

([4]) البخاري, صحيح البخاري, ج2, ص115؛ باب (قوله تعالى: { فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى}, رقم (1442)؛ مسلم, صحيح مسلم, ج2, ص700, باب (في المنفق والممسك), رقم (1010).

(424هـ/1033م) إلى الشريف أبي جعفر إسحق بن إسماعيل الامغاري الحسني ان يتولى امر صدقات المسلمين واعانة الفقراء والمحتاجين لمن يراهم اهلا لذلك فأرسل اليه ظهير طويل ذكر به من الصفات والشمائل احسنها في حق الاشراف ثم قال: " صرفت عليكم الزكاة والأعشار لتفرقوها على أيديكم من الأغنياء إلى المساكين لصدقكم في ذلك، وتحروا الغرباء والجيران، والشركاء والأصهار، إلى غير ذلك والمعسرون منهم فلا حرج عليكم ولا تثريب على أحد منهم فيما تقدم، ولهم من الصفح الشامل، والعفو السابغ الكامل، ما يستقرون به في مهاد العافية، ويوردهم من امالهم الموارد الصافية، وليكونوا موقنين بما يستقبلونه من الدعة الضافية الجلباب والأسباب، التي يتعرفونها بحول الله دائمة الاستحباب هم أعينهم ولهم صفاتها، وفيهم رغبة في الاتصال بكم والتكفل بخدمتكم والتمسك بكم التماسا لحرمتكم وبركاتكم والله سبحانه ينفع المسلمين ببركاتكم ويسقينا من سمائكم سحائب الرضى المأمول والرحمة، والسلام الكريم عليكم ورحمة الله وبركاته"[1].

ولم يكن عمل الخير للأشراف محصوراً بفصيلة واحدة او جيلاً معين فهم ذرية اكرم الخلق (ρ) توارثوا ذلك كابراً عن كابر، وهذا ما نستشفه من ظهير الامير ابو العلاء الموحدي الذي كتبه لبني امغار سنة (665هـ/1267م)، حيث يظهر فيه من الاحترام والتوقير والامتنان لما يقوموا به من اعمال الخير للناس فيقول به: " من عبد الله ادريس امير المؤمنين ابن سيدنا ابي عبد الله بن سيدنا ابي حفص بن سيدنا الخليفة الامام امير المؤمنين ايده الله بنصره وامده بمعونته الى الشرفاء الساكنين برباط عين الفطر اعلم الله كرامتهم بتقواه وتولى اعاشهم على ما فيه رضاه يحملون به على الكرامات والمبرة والرتبة الدائمة المستمرة، والحماية التي تقيهم ضروب الضيم والمضرة وتعرفهم في احوالهم كلها على عوارف المسرة حمداً يستمر دوامه ويؤمن انقراضه وانصرافه واحكامه ويحاشون من الوظائف الطارئة والكلف الناشئة ومن جميع ما ينوب من الومنن والسخر ومماشاة تتصل باتصال على الرعي المصاحب والاهتمال وامر الله امره وابلغ تأميره ونصره بأن يصدقوا في اعشارهم وان يفرقوها حباً

(1) ابن عبد العظيم الازموري، مخطوط تنقيح الاخيار، رقم (17) .

للمستحقين تكميلاً للرفق بهم وتتميماً وتخصيصاً للحنو عليهم وتعميماً لما اشتهروا به من الصلاحية وجريهم في كل احوالهم على المسالك الدينية بحلول الله تعالى ومن يقف على هذا الظهير الكريم وقصده وهو سبحانه المستعان لا رب سواه "[1] .

فاستطاع الاشراف بذلك ان يضمنوا التكافل الاجتماعي بين عامة الناس وان يأسسوا مجتمعاً دينياً متماسكاً وان يشاركوهم في كل الظروف ويمدوا يد العون الى الجميع.

3. الدفاع عن حقوق الناس

من خلال ما تقدم يتضح مدى الانسجام الكبير بين الاشراف وبين مختلف طبقات المجتمع حتى اصبح الاشراف يمثلون الناس في اغلب امورهم الدينية والدنيوية فهم بحق اصبحوا القادة الحقيقيين للناس، وقد توجت تلك المكانة الاجتماعية المرموقة بالدفاع عن المظلومين والوقوف في وجه الحكام دفاعاً عن حقوق الناس، فقد كانوا واقفين مع الحق والدفاع عن دينهم ودنياهم بوجه كل من اعتدى عليها سواء كان سلطاً أو احد حاشيته, فقد كان جلَّ همهم هو الدفاع عن الناس من ظلم سلطان جائر فلم يسعوا عندهم لكسب منصب بل على العكس زهدوا في الدنيا ومناصبها, ومما قيل فيهم: " واعرض عن زهرة الدنيا ونعيمها "[2], أو " ترك الدنيا والانقطاع الى دار الاخرة "[3], وممن زهد في المنصب الشريف محمد بن علي بن محمد الحسني (ت: 250هـ/ 864م), " الذي زهد في الرئاسة والملك... وكان معروفاً بالصلاح والدين والخير, موصوفاً بالولاية "[4]، وقد سار جميع ابناءهُ

([1]) ابن عبد العظيم الازموري، مخطوط بهجة الناظرين، رقم (16)، ينظر: نص الظهير في الملاحق قسم الظهائر السلطانية .

([2]) الزياني, جمهرة التيجان, ص92.

([3]) الكتاني، الشرب المختصر، ص127 .

([4]) سلوة الانفاس, ج1, ص61, الزياني, جمهرة التيجان, ص92.

واحفادهُ على نهجهُ، كما كان جلَّ الشرفاء الكتانيون عرفوا بالبعد عن الظهور وتولي المناصب الرسمية[1].

لذا سعى السلاطين الى التقرب منهم وكسب رضاهم مما جعل العامة تشرئب بعناقها اليهم طمعاً في وساطتهم اما لأجل اسداء خدمة او فض منازعة او اجارة من مكروه[2]، كما روي في ذلك عن الشريف محمد بن علي العمراني ان احداً من العامة كان يعمل بحانوت في تلمسان الا ان عامل المدينة[3] زاد كراء الحانوت الى ستين دينارا فلم يتمكن الرجل من دفعها، فأقدم جماعة من اعيان البلاد الى عامل المدينة يشفعون للرجل عنده في سبيل التقليل من مبلغ الكراء، الا انه اقسم ان لا يضع من الكراء شيئاً ورد شفاعتهم، فأخرج الرجل من الحانوت بضاعته، وما ان علم الشريف العمراني بذلك حتى قال للرجل بأن يذهب للعامل بشفاعته ويكري الحانوت بالسعر الذي يناسبه، فذهب الرجل واعطاه العامل الحانوت وسأله عن السعر الذي يريده للكراء فقال له ست دنانير، فأعطاه اياه على ذلك، فعاد للشريف فسئله بكم اكتريت حانوتك؟ فأجابه بستة دنانير، فرد كالعائب عليه " هلا قلت له بستة دراهم "[4] .

كما عرف عن الشريف علي الشاذلي بكثرة الشفاعات للمظلومين والمساكين والضعفاء وذوي الحاجات، وتردد على الملوك وولاة الامور شافعاً ومدافعاً ومحامياً وناصحا وواعظا لهم لقضاء حوائج الناس[5]، ومما روي في ذلك: " جهل الناس وولاة الامر قدر ابي الحسن الشاذلي لكثرة تردده اليهم في الشفاعات، ... ان هذا امر لا يقوى عليه الاعبد متخلق بأخلاق الله بذل نفسه واذلها في مرضاة الله "[6] .

([1]) الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج20, ص6746.

([2]) الزياني، تحفة الحادي، ص13 .

([3]) لم تذكر اي من المصادر التي ذكرة الحادثة فيما يتوفر بين يدي من هو عامل المدينة .

([4]) ابن الزيات، التشوف الى رجال التصوف، ص447 – 448 .

([5]) محمود، المدرسة الشاذلية، ص75 .

([6]) محمود، المدرسة الشاذلية، ص75؛ وينظر: ابن عبد الله، معلمة التصوف الاسلامي، ج2، ص96 .

ومما روي عنه في ذلك ان احد طلابه جاء شاكياً اليه حاله وطلب منه ان يشفع له عند احد القضاة الذين يعمل عندهم لرفع من اجره، فذهب معه الشريف للقاضي، فأكبر القاضي مجيء الشريف عنده فأستقبله قائلاً: " يا سيدي فيم جئت؟ فقال: من اجل فلان تزيده في مرتبه عشرة دراهم، فقال القاضي: يا سيدي هذا له في المكان الفلاني كذا، وفي المكان الفلاني كذا، وفي الموضع الفلاني كذا، وكذا، فقال له: لا تستكثر على مؤمن عشرة دراهم تزيده اياها فإن الله تعالى لم يقتنع للمؤمن بالجنة جزاء حتى زاده النظر الى وجهه الكريم "[1] .

لم يترك الاشراف فرصة يتقربوا بها من الناس اليهم دون ان يستغلوها في تقويم نفوسهم وتهذيبها بالدين والموعظة الحسنة لبناء مجتمع سليم، فقد كان الشريف الشاذلي دائم الدعاء الى الله (Y) قبل ان يسير الى وساطة في الخير وادعيته تلك كان يطغي عليها طابع العبودية وعبير الخشوع، ليشعر الناس ان الامور كلها بيد الله (I) وقد تفضل الله عليه فجعله سبباً في الامور الصالحات[2]، وفي ذلك روي انه مشى للدفاع عن عدد من الصالحين ممن ظلمهم، فقال: " اللهم اجعل مشي اليهم تواضعاً لوجهك، وابتغاء لفضلك، ونصرة لك ولرسولك، وزيني بزينة الفقراء المهاجرين ﴿ **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** ﴾[3]، وخصني بالمحبة والايثار، ورفع الحجاب من الصدور في الليل والنهار، وقني شح نفسي، واجعلني من المفلحين، واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا في الايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا، ربنا انك رؤوف رحيم "[4] .

([1]) ابن عطاء، لطائف المنن، ص71؛ وينظر: محمود، المدرسة الشاذلية، ص75؛ النجار، الطرق الصوفية، ص136 .

([2]) محمود، المدرسة الشاذلية، ص76 .

([3]) سورة الحشر، اية: (8) .

([4]) النقشبندي، جامع الاصول، ص298؛ وينظر: محمود، المدرسة الشاذلية، ص76 .

وعلم الناس على التوكل على الله (Y) والدعاء له بقضاء حاجتهم اذا ما دخلوا على جبار متكبر فيقول: " اذا دخلت على جبار او متكبر فقل: ﴿ **وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ** ﴾[1] "[2] .

يتضح لنا مما سبق ان الشريف الحسني قدم قضاء حاجة الناس في سبيل مرضاة الله واعادة الحق لأهله على نفسه، فهو غير مبالي بما قد يشينه من ذلك التردد عند الملوك، فقد عرف على مر الزمان اذا شاهد الناس السلطان يمشي للعالم مُدح لطلبه العلم والخير، اما اذا مشى العالم للسلطان ذم لطلبه حطام الدنيا الذي يشين علمه ومكانته، الا انه لم يضع في حسابه امراً قبل مرضاة الله (Y) فهو اعلم بواسع رحمته فكانت معاملته للناس امتثالاً لقول النبي (ρ): « الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ اللَّهُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، مَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ، وَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ »[3] .

4. الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

ان الامر بالمعروف, والنهي عن المنكر من الاصول الاسلامية التي جاءت لدرء المفاسد, قال (ρ):« مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ »[4]، وكان الاشراف بالمرصاد لكل بادرة من بوادر التحلل فقد كانوا قائمين بحدود الله لا تأخذهم في الله لومة لائم[5]،

([1]) سورة غافر، اية: (27) .

([2]) النقشبندي، جامع الاصول، ص298؛ وينظر: محمود، المدرسة الشاذلية، ص76 .

([3]) ابن وهب، عبد الله بن وهب بن مسلم، (ت: 197هـ/ 821م)، الجامع في الحديث لابن وهب، تحقيق: مصطفى حسن حسين محمد، دار ابن الجوزي، (الرياض، 1995م)، ص220، رقم (146)؛ ابن حنبل، المسند، ج11، ص33، رقم (6494) .

([4]) ابن حنبل, المسند, ج17, ص239, رقم (11150)؛ القشيري, صحيح مسلم, ج1, ص69, رقم (49)؛ أبي عوانة, يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم (ت: 316هـ/928م), مستخرج أبي عوانة, تحقيق: ايمن بن عارف الدمشقي, دار المعرفة، (بيروت،1998م), ج1, ص42, باب (بيان نفي الإيمان عن الذي يحرم هذه الاخلاق المثبتة في هذا الباب وايجاب النهي عن المنكر, ونفي الإيمان عمن لا ينكره بقلبه), رقم (97).

([5]) السجلماسي، اتحاف اعلام الناس، ج2، ص27.

ولم يعرف في احكامهم ميل عن الشرع وجادة طريق الاسلام[1]، صادعين بالحق[2]، يغضبون لله وفي رضا الله امارين بالمعروف ناهين عن المنكر[3]، يتميزون بعقل راجح وحلم واسع واقدام في مهمات الامور بحزم وصرامة[4]، فضلا عن ذلك لهم مكانة اجتماعية كبيرة محترمين لدى ملوك عصرهم, مقدمين لديهم مسموعي الكلمة[5] .

وقد عملوا على تغيير المنكر بكل الوسائل حتى وان كلفهم ذلك التضحية بأرواحهم، فقد وقف الشريف عبد السلام بن مشيش لكل منكرٍ عاملاً على تغيره وله في ذلك مأثر سبق وان ذكرنا[6] جهاده لابن ابي الطواجين الذي خرج ضد الدولة الموحدية، لم يكن اعلان الشريف لمواجهة هذا الخارج عن السلطة هو الجهاد فقط، بل كان خروجه حمية للإسلام ودفاعاً عن الناس ادعى هذا الخارجي النبوة، كما انه كان ساحراً، واعتدى على النساء ظلماً وجوراً، واقنع الناس بسحره ان يقدموا بناتهم كل يوم كهدية له، فخرج اليه الشريف ومعه اهل البلاد فثاروا عليه، وحمل الشريف عليه بالقول والعلم حملات شعواء، اثبت من خلالها زيفه وكذبه، حتى سقط الشريف شهيداً على يد هذا الساحر واتباعه مضحياً بنفسه من اجل الحفاظ على الاسلام ومبادئه والدفاع عن الناس، ولم تذهب تضحيتة سدا فقد تنبه الناس الى زيف ابن ابي الطواجين وتحركوا مع الجيش نحوه معلنين الحرب عليه وعلى من اتبعه[7]، ولم تنتهِ تلك الحملات حتى قتل على يد شاب منهم وذلك بعد ان طلب بإحضار اخته اليه كعادته فتزين ذلك الشاب بزينة النساء وقدم اليه كهدية على انه احدى بناتهم

([1]) ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص48.

([2]) السملالي, الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص165.

([3]) السجلماسي، اتحاف اعلام الناس، ج2، ص27.

([4]) السجلماسي، اتحاف اعلام الناس، ج4، ص27 .

([5]) العمراني, الجواهر الباهرة في النسب الشريف, ص136.

([6]) ينظر: الفصل الثاني من الاطروحة .

([7]) ينظر: ابن عجيبة، شرح الصلاة المشيشية، ص11؛ الفاسي الفهري, مرآة المحاسن , ص288؛ الناصري, الاستقصا, ج1, ص263؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص125؛ العمراني، الجواهر الباهرة, ص138؛ محمود، القطب الشهيد، ص34؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج21, ص7161.

فلما اجتمع به قتله بخنجر كان معه سنة (623هـ/1227م)، فانتهى بقتله ذلك المنكر الذي عانى الناس بسببه كثيرا[1] .

كما وجد الاشراف في إرشاد الناس وبيان طرق الصواب لهم من الوسائل المهمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد ظهرت في بلاد المغرب مجموعة من الناس ادعوا انهم وصلوا الى درجة من الصلة بالله (I)، ترفع عنهم الفرائض وغيرها من تكاليف الدين الاسلامي التي جاءت لصلاح المجتمع والفرد الا انهم وجدوا بها من المشقة والعناء منعهم من ادائها فأرادوا ان يتحللوا منها بشتى الوسائل والتأويلات المنحرفة، فزعموا انهم وصلوا من الصلة بالله ما رفع عنهم هذه التكاليف ولم تكن تلك الا خدعة شيطانية الهدف منها اضلال الناس وافساد المجتمع[2]، فأن عبادة الله (I) تشريف للإنسان ورفعة في مقامه، فهو مشرف بالعبادات لا مكلف، واهل الله تعالى هم الذين يستمعون القول ويتبعون احسنه وهم مؤمنون بذلك انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ليحكم بينهم[3]، قالوا: (**رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**) .

حارب الاشراف هذه الافكار بشدة معلنين الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنهم الشريف عبد السلام بن مشيش، فقد كان دائم التحذير من الشك بالله والشرك به ويدعوا الى عبادة الله (Y) التي بها يحظى المرء بمحبة الله، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[4]، ومن ذلك قوله لاحد الناس سأله ان يحدد له وظائف يقوم بها لعبادة الله فأجابه ناصحاً ومرشداً ومبيناً له الحق من الباطل، فقال: " أرسول انا! الفرائض مشهورة، والمحرمات معلومة، فكن للفرائض حافظاً، وللمعاصي رافضاً،

---

(1) ابن عجيبة، شرح الصلاة المشيشية، ص11؛ التليدي، المطرب بمشاهير اولياء المغرب، ص96؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص125.

(2) محمود، المدرسة الشاذلية، ص89 .

(3) البيتماني، حسين بن طعمة، (ت: 1175هـ/1744م)، حبل الله المتين في عقيدة الشيخ الاكبر محي الدين، مخطوط محفوظ في مكتبة جامعة الملك سعود للمخطوطات، الدار البيضاء، تحت رقم (6524 ف 8/1317)، ورقة 25-26 .

(4) سورة آل عمران, اية (101).

واحفظ قلبك من حب الدنيا، وحب النساء، وحب الجاه، وايثار الشهوات، واقنع بذلك بما قسم الله لك، اذا خرج لك مخرج الرضا فكن شاكراً، واذا خرج لك مخرج السخط فكن صابراً، وحب الله قطب تدور عليه الخيرات واصل جامع لأنواع الكرامات، وحصر ذلك كله اربع: الورع وحسن النية واخلاص العمل ومحبة العلم "[1] .

ومثله كان الشريف ابو الحسن الشاذلي حث الناس على اتباع الحق وحذرهم من تقديم المحسوسات على الحقائق والغيبيات مبيناً لهم ان في حال عرض عارض ما قد يأخذ العبد عن طريق الحق ويصده عن الله فليثبت على الحق[2] كما جاء في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[3] .

كما عرف الفقيه ابو زكريا يحيى الزواوي بعدله وزهده كثير الامر بالمعروف والنهي عن المنكر شديد الخوف من الله (I)، يعمل على وعظ الناس وحثهم على تغيير المنكر حتى اخر خطبة له قبل وفاته اذ وعظ الناس وصاح وضرب على صدره وقال لهم: " يا ايها الناس اني راحل عنكم" ، فظنوا انه سوف يتركهم ويسافر الى بلدٍ اخر، فقالوا له: " ولم ترحل عنا يا ابا زكريا: فقال: لأنكم تشاهدون المناكر ولا تغيرونها "[4]، ثم اخذ يعظهم ويصيح الى ان نبح صوته وانقطع .

ومن الاشراف من سلك طريق الرد على اهل الحاد وعرف بتصديه لهم امراً بالمعرف ناهياً عن المنكر كالشريف ابو محمد عبد الله وهو من العلماء البارزين الذين عرفوا بتصديهم للمنحرفين عن جادة الشرع بالحجة والادلة والبراهين[5] .

([1]) ابن عجيبه، شرح صلاة القطب، ص14؛ وينظر: التليدي، المطرب، ص100؛ كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص151؛ محمود، المدرسة الشاذلية، ص128؛ محمود، القطب الشهيد، ص2 .

([2]) الكوهن، الطبقات الشاذلية، ص22-23 .

([3]) سورة الانفال، اية (45) .

([4]) ابن الزيات، التشوف الى رجال التصوف، ص428 .

([5]) عنوان الدراية، ص195 .

هكذا حافظ الاشراف على مستوى رفيع من الاخلاق وعلى مجتمع غلب عليه الدين يسوده العدل بعيدا عن مفاسد الدنيا، مجتمع عماده العلماء والفقهاء والقضاة وأهل الزهد والورع .

5. بعث التفاؤل بين الناس

اسهم الاشراف في مشاركة الناس في مختلف جوانب الحياة العامة، والتفاؤل هو احد تلك الجوانب المحببة الى نفوس الناس لما تضفي عليهم من السرور وسعة الأمل في الحياة وانشراح الصدر من ضيق الدنيا والتي لابد ان يتحلى بها كل انسان, وسعى الاشراف بحكم عملهم ومركزهم الديني ان يحثوا الناس على التفاؤل وان يسير المجتمع في طريق يعمه الثقة وحسن الظن بالله (I), التفاؤل هو جوهرة الروح ومنارة التقدم فالإنسان المتفائل يستطيع ان يتخطى صعاب الحياة ليصل الى الهدف المنشود وهذا ما سعى الاشراف إليه, قال النبي (ρ): « قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ »[1] .

وهذا ما نجده عند الشريف ابو زكريا يحيى الزواوي الذي فتح أبواب التفاؤل امام الناس بإرشادهم الى طريق الحق، سبق وان بينا مجالسه في الوعظ والتذكير فلم تكن تخلو من ذكر النار والاغلال والسعير، ولكنه لم يكن يترك الفرصة تذهب سدى بل يسعى جاهداً الى بسط الامل للناس ورفع معنوياتهم ورجاءهم بالله (I)، وان لا يدخل اليأس الى قلوبهم فأن رحمته ومغفرته وسعة كل شيء[2]، فقد امتثل الشريف هنا لقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[3] .

فبذلك التفاؤل دفع الشريف الناس بالتوجه لله (I) بعد ان مناهم بما عنده من كثرة الثواب، وحثهم على العمل الصالح مبيناً لهم ان الله (I) لا يضيع عنده اجر من

([1]) ابن حنبل, مسند الامام احمد, ج25, ص398, رقم (16016)؛ الدارمي, عبد الله بن عبد الرحمن، (ت:255هـ/868م), مسند الدارمي, تحقيق: حسين سليم اسد الداراني, دار المغني للنشر والتوزيع،(السعودية ،2000م), ج3, ص1796, رقم (2773).

([2]) الغبريني، عنوان الدراية، ص128 .

([3]) سورة الزمر, اية (53).

احسن عملاً[1]، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[2] .

كان الشريف الزواوي مثالاً حسناً لكثير من رجال الدين والفقهاء ومثله من يستحق ان يكون قدوة للاقتداء به، فقد بسط الامل امام الجميع مهما بلغت الذنوب والمعاصي فلم يضع العراقيل امام الناس مبيناً لهم سماحة الاسلام وسعة رحمة الله التي لا حدود لها حتى على الكافرين وفي ذلك روي عن احد مجالسه في الوعظ أفتتحها بقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾[3]، ولم يزل يرددها ويكررها مراراً بتحذير وترنين ثم اقبل على الناس بخضوع وخشوع واخذ يبين لهم ما اعد الله (I) من سعة الرحمة واضعاف الحسنات والتجاوز عن السيئات مرشداً لهم بأن تكون التوبة طريق كل مذنب وسوف يجد عند الله من الرحمة والمغفرة ما تغنيه عن الدنيا وما فيها[4] .

فقد كانت خطبه في غاية الجمال والحكمة وطريقته بالوعظ والتذكير بالنار والسعير واهوال يوم القيامة، ومن ثم الحقها بالتفاؤل وحسن الظن بالله وفتح باب التوبة امام الجميع من احسن الطرائق، لأنه بذلك لم يبق عند المستمع له عند لقاء الله (I) الا الطمع في رحمته والرغبة فيما عنده من احسان وثواب، فإن الخوف فائدته انما هي الحث على العمل وحين الموت ينقطع العمل ولا يبقى للإنسان الا قوة الامل للقاء الله (I) بنفس طيبة، مبيناً لهم بان العبد الذي يحب لقاء الله (I) سوف

([1]) الغبريني، عنوان الدراية، ص128 .

([2]) سورة الكهف, اية (30) .

([3]) سورة الانفال, اية (38) .

([4]) الغبريني، عنوان الدراية، ص128 .

يحب الله لقاءه[1]، فنجد ان الشريف هنا امتثل لقول النبي (ρ): « مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ »[2].

فكانت ثمرة ذلك التفاؤل الذي زرعه الشريف في نفوس الناس هو اقبالهم على الله (I) وإقلاعهم عن المعاصي فظهرت عنهم اثار محمودة دللت على مدى اثر كلام الشريف عليهم فأحبه الناس وتعلقوا به فحزنوا لموته كثيراً كما سبق وان ذكرنا .

ومن الاشراف من كان يدعوا الناس للتفاؤل ويحث طلابه على بعث التفاؤل بين الناس وذلك بإرشادهم الى طريق الله طريق الحق فهو ما يفتح ابواب الامل في نفوسهم، وفي ذلك يروي الشريف ابو الحسن الشاذلي عن سؤاله لشيخه الشريف عبد السلام بن مشيش عن معنى حديث النبي (ρ): « يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا »[3]، فأجابه بقوله: " دلوهم على الله ولا تدلوهم على غيره، فإن من دلك على الدنيا فقد غشك، ومن دلك على عمل فقد اتعبك، ومن دلك على الله فقد نصحك "[4].

ومن صور زرع التفاؤل والثقة بالله قوله للشريف الشاذلي: " بماذا تلقى الله؟ فقال: بفقري، فقال: لئن لقيت الله بفقرك لتلقينه بالصنم الاعظم، وانما يلقى الله به سبحانه لا بشيء سواه "[5]، بمعنى أن يكون الله (I) محور الحياة فبه يبلغ الانسان اعلى الدرجات الرضا، وان يكون التوكل عليه في كل شيء وان يتفاءلوا بالخير فان التفاؤل ثقة بإمر الله (I) وهو الفوز الاعظم، ولنا في ذلك قول النبي (ρ) في الحديث

([1]) الغبريني، عنوان الدراية، ص128 .

([2]) أبو داود، سليمان بن داود بن الجارود، (ت:204هـ/819م)، المسند، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، (مصر، 1999م)، ج1، ص468، رقم (575)؛ الحميدي، المسند، ج1، ص270، رقم (227)؛ البخاري، صحيح البخاري، ج8، ص106، رقم (6507).

([3]) البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص25، رقم (69)؛ مسلم، صحيح مسلم، ج3، ص 1359، رقم (8) .

([4]) ابن عجيبة، الصلاة المشيشية، ص14؛ وينظر: التليدي، المطرب بمشاهير اولياء المغرب، ص100 .

([5]) ابن عجيبة، الصلاة المشيشية، ص14؛ وينظر: التليدي، المطرب بمشاهير اولياء المغرب، ص100 .

القدسي: « إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ »[1] .

وهذا ما كان عليه الشريف ابو الحسن علي الشاذلي متفائل حاثاً للناس ومرشداً بان يحسنوا الظن بالله مطيعين له مخلصين له الدين معتصمين بحبله المتين، وان يتوكلوا عليه في كل امورهم، وبذلك هم الفائزين، مستشهداً بقوله تعالى: ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾[2]، معلقاً على ذلك بقوله: " ولم يقل من المؤمنين فتأمل هذا القول ان كنت فهيماً "[3] .

وروي عنه تفاؤله للفقيه ابو العباس المرسي بانه سيكون من العلماء الفقهاء الكبار في عصره وتضرب إليه اباط الابل لأخذ العلم عنه والانتفاع به، فكان امام عصره بعد الشريف الشاذلي, وادرك جميع العلوم ما لم يدركه غيره من اهل عصره[4].

6. حل النزاعات

([1]) البخاري، صحيح البخاري، ج8، ص105، رقم (6502)؛ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، (ت: 458هـ/1066م)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط3، (بيروت، 2003م)، ج3، ص482؛ رقم (6395) .

([2]) سورة النساء، اية (146) .

([3]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص42 .

([4]) ينظر: ابن الصباغ, درة الاسرار, ص31؛ محمود, المدرسة الشاذلية, ص45.

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (18) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ**﴾ (1) .

ان وجود الخلاف مقرون بوجود الانسان فمن البديهي ان يكون هناك نزاعات وخلافات في امور الحياة المختلفة, لاختلاف طبيعة احدهم عن الاخر وحاجاتهم, وقد اصبح الخلاف جانباً هاماً من جوانب الحياة الذي وجب معالجته، لذا اظهر بعض الاشراف الاهتمام بهذا الجانب بإصغائهم الى الناس وسماع خلافاتهم القائمة وإنهائها وابداء الآراء لحلها، وبرز الشريف ابو الحسن علي الشاذلي في حل مسألة مهمة كاد يصل بها النزاع الى القتل, وتلك المسالة مقتضاها هو وقوع خلاف بين بعض البرابرة البدو واهل احدى البلاد فتطور الى نزاع عظيم بين الطرفين فدخل رجلا من العامة وبيده عكاز محاولا فض الاشتباك الحاصل فجاء العكاز في عين احد رجال البرابرة فطارت عينه فاجتمعوا عليه وارادوا قتله، فوقف اهل المدينة ممن كان حاضراً ومنعوهم من القتل واشاروا عليهم بأن ينتظروا حتى صباح اليوم الثاني فيكون الشريف ابو الحسن الشاذلي هو الحاكم بينهم، ولكون الشريف كان عندهم وجهاً مقبولاً وكلام مسموعاً وافقوا على اقتراحهم، وفي صباح اليوم الثاني قدم الشريف اليهم ففرشوا له الارض فأجتمع الجميع بين يديه فسمع منهم وخيرهم بين قبول الدية وقدرها خمسمائة دينار، او أخذ الفاعل بعين صاحبهم، فركنوا الى ان يأخذوا الاموال وتراجعوا عن القتل كرامة للشريف الذي مال الى ان يكون الصلح هو الفيصل بين الطرفين، فقامت جماعة البرابرة عنه وعادوا الى بلادهم(2) .

يتضح لنا مما تقدم مدى تأثر الناس بكلام الشريف وامتثالهم له فهم مؤمنين بقوله لذا وجدوا ان حل نزاعهم بالتوجه اليه والاستماع الى رأيه, فيعدون مشورته في نزاعاتهم مهم لكونه يأتي بأحكامه وكلامه استنتاجاً من كلام الله (Y) وسنة نبيه الكريم (ρ)، فقد كان الاشراف قدوة للناس, وملجأ يتجهون اليه في امورهم, وقضاة يسيرون اليهم في نزاعاته .

---

(1) سورة هود, اية 118-119.

(2) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص41 .

المبحث الثالث

أداب آل البيت العلوي في اللباس والطعام والعمل واثره في المجتمع

كان رجال آل البيت العلوي كما عرفنا سابقاً قادة متبعون من قبل العامة والخاصة، وقدوة حسنة للجميع يسعون للاقتداء بهم، لذا لم يكن لهم اي تفصيل من تفاصيل حياتهم الا وبه رسالة دينية اجتماعية قويمة، فلم يكن زهدهم او ترفهم في

اللباس والطعام، والحرف التي امتهنوها دون قواعد واسس مبنية على اتباع تعاليم الدين الاسلامي وتنشئة مجتمع سليم، وهذا ما سوف نبينه فيما يلي :

اولاً: آدابهم في اللباس

تظهر الملابس او الازياء طبيعة الحياة اليومية للإنسان في كل عصر من العصور حيث توضح ملابس الافراد طبقاتهم الاجتماعية ومناصبهم وتخصصاتهم واحوالهم الاقتصادية, ومنها الخاصة مثل ملابس الاحتفالات وملابس الحرب والصيد وهي تظهر بعض المفاهيم الحضارية للمجتمع فضلا على انها من مكملات المظهر الخارجي للفرد[1].

وشهدت الألبسة والأزياء في بلاد المغرب تنوع وتعدد بحكم تعدد طبقات المجتمع, الا انهم كانوا عامة لا يلبسون الملابس والازياء المترفة فقد عرف عنهم لبسهم للخشن من الملابس وذلك بحكم التنشئة الدينية التي عمت اكثر بلدان المغرب التي قادها العلماء والفقهاء والمتصوفة الذين عمدوا الى ارتداء الملابس الصوفية البسيطة ليس فقراً بل رمزاً للتواضع والزهد بالدنيا ولم تكن تلك الممارسات بعيدة عن الدين فقد اثروا ذلك عن النبي محمد (ρ)[2], اذ نطق الرسول (ρ) بالكثير من الاحكام في سبيل منع ذيوع الازياء المترفة الباذخة زينة أهل الدنيا بين ظهراني اشياعه وحثهم على التواضع والابتعاد عن الخيلاء والتكبر ومن ذلك قولهِ (ρ): « مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »[3], واستنبط فقهاء

([1]) الجادر, وليد, الازياء والاثاث, بحث ضمن كتاب حضارة العراق, دار الحرية للطباعة, (بغداد،1958م), ج4, ص324 .

([2]) Arberry, A.J, Sufism: An account of the mystics of Islam. New York: Routledge, 2008, p.5. Al-Tawil, The Importance of Sufi Traditions, p. 165 .

([3]) ابن الجعد, علي بن الجعد بن عبيد، (ت:230هـ/845م), مسند ابن الجعد, تحقيق: عامر احمد حيدر, نشر: مؤسسة نادر,(بيروت،1990م), ص315؛ ابن حنبل, مسند الامام احمد, ج9, ص476, رقم (5664)؛ وقوله ايضاً: قال (ρ): « مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ »؛ ابن حنبل, مسند الامام احمد, ج1, ص364, رقم (251)؛ البخاري, صحيح البخاري, ج7, ص150, رقم (5832) .

الشريعة الاسلامية من هذه الاحاديث نظاماً ضم التعاليم والنصوص الخاصة بالأزياء[1]، وعلى الرغم من ذلك فقد اظهر بعض الاشراف الاهتمام بلباسهم حتى نجد بعضهم بالغ في ذلك مع زهده وورعه في عامة اموره الاخرى, وقد يكون ذلك الاهتمام باللباس مبني على ظاهرة اقتصادية بحكم عمله او سياسة بقصد اخفاء حقيقته, وربما يكون اهتماماً شخصياً لذاته بعضهم يتميز بأبهة عظيمة، وسوف اتحدث عن ذلك على النحو التالي:

1. لباس الرأس

ومن أغطية الرأس الشائعة التي لبسها الاشراف هي (العمامة)[2], وهي من الالبسة التي خصَّ العرب بلبسها، واشتهروا بها بين الأقوام، فكانت آية لهم, واول من كور رأسه بالعمامة ابونا ادم (υ) كوره جبريل (υ) على رأسه بإكليل من شجر الجنة لما خرج منها الى الدنيا[3], وكان قبل ذلك متوجا في الجنة[4] لذا شبهت العمامة بالتاج, قال النبي (ρ):« الْعَمَائِمُ تِيجَانُ الْعَرَبِ »[5] ولبسها يدل على الرياسة[1], فأن

([1]) دوزي, رينهارت, المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب, ترجمة: اكرم فاضل, نشر ضمن مجلة اللسان العربي للابحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب,(الرباط، د.ت), مج8, ج3, ص29.

([2]) وهي اسم لما يعقد على الرأس ويلوى عليه من صوف او قطن او كتان او نحو ذلك, او تلف على الطاقية, وتكون العمامة في العادة بيضاء اللون وسميت بالعمامة لانها تعم الرأس؛ الكتاني, الدعامة في احكام سنة العمامة, تحقيق: محمد عدنان ومحمد ياسين عرفة, مطبعة الفيحاء,(د.م،1342هـ), ص3؛ دوزي, المعجم المفصل, مج10, ج3, ص160.

([3]) الطبري, محمد بن جرير بن يزيد (ت:310هـ/922م), تاريخ الامم والملوك, دار الكتب العلمية, (بيروت،1407هـ), ج1, ص81؛ ابن الاثير, الكامل في التاريخ, ج1, ص36.

([4]) الكتاني, الدعامة في احكام الامامة, ص5.

([5]) ابن حكمون, محمد بن سلامة بن جعفر(ت:454هـ/1062م), مسند الشهاب, مؤسسة الرسالة, ط2, (بيروت، 1986م), ج1, ص75, رقم (68)؛ البيهقي, احمد بن الحسين بن علي(ت: 458هـ), شعب الايمان, تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد, مكتبة الرشيد, (الرياض، 2003م), ج8, ص294, رقم (5849).

العرب تتزين بها كتزين العجم بالتاج ولم تكن العمامة الا للعرب دون غيرهم[2], وكان النبي (ρ) يلبس العمامة, فهو من صميم العرب واشرفهم واعلاهم وانفسهم حسباً ونسباً, فظهر من هذا الفعل شرعية لبس العمامة للاقتداء به (ρ)[3]، ومن الاشراف الذين لبسون العمامة الشريف احمد بن على الحسني فقد كان دائماً للبسها ولا يخلعها حتى تبلى عليه[4] .

ومن اغطية الرأس الاخرى هي (القلنسوة)[5] وتكون مختلفة الاشكال والالوان وقد أعتاد الفقهاء والعلماء على إرتدائها، وهي على انواع تكون صوفية او قطنية او فروٍ، مستديرة الشكل وفي بعض الاحيان تصنع من القماش او الجلد[6]، وتلبس القلانس تحت العمامة وتلف العمامة فوقها، اما لبس القلانس وحدها فهو لبس المشركين[7]، قال النبي (ρ): « فَرْقُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، الْعَمَائِمُ عَلَى الْقَلَانِسِ»[8]،

([1]) غرس الدين, خليل بن شاهين، (ت:873هـ/1538م), الاشارات في علم العبارات, دار الفكر, (بيروت، د.ت), ص756؛ وينظر: علي, جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام, دار الساقي, ط4, (بيروت، 2001م), ج9, ص49.

([2]) الكتاني, الدعامة, ص4.

([3]) ولنا في لبسه للعمامة (ρ) ما روي عن مقاتل بن حيان النبطي قوله: " اوحى الله تعالى الى عيسى ابن مريم: جد في امري واسمع واطع يا ابن الطاهرة البتول, انا خلقتك من غير فحل فجعلتك اية للعالمين فاياي فاعبد فبين لاهل سوران بالسريانية بلغ من بين يديك اني انا الحق القائم لذي لا ازول صدقوا بالنبي العربي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين.... "؛ الفسوي, المعرفة والتاريخ, ج3, ص275؛ ابن عساكر, تاريخ دمشق, ج3, ص397؛ ابن منظور, مختصر تاريخ دمشق, ج2, ص45.

([4]) المناواي، الكواكب الدرية، ج2، ص388 .

([5]) وهي كلمة لاتينية معربة, بمعنى قبعة او غطاء للرأس؛ ينظر: ابراهيم, رجب عبد الجواد, المعجم العربي لاسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث, تقديم: محمود فهمي, دار الافاق العربية, (القاهرة،2002م), ص402 .

([6]) ينظر: الكتاني, الدعامة في احكام سنة العمامة, ص33.

([7]) ينظر: الكتاني, الدعامة في احكام سنة العمامة, ص33، 35.

([8]) ابو داود، سنن ابي داود، ج4، ص55، رقم (4078)؛ الترمذي، الجامع الكبير ، ج3، ص300، رقم (1784)؛ أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثُنى، (ت:307هـ/920م)، المسند، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، (دمشق، 1984م)، ج3، ص5، رقم (1412) .

وربما تلبس لوحدها احياناً قليلة من شدة الحر مثلاً او لعمل او في البيت او خارج البيت على ان يكون لمكانٍ قريب[1]، فلا بأس في ذلك لما ورد عن النبي (ρ) كان يلبس القلنسوة وحدها تارة، والعمامة وحدها تارة اخرى، ويجمع بينهما في احيان اخرى، واحياناً يخرج بدونها في بعض الاوقات[2]، على ان لا تكون مصنوعة من الحرير او الذهب والفضة[3]، ومن الاشراف الذين كانوا يلبسون القلنسوة الشريف عبد السلام بن مشيش الذي عرف بزهده وورعه فكانت قلنسوته مصنوعة من الخوص، وقد اشار الى ذلك تلميذه الشاذلي عندما التقى به لأول مرة قائلاً: " وطلعت اليه فقيراً[4] وإذا به هابط إلي ... وعلى رأسه قلنسوة من خوص "[5]، فأن هدف الشريف من ارتداء قلنسوة من الخوص توصيل رسالة الى المجتمع باعتباره قطباً متبعاً على ان لا يكون الملبس والفقر والغنى سبباً لإعاقة الفرد من معرفة الدين والتعلم، فضلا عن تطبيقه للسنة النبوية الشريفة .

([1]) ينظر: الكتاني, الدعامة في احكام سنة العمامة, ص33، 35؛ اللحجي، عبد الله بن سعيد بن محمد، منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، دار المنهاج، ط3، (جدة، 2005م)، ج1، ص433 .

([2]) ينظر: الكتاني, الدعامة في احكام سنة العمامة, ص33، 35؛ الهروي، علي بن سلطان محمد، (ت: 1014هـ/1606م)، جمع الوسائل في شرح الشمائل، نشر: المطبعة الشرفية، (مصر، د.ت)، ج1، ص166 – 168؛ ابو الفرج، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، (ت: 1044هـ/1634م)، السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، دار الكتب العلمية، ط2، (بيروت، 1427هـ) ، ج3، ص481 .

([3]) ينظر: الكتاني, الدعامة في احكام سنة العمامة, ص38.

([4]) لم يكن يقصد به الفقر المادي بل هو اشارة الى الى العلم وله في ذلك قوله له: " ياعلى طلعت الينا فقيراً في علمك وعملك، فاخذت غنى الدنيا والاخرى "، لما اكتسبه من علم ومعرفة من شيخه ابن مشيش؛ ينظر: التادلي، احمد بن ابي القاسم، (ت: 1013هـ/1605م)، المعزى في مناقب سيدي ابي يعزي المتوفي سنة 572هـ شيخ سيدي ابي مدين الغوث، تحقيق، فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2007م)، ص256؛ البهاني، جامع كرامات الاولياء، ج2، ص168؛ التليدي، المطرب بمشاهير اولياء المغرب، ص95 .

([5]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص22؛ وينظر: ابن مغيزل، الكواكب الزاهرة، ص186؛ التادلي، المعزى في مناقب سيدي ابي يعزي، ص255؛ محمود، المدرسة الشاذلية، ص23؛ محمود، القطب الشهيد، ص14؛ التمساني, رياض الرقائق, ص334 .

ومن اغطية الرأس الاخرى (الطيلسان)[1] وكان من البسة الرأس الشائعة آنذاك ولبسه معظم رجال الدين والفقهاء والمتصوفة وارشدوا مريديهم الى لبسه والهدف من ذلك هو غض البصر، اذ وضعوه على رؤوسهم ورخوا حاشية الرداء على أعينهم حتى يكون بصرهم مكفوفا فلا يرون إلا مواقع الأقدام، وان احتاجو رفع رأسهم صعب عليهم الالتفات وتصويب بصرهم بسهولة فينبههم الى غض بصرهم، على خلاف ما إذا تركوا الطيلسان فإنه يسهل عليهم الالتفات إلى طبقات البيوت وغيرها[2]، ومن الاشراف الذين كانوا لبسوا الطيلسان على رؤوسهم الشريف ابو زكريا يحيى الزواوي فقد وردت اشارة من خلال ترجمته انه اثناء قراءته للقران وتفسيره في احد مجالسه للتفسير والاقراء مرت عليه آية فهم منها المعنى الكثير فخشع وحسر رأسه فنزع طيلسانه وتعوذ من الشيطان ومن ثم عاد لتفسيرها للناس[3]، ان الشريف الزواوي كان من بين العلماء المميزين عند الناس ذو شعبية واسعة ومكانة عظيمة ومثله من يقتدى به لذا لا يمكن ان يكون لبسه لطيلسان هدف شخصي فقط فهو رسالة اجتماعية واشارة للناس بالاتباع، لاسيما وانه كان محبباً لديهم وذو اثر واضح فيهم فلم يكن له مجلس يخلو من الوعظ والارشاد .

([1]) وهو رداء يوضع على الرأس ويرسل من الأطراف، وقيل يجعل على العمامة ويوصل ذنب العمامة إلى وسط الظهر، وقيل إلى موضع الجلوس وقيل مقدار شبر؛ ينظر: ابو سعيد الخادمي، محمد بن محمد بن مصطفى، (ت: 1156هـ/1743م)، بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، نشر: مطبعة الحلبي، (د.م، 1348هـ)، ج2، ص161.

([2]) ينظر: ج3، ص74؛ القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم، (ت: 1332هـ/1914م)، موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، (بيروت،1995م)، ص233؛ الكتاني, الدعامة في احكام الامامة، ص105-110 .

([3]) الغبريني، عنوان الدراية، ص128 .

ومنها هذه الاغطية ايضاً ما يعرف بـ (البرانس)[1] وهو من الالبسة التي لبسها الزهاد ورجال الدين والمتصوفة في صدر الإسلام[2]، ومن الاشراف الذين ورد عنهم لبس البرانس الشريف ابو الحسن علي الشاذلي في رواية له عن نفسه لموقف حدث معه في تونس مع احد الخبازين فقال: " فأعطيته برنسي وكرزيتي رهناً في ثمن الخبز "[3]، و(الكرزية) هي احدى انواع العمائم الشائعة في المغرب، توضع على الرأس ويكون البرانس فوقها[4] .

وكان البرانس على الوان واشكال مختلفة ذكر ابو العباس المرسي واصفاً الشريف الشاذلي في اول لقاء له بأنه كان يلبس برانس اخضر[5] .

ووردت الاشارة الى نوع اخر من اغطية الرأس التي لبسها الاشراف الا وهي (الغفارة) فيما روي عن اعطاء الشريف الشاذلي لرجل من العامة غفارة زبيبية اللون[6]، يتضح لنا مما سبق مدى اهتمام الاشراف بلباسهم واناقة مظهرهم مع ما عليه من زهد وورع .

---

(1) وهي ثياب واسعة لها غطاء يغطى به الرأس متصل بها، اشبه بالقلنسوة الطويلة، وهو ايضاً كل ثوب رأسه منه اشبه بالدراعة أو الجبة؛ ينظر: ينظر: الزرقاني، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، نشر: مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، 2003م)، ج2، ص340؛ العثيمين، محمد بن صالح بن محمد، الشرح الممتع على زاد المستقنع، دار ابن الجوزي، (د.م، 1428هـ)، ج7، ص129 .

(2) ابن الاثير، مجد الدين بن محمد بن محمد، (ت:606هـ/1209م)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، نشر: مكتبة دار البيان،(د.م، د.ت)، ج3، ص21 .

(3) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص23 .

(4) ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير، (ت:614هـ/11217م)، رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر، (بيروت، د.ت)، ص74 .

(5) ابن عطاء، لطائف المنن، ص80 .

(6) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص32-33؛ الشافعي، المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، ص 30-31 .

2. لباس البدن

لم تكن ملابس الاشراف جميعها على شاكلة واحدة فقد كانت تختلف من واحد الى اخر فمنهم من يميل الى لبس الخشن ذات الاشكال البسيطة, واتخذوها من القماش الرخيص الثمن, في حين مال البعض مع زهده الى المبالغة في الاهتمام بلباسه[1]، الا ان السمت الغالب على ملابسهم انها تتألف من المرقعة[2]، والجبة[3], والقميص[4]، وازار [5] ويكون في الغالب ملوناً .

وقد تمكن الاشراف من خلال اهتمامهم بلباسهم سواء من لبس الخشن منهم او من تزين بالملابس الفاخرة من ترك اثر واضح في المجتمع وذلك بتصحيح فكر الناس على المعنى الحقيقي للزهد والورع، اذ عملوا وفق ما جاء بكتاب الله (Y) وسنة رسوله (ρ) فهو مثلهم الاعلى وقد كان (ρ) اكثر الناس تقى وهدى وخوفاً من الله وزهداً في الدنيا وحباً للناس[6]، ومع ذلك كان يرتدي احسن الثياب واجملها وأليقها من غير تكلف ولا اسراف وبدون تكبر وخيلاء، فقد جاء عنه (ρ) انه لبس انواعٍ عديدة منها البرود اليمانية، والجبة، والقميص وكان أحب ثيابه إليه وغيرها من الباس الجميل، واغلب ما لبسه من القطن وربما لبس ما ينسج من الصوف او الكتان[7] .

([1]) ينظر: غريب، ابو الحسن، ص22؛ محمود، المدرسة الشاذلية، ص53 .

([2]) وهي من لبس المتصوفة تتكون من عدة قطع مرقعة بعضها ببعض؛ ينظر: ابن الجوزي، تلبيس ابليس، ص168؛

([3]) وهي ثوب طويل مفتوح من الامام يلبس عادة فوق القفطان, وفي الشتاء تبطن بالفرو, وتكون ضيقة الاكمام ويبطن احيانا بالقطن؛ ينظر: دوزي, المعجم المفصل, مج9, ج2, ص17؛ ابراهيم, المعجم العربي, ص105.

([4]) بفتح القاف: ثوب مخيط بكمين, يلبس تحت الثياب, ولا يكون الا من قطن او كتان او صوف, والقميص: الدرع, والجمع: اقمصة وقمص وقمصان؛ ينظر: ابن منظور, لسان العرب, ج7, ص82, مادة (قمص)؛ الزبيدي, تاج العروس, ج18, ص128, مادة (قمص)؛ ابراهيم, المعجم العربي, ص404.

([5]) وهو رداء كبير يلف به سائر الجسم؛ دوزي, المعجم المفصل, مج8, ج3, ص35.

([6]) غريب، ابو الحسن الشاذلي، ص36-37 .

([7]) ابو طلحة، محمد يونس بن عبد الستار، لباس الرسول والصحابة والصحابيات اجمعين، نشر: مطابع الوحدة، (مكة المكرمة، 1424هـ)، ص20 -24 .

وعلى نهجه (ρ) سار الاشراف امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾، فقد كان الشريف عبد السلام بن مشيش زاهداً ورعاً الا انه كان حسن المظهر يلبس ما يليق بمظهره كعالم وفقيه وقطب المتصوفة من غير تكلفة ولا تقشف، ومن ذلك لبسه للمرقعة[1] وهي من لبس المتصوفة وتكون عبارة عن قطعة من القماش يشبه الرداء يلبس فوق الملابس تتكون من عدة قطع يأخذونها من أثوابا جدد مختلفة الألوان فيقطعون من كل ثوب قطعة تخاط بشكل جميل ومنسق[2] .

كما كان الشريف ابو زكريا يحيى الزواوي من الزهاد غير انه كان يهتم بمظهره فقد لبس الرداء[3]، ومثله كان الشريف محمد بن عبد الله الحسيني فأنه " كان وقور المجلس نظيف الملبس جميل الشارة "[4] .

وعلى نحو ذلك تحلى الشريف ابو الحسن علي الشاذلي دائماً بأزياء حسنة، فيأخذ زينته عند كل مسجد ويشير الى قول النبي (ρ): « جُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا »[5]، بمعنى ان الارض اينما كان الانسان عليها كانت له مسجداً لذا يجب ان يكون على طهارة دائمة وذو ثياب نظيفة وحسنة[6] .

فقد كان كثيراً ما يدعوا الناس الى التمتع بالحياة الدنيا بما شرع به الله (Y) وان لا يكون زهدهم فيها اذية للنفس، فقد لبس الفاخر من الثياب وركب افضل الجياد[7]،

([1]) ابن الصباغ، درة الاسرار، ص22؛ ابن مغيزل، الكواكب الزاهرة، ص186؛ التادلي، المعزى في مناقب سيدي ابي يعزي، ص255؛ محمود، المدرسة الشاذلية، ص23؛ محمود، القطب الشهيد، ص14؛ التمساني, رياض الرقائق, ص334 .

([2]) ينظر: ابن الجوزي، تلبيس ابليس، ص168 .

([3]) الغبريني، عنوان الدراية، ص127 .

([4]) السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص165 .

([5]) البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص95، رقم (438)؛ ابن ماجة، السنن، ج1، ص188، رقم (567) .

([6]) محمود، المدرسة الشاذلية، ص51 .

([7]) محمود، منيع عبد الحليم، مناهج المفسرين، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، د.ت)، ص164؛ غريب، ابو الحسن، ص23؛ محمود، المدرسة الشاذلية، ص53 .

روي عنه انه تحدث في احد المجالس عن الزهد وكان عليه بردة يمانية ولباس جيد كعادته، وحضر المجلس رجلاً فقير لبس الخشن فتكلم في نفسه متعجباً: " كيف يتكلم الشيخ في الزهد وعليه هذه الكسوة؟ انا والله هو الزاهد "[1]، وبعد ان انتهى الشريف من كلامه دنى منه الرجال وامسك بملبسه فوجده جيداً ناعماً فقال: " يا سيدي ما عبد الله بمثل هذا الذي عليك "[2]، فأمسك الشريف بردائه فوجد به خشونة، فقال له: " ولا عبد الله بمثل هذا اللباس الذي عليك، لباسي يقول: انا غني عنكم فلا تعطوني، ولباسك يقول: انا فقير اليكم فأعطوني "[3].

أن الشريف هنا لم يعترض على لبس الخشن ولم يدعو الى لبس الفاخر والتكبر والخيلاء، بل دعى الى الاعراض عن لبس زي ينادي على صاحبه بالإفشاء بالحاجة، وان يتمتع بالنفس الابية، فان اللباس الجيد نعمة وهبها الله (I) للناس زينة قال تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[4]، فلم يمنعه ولم يحرمه فلا يجب ان يكون اللباس ينادي على سر لابسه، كما انه لم ينتقص من الفقراء ولباسهم، وانما القصد ان لا يكون لكل من له نصيب من العبادة والزهد ان يلبس لبس الفقراء، فلا حرج من ان يكون الثياب خشنة للمحتاج ما دام محسناً لا مدعياً[5]، ان الله (I) يقول: ﴿ **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[6] .

---

(1) الشافعي، المفاخر العلية، ص44 .

(2) ابن عطاء، لطائف المنن، ص162؛ وينظر: معدي، الحسيني الحسيني، الموسوعة الصوفية، دار المنهل، (د.م، 2003م)، ص602؛ محمود، المدرسة الشاذلية، ص53 .

(3) ابن عطاء، لطائف المنن، ص162؛ معدي، الموسوعة الصوفية، ص602؛ وينظر: النجار، الطرق الصوفية بمصر، ص130؛ محمود، المدرسة الشاذلية، ص53 .

(4) سورة الاعراف، اية: (32) .

(5) ابن عطاء، لطائف المنن، ص162-162؛ محمود، المدرسة الشاذلية، ص53 .

(6) سورة التوبة، اية: (91) .

فدعاهم الشريف هنا الى معرفة الله (I) فأن من عرف الله لا يأتي منه الا الفضيلة فلا خوف عليه فيما اذا تقشف في لباسه وطعامه او لا، روي في ذلك ان ابو العباس المرسي جاء يوماً الى الشريف الشاذلي وفي نفسه ان يركن الى ان يأكل الخشن ويلبس الخشن، فقال له: " يا ابا العباس: اعرف الله وكن كيف شئت "[1]، فأن معرفة الله (I) وحدود الشارع الحكيم هي القاعدة العامة لكل سلوك حسن .

فقد كان دائم النصيحة بالاعتدال والابتعاد عن كل ما من شأنه ان يعود على صاحبه بالسيئة فان للإنسان في الدنيا حقوق كما ان عليه واجبات ومن حقه الذي شرعه الله له ان لا يؤذي نفسه باسم الزهد والتعبد، فقد كان الشريف الشاذلي غاية في الزهد عالماً وفقيهاً وقطباً متبعاً يتعبد الليل والنهار ودخل في طور التقشف في بعض الاوقات لكن بما يحفظ له نفسه من الاذى[2]، فهو لم يمنعها عن ما رزقها الله (I)، فنجده يضع من نفسه مثالاً ليقتدي به الناس فيخرج ايام الاحتفالات الروحية الكبرى والاحتفالات الدينية بأبها صورة واحسن الباس[3]، واذا ركب مشي الفقراء، واكابر الدنيا بين يديه، وتنشر الاعلام على رأسه وتضرب الكاسات بين يديه[4]، فقد كان يهدف الى زرع قيم اجتماعية عريقة بين الناس المتبعين له محاولا بذلك ان يهز الناس ويلفت بصيرتهم قبل بصرهم الى جوهر الدين وما انعمه الاسلام عليهم وما لهم من حقوق، فقال: " لا تسرف بترك الدنيا فتغشاك ظلمتها، او تنحل اعضاؤك لها فترجع لمعانقتها بعد الخروج منها بالهمة او بالفكرة او بالإرادة او بالحركة "[5]، فلا بد من الاعتدال واتزان الحال .

ثانياً: آدابهم في الطعام

---

(1) غريب، ابو الحسن، ص22؛ وينظر: معدي، موسوعة الصوفية، ص614؛ محمود، المدرسة الشاذلية، ص53 .

(2) ينظر: محمود، المدرسة الشاذلية، ص32 .

(3) محمود، المدرسة الشاذلية، 54 .

(4) المناوي، الكواكب الدرية، ج2، ص470–471؛ محمود، المدرسة الشاذلية، 54 .

(5) محمود، المدرسة الشاذلية، ص53 .

تختلف انواع الاطعمة واصنافها من بلدٍ لآخر باختلاف الحضارات، فان كل بلد لـه عـدد مـن الاكـلات الشـعبية التـي يشـتهر بصـناعتها معظـم السكان وبمختلـف الطبقات، وعادة ما تتأثر تلك الانواع بحضارات الدول التي مرت عليها وعاشت بها فترات طويلـة، فعنـدما اقـام العـرب فـي الـبلاد المغربيـة تنـاولوا طعـامهم المعـروف بـ(الثريد) و(العصـيد) و(البسـيس) وبازدهـار الحضـارة وتعمـق التجـارب بـين سكانها تنوعت الاطعمة وتحددت فصاروا يطبخون من المرق منها (الكوكبية) ويدخل فيها السلق والحمص واللحم, (النسابورية) و(الفستقية) وهما يصنعان باللحم والبقول, و(الكنافة) ويتبل اللحم فيها بكيفية مخصوصة وينضج على البخار ثم (الشرائح) وهو نوع من اللحم شرائح ويؤكل بالخبز الرقائق(1)، ولاشك ان موائد الحكام كانت تزخر بهذه الاصناف وبغيرها من انواع الاطعمة المختلفة, اما الاشراف فنجد منهم من تزهد في الدنيا مبتعداً عن مختلف انواع الاطعمة مقتصداً على ما خشن منها، والبعض الاخر وجد ان سلوك الاثنين لا حرج على ان تكون معرفة الله قائمة في كل شيء يسعى اليه .

وكما بينا سابقاً فان الاشراف سعوا دائماً الى الاصلاح الاجتماعي وارشاد الناس الـى الطريق القويم، فكان كعام الشريف ابو زكريا يحيى الزواوي قائماً على المباح كالبقول المطروحة وما جرى مجراها، واذا اشتهى اللحم نزل الى البحر فيصطاد من الاسماك ما يكفيه، فهو مع زهده وورعه اذ لم يكن هناك اجلد منه على الصيام والقيام(2)، الا انه لم يحرم نفسه مما تشتهي وقد اباحه الله لها .

وارشد الشريف ابو الحسن الشاذلي الناس الى التنعم بنعم الله (I) والركن الى الحمد له سبحانه بما رزقهم، فقال: " يا بني برد الماء اذا شربت الماء الساخن فقلت الحمد لله تقولها بكزازة، واذا شربت الماء البارد فقلت الحمد لله استجاب كل عضو منك بالحمد لله "(3) .

---

(1) زيتون, القيروان, ص186.

(2) الغبريني، عنوان الدراية، ص127 .

(3) ابن عطاء، لطائف المنن، ص161؛ معدي، موسوعة الصوفية، ص614؛ النجار، الطرق الصوفية بمصر، ص130؛ محمود، المدرسة الشاذلية، ص53 .

فلم يكن الشريف الشاذلي يتعمد الى اكل الغليظ من الطعام او الماء الساخن، لكن هذا لم يمنعه من ان يقتصد على اكل ماهو مباح في بعض الاوقات روى عنه احد اصحابه بانه اقام معه في جبل زغوان يتعبد اربعين يوماً وهم يفطرون على ما تنبت الارض من العشب واوراق الدفلاء، فشتهى صاحبه بعض الطعام فنزل معه من خلوته الى المدينة واخذوا من الطعام كل ما هو جيد[1]، مدللاً بذلك الى ان عبادة الله (I) ليس بحرمان النفس من الطعام الجيد والشراب البارد[2] .

واشار ناصحاً ومبيناً لمن اراد ان يسلك طريق التصوف، ان هذا الطريق لا يعني ان يحرم العبد نفسه من الطعام والشراب الجيد بل ان يكون معتدلا متبعا للكتاب والسنة فقال: " ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة ولا ببقيقة الصناعة وانما هو بالصبر على الاوامر واليقين في الهدايا كما قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾[3] "[4]، وهذا يفسر السبب الذي جعل التصوف والفكر الصوفي في المغرب يصبح ملجأ لأعداد هائلة من الناس[5] .

ووضح ابن عطاء ان الاصل في كل ما يسعى اليه الشريف بتأصيله في المجتمع هو اتباعاً لكتاب الله (Y) فأن ما جاء عن النبي موسى (υ): ﴿ **فَسَقَى**

([1]) ابن عطاء، لطائف المنن، ص161–162؛ محمود، المدرسة الشاذلية، ص53 .

([2]) ابن عطاء، لطائف المنن، ص161–162؛ محمود، المدرسة الشاذلية، ص53 .

([3]) سورة السجدة، اية: (34) .

([4]) الشافعي، المفاخر العلية، ص84؛ وينظر: محمود، المدرسة الشاذلية، ص53؛ النجار، كمال خليل، انفعال المفعول بفعل الفاعل التخلي والتحلي والتجلي بحث في التصوف الحقيقي، دار الجنان للنشر والتوزيع، (د.ت،2018م)، ص51؛ التمسماني, الامام سيدي ابو الحسن الشاذلي بعض مميزات شخصيته حكمه شرح بعض كلامه من خصائص الطريقة الشاذلية، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2013)، ص83 .

([5]) David, The new cambridge medieval history, V 5. p 634 .

لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[1]، الا ترى كيف تولى الى الظل قصداً لشكر الله تعالى على ما ناله من النعمة[2] .

معقباً ذلك بقوله: " واما لبس اللباس اللين واكل الطعام الشهي وشرب الماء البارد: فليس القصد اليه بالذي يوجب العتب من الله اذا كان معه الشكر لله "[3] .

ثالثاً: دورهم في المجتمع من خلال مكانتهم الاقتصادية

بدايةً وقبل الحديث عن اثر الاشراف في الحياة الاجتماعية من خلال الجانب الاقتصادي والاعمال التي احترفوها, نجد من الواجب إعطاء لمحة عن الحالة الاقتصادية للبلاد حتى يتضح لنا الترابط بين الوضع الاقتصادي وبين الاشراف تأثراً وتأثيراً .

لقد عرفت بلاد المغرب عموما بغناها وما يؤكد ذلك هو كثرة الغنائم التي حصل عليها الفاتحون فقد غنم معاوية بن حديج سنة (45هـ/665م), غنائم كثيرة من نواحيها حتى انه أرسلها الى المشرق, واستمر ذلك طيلة مدة معارك الفتح الاسلامي[4]، الا ان الخراب الذي احدثته الكاهنة اثناء حربها مع حسان بن النعمان كانت السبب في الركود الكساد الاقتصادي الذي اصاب البلاد عموماً، فقد امرت اتباعها بقطع الاشجار وهدم الحصون والقلاع وتخريب المدن والمزارع والمراعي، بعد ان كانت ظلاً واحداً من طرابلس إلى طنجة وقرى متصلة ومدائن منظمة، مبررة ذلك بان هدف العرب من الحرب هو الحصول على الاموال من الذهب والفضة وبخرابها

([1]) سورة القصص، اية: (24) .

([2]) ابن عطاء، لطائف المنن، ص161–162؛ محمود، المدرسة الشاذلية، ص53؛ الشافعي، المفاخر العلية في الماثر الشاذلية، ص120.

([3]) ابن عطاء، لطائف المنن، ص161–162؛ وينظر: محمود، المدرسة الشاذلية، ص53؛ ياسين، عبد السلام، الاحسان، نشر: مطبوعات الافق، (الدار البيضاء، 1998م)، ج2، ص464؛ الشاذلي، المفاخر العلية في الماثر الشاذلية، ص120 .

([4]) ينظر: ابن الابار, الحلة السيراء, ج2, ص323؛ ابن الدباغ, معالم الإيمان, ج1, ص73، 184؛ ابن عذاري, البيان المغرب, ج1, ص17؛ زيتون, القيروان, ص153.

يخرجون إلى آخر الدهر[1]، فترك ذلك الخراب اثاراً سيئة على الوضع الاقتصادي للسكان مما دفع بهم الى هجر البلاد والتوجه نحو الاندلس بعد ان فقدوا موارد رزقهم[2]، ولم تبدأ الحياة الاقتصادية في البلاد الا بعد انتهاء فترة الفتح, واستقرار الاسلام, وثبتت اقدام السيادة العربية واسلام عامة البربر[3] .

الا ان ذلك الاستقرار لم يدم طويلا فقد ازداد الوضع سوءاً بسبب سياسة بعض عمال بني امية في اهمال الوسائل الاقتصادية، وارهاق السكان بالمغارم والجبايات مما اضطرهم الى القيام بالثورات ضدهم التي استمرت مدة طويلة من الزمن[4]، فاستنزفت هذه الثورات اموال البلاد التي انفقها الولاة على اعداد الجيوش ومضاعفة الاعطيات المالية لمواجهة الثوار مما زادت من الحالة الاقتصادية سوءاً، ولم تزدهر الحياة الاقتصادية الا بقيام دولة الادارسة التي عملت على انهاء امر الثورات وبلغت بلاد المغرب الاقصى مبلغا عظيما من الازدهار والاستقلال وظهر اثر ذلك في كثير من المنشآت الاقتصادية[5] .

اهتم الاشراف الادارسة بالزراعة اهتماماً واسعاً لاسيما وان البلاد تمتعت بموارد مالية جيدة فضلاً عن مياه الامطار، فكثرت المحاصيل في البلاد وتنوعت فاهتموا بزراعة الحبوب كـ (القمح)، و(الذرة)، و(الرز)، فضلاً عن زراعة النباتات ذات الانتاج الصناعي كـ (القطن)، و(الكتان)، واهتموا بزراعة اشجار (العنب)، (الزيتون)[6]، اذ تعد زراعة الزيتون من المحاصيل المهمة ذات الاثر الكبير على النشاط الاقتصادي للبلاد، وكانت زراعة الزيتون تدر دخلا كبيرا لأهل المغرب عامة، ومن ذلك ما روي عن الوالي عبد الله بن سعد الذي فتح افريقية سنة (27هـ/647م) كان

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص417؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص36 .

(2) ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص36؛ الذهبي، عصر الادارسة، ص137 .

(3) ينظر: ابن الابار, الحلة السيراء, ج2, ص323؛ ابن الدباغ, معالم الإيمان, ج1, ص73، 184؛ ابن عذاري, البيان المغرب, ج1, ص17؛ زيتون, القيروان, ص153.

(4) ابن خلدون، العبر، ج4، ص241؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص162 .

(5) الذهبي، عصر الادارسة، ص137، 138 .

(6) الذهبي، عصر الادارسة، ص137-139.

" يوضع بين يديه الكوم من الورق فيقال للإفاقة من اين لكم هذا؟ قال: فيجعل انسانا منهم يدور كالذي يلتمس الشيء حتى وجد زيتونة فجاء بها اليه فقال: من هذا نصيب الورق. قال: وكيف؟ قال: ان الروم ليس عندهم زيتون, فكانوا يأتوننا فيشترون منا الزيت فنأخذ هذا الورق منهم "[1] .

لم يقتصر اهتمام الاشراف الادارسة على الزراعة فحسب فقد كان للصناعة نصيب من ذلك الاهتمام، وتركزت على الصناعات ذات المردود المحلي الذي احتاجه اهل البلاد مثل صناعة المواد الغذائية من طحن الحبوب وعصر الزيتون، فضلا عن الصناعات اليدوية مثل (صناعة النسيج)[2] التي عدها ابن خلدون[3] من الصناعات الضرورية للعمران البشري لما يحتاجه الانسان للحماية من البرد والحر, فهي تعد من اقدم الصناعات التي نشأت مع الانسان، ولاقت ازدهاراً كبيراً في المغرب، اذ اهتم السكان كثيراً بمظهرهم ويعدون اللباس من اهم مظاهر المكانة الاجتماعية[4] .

من البديهي ان يكون للتقدم الزراعي والصناعي الذي شهدته البلاد نشاط تجاري واسع داخليا وخارجيا, فقد اهتم الاشراف بالنشاط التجاري على الرغم من العلاقات السيئة التي كانت تربطهم بالدول المجاورة لهم من الاغالبة والخوارج والامويين في الاندلس، الا ان علاقاتهم التجارية كانت في غاية النشاط في المغرب والمشرق[5] .

انعكس هذا الازدهار والرخاء الاقتصادي الذي عاشته البلاد بتشجيع واهتمام الاشراف الادارسة على الوضع المعاشي للسكان فاصبحوا افضل حالاً واكثر رخاءً، فعمل عامة الناس في مختلف النواحي الاقتصادية من زراعة وتجارة وصناعة .

---

(1) ابن عبد الحكم, فتوح مصر والمغرب, ص212؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر واخبارها، دار الفكر، (بيروت، 1996م), ص201؛ زيتون, القيروان, ص155.

(2) الذهبي، عصر الادارسة، ص137-139.

(3) العبر, ج1, ص516؛ وينظر: الخزاعي, النشاط الاقتصادي, ص131.

(4) الذهبي، عصر الادارسة، ص139.

(5) الذهبي، عصر الادارسة، ص137-139.

بهذا الشكل برز دور الاشراف الادارسة واثرهم على المجتمع من خلال المجال الاقتصادي، اما فيما يخص اعلام آل البيت العلوي الذين تقوم عليهم الدراسة، فأن دورهم انحصر بمزاولة بعض الاعمال والحرف البسيطة التي تمكنهم من تحقيق سبل العيش وحث الناس على العمل وزرع القيم الاجتماعية، والسبب في ذلك يعود الى المحنة التي حلت بهم على يد موسى بن ابي العافية من القتل والتشريد لكل من ينتمي لآل البيت العلوي على اثر انهيار دولة الادارسة فاجبروا على ترك مزارعهم وتجاراتهم وحرفهم الصناعية والخروج الى مختلف البلدان، ومن بقى منهم انكب على العلم ومزاولة بعض الاعمال البسيطة لغرض المعيشة فضلاً عن كونهم زهاداً لذا لم ينغمسوا في الحياة الاقتصادية كثيراً، ولا يعنينا هنا ان نفصل النشاط الاقتصادي الزراعي او التجاري او الصناعي الذي عاشته البلاد, بالقدر الذي يعنينا في معرفة مكانة الاشراف الاقتصادية واثر ذلك على المجتمع, فمعظمهم كانوا فقراء اقتصر دخلهم على ما اكسبوا من عملهم في مختلف الحرف اليسيرة الدخل .

ومن الاشراف الذين برزت مكانتهم الاقتصادية من خلال عملهم في الزراعة الشريف عبد السلام بن مشيش الذي كان عشيه قائماً على الانتاج الزراعي، لديه ارضين يعمل على الفلاحة بهما بنفسه فيعيش من كد يده دون الحاجة الى مسائلة الناس(1)، وبذلك وضع من نفسه قدوة للحث على العمل لكسب العيش دون الحاجة الى طلب المساعدة، وهذا من القيم الاخلاقية السامية التي سعى الاشراف الى تأصيلها في المجتمع، وعلى الرغم من كونه لم يكن ميسور الحال ولا يختلف عيشه عن اهل زمانه الا انه لم يمتنع من مساعدة الفقراء ومن يحتاج الى يد العون(2) .

ونظير ذلك عمل الشريف ابو الحسن علي الشاذلي في الزراعة بنفسه فهو يملك من الارض ما يجعله في غنى عن الناس فأكل من عمل يده دون الحاجة الى احد(3)، غير انه كان افضل حالاً من سابقه وتمتع بنوع من الرخاء الاقتصادي وهذا ما لاحظناه من خلال حديثه عن رسالة بعثها له احد اصدقائه سأله عن السبب

---

(1) اللهيوي، حصن السلام، ص421؛ غريب، ابو الحسن الشاذلي، ص15 .

(2) اللهيوي، حصن السلام، ص421 .

(3) غريب، ابو الحسن الشاذلي، ص21، 43 .

تأخره في السفر اليه، فقال الشريف له: " وسبب الامساك عن السفر في العادة زرع لنا يدرس قد حرث لنا في ثلاثة مواضع "[1] .

فأن الذي أخر الشريف عن زيارة صاحبه ليس زراعة شيء قليل وانما اشار الى ان الارض حرثت في ثلاثة مواضع، وهذا يعني انه تمتع بحالٍ ميسور وهو ما يفسر كثرة مساعدته للفقراء والمحتاجين فلم يبخل عليهم يوماً ولم يرد سائلاً لذا احبه الفقراء وساروا حوله اذا مشى[2] .

وحث الناس على العمل والتمتع بالاكتفاء الذاتي اقتداءٍ به فنلاحظ انه كان اتخذ للزراعة الوسائل التي اتاحت له نوعاً من الاكتفاء الذاتي فاهتم بتربية الثيران مثلا لحرث الارض والدرس[3] .

ومنهم من عمل ببعض الحرف الصناعية، كالشريف الفقيه الزاهد ابو محمد عبد الله الشريف الذي امتهن الخياطة بسوق الصوافين ببجاية وعليها معاشه الا انه لم ينسَ نصيب الفقراء والمحتاجين من حرفته هذه ولم يتهرب من تكليف وقع عليه، فكان مثالاً حسناً لكل من عمل معه واتبعه، ومما روي عنه أنه عندما كان يعمل في السوق وقعت عليه بعض التكاليف والمغارم المعتادة، ونظراً لمكانته الاجتماعية واحترام ورعاية لدينه وعلمه ونسبه عند العامة وعند اهل السوق الذين عمل معهم تعمدوا ان ابعاده عن دفع المغارم والتكاليف المفروضة عليهم، غير انه لم يرضى وتكررت هذه الحالة مرة اخرى، فنظر الشريف الى اكثرهم عملاً فسأله عن المبلغ الذي دفعه فدفع مثله، فرفضوا ذلك وتمنعوا عليه وسألوه واستعطفوا عليه ان لا يدفع كل ذلك المال الا انه رفض ولم يقبل الا بالدفع والانتظام في سلكهم، فقبلوا منه الاموال وهم يعتذرون اليه، فسأل عن السبب الذي دفعه الى ان دفع ذلك المبلغ الكبير[4]، فقال لهم: " رأيت في المنام ان القيامة قد قامت والموازين قد وضعت

([1]) محمود، المدرسة الشاذلية، ص71 .

([2]) المناوي, الكواكب الدرية، ج2, ص470- 471؛ الكوهن, طبقات الشاذلية الكبرى, ص24؛ غريب, ابو الحسن, ص17.

([3]) محمود، المدرسة الشاذلية، ص72 .

([4]) الغبريني، عنوان الدراية، ص196 .

واعمال العباد توزن وهناك طوائف من الناس ومعهم اهل هذا السوق وضعت في موازينهم من الحسنات كمثال الجبال ولم يكن لي نصيب منها، فعرفت ان ذلك كان جزاءٍ للمغارم والتكاليف التي تقع عليكم وانا معفى منها فأقسمت ان لا يفوتني بعد هذا تكليف ابداً "[1]، يتبين من ذلك حرص الشريف جداً على ان لا يفوته اي تكليف واجب عليه حتى اصبح ذلك اكثر ما يشغل باله في اليقظة والمنام، فأعطى هنا درساً عظيماً لكل اهل السوق ومن يحبه ويتبعه، فان بناء مجتمع سليم لابد ان تكون قواعده الاساسية سليمة وصحيحة .

ولم يقتصر عمل الشريف ابو محمد على حرفة الخياطة فقد روي عنه اشتغاله ببعض المعاملات في للتجارة[2] .

وممن عمل في التجارة ايضاً الشريف ابو الحسن الشاذلي، فقد وردت عنه بعض الاشارات التي تدلل على انه كان عمل في التجارة على نطاق واسع ولا نستبعد ذلك لأنه كان ميسور الحال ويملك اراضي زراعية وبساتين، ومن تلك الإشارات بأنه قبل انتقاله الى مصر عمد الى تصفية اعماله في تونس فحضر اليه احد الوكلاء يطالبه بأموال بقيت عليه لبعض التجار[3] .

ومما لاشك فيه ان البلاد مرت بحالات متفاوتة ما بين الشدة والرخاء، فقد مرت بأزمات اقتصادية وسنوات قحط ومجاعات بين الحين والاخر فبرز دور الاشراف واثرهم بشكل واضح في المجتمع من خلال الوقوف الى جانب الناس ومساعدة الفقراء والمتضررين، ومن ذلك ما روي عن حدوق ازمة كبيرة في بلاد بجاية في القرن (5هـ/11م)، فعقد الشريف ابو زكريا يحيى الزواوي الامر في مساعدتهم والوقوف الى جانبهم واغناهم عن السؤال والعوز[4] .

هذا ما ورد الينا من اشارات حول عمل الاشراف الذين تقوم عليهم اطروحتنا في الصناعات المختلفة التي امتهنوها سواء كان في الزراعة او الصناعة او التجارة,

---

([1]) الغبريني، عنوان الدراية، ص196 .

([2]) الغبريني، عنوان الدراية، ص196 .

([3]) الشافعي، المفاخر العلية، ص45 .

([4]) ابن الزيات، التشوف الى رجال التصوف، ص429 .

واتضح من خلالها مكانتهم الاقتصادية واثرهم المهم على المجتمع الذي وجدنا فيه روح التعاون والتكافل بين عامة الناس فلم نجد شريفاً غنياً أنعم الله تعالى عليه يستأثر بها من دون ما سواه، فقد حث الاسلام على العمل والاخذ بأسباب العيش الرغيد الذي احله الله تعالى لهم شرط ان لا ينسوا زكاة هذا الفضل بإخراج حقه يوم حصاده بمساعدتهم للفقراء والمحتاجين، هذا فضلا عن حثهم على العمل ورسم النهج الصحيح للتعامل فكانوا قدوة ومثلهم من يقتدى به .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين، ففي ختام رحلتنا الطيبة التي عشناها مع كوكبة من آل البيت العلوي في المغرب، حطت بنا رحالنا لنكتب صفحاتنا الاخيرة بأهم النتائج التي استخلصناها وهي على النحو التالي :

1. من خلال البحث عن الاشراف في المغرب احصينا (115) شريفاً من العلماء والمتصوفة والصالحين والزهاد والاولياء موزعين على عدة قرون بدأً من القرن (3هـ/9م) حتى القرن (7هـ/13م) على نحو ما أشرنا إليه في صفحات الاطروحة .

2. أهمية الأثر السياسي الذي قام به الاشراف من حث على الجهاد ومشاركة في الجيوش كقادة وجنود متطوعين، بين اهمية وجودهم في المجتمع المغربي لتثبيت قواعده الاساسية التي لابد منها في تكوين اي مجتمع بأسس سليمة ليتجه نحو مستقبل زاهر .

3. ومن الحقائق التاريخية التي تسنى لنا معرفتها من خلال هذه الدراسة، هي ان الحركة الثقافية في المغرب قد سارت بشيء من البطء في بداية الامر، ولكن لجهود العلماء من الاشراف وغيرهم من الفقهاء والمحدثين والقراء الأثر الكبير والفعال في إشاعة الثقافة الاسلامية بين ابناء المجتمع المغربي، حيث نجد ان الامور بدأت تتدرج نوعاً ما الى الامام، وكان السبب وراء ذلك البطء هو الاوضاع السياسية التي مرت بها البلاد ثم بدأت الامور تسير بحال افضل مما سبقها مع فقد كان لقيام الدولة المستقلة، اثراً كبيراً في نشاط الحركة الثقافية ولاسيما ايام دولة الادارسة اذ برز منهم امراء اهتموا بالشعر والادب وعقدوا المجالس العلمية، وكذلك الحال الدول التي اعقبتهم في حكم المغرب اذ كان المرابطين والموحدين والمرينين يسعون الى العلماء ولاسيما الاشراف ويقربونهم من مجالسهم ويقدموهم لتولي المناصب النهمة في الدولة، ليقتدي الناس بهم، كما سعوا الى عقد مجالس خاصة لعلماء الاشراف استقبلوهم بها

واحضروا بين ايديهم الطلبة لتشجيع العلم، فمن البديهي ان نجد مثل ذلك التقدم في الحركة الثقافية .

4. العلم يرفع صاحبه، وهذا ما دلت عليه سيرة الاشراف في المغرب، حيث لازمهم الطلاب واكتسبوا منهم صفاء العلم، واستطاعوا ان يبنوا بتلاميذهم اجيالاً كانوا علماء افذاذ حملوا على عواتقهم بناء بلدانهم وثقافتها، حتى نجدهم خصوا البعض ممن وجدوا فيهم النباهة بمجالس علمية خاصة هدفها تنشئ فرد من اجل مجتمع، وهذا حصل بالفعل فقد اصبح الاشراف وتلاميذهم، علماء للمغرب والمشرق على السواء .

5. كان الاشراف لا يسايروا الباطل على الحق، ولم يتزلفوا للسلاطين، اصحاب سمت ووفار، ومهابة واعتبار، جمعوا بين الامامة، والديانة، والفقه، والحديث، والعقائد، والاصول، والادب، والزهد، والصدق، وحسن الخلق، والسيرة المحمودة، ورفعة المنزلة، والمناصب بالحق ومخافة الله سبحانه، فكانوا نافذين الكلمة عند الخاصة والعامة .

6. شكل رجال آل البيت العلوي في المغرب حلقة وصل ما بين السلطة والعامة، وذلك للمكانة المتميزة التي حظوا بها عند الناس كسبوها بنسبهم الشريف وعلمهم الواسع، فضلاً عن الخلق العظيم الذي عرفوا بهِ، لذا سعى السلاطين لتوليتهم المناصب الادارية المهمة في الدولة, غير انهم لم يكونوا على منهج واحد فمنهم من رحب بتلك المناصب وتولها عن رغبة, وهناك من رفضها وخرج من مدينتهُ هرباً من الولاية زاهداً بها .

7. اهمية الرحلات العلمية على سير الحركة الثقافية والفكرية وتقدمها، فإن ما استخلصناه في تتبعنا لسير الحركة العلمية ضمن اطار البحث المحددين به، نجد ان للرحلة دوراً بارزاً، واثراً كبيراً في سير تقدم ونشاط الحياة العلمية في المغرب، لاسيما وان الرحلات العلمية التي قام بها الاشراف من المغرب الى المشرق لم تكن رحلة واحدة بل تم تكرارها عدة مرات على نحو ما بيناه في الفصل الثالث، فكانت من اهم دعائم الحركة العلمية في المغرب .

8. كان لرحلات الاشراف اثر مهم في التطور الثقافي للبلاد فهي من اهم الوسائل التي مكنتهم من تحصيل العلم واشاعته بين الناس لينتفعوا بهِ ويواكبوا حركة تطور العلوم في المشرق, كما انها كانت السبب في دخول المصنفات العلمية على ايدي الاشراف, فضلاً عن صقل قدراتهم العلمية في التأليف وتسجيل ما اطلعوا عليه من مصنفات جغرافية مهمة كانت منطلقا لازدهار الحياة العلمية فيما بعد، فضلا عن تحصيلهم للإجازات العلمية التي كانت احد الاسباب المهمة التي اسهمت في انتشار الكتب بين مختلف البلدان, وتناولها رواية وتدريساً في غياب مؤلفها, وكانت شموليتها لمختلف العلوم من اهم عوامل التبادل الثقافي التي تمكن عن طريقها طلبة العلم في المغرب من الاطلاع على علوم البلدان الاخرى والافادة منها، فانعكس التحصيل الذاتي الذي حصل عليه الاشراف خلال رحلاتهم قد انعكس بالخير والمنفعة لطلاب العلم فضلاً عن ازدهار وارتفاع المستوى الثقافي في البلاد عموماً، فترك هذا الامر اثاراً محمودة على الحركة الثقافية، انتفع منها طلبة العلم كافة .

9. ويقودنا اقرار تلك النتيجة الى نتيجة مهمة لابد من ذكرها وهي دور المناظرات الكبير في نمو الحياة العلمية واتساعها في بلاد المغرب اذ سعى الاشراف عن طريقها اضافت كتب مهمة في الرد على المخالفين لأثبات افكارهم واعطائها الطابع الشرعي، فزاد ذلك من اهمية المناظرات اذ اغنوا الدراسات الفقهية بشيء من التطور الواضح، هذا غير الدروس العلمية المستفادة منها فمن خلال المناظرة اكتسب المتناظرين فوائد استثنائية في مختلف المجالات ولاسيما التعلم اذ يتمكن الطالب من خلال هذه المجالس ان يحظى بمهارات عالية في البحث العلمي عن طريق معرفتهم استخدام الحجج والادلة الصحيحة في الوقت المناسب، فتصقل مهاراتهم في فنون الرد ويصبح لديهم اسلوب خطابي جذاب ومقنع للطرف المناظر، وهذه الاساليب لا يمكنهم تعلمها في اي مجلس اخر، هذا فضلا عن اسهامهم في مناقشة ازمات كبيرة كانت قد القت بظلالها على حياة المجتمع عامة .

10. كما نجد ان الدراسات الشرعية المتعلقة بأحكام القرآن الكريم والقراءات والتفسير والحديث النبوي الشريف والفقه واصوله كانت اكثر اهتماماً بالنسبة لغيرها من

الدراسات العلمية الاخرى، وان كان ذلك متفاوتا بين الحين والاخر، حسب ما تمليه عليهم الاوضاع السياسية .

11. اما الدراسات الانسانية الادبية والتاريخية والجغرافية فقد جاءت بالمرتبة الثانية بعد الدراسات الشرعية، ومن الملاحظ ان دراسة الادبية والجغرافية كانت اوفر حظا من الدراسات التاريخية، فقد برز الكثير من الاشراف ممن عرفوا بقول الشعر ونظم النثر وتأليف الكتب الجغرافية الهامة وذات الاثر الكبير في سير الحركة العلمية بخطى اكثر اتزانا ونضجاً مما سبق من عصور التأليف، وكذلك الحال بالنسبة للدراسات العلمية للعلوم الطبيعية ينطبق عليها النتيجة ذاتها في قلة الاهتمام الا ما يخص بعض الدراسات الطبية التي اشتهر بها الشريف الادريسي.

12. كما برز دور المؤسسات التعليمية في نشاط الحياة العلمية في المغرب، مثل المساجد والمدارس والربط، وقد اكدنا على اهمية هذه المؤسسات في موضعها وبينا الدور الذي قامت به كل منها على ان ذلك الدور لم يكن بمرتبة واحدة بل كان بمراتب متفاوتة .

13. لم يقتصر دور الاشراف على المغرب بل كان لهم دور كبير في الحياة العلمية في المشرق، لاسيما في الدراسات الشرعية، فقد كانت اغلب رحلاتهم متباينة ما بين الاخذ والعطاء، وهذا ما اثبتناه في ثنايا البحث كل في موضعه وبذلك اسهمت الدراسات الاشراف بجوانب كثيرة في الثقافة الاسلامية عامة .

14. كان للإشراف دور بارز في الحياة الاجتماعية، فقد تميزوا بمكانة مرموقة بين طبقات المجتمع الخاصة والعامة فكانوا قادة افذاذ عملوا على تنشأت مجتمع ديني متماسكٍ دافعوا عن الناس فأخذوا الحقوق ونشروا القيم الأخلاقية فقد كان الاشراف يشكلون ضمير الامة النابض بالحياة، يفزعون اليهم في الملمات وما يقع عليهم من صعاب، وقد اثبتنا من خلال البحث المواقف التي استشكل فيها العامة من قضايا فقهية وعقائدية لجأوا فيها الى الفقهاء لإيجاد الحل المناسب لها .

15. وفضلاً على النتائج والحقائق التاريخية والسياسية والعلمية التي ادرجناها في الحديث والعلوم والمعارف المغربية واثرها في نشاط الدراسات الاسلامية عامة، لابد من الاشارة الا ان هؤلاء الاشراف الذين قاموا بهذا الدور الريادي في جميع مجالات الحياة، كان يعيشون في مستوى اقتصادي متفاوت ما بين الغنى والفقر، الا ان ما لاحظناه ان جميع هؤلاء الاشراف الذين قامت عليهم دراستنا كان مستوى عيشهم مماثلاً لمستوى غيرهم من عامة المجتمع لاسيما فقراء المسلمين فقد زهدوا في معاشهم من لباس وطعام وشراب فاقتصروا على ما خشن من متطلبات حياتهم كافة، ومن كان ميسوراً منهم سعى الى مساعدتهم والوقوف بجانبهم في معظم الاحوال .

16. اخيراً بإمكاننا ان نستخلص اهم النتائج التي ختمنا بها دراستنا عن دور الاشراف في هذا الموضوع الا وهو ان الحياة الثقافية كانت الاكثر اهمية بالمقارنة مع غيرها في جوانب الحياة الاخرى، الا ان ذلك لا ينفي اهمية دورهم السياسي والاجتماعي وسائر جوانب الحياة في مجتمع المغرب خاصةٍ وسائر بلد المسلمين عامةً .

وختاماً اقول ان ما كان عليه رجال آل البيت العلوي في المغرب من العلم والحكمة لا يوصف الا بالبحر الزاخر المليء بالنعم، بحرٌ لا ينضب ابداً فقد كانوا نسيجاً متآلف بين السياسة والعلم والحكمة والوقار والرفعة ومواكبت الزمان والتصدي الجاد لكل مخالفة .

هذا ما استطعت جمعه وترتيبه وتحريره وتقريره واستخلاصه، من خلال دراسة تراجم الاشراف، ولا ادعي انها بلغت الكمال فذلك طموح ليس من السهل تحقيقه فان الكمال لله (Y) وحده فهو حسبي ونعم الوكيل، فان كان ما قدمته صوابا فمن فضل الله ومنته، وان كان خطأ فتلك من سمات الانسان، وكان لنا فيها شرف المحاولة والتعلم، واسأل الله تعالى ان يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وان يوفقنا جميعاً لهدي كتابه والسير على سنة نبيه (ρ)، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا خاتم الانبياء والمرسلين .

الاسم	الوفاة	الصفة	المصادر
1. ابراهيم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الحسني	القرن 4هـ/9م	عالم، اديب، شاعر	الحميدي، جذوة المقتبس، ص152؛ الضبي، بغية الملتمس، ج1، ص262؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص226؛ منصور، اعلام المغرب، ج1، ص34؛ السملالي، الاعلام، ج1، ص378
2. ابراهيم بن عيسى بن محمد بن سليمان الحسني	260هـ/ 908م	امير من آل سليمان تولى امارة مدينة ارشقول	ابن حزم، جمهرة الانساب، ص48؛ البكري، المسالك والممالك، ج2، ص747؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص153؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص23؛ المقريزي, المقفى الكبير, ج6, ص473؛ الزركلي، الاعلام، ج8، ص107 .
3. ابو اسحاق ابراهيم بن عيسى بن القاسم بن الحسني	حياً سنة 366هـ/ 977م	عالم، اديب، شاعر	العياشي، الفهرس، ص45؛ اللهيوي، حصن السلام، ص373؛ العمراني، الجواهر الباهرة، ص65؛ المقريزي, المقفى الكبير، ج6, ص473.
4. ابراهيم بن محمد بن عمر بن احمد بن ابراهيم الفاسي الحسيني	القرن 7هـ/13م	عالم، فقيه، زاهد، متصوف، من الاولياء الصالحين	الشنقيطي، الجواهر المضيئة، ج2، ص44؛ القسنيطي، نظم الدر المصون، ص78؛ شكر، الاحياء بعد الانساء، ج2، ص17-20.
5. ابراهيم جنيد (كندوز) بن عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن الحسين الحسني	من اهل القرن 3هـ/9م	من الاولياء الصالحين، جد فرع الاشراف السملالين	العروسي، رياض الجنة، ج4، ص87؛ الادريسي, مصابيح البشرية، ص58؛ فضالة، الجوهر العفيف، ص1033 .
6. ابو العباس الجدلي الشريف	القرن 7هـ/13م	شيخ، فقيه، محدث، حكيم، جدلي، اصولي، مصنف	الغبريني، عنوان الدراية، ص183؛ الشنقيطي، الجواهر المضيئة، ج2،

			ص101.
7. ابو العباس الجوطي الحسني	608هـ/ 1211م	صالحاً زاهداً ورعاً كريماً انتفع به الناس	الادريسي، المقصد الوافي، ج1، ص33؛ ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص47 .
8. ابو القاسم بن عبد الرحمن بن سعيد بن عبد الملك الحسني	حياً سنة 682هـ/ 1283م	عالم، قاضي، فقيه، محدث، حافظ للحديث ومقرئ، له اجازة علمية بذلك، من الاولياء الصالحين عارفاً بأحكام الله	القادري، الدر السني، ص30؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص74؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج1، ص378؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج1، ص282 .
9. ابو بكر بن علي بن بوحرمة بن عيسى العلمي الحسني	القرن 5هـ/11م	امام، متصوف، ولي متبع ذو مكانة عالية بين الناس	الزياني، جمهرة التيجان، ص93؛ اللهيوي، حصن السلام، ص298 – 299؛ العمراني، الجواهر الباهرة، ص135–137؛ شكر، الاحياء بعد الانساء، ج2، ص158 .
10. ابو زيد احمد الجوطي الحسني	حياً سنة 669هـ/ 1270م	عالم، فقيه، تولى امارة مدينة فاس سنة (669هـ/1270م) من قبل السلطان يعقوب المريني	ابن ابي زرع, الذخيرة السنية, ص126؛ القسنيطي، نظم الدر المصون، ص89؛ الادريسي، المقصد الوافي، ج2، ص48 .
11. احمد بن ابراهيم بن محمد الحسني	332هـ/ 944م	عالم، حافظ للسير، والتاريخ، ونسابة عاقلاً حليماً، مهتماً بالعلم والعلماء من امراء الاسرة الادريسية	البكري، المغرب، ص 129–130؛ منصور، اعلام المغرب، ج2، ص247؛ التازي، جامع القرويين، مج1، ص145 .
12. احمد بن القاسم بن ادريس بن الحسني	القرن 4هـ/9م	امير، عالم، اديب، لم تخلو مجالسه من العلماء والشعراء	البكري، المسالك والممالك، ج2، ص809؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص235؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص82؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص290؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص251؛ منصور، اعلام المغرب،

			ج2، ص247 .
13. ابو العيش احمد بن القاسم بن محمد بن القاسم الحسني	348هـ/ 959م	عالم، فقيه، اديب فاضلا ديناً ورعاً حافظاً للسير عالماً بتواريخ الملوك وايام الناس وانساب العرب والبربر، اميراً، تولى امارة البصرة واصيلة، مجالسه عامرة برجال العلم والادب لا تخلوا من وجود الشعراء	البكري، المغرب، ص130؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص235؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص78؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص290؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص111؛ الكتاني، الدر النفيس، 494؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص251؛ الزركلي، الاعلام، ج1، ص197؛ الفضالة، الجوهر العفيف، ص1012؛ منصور، اعلام المغرب، ج2، ص301؛ السيد، معجم السياسين، ص71 .
14. احمد بن علي بن ابراهيم بن محمد الحسيني	675هـ/	عالم، فقيه، مفتي، حافظ، متصوف زاهد، من الاولياء الصالحين	ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص604؛ المناوي، الكواكب الدرية، ج2، ص386؛ الزركلي، الاعلام، ج1، ص175؛ شكر، الاحياء بعد الانساء، ج2، ص18.
15. احمد بن علي بن محمد بن ادريس الحسني	350هـ/ 961م	عالم، متصوف، من الاولياء الصالح، زاهد متعبد ذو مكانة اجتماعية، وهو احد اجداد لفرع الاشراف العلمين	العياشي، الفهرس، ص33؛ اللهيوي، حصن السلام، ص295؛ شكر، الاحياء بعد الانساء، ج2، ص181؛ الحمعية المغربية، معلمة المغرب، ج1، ص277 .
16. ابو عبد الله احمد بن محمد بن ادريس بن ادريس الحسني	منتصف القرن 3هـ/9م	عالم، فقيه، متصوف من الاولياء الصالحين جد فرع الاشراف الودغيريون، والبدراويون، واولاد ابن الطائع، والخليفيين،	الكتاني، سلوة الانفس، ج2، ص3؛ منصور، اعلام المغرب، ج2، ص224؛ الفضلي، الدرر البهية، ج2، ص122 .

		والحموميين	
17. احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن راشد العمراني الحسني	720هـ/	عالم، مصنف، مدرس، فقيه، محدث، راوية، عالم بأصول الدين، واصول الفقه، مشاركاً بالعربية، متصوف، امام جامع القروين سنة 694هـ/	ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص76؛ الجزجاني، جنى زهرة الاس، ص61؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص136؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص16؛ منصور، اعلام المغرب، ج4، ص259 .
18. احمد بن محمد بن محمد الحسني	737هـ/	امام، عالم بعلوم القران، مقرئ، مجود، مجود، مدرس	السبتي، اختصار الاخبار، ص15؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص28؛ منصور، اعلام المغرب العبي، ج4، ص287 .
19. ادريس بن ادريس بن عبد الله الحسني	213هـ/ 828م	امير، عالم، اديب، شاعراً مجيداً فصيحاً بليغ اللسان، راوية للحديث، عارفا بالفقه والسنة والحلال والحرام وفصول الاحكام، ورعاً تقياً جواداً كريماً حازماً شجاعاً، ذو عقل راجح وحلم واسع	ا ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص25؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص16؛ السجلماسي، اتحاف اعلام الناس، 27؛ اللهيوي، حصن السلام، ص271؛ كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب، ج1، 1399؛ العمراني، الجواهر الباهرة، ص131؛ الجمعية المغربية، ج1، ص259 .
20. ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن الحسني	177هـ/ 793م	مؤسس دولة الادارسة	ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص20؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص17؛ الجمعية المغربية، ج1، ص261 .
21. أبو جعفر إسحاق بن إسماعيل الامغاري الحسني	حياً سنة 424هـ/ 1033م	امام، قطب، متصوف، ولي صالح زاهد متبع، مجاهد مرابط	ابن عبد العظيم الازموري، مخطوط تنقيح الاخيار، ورقة (16) .
22. اسحاق بن احمد بن	اواخر	فقيه، متصوف، صالح، له	المدرع، ارجوزة في مشاهير صلحاء

محمد بن ادريس الحسني	القرن 3هـ/9م	مسجد يعلم به الفقه والقران	فاس، ص100؛ الكتاني، سلوة الانفاس، ج1، ص390؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص143 .
22. ابو محمد اسماعيل بن جمزة الحسني	القرن 4هـ/9م	عالم، محدث، راوية، اديب	ابن بشكوال، الصلة، مج1، ص126؛ القسنيطي، نظم الدر المصون، ص103؛ الادريسي، المقصد الوافي، ج2، ص49 .
23. بوحرمة بن عيسى بن عبد السلام العلمي الحسني	القرن 5هـ/10م	امام، ولي صالح زاهر، متصوف	الزياني، جمهرة التيجان، ص93؛ اللهيوي، حصن السلام، ص298 – 299؛ العمراني، الجواهر الباهرة، ص135–137 .
24. ابو الحسن جابر بن احمد بن ابراهيم القرشي الحسني	حياً سنة 578هـ/ 1182م	فقيه، اديب، لغوي، حافظ للحديث، عارف برجاله، وله اجازات علمية من كبار المحدثين في الحفظ والرواية وعنايته بفنون الحديث	ابن الابار, التكملة, ج1, ص201؛ نويهض, معجم اعلام الجزائر, ص68.
25. ابو عبد الله جعفر بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحيم الحسني	بعد سنة 680هـ/ 1281م	عالم فقيه، اديب، شاعر، محدث، راوية، امام مسجد	الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج6، ص224؛ الذهبي، معجم الشيوخ، ج1، ص204؛ صلاح الدين، فوات الوفيات، ج1، ص296؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج11، ص117؛ الفاسي، ذيل التقييد، ج1، ص497؛ كحالة، معجم المرلفين، ج3، ص147؛ بن شريفة، تراجم مغربية، ص210 .
26. الحسن بن القاسم بن محمد بن ابي القاسم بن محمد الحسني	676هـ/ 1277م	عالم، فقيه، زاهد من الاولياء الصالحين، وهو جد الاشراف المحمديون العلويين في سجلماسة	العياشي، الفهرس، 28؛ العلوي، الانوار الحسنية، 25؛ الزياني، تحفة الحادي، ص77؛ الزياني، البستان الظريف، ق1، ص29؛ الناصري،

			الاستقصا، ج7، ص4؛ الفضلي، الدرر البهية، ج1، ص81؛ المشرفي، الحلل البهية، ج1، ص204؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج11، ص3426 .
27. حسين بن محمد بن عبد الله بن طاهر الطاهري الصقلي الحسيني	القرن 4هـ/10م	عالم، امام، فقيه	ابن الاحمر, بيوتات فاس الكبرى, ص17؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج1، ص200 .
28. الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس الحسني	313هـ/ 944م	امير من الاسرة الادريسية	ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص50؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص82؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص111؛ الكتاني، الدر النفيس، 494؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص240؛ الزركلي، الاعلام، ج2، ص212؛ الجمعية المغربية، ج11، 3318 .
29. حسن بن القاسم بن محمد بن القاسم الحسني	375/ 986م	امير من الاسرة الادريسية	ابن حزم، جمهرة انساب العرب؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص235؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص82؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص291؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص111؛ الكتاني، الدر النفيس، 494؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص253؛ الزركلي، الاعلام، ج2، ص212؛ اللهيوي، حصن السلام، ص288 .

30. حسين بن محمد بن موسى بن يحيى بن عيسى الفاسي الحسيني	بداية القرن 4هـ/ 9م	ولي صالح فاضل، وهو جد الاشراف الحسينين الفاسيين في المغرب	القسنيطي، نظم الدر المصون، ص65؛ الادريسي، المقصد الوافي، ج3، ص98؛ شكر، الاحياء بعد الانساء، ص17
31. داود بن احمد بن علي بن ابي بكر الحسني	435هـ/ 1044م	عالم، فقيه، قاضي	حشلاف, سلسلة الاصول, ص74؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص220؛ الحسني, المنتقى, ص329.
32. سليمان مشيش بن ابي بكر بن علي العلمي الحسني	القرن 6هـ/12م	امام، متصوف، زاهد، ولي صالح متبع، صاحب مسجد	اللهيوي، حصن السلام، ص300؛ شكر، الاحياء بعد الانساء، ج2، ص160؛ العمراني، الجواهر الباهرة، ص137 .
33. سليمان بن عبد الله بن الحسن الحسني	169هـ/ 785م	الجد الاعلى للأشراف السليمانيون، اصحاب امارة آل سليمان في تلمسان	ابن الزبير، نسب قريش، ص55؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج15، ص242؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص301،ج7، ص102؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ص137؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص211؛ الزركلي، الاعلام،ج3، ص128.
34. طاهر بن الحسين بن موهوب بن احمد بن محمد بن طاهر الطاهري الصقلي الحسيني	حياً سنة 366هـ/ 977م	عالم، فقيه، كاتب، وهو جد الاشراف الطاهرين الصقليين الحسينين	ابن الاحمر, بيوتات فاس الكبرى, ص17؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج6, ص200-201؛ الجمعية المغربية، ج17؛ ص5700
35. طاهر بن محمد بن علي بن يحيى بن محمد الطاهري الصقلي الحسيني	القرن 7هـ/ 13م	عالم، فقيه، من الاولياء الصالحين، ذو كرامات ودلائل كثيرة	ابن الاحمر, بيوتات فاس الكبرى, ص17؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج6, ص200؛ الدكالي، مطلع النبيه، ج2، ص301 .
36. عائشة بنت عمارة بن يحيى بن عمارة	القرن 7هـ/13م	اديبة، شاعرة، ذات فصاحة وبلاغة	الغبريني، عنوان الدراية، ص47 – 48؛ كحالة، اعلام النساء، ج3،

الحسني			ص182 –183؛ نويهض، معجم اعلام الجزائر، ص366؛ الناجي، سحر، الداء والدواء، ص16 .
37. عبد الجليل بن يحيى بن يحيى بن محمد الكتاني الحسني	303هـ/ 915م	من الاولياء الصالحين المتبرك بهم، واحد اجداد الاشراف الكتانيين	القسنيطي، نظم الدر المصون، ص89؛ الادريسي، المقصد الوافي، ج2، ص48؛ الكتاني, الشرب المختصر, ص125؛ الكتاني، الدواهي المدهية , ص7.
38. عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن احمد بن عبد الرحمن	682هـ/ 1383م	عالم، فقيه، محدث، راوية، له اجازات علمية في رواية الحديث واسانيده، شاعر	ابن القاضي, درة الحجال, ج3, ص74؛ الحلبي, الدرر النفيس, ص؛ السملالي, الاعلام, ج8, ص90؛ الجمعية المغربية، معلمة التصوف، ج1، ص282 .
39. ابو زيد عبد الرحمن بن علي بن اسحاق بن احمد الودغيري الحسني	القرن 4هـ/10م	من الاولياء الصالحين، وهو جد الاشراف الودغيريون	العياشي, الفهرس, ص55؛ حشلاف, سلسلة الأصول، ص62؛ الادريسي، مصابيح البشرية, ص143.
40. ابو زيد عبد الرحمن بن يوسف الحسني	القرن 6هـ/12م	متصوف، زاهد، ولي صالح	ابن الزيات، التشوف، ص464؛ السملالي، الاعلام، ج8، ص101؛ القسنيطي، نظم الدر المصون، ص33 .
41. عبد الرحيم بن احمد بن حجون بن محمد بن محمد بن حمزة بن جعفر الحسيني	592هـ/ 1196م	عالم، فقيه، قطب، متصوف، عقائدي، اصولي، ولي صالح، له مجالس علمية عديدة في التوحيد وغيرها	الكوهن، طبقات الشاذلية، ص82؛ ابن حروش، التنزيه الشريف، ج1، ص79؛ الدكالي، مسار الاشراف، ص198؛ العروسي، مظاهر الاسرار، ج1، ص190 .
42. عبد السلام بن سليمان بن ابي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى العلمي الحسني	622هـ/ 1225م او 625هـ/	قطب المتصوفة، عالم، فقيه، حافظ للقران متقن لفنونه من قراءة وتفسير، محدث، راوية، اصولي، ولي صالح، ناصح	ابن عطاء، لطائف المنن، ص61؛ الفاسي, مرآة المحاسن , ص288؛ ابن عجيبة، شرح الصلاة المشيشية، ص11؛ الناصري, الاستقصا, ج1, ص201؛ الفضلي، الدرر البهية، ج2، ص102؛ الكوهن، طبقات

	1227م	ومرشد عطوف كريم، مجاهد، معلم	الشاذلية، ص59؛ النبهاني، جامع كرامات الاولياء، ج2، ص167؛ الزركلي، الاعلام، ج4، ص9؛ كنون، النبوغ المغربي، ج1، ص151؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص153؛ التمسماني، رياض الرقائق، ص296؛ بن عبد الله، معلمة التصوف، ج2، ص53؛ العمراني، الجواهر الباهرة, ص138؛ التليدي, المطرب، ص96؛ محمود، القطب الشهيد، ص8 وما بعدها؛ شكر، الاحياء بعد الانساء، ص162؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج21, ص7161 .
43. ابو محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الحسني	القرن 7هـ/13م	عالم، فقيه، مدرس، متصوف، مناظر، من اهل الفضل والوجاهة معروفاً بالنزاهة	الغبريني عنوان الدراية، ص274؛ القرافي، توشيح الديباج، ص139؛ التنبكتي، كفاية المحتاج، ج1، ص305؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ج1، 285؛ كنون, النبوغ المغربي, ج1, ص123؛ السملالي، الاعلام، ج8، ص170؛ النجار, المهدي بن تومرت, ص374- 375 .
44. ابو محمد عبد الله الشريف	القرن 7هـ/13م	عالم، فقيه، متكلم، اصولي، عقائدي، مناظر، محدث، زاهد، مدرس له مجالس علمية، يعمل بالتجارة	الغبريني, عنوان الدراية, ص195؛ ابن الشبيه، جنى البستان، ج1، ص44؛ العروسي، مظاهر الاسرار، ج1، ص56 .
45. عبد الله امغار بن سحاق بن عثمان بن سعيد بن عبد الله بن ادريس الحسني	375هـ/ 986م	عالم، فقيه، محدث، راوية، اديب، شاعر، مجاهد، ولي صالح	الامغاري، النسب الصريح، ج1، ص22؛ ابن حروش، التنزيه الشريف، ج3، ص34؛ الدكالي، مسار الاشراف، ص111؛ العروسي، مظاهر الاسرار، ج1، ص212 .
46. عبد الله بن ادريس بن ادريس بن عبد الله	313هـ/ 925م	عالم، فقيه، امام صالح، محدث	البكري، المسالك والممالك، ج2، ص855؛ ابن ابي زرع، الانيس

المطرب، ص51؛ السملالي, الاعلام، ج8، ص183 .			الحسني
ابن الاحمر, بيوتات فاس الكبرى, ص17, 19؛ ابن عبد الله الفاسي, الاشراف، ج2, ص65؛ السملالي, الاعلام بمن حل مراكش، ج8, ص202؛ وج4، ص160؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج17، ص5700 .	عالم، فقيه، امام، صالح، ناسك، زاهد، قاضي القضاة بمراكش	587هـ/ 1191م	47. عبد الله بن طاهر بن الحسين بن موهوب بن احمد الطاهري الصقلي الحسيني
الزياني، تحفة الحادي، ص54؛ ابن حروش، التنزيه الشريف، ج1، ص34؛ الدكالي، مسار الاشراف، ص45؛ ابن الشبيه، جنى البستان، ج1، ص89؛ العروسي، مظاهر الاسرار، ج1، ص190 .	فقيه، محدث، راوية	444هـ/ 1025م	48. عبد الله بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن السليماني الحسني
شيخ مربي، قطب وامام، وولي صالح، بني على قبره مسجد، ومدرسة عرفت بالمدرسة الكتانية، الكتاني، مخطوط المظاهر السامية، ورقة (13)؛ الكتاني سلوة الانفاس، ص88؛ الكتاني، منطق الأواني، ص14؛ الكتاني، الشرب المختصر، ص126؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج20، ص6747 .	شيخ مربي، قطب وامام، وولي صالح، بني على قبره مسجد، ومدرسة عرفت بالمدرسة الكتانية، تدرس بها العلوم الشرعية	490هـ/ 1097م	49. عبد الله بن هادي بن يحيى الكتاني الحسني
اللهيوي، حصن السلام، ص304؛ العمراني، الجواهر الباهرة، ص146.	امام، متصوف، قطب وولي صالح، مجاهد	القرن 7هـ/13م	50. عبد الصمد بن عبد السلام بن سليمان بن ابي بكر العلمي الحسني

51. عبد النور بن محمد بن احمد العمراني الحسني	من اهل القرن 7هـ/13م	عالم، فقيه، اصولي، متكلم، محدث، علامة مفتي، مدرس، خطيب، امام، من اهل الشورى	التنبكتي, كفاية المحتاج, ج1, ص304؛ التنبتكي، نيل الابتهاج, ج1, ص286؛ الحلبي، الدر النفيس، ج2، ص492؛ الزياني، جمهرة التيجان، ص93؛ الكتاني، الدواهي المدهية، ص100؛ الكتاني, سلوة الانفاس, ج2, ص160؛ كحالة، معجم المؤلفين، ج6، ص202 .
52. ابو زيد عبد الواحد بن احمد الجوطي الحسني	663هـ/ 1265م	فقيه، امام، ولي صالح	ابن الاحمر، الذخيرة السنية، ص110؛ الجوطي، ابناء الشبيه، ج2، ص333؛ الماجدي، التعريف بابناء الريف، ص67 .
53. عبد الواحد بن عبد الرحمن بن محمد الجوطي الحسني	668هـ/ 1259م	فقيه، امام، ولي صالح، زاهد، ذو كرامات، مجاهد	ابن السكاك, نصح الملوك, ص111؛ ابن عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص152؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج11, ص3198.
54. عبد سلام بن احمد مزوار بن علي العلمي الحسني	القرن 3هـ/9م	امام، صالح، حكيم، واعظ، مرشد	ابن حروش، التنزيه الشريف، ج2، ص90؛ الدكالي، مسار الاشراف، ص108؛ ابن الشبيه، جنى البستان، ج8، ص88؛ اللهيوي، حصن السلام، ص269 .
55. علي بن بوحرمة بن عيسى بن سلام العلمي الحسني	القرن 4هـ/ 10م	امام، متصوف، ولي متبع ذو مكانة عالية بين الناس	الزياني، جمهرة التيجان، ص93؛ اللهيوي، حصن السلام، ص298 – 299؛ العمراني، الجواهر الباهرة، ص135–137؛ شكر، الاحياء بعد الانساء، ج2، ص158 .

56. ابو الحسن علي بن اسحاق بن احمد بن محمد بن ادريس الحسني	القرن 4هـ/10م	ولي صالح، وامام متبع، احد اجداد الاشراف الودغيريون الحسنيون	ابن حروش، التنزيه الشريف، ج1، ص34؛ الكتاني، سلوة الانفاس، ج1، ص271؛ الدكالي، مسار الاشراف، ص100؛ ابن الشبيه، جنى البستان، ج2، ص99؛ العروسي، مظاهر الاسرار، ج1، ص33 .
57. علي بن الحسين بن محمد بن عبد الله الصقلي الحسيني	القرن 5هـ/11م	عالم، امام، فقيه	ابن الاحمر, بيوتات فاس الكبرى, ص17؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج1، ص200 .
58. علي بن حمود بن ميمون بن احمد بن علي بن عبيد الله الحمودي الحسني	408هـ/ 1018م	قائد شجاع، تولى امارة سبتة وطنجة من قبل الامويون في الاندلس، وأسس دولة علوية في الاندلس عرفت بالدولة الحمودية	السمعاني، الأنساب، ج12، ص340؛ ابن الاثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج6، ص295؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص615؛ المراكشي، المعجب، ص41؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج28، ص177؛ ابن الوردي، التاريخ، ج1، ص317؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص5؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص196؛ الزركلي، الاعلام، ج4، ص383؛ عنان، دولة الاسلام، ج1، ص657؛ الحسني، المنتقى، ص326-327 .
59. ابو الحسن علي بن خليل المسفري الحسيني	حوالي سنة 600هـ/ 1204م	عالم، فقيه، اديب، شاعر، حكيم، فيلسوف، مصنف، متصوف، زاهد، يعمل في تسفير الكتب	ابن العربي، محاضرة الابرار، مج1، ص224؛ كنون, ذكريات مشاهير رجال المغرب, ج1, ص277؛ كنون, النبوغ المغربي, ج1, ص156.
60. علي بن طاهر بن	564هـ/	فقيه، اديب، شاعر، محدث،	الدكالي، مسار الاشراف، ص199؛

الحسين بن موهوب الطاهري الصقلي الحسيني	1168م	راوية، اصولي، قاضي	الشفشاني، النسبة الصقلية، ج1، ص93؛ ابن الشبيه، جنى البستان، ج2، ص76؛ العروسي، مظاهر الاسرار، ج1، ص56 .
61. علي بن عبد الرحمن بن عيسى بن احمد بن عيسى بن ادريس الحسني	حياً سنة 465هـ/ 1073م	امام متبع متبرك به، ولي صالح مجاهد، وهو جد الاشراف الدباغيون الحسنيون	الشفشاوني، السر الظاهر، ص453؛ ابن عبد الله الفاسي، الاشراف، ج1، ص200؛ حشلاف، سلسلة الاصول، ص72؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص206 .
62. ابو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز الشاذلي الحسني	656هـ/ 1258م	عالم، فقيه، اديب، شاعر، مجتهد ومناظر بالعلوم الشرعية، وعلوم الحقيقة، قطب متصوف وصاحب الطريقة الشاذلية، حافظ للقران ومتقن لفنونه مقرئ ومفسر، اصولي، مفتي، مدرس معلم صاحب مجالس علمية، وربط، واعظ ومرشد وناصح، حكيم، مناظر، مجاهد	ابن عطاء، لطائف المنن، ص75؛ الغبريني، عنوان الدراية، ص195؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج48، ص273؛ الذهبي، العبر، ج3، ص282، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج4، ص154؛ الصباغ، درة الاسرار، ص5؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج21، ص141؛ الصفدي، نكث الهميان، ص197؛ ابن الملقن، طبقات الاولياء، 458؛ اليافعي، مراة الجنان، ج4، ص107؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص107؛ الشعراني، لوافح الانوار، ج4، ص8؛المناوي، الكواكب الدرية، ج2، ص470؛ الكوهن، طبقات الشاذلية، ص19؛ ابن عبد الله الفاسي، الاشراف، ج1، ص107؛ الفضلي، الدرر البهية، ج2، 152؛ الكتاني، سلوة الانفاس، ج1، ص1345؛ التليدي، المطرب،

			ص122؛ اللهيوي، حصن السلام، 453؛ الادريسي، مصابيح البشرية، ص126؛ محمود، المدرسة الشاذلية، ص17 وما يعدها؛ ابن عبد الله، معلمة التصوف، ج2، 62؛ غريب، ابو الحسن الشاذلي، جميع صفحات الكتاب؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج15، 5233 .
63. علي بن عمر بن محمد بن داود بن عمران بن يزيد بن صفوان بن خالد الحسني	559هـ/ 1164م	امام، ولي صالح متبرك به، وهو جد الاشراف الشغروشنيين	الزياني، تحفة الحادي، ص83؛ الكتاني، سلوة الانفاس، ج1، ص424 .
64. شمس الدين علي بن محمد بن احمد الحسني	حياً سنة 688هـ/ 1289م	عالم، باللغة العربية، والنحو، وله اجازة علمية بها	ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص232؛ المكناسي، رفع التدليس، مج2، ص98؛ المخزومي، تحفة العلوم، ص107 .
65. ابو الحسن علي بن محمد بن ادريس الحسني	234هـ/ 748م	امام، ولي صالح، امير شجاع، فاضل، وهو الجد الاعلى للأشراف العلميين الحسنين	ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص53؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص459؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص230؛ الكتاني، سلوة الانفاس، ج1، ص90؛ الزركلي، الاعلام، ج4، ص232؛ اللهيوي، حصن السلام، ص267
66. علي بن موسى بن ابي بكر بن محمد بن عبد الله بن هادي بن يحيى الكتاني الحسني	689هـ/ 1290م	فقيه متضلع، علامة متبحر باهر، صاحب ظهور ووجاهة عند الحكام	الكتاني، الشرب المختصر، ص127؛ الكتاني النبذة اليسيرة، ص173؛ السجلماسي، اتحاف اعلام الناس، ج5، ص527؛ ابن الحاج، نظم الدر والال، ص68 .
67. ابو طاهر عمارة بن	بعد سنة	فقيه، عالم بالعربية،	الغبريني، عنوان الدراية، ص45؛

يحيى بن عمارة الحسني	585هـ/ 1189م	والفرائض، اديب، شاعر، مصنف، قاضي	كحالة، معجم المؤلفين، ج7، ص269؛ نويهض، معجم اعلام الجزائر، ص241 .
68. ابو حفص عمر بن محمد بن داود بن عمران بن يزيد بن صفوان بن خالد بن يزيد الحسني	اواسط القرن 6هـ/12م	ولي صالح، وامام متبع متبرك به، وهو احد اجداد الشرفاء الشغروشنيين الحسنين	الزياني، تحفة الحادي، ص83؛ الكتاني، سلوة الانفاس، ج1، ص424 .
69. عمران بن عبد الجليل بن يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس الحسني	304هـ/ 916م	امام، ولي صالح، وامير منصب من قبل الناس، من اهل الولاية والخير والفضل والفضل، والمعرفة بالله والنصح لعباد الله	المكناسي، رفع التدليس، مج1، ص103؛ الكتاني, الشرب المختصر, ص125؛ الكتاني، الدواهي المدهية , ص7؛ المخزومي، تحفة العلوم، ص78 .
70. ابو العيش عيسى بن ابراهيم بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الحسني	اخر القرن 3هـ/ 9م	امير مدينة البصرة، مهتم بالعلم والشعر، فعقد المجالس العلمية العديدة واحضر الشعراء بين يديه	البكري، المسالك والممالك، ج2، ص789؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص440؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص235؛ الحميري، الروض المعطار، ص108؛ خدوسي، موسوعة العلماء، ج1، ص53؛ منصور، اعلام المغرب، ج2، ص104 .
71. ابو العيش عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن السلماني الحسني	نحو سنة 330هـ/ 942م	امير مدينة جراوة، من اسرة الاشراف السليمانيون	ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص48؛ البكري، المسالك والممالك، ج2، ص829؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص196؛ الحميري، الروض المعطار، ص135؛ الشفشاوني، السر الظاهر، ص453؛ ابن عبد الله الفاسي، الاشراف، ج1، ص200؛ الزركلي، الاعلام، ج5، ص100؛ الادريسي، مصابيح

			البشرية، ص206 . نويهض، معجم اعلام الجزائر، ص246؛ منصور، اعلام المغرب، ج2، ص103 .
72. ابو القاسم عيسى بن الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن القاسم الحسني	القرن 5هـ/11م	عالم، فقيه، تولى منصب نقيب الاشراف في القيروان	ابن فندق، لباب الانساب، ج2، ص546؛ ابن منتظر، الدر المكنون، ج1، ص204 .
73. عيسى بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن السليماني الحسني	295هـ/ 907م	امير مدينة ارشقول، من اسرة الاشراف السليمانيون	ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص48؛ البكري، المسالك والممالك، ج2، ص747؛ الزركلي، الاعلام، ج5، ص107 .
74. ابو موسى عيسى بن معنصر بن ابراهيم بن دوناس بن زكريا بن سعد الله المومناني الحسني	القرن 6هـ/12م	عالم، فقيه، امام صالح، متضلع مجتهد، مفتي، مدرس، ولي صالح مجاب الدعوة	ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج2, ص500؛ التنبتكي, كفاية المحتاج, ج1, ص309؛ التنبتكي، نيل الابتهاج, ج1, 290؛ التازي، جامع القرويين، ج1، ص165؛ الطعمي، تكملة جامع الكرامات، ص332 .
75. القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الحسني	321هـ/ 944م	امير من الاشراف الادارسة، والجد الاعلى للأشراف الجوطيون الحسنيون	ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص131؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص51؛ الزياني، تحفة الحادي، ص53؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص203 .
76. ابو محمد قاسم بن علي بن يحيى الشريف الحشاء الحسيني	حياً سنة 578هـ/ 1183م	عالم، فقيه، له مجالس علمية	الغرناطي, صلة الصلة, مج 3, ص351.
77. القاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس الحسني	337هـ/ 948م	امير، تولى الامارة على المغرب الاقصى للعبيدين	ابن فندمة، لباب الانساب، ج2، ص63؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص87؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص512؛

			الناصــــري، الاستقصـــــا، ج1، ص251؛ الزركلــي، الاعــلام، ج5، ص181؛ الفضالة، الجوهر العفيف، ص1012 .
78. ابـو عبـد الله محمـد بـن ابـي القاسـم بـن علـي بن حمود الحسني	حياً سنة 580هـ/ 1185م	حاكمـاً واميـراً مسـتقل، كـريم مشـجعاً للعلـم والعلمـاء، لـه مجالس علمية عديدة، قائمـاً علـى مسـاعدة النـاس مـن الفقراء والمحتاجين	ابـن ظفـر، سـلوان المطـاع، ص3؛ ابن جبير، الرحلة، ص314؛ مؤنس، تاريخ الجغرافية؛ ص178؛ Morgan, Cambridge tudies Inislamic Civilizaton, P.35; Abulafia, The Two Italies. Economic Relations, p.250 .
79. محمـد الهـادي بـن القاسم بن نفيس بن عبد الله بـن الحسـين بـن علـي بـن عبـد الله بـن العراقـي الحسيني	القرن 8هـ/14م	جـــد الاشـــراف العـــراقين الحسينين	ابن السكاك، محمد بن ابي غالب بن احمـد، (ت:818هـ/1415م)، نصـح ملـوك الاسـلام بـالتعريف بمـا يجـب علـيهم مـن حقـوق ال البيـت الكـرام، طبعــة حجريــة، (فــاس،1316هـ)، ص16؛ القــادري، الــدر الســني، ص69؛ ابـــن عبـــد الله الفاســـي، الاشـراف، ج2، ص166؛ الفضـلي، الدرر البهية، ج2، ص229 .
80. محمـد بـن احمـد بـن القاسم العلوي الحسني	حياً سنة 630هـ/ 1233م	عالم، دين، من اهل الفضل والمعرفــة ومــن ذريتــه كــان الملـــوك الزيـــدانين أو مـــا يعرفون بالإشراف السعدين	الزيـاني, جمهـرة التيجـان, ص97-99؛ ابن عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص86-87-88
81. ابو القاسم محمد بن ابـراهيم بـن عبـد الله بـن طـاهر الطـاهري الصـقلي الحسيني	القرن 6هـ/12م	عــالم، فقيــه، كاتــب، مقــرئ، مفسر، محدث، راوية، اديب، شاعر، واعظ، مرشد	ابـن القاضـي, جذوة الاقتبـاس, ج1، ص201؛ المكناسـي، رفـع التـدليس، مـــج2، ص22؛ القـــادري، النســـبة الطاهرية، ج1، ص234 .

82. محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الحسني	221هـ/ 836م	عالم، فقيه، اديب، شاعر، امير، وهو الجد الاعلى لكل من الاشراف العلميين، واولاد ابن ريسون، والوزانيون، والكتانيين، والودغيريون	ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص48؛ المروزي، الفخري في أنساب الطالبيين، ص29؛ القلقشندي، نهاية الارب، ص137؛ ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص51؛ ابن الخطيب، تاريخ المغرب، ق3، ص202؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج1، ص202؛ الكتاني، سلوة الانفاس، ج1، ص88؛ اللهيوي، حصن السلام، ص276 .
83. محمد بن سليمان بن عبد الله الحسني	نحو سنة 230هـ/ 845م	جد الاشراف السليمانيون، ومؤسس امارة آل سليمان الحسنيون في تلمسان	ابن الزبير، نسب قريش، ص55؛ ابن السكاك، نصح ملوك الاسلام، ص62؛ العياشي، الفهرس، ص25؛ الزياني، تحفة الحادي، ص54؛ الزركلي، الاعلام،ج6، ص42؛ الحسني، المنتقى، ص361 .
84. محمد بن طاهر بن الحسين بن موهوب الطاهري الصقلي الحسيني	589هـ/ 1193م	امام، فقيه، ولي صالح، قاضي القضاة بمراكش، عادل	ابن الاحمر، بيوتات فاس الكبرى، ص17؛ ابن ابي زرع، الذخيرة السنية، ص48؛ السملالي، الاعلام بمن حل مراكش، ج4، ص164؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج17، ص5700 .
85. ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن موهوب بن احمد الطاهري الصقلي الحسيني	608هـ/ 1211م او 609هـ/ 1212م	فقيه، امام، عالم بالحدث، راوية، حافظاً له، عارفاً برجاله، مشرفاً على طبقاتهم وتواريخهم، بصيراً بعلله، متصوف، عالم بأصول الدين، واصول الفقه، ومسائل	ابن الاحمر, الذخيرة السني، ص48؛ ابن الابار، التكملة، ج2، ص162؛ الغرناطي، صلة الصلة، مج3، ص10؛ السملالي, الاعلام، ج4، ص160؛ المنوني، العلوم والادب، ص48؛ النجار، المهدي بن تومرت،

		الخلاف، واعظ ومرشد، مدرس، قاضي عادل، مجاهد، جواد كريم، ذو مكانة اجتماعية مرموقة	ص482؛ الجمعية، المغربية، ج18، ص5549 .
89. محمد بن عبد الله بن هادي بن عمران بن عبد الجليل بن يحيى الكتاني الحسني	542هـ/ 1147م	فقيه، عالم، ولي صالح، وهو احد اجداد الاشراف الكتانيون الحسنيون	المكناسي، النجوم المضيئة، ج3، ص221؛ الكتاني، مختصر البيان، ج4، ص302؛الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج20، ص6747 .
90. محمد بن عبد السلام بنسليمان بن ابي بكر العلمي الحسني	القرن 6هـ/ 12م	امام، عالم، ولي صالح	اللهيوي، حصن السلام، ص302؛ العمراني، الجواهر الباهرة، ص139.
91. ابو سلام محمد المزوار بن علي بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الحسني	250هـ/ 864م	امام، ولي صالح، عابد زاهد، وهو اول من زهد بالملك من الادارسة، وتفرغ للعبادة والاعمال الصالحة الى حين وفاته، وهو الجد الاعلى للاشراف العلميين الحسنين	الزياني، تحفة الحادي، ص60؛ الزياني، جمهرة التيجان، ص92؛ الكتاني، سلوة الانفاس، ج1، ص95 .
92. محمد بن علي بن الحسين بن محمد الصقلي الحسيني	القرن 5هـ/11م	عالم، امام، فقيه	ابن الاحمر, بيوتات فاس الكبرى, ص17؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج1، ص200 .
93. ابو عبد الله محمد بن علي العمراني الحسني	617هـ/ 1220م	فقيه، متصوف، زاهد	الغبريني، عنوان الدراية، ص446؛ الطعمي، تكملة جامع الكرامات، ص376 .
94. محمد بن علي بن يحيى بن محمد بن علي بن الحسين الصقلي الحسيني	القرن 6هـ/12م	عالم، امام، ولي صالح، فقيه	ابن الاحمر, بيوتات فاس الكبرى, ص17؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج1، ص200 .

95. ابو عبد الله محمد بن عيسى بن القاسم الحسني	336هـ/ 947م	عالم، فقيه، اديب	المقريزي, المقفى الكبير، ج6, ص473؛ المكناسي، رفع التدليس، مج1، ص111 .
96. محمد بن عيسى بن عبد السلام بن احمد العروسي الحسني	القرن 5هـ/10م	امام، فقيه، محدث، راوية، متصوف	الكوهن, طبقات الشاذلية, ص187؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص225؛ الحسني, المنتقى, ص320؛ العمراني، الجواهر الباهرة, ص136 .
97. ابو عبد الله محمد بن عيسى بن معنصر بن ابراهيم المومناني الحسني	638هـ/ 1240م او 639هـ/ 1241م	عالم، فقيه، مفتي، مدرس، قاضي، موسوعي مستبحراً، عالماً في المنقول والمعقول، محصلاً من اهل الراي، شديد الحفظ، عالم بالفقه والاصول والفروع، وبالحديث وروايته واسانيده وتخريجه	ابن عسكر، اعلام مالقة, ص192؛ الغرناطي، صلة الصلة، مج3، ص13؛ التنبتكي, نيل الابتهاج, ج1, ص379؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج1, ص215؛ السملالي, الاعلام, ج4, ص229
98. ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن أحمد بن الحسني	حوالي سنة 560هـ/ 1165م	عالم، اديب، شاعر، جغرافي، رحالة، عشاب طبيب، مصنف في جل العلوم	الشريف الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، مقدمة المحقق، ص1-7؛ الصفدي, الوافي بالوفيات, ج1, ص139؛ الزركلي، الاعلام، ج7، ص24؛ كحالة, معجم المؤلفين, ج1, ص236؛ السملالي, الاعلام, ج4, ص116؛ كنون, ذكريات مشاهير رجال المغرب, ج1, ص210؛ كنون، النبوغ المغربي, ج1, ص156؛ التازي، جامع القرويين، مج1، ص168؛ حسين، تاريخ الجغرافية، ص165؛ الفراء, المدخل، ج1, ص47؛ حسن، الشريف الادريس، جميع صفحات

			الكتاب؛ الجمعية المغربية, معلمة المغرب, ج1, ص279- 280 .
99. ابو عبد الله محمد بن وهب بن بكير الكتاني الحسني	461هـ/ 1069م	عالم، بصير بالمسائل ومعاني الاحكام، ولي صالح، قاضي عادل	ابن بشكوال, الصلة, مج1, ص183.
100. ابو عبد الله محمد بن يوسف بن جنون الدرقاوي الحسني	ق: 6هـ/ 12م	عالماً عاملاً، زاهداً، ولي صالح، كثير القيام والصيام والصدقة، مجاهد	الكوهن, طبقات الشاذلية, ص187؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص225؛ الحسني, المنتقى, ص320؛ التمسماني, الامام مولاي, ص20, 48.
101. ابو عمران بن يمومين بن باكرين بن ياسين الحسني	من اهل القرن 7هـ/13م	عالم، فقيه، حافظ كان من احفظ زمانه في الفقه والاثر، مفتي	ابن القاضي, درة الحجال, ج3, ص3-4.
102. موسى بن سليمان مشيش بن ابي بكر بن علي العلمي الحسني	612هـ/ 1215م	عالماً، مجاهداً، ذا ولاية وصلاح، جد الاشراف الحسنيون الكانونيون	اللهيوي، حصن السلام، 296؛ العمراني, الجواهر الباهرة, ص149.
103. ياسين بن ادريس بن عمر بن ادريس الحسني	333/ 945م	ولي صالح، وهو الجد الاعلى للأشراف الهرغيون الحسنيون	حشلاف, سلسلة الاصول, ص74؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص220؛ الحسني, المنتقى في اعقاب الحسن المجتبى, ص329.
104. يحيى بن ابراهيم بن عيسى بن محمد بن سليمان السليماني الحسني	323هـ/ 935م	امير مدينة ارشقول، من اسرة الاشراف السليمانيون	البكري، المسالك والممالك، ج2، ص747؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص23؛ الزركلي، الاعلام، ج8، ص134 .
105. يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس بن ادريس بن عبد الله الحسني	332م/ 943م	علم، فقيه، حافظ للحديث، ذا فصاحة وبيان، امير شجاع حازم، ذو صلاح ودين وورع	البكري، المغرب، ص132؛ البكري، المغرب 132؛ البكري، المسالك والممالك، ج2، ص808؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص183؛ ابن ابي زرع، الانيس

			المطـــرب، ص80؛ ابـــو الفـــداء، المختصـــــر، ج2، ص70؛ ابـــــن خلـــدون، العبـــر، ج1، ص237؛ الناصـــــري، الاستقصـــــا، ج1، ص237؛ الزركلـي، الاعـلام، ج8، ص137؛ الحلبـي، الـدر النفـيس، ص493؛ التـازي، جـامع القـرويين، مج1، ص153 .
106. يحيـى بـن القاسـم بـن ادريـس بـن ادريـس الحسني	292هـ/ 904م	امير من الاشراف الادارسة، وهـو الجد الاعلـى للأشراف الجوطيون الحسنيون	البكـري، المسـالك والممالـك، ج8، ص808؛ ابـن ابـي زرع، الانـيس المطـــرب، ص79؛ الناصـــري, الاستقصـا, ج1, ص235؛ الزركلـي، الاعلام، ج8، ص162 .
107. يحيـى بـن حـازم العلوي	ق: 7هـ/ 13م	وزيـر السـلطان ابـو يرسـف المريني	ابن الاحمر, النفحة النسرينية، ص7؛ ابـن الاحمـر، روضـة النسـرين, ص18؛ ابن عبد الله الفاسي, الذخيرة النسية, ص87؛ ابن عبد الله الفاسي، الانيس المطرب, ص298.
108. يحيـى بـن علـي الزواوي الحسني	611هـ/ 1214م	عـالم، فقيـه، محـدث، قـارئ، ومفسـر، امـام وولـي زاهـد، واعـظ ومرشـد، معلـم فـي الساجد والزواية، ولـه مجالس علمية للقران والحديث	ابـن الزيـات، التشـوف، ص428، وجاء فيها باسم (يحيى بن علي)، في حين ورد باسم (يحيى بن ابي علي) عند الغبريني، عنوان الدراية، ص127؛ امـا عنـد ابـن قنفذ فجـاء باسـم (يحيـى بـن يحيـى)، الوفيـات، ص306؛ مخلـوف، شـجرة النـور الزكية، ج1، ص264.
109. ابـو زكريـا يحيـى بن عمران بن عبد الجليل بـن يحيـى بـن يحيـى بـن	393هـ/ 1003م	فقيه، امام ولي صالح متبع متبرك بـه، اتخذه الناس اميرا لهم بزواوة، وهو جد الاشراف	الفضـــلي, الـــدرر البهيـــة, ج2, ص108؛ الكتـــاني, الشـــرب المختصــر, ص125؛ حشـــلاف,

محمد بن ادريس الكتاني الحسني		الكتانيون الحسنيون	سلسلة الاصول, ص55؛ الكتاني, تحفة الاكياس، ص451؛ السجلماسي، اتحاف اعلام الناس، ج4، ص32؛ ابن عبد الله الفاسي, الاشراف, ج1, ص210؛ الادريسي, التنويه والاشارة، ص10؛ الادريسي, مصابيح البشرية, ص108؛ الجمعية المغربية، معلمة المغرب، ج20، ص6769 .
يحيى بن محمد بن ادريس بن ادريس الحسني	249هـ/ 863	امير، مجاهد، حارب الفت والاهواء والبدع، عمل على مساعدة الفقراء والمساكين والغرباء	ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص53؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص20؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص534؛ الكتاني، سلوة الانفس، ج1، ص91؛ الناصري، الاستقصا، ج1، ص231؛ الزركلي، الاعلام، ج8، ص163 .
110. يحيى بن محمد بن علي بن الحسين بن محمد الطاهري الصقلي الحسيني	ق: 5هـ/ 11م	عالم، امام، فقيه	ابن الاحمر, بيوتات فاس الكبرى, ص17؛ ابن القاضي, جذوة الاقتباس, ج1، ص200 .
111. يملاح بن سليمان مشيش ابي بكر بن علي بن بوحرمة العلمي الحسني	ق: 6هـ/ 12م	امام، ولي صالح، متصوف، زاهد	اللهيوي، حصن السلام، ص302 .
112. ابو الحجاج يوسف بن عبد الرحيم بن غزي بن اسماعيل بن عبد النصير بن الحسين	642هـ/ 1244م	امام صالح، متصوف زاهد، ذو كرامات مؤثورة، مجاب الدعوة، واعظ ومرشد انتفع الناس به	المناوي، الكواكب الدرية، ج2، ص365؛ الكوهن، طبقات الشاذلية، ص83 .

الحسيني			
113. ابو يعقوب يوسف بن موسى بن ابي عيسى الحسني	حياً سنة 686هـ/ 1287م	عالم، فقيه، محدث، راوية، وله اجازة علمية بذلك، مصنف، مقرئ، املم مسجد، صاحب مجالس علمية	التنبتكي، نيل الابتهاج، ج2، ص627؛ التنبتكي، كفاية المحتاج، ج2، 265 – 267؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج3، 344؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج2، ص554 .
114. يونس بن ابي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن سلام العلمي الحسني	القرن 5هـ/11م	امام ولي صالح متبع، وهو جد الاشراف اليونسيون العلميون الحسنيون	العياشي، الفهرس، ص45؛ اللهيوي، حصن السلام، ص373؛ العمراني، الجواهر الباهرة، ص165 .